

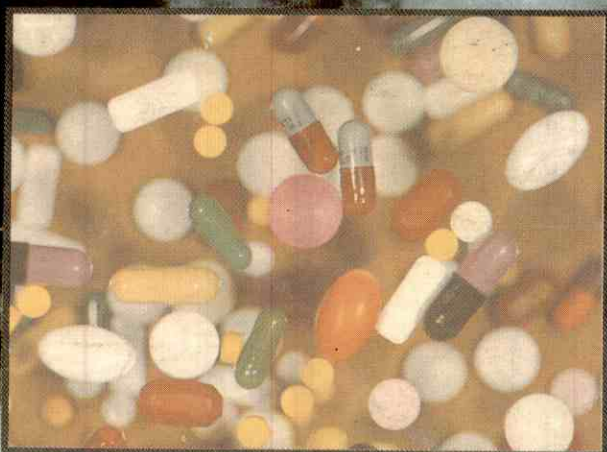
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل

مجلة شافعية شهرية العدد (١٨٧) - المحرم ١٤١٣هـ - (يوليو) ١٩٩٢م

AL FAISAL MAGAZINE ISSUE. (187) July 1992

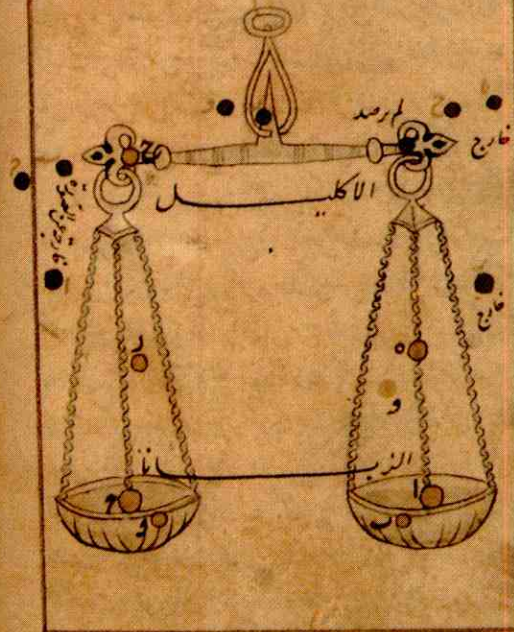
Mingoo L



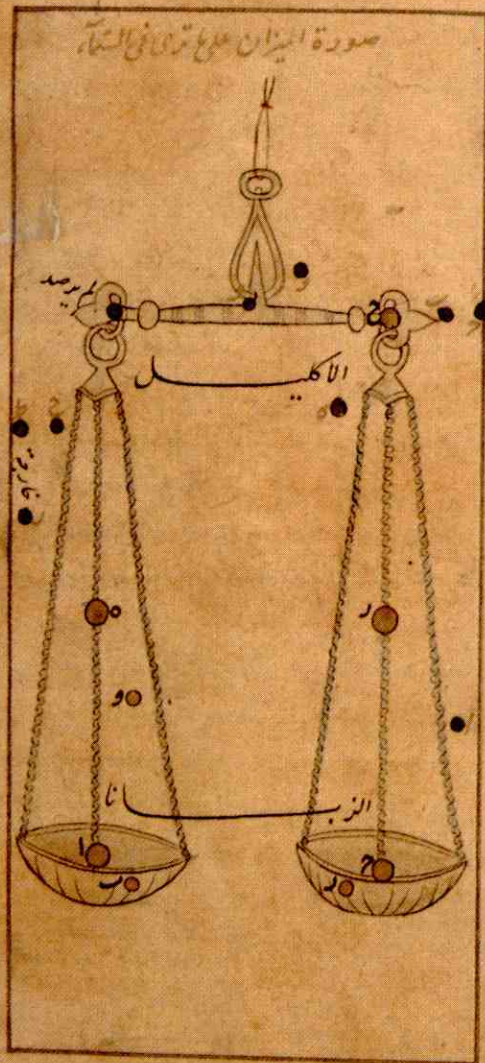
هَسَاكَ سَبْتُهُ أَيْدِي النَّاسِ

من الثلثة التي في الجبهة واحد من هذه الثلثة والاوسط من الثلثة
وسو السنادس في برج عن الصورة سو في ثلث عشرة درجة واثني
وحسين دقيقة من العقرب وعرضه في الجنوب درجة وثلثون
دقيقة ومن وسط ما بين الزبانيين اليه احدى عشرة درجة وخمس ثلث
من هذا السنادس الى القلب احدى عشرة درجة ونصف درجة
ولكل واحد من هذين البعدين قريب من مقدار سيرة القوس في
يوم وليلة اذا كان الى بعده الا بعد اقرب وهذه صورة الميزان

صورة الميزان على ما ترى في الكرة



صورة الميزان على ما ترى في السماء



الفصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيلس الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

ملاحظات عامة

- أن ينسج الموضوع المقدم للنشر بالجدة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.
- ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلًا إلى أي جهة أخرى ناشرة.
- أن يكون مطبوعاً أو مكتوباً بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم.
- حين نرد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر»، فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبه لسياسة النشر فيها.
- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.
- تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.
- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعتبر عن آراء أصحابها، ولا تعتبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- يجوز الاقتباس من موضوعات المجلة أو إعادة النشر دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- نرحب المجلة بتعليقات القراء ومناقشاتهم لما يُنشر فيها.

إطلالة

أما لهذا الليل أن يخجلي؟!

يبدو أن العالم مشغول هذه الأيام بتجاوزات الإنسان ضد الأرض أكثر من انشغاله بتجاوزات الإنسان ضد الإنسان!!
فقد انتهى منذ أيام أكبر لقاء سياسي شارك فيه أكثر من مائة رئيس دولة وحكومة من أنحاء العالم؛ في اللقاء المعروف بـ (قمة الأرض) ووقعوا في مدينة ريو دي جانيرو بالبرازيل على وثيقة لمعالجة قضايا تلوث البيئة وحماية الطبيعة من تجاوزات الإنسان!! مع أن هناك تلوثاً أبشع وانتهاكات صارخة لم تمارس منذ الحرب العالمية الثانية؛ تقع هذه الأيام ضد مسلمي البوسنة والهرسك؛ لا شيء سوى شهادتهم: «بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» فرغم اعتراف معظم دول العالم باستقلال جمهورية البوسنة؛ إلا أن الصربيين يصرون على ممارسة انتهاكاتهم وعدوانهم ضد هؤلاء المسلمين أصحاب التاريخ والحضارة والذين يريدون العيش في سلام، لدرجة أن هذه الدولة - البوسنة - أصبحت مهددة بالدمار الشامل، حيث قُتل وجرح أكثر من ٢٠٠ ألف مسلم بالإضافة إلى حوالي مليون مشرد ولاجئ... أما المساجد والمدارس الإسلامية والمكتبات التاريخية فأصبحت أنقاضا بسبب هذا العدوان الهمجي الغاشم الذي يشنه الصربيون لإزالة كل ما يذكر بالإسلام أو المسلمين!!

لقد أصبح خطر الإبادة الشاملة يهدد أكبر مجموعة من مسلمي أوروبا الأصليين، وهم المسلمون الذين يسميهم مؤرخو العرب بالصقالبة، هؤلاء الذين استجابوا للدعوة الإسلامية ودخلوا فيها طواعية إثر فتح بلادهم على يد القائد المسلم محمد الفاتح عام ٨٦٧هـ (١٤٦٣م) وأصبح أهلها ينشرون الإسلام ويتوسعون في بناء المساجد، لدرجة أن عاصمتهم «سرايفو» أصبحت تُعرف بأنها «مدينة المساجد الأوروبية».

إن العالم كله؛ وليس العالم الإسلامي وحده؛ مطالب بالعمل الفوري والحاسم لوقف هذه المذابح البشرية وإنقاذ الإنسان من ظلم الإنسان.

● نقطة ضوء :

التجاوب الواضح والمشكور من عدد كبير من الإخوة الكرام الكتاب والمفكرين مع المجلة خير عون لنا في رحلتنا المشتركة من أجل كلمة مسؤولة فاعلة.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

فِي هَذَا الْعَدَدِ

- إطلالة د. زيد عبد المحسن الحسين ٣
في ذكرى عَلمٍ مقدسي د. أحمد صدقي الدجاني ٥
محورية الشك عند طه حسين د. محمد الفاضل ٩
طير الحجارة (قصيدة) فاضل أبو خيال ١٣
من كنوز التراث الطبي د. محمد علي البار ١٤
الهلل الأفل (قصيدة) د. يوسف أبو هلاله ١٨
ملاحم «البارنويا» في شخصية المتنبي وشعره سلطان عبد الهادي السهلي ٢٠
عبقريه المتنبي د. يوسف خليف ٢٤
تأملات في الناس (قصيدة) سعيد حسين القاضي ٢٨
من ركائز التضامن الإسلامي د. أحمد عمر هاشم ٢٩
اللغة السردية في رواية «سارة» بلغيتي علوي مريم ٣٢
النقد الأدبي بين الانحياز والتجرد إعداد: عبد الواحد القاضي ٣٥
حول كتاب «مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي» .. عرض: محمد إبراهيم أبو سنّة ٣٨
الأميري (قصيدة) سليم عبد القادر ٤٢
رحلات حول العالم (١٩) الشيخ حمد الجاسر ٤٣
الحاجة إلى مركز عالمي للإعلام الإسلامي د. عبد القادر طاش ٤٨
دروب الربيع سلوم درغام سلوم ٥٠
رحلة الصوت اللغوي من النشوء إلى الإدراك علاء الدين رمضان ٥١
الطريق إلى الله الشيخ د. صالح بن سعد اللحيدان ٥٦
طريق الهدى الشيخ د. صالح بن سعد اللحيدان ٥٨
جرار (قصيدة) عبد العليم القباني ٥٩
تجربتي في كتابة العمود الصحفي (من تجاربهم) فاروق لقمان ٦٠
المخرطة (بدايات) ٦٢
من المكتبة السعودية ٦٣
المخدرات .. تلوث للروح والجسد (موضوع خاص) سعيد بن عائض العتيبي ٦٧
الأخطبوط العملاق (حقائق وغرائب) ٧٨
الروائيون الروس والملاحم الواقعية في المسرح (من قضايا المسرح العالمي) ٨٠
آفاق علمية د. محمد أبو بكر حيد ٨٢
ذكريات مع الشاعر فقيه عبد العزيز الرفاعي ٨٤
التلوث الهوائي قديماً وحديثاً لطف الله قاري ٨٧
المخطوط القرمزي (نافذة على ثقافة الغرب) تأليف: أنطونيو جالا، عرض: د. محمد أبو العطا ٩٩
غرناطة (قصيدة) د. نور الدين صمود ١٠٤
عطلة آخر الأسبوع (قصة قصيرة) جيمس ثيرير، ترجمة: صبري نصره ١٠٥
الطفل العربي والأدب الشعبي عبد النواب يوسف ١٠٧
مرائي الطير والحيوان في الشعر العربي د. ناول عبد الهادي ١١٢
البصمة معجزة الله في خلقه الأرمي حيد ١١٥
قاموس الألوان عند العرب (١) (دائرة المعارف) أ.د. عبد الحميد إبراهيم ١١٩
الصورة الغالية (قصيدة) الأمير كمال فرج ١٢٣
استراحة العدد ١٢٤
طبيك ١٢٦
مناقشات وتعليقات ١٢٨
كتب وردت إلى المجلة ١٣٠
ردود قصيرة ١٣١
مسابقة مجلة الفيصل ١٣٢
الحركة الثقافية في شهر ١٣٤
ظاهرة غير صحية (على موعد) عبد الله سعد المزروع ١٤٦



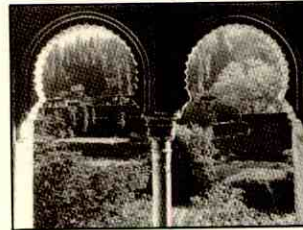
٦٧ ص
العالم يحارب وباء المخدرات
الذي راح ضحيته الملايين



٧٨ ص
حقائق وغرائب عن
الأخطبوط



٨٧ ص
التلوث .. مشكلة قديمة
تفجرت هذه الأيام



٩٩ ص
«المخطوط القرمزي» رواية
تحكي تاريخ العرب في
الأندلس

الفيصل

● المراسلات

مجلة «الفيصل» ص. ب: (٣)
الرياض: ١١٤١١ - المملكة العربية
السعودية.

هاتف: ٢٦. ٤٦٥٣ -
٢٧. ٤٦٥٣ - تليكس: ٤٠٢٦٠٠
DRFATHSJ - فاكس:
٤٦٤٧٨٥١.

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية:
المملكة العربية السعودية ٨ ريال -
الكويت ٦٠٠ فلس - الإمارات العربية
المتحدة ٧ دراهم - قطر ٧ ريال -
البحرين ٦٠٠ فلس - سلطنة عمان
٦٠٠ بيعة - الأردن ٤٠٠ فلس -
الجمهورية اليمنية ٦ ريال - مصر
١٠٠ قرش - السودان ١٠٠ قرش -
المغرب ٥ دراهم - تونس ٥٠٠ مليم -
الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس -
سورية ١٠ ليرات - ليبيا ٨٠٠ درهم.

● أسعار الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً لغیر الأفراد
٢٥٠ ريالاً سعودياً ترسل قيمة
الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»
● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة
المجلة

● ALL CORRESPONDENCE
TO:

AL-FAISAL MAGASINE P.O.
BOX (3) RIYADH 11411 - SAU-
DIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex:
402600 DRFATH SJ, Telefax:
4647851.

● EUROPE - AMERICA -
ASIA:

Norway NKR30 - Pakistan RS15
- Portugal ESQ100 - Spain
PTS150 - Sweden SKR30 - Swit-
zerland SF6 - United Kingdom £
2 - U.S.A. \$5 - Belgium BF200 -
Denmark DKR30 - Finland
FMK30 - France FF15 - F.R.G.
DM10 - Greece DR200 - Italy
L4000 - Netherlands DFL10

● ANNUAL SUBSCRIPTION
RATES:

Personal Subscription S.R. 150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGA-
ZINE



في ذكرى عالمٍ مقدسي

بقلم: د. أحمد صدقي الدهباني

أوائل الخمسينيات. فشدتني موضوعيته، وأعجبني منهجه العملي في المعالجة واستوقفني أسلوبه السلس الدقيق في الكتابة. وأصبح يسعدني أن أجد بعض كتاباته، وأنا مقبل على القراءة في مطلع الشباب، وحين صدر كتابه عن «عروبة بيت المقدس» أقبلت على قراءته بعد نكسة عام ١٩٦٧م، حتى كان ذلك اليوم المبارك الذي جمعنا في صيف عام سبعين وتسعمائة وألف في القاهرة بُعيد حصولي على درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعتها، وكنت أشارك في ندوة عن العلاقة بين «الكيان الصهيوني وجنوب أفريقيا» وأذكر أنني حين فرغت من إلقاء بحثي عن قلعتي الاستعمار الاستيطاني في عالمنا، إذا بشيخ جليل يجلس رأسه شعر أبيض غزير، وتشعُّ عيناه الزرقاوان

العالم المقدسي هو إسحق موسى الحسيني الذي توفاه الله بيت المقدس يوم الاثنين ٢٦ جمادى الأولى ١٤١١هـ (الموافق ١٧ كانون أول - ديسمبر ١٩٩٠م) عن عمر يناهز السادسة والثمانين؛ حافل بالجهاد في سبيل الله وبالعطاء العلمي العربي الإسلامي. وقد حثتني دعوة كريمة تلقيتها للحديث عنه بعد مضي عام على رحيله.

سمعتُ باسم الدكتور إسحاق موسى الحسيني أول مرة، وأنا غلامٌ يافع يتلقى تعليمه في ثانوية العامرية بيافا قبيل النكبة. وعرفتُ أنه واحدٌ من علماء فلسطين وأدباء العربية وصاحب «مذكرات دجاجة». وقد حاولتُ يومها أن أقرأ ذلك الكتاب، فاستوعبتُ منه ما يستطيع عالمٌ الصغير أن يستوعبه وهو قليل. ولم ألبث حين أصبحت في سن الحداثة شاباً في أول تفتحه أن قرأت كتابه عن «الإخوان المسلمين» كبرى الحركات الإسلامية،

هذه ساعةٌ ذكرى لحظاتها ممتدة. والذكرى في لساننا العربي المبين استحضار ليس بالضرورة عن نسيان، وهي بالقلب واللسان، ومن نعم الله على الإنسان حين تواجهه حقيقةٌ انتقال من يُحبهم من دار الفناء إلى دار البقاء. والذكرى تُخفف لوعة الفراق إثر وقوعه، وتبعثُ حين نستحضرها في النفس الصفاء. وقد خلق الله الإنسان نزعاً إلى مشاركة الآخرين حديثهم ومن هنا كان «الثناء» و«العزاء» لتخفيف المصيبة عن أخيك المسلم.

ذكاء، ويفيض وجهه ضياءً، يبادرنى بعد الانتهاء تحيياً. وكم سعدت وشعرت بالعرفان حين عرفت أنه أستاذنا إسحاق الحسيني، وقد دعاني يومها لإلقاء محاضرات على طلابه بقسم فلسطين من معهد الدراسات العربية في مطلع السنة الدراسية، فلبيت شاكرًا.

امتدت صُحبتي لأستاذنا بعد ذلك اليوم المبارك على مدى عقدين من السنين، حظيت خلالها برفقته ساعات وساعات كلما جمعنا بلد واحد، أنهل من علمه الغزير وأشرب من أخلاقه الحسنة، وتعودت ونحن جاران في مصر الجديدة أن نلتقي يوميًا «في مشوار على الأقدام» لساعة يطيب فيها الحوار. ثم تعودت بعد أن عاد إلى قدسه الغالية أن أترقب زيارته السنوية للمشاركة في مؤتمر مجمع اللغة العربية ومؤتمر مجمع البحوث الإسلامية كي أحظى بالمشوار إياه. وكنا نحرص على هذا المشوار كلما التقينا في رحاب مجمع بحوث الحضارة الإسلامية بعمان. وما أؤمن ما تعلمته من أستاذنا في هذه الصلابة، وكم استمتعت بها.

كان أبو حاتم حين بدأت صُحبتي له في السادسة والستين من عمره، خبر الحياة وبلور أفكاره بشأنها، وقد نهل من أصفى ينابيع العلم ونذر نفسه له. وكم كنت أسعد بالتعرف على هذه الأفكار ومناقشتها معه، وبالاستماع إلى حديث الثقافة والأدب والاستمتاع به والتعليق عليه. وكنت آنذاك في الرابعة والثلاثين أدخل مرحلة جديدة على صعيد العمل العلمي والعمل العام. وكان أخي الكبير أبو حاتم حريصًا على متابعة نشاطي

على الصعيدين، وأغاني بنظراته الشاقبة. وقد سعدت بعد أن ضمنا قسم فلسطين بمعهد الدراسات العربية أن أكون إلى جانبه في «هيئة القدس العلمية» التي أسسها في القاهرة في أوائل السبعينيات وجمع فيها عددا من الأعلام التقوا على العمل على الصعيد العلمي لتحرير بيت المقدس.

حين أستحضر اليوم أحاديث شيخنا إسحاق في ساعات اللقاء، أقف أمام موضوعات



في ذكرى
علم
مفتي

استحوذت على اهتمامه، وأذكر من بينها موضوع العناية بتراجم أعلامنا وتعريف قومنا بها خلفوه من تراث. وكان أبو حاتم يستشعر إلحاح الحاجة إلى هذه العناية في عصرنا بخاصة بعد أن تعرض النشء لآثار الصدع الذي حدث في ثقافتنا بفعل التسلط الغربي على مناهجنا التربوية إثر تحكم الدول الاستعمارية الغربية بوطنا. مما زلت أذكر كم أعطى من جهده لهذا الموضوع في العشرتين الأخيرين من حياته الحافلة بالعطاء. وقد سار في هذا على نهج أسلافه من علماء أمتنا، ومنهم شمس الدين السخاوي الذي يقول في فاتحة كتابه «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»: «الحمد لله جامع الشتات ورافع من شاء في الحياة بعد المات... الذي فضل بعض خلقه على بعض في العلم والعمل وسائر الدرجات، وجعل لكل زمان رجالاً يرجع إليهم في النوازل والمهمات، بحيث لا تزال الطائفة قائمة

”
أكر على التمسك بهويتنا
الحضارية العربية
والإسلامية ونبت الفصيرة
بصورها المختلفة..
“

بالأدلة والنظريات فيمكن تيسر الاجتهاد... ويتداعى إلى خاطري حديث أبي حاتم عن علم من بيت المقدس ألقاه في مجمع اللغة العربية. وقد كان حريصًا على أن يأتي التعريف هؤلاء «الأعلام» ومنهم البديري ردًا علميًا قاطعًا على دعاوى الغاصب الصهيوني الذي ينكر وجود شعب وعمران في فلسطين عند غزوه لها. كما يتداعى إلى

خاطري حديثه عن الصلة التي وجدها قائمة بين الزبيدي اليماني وأستاذ الجبرتي المصري والمرادي الدمشقي الشامي. إن حاتم حريصًا على إبراز الوشائج القائمة بين مختلف أعلام أمتنا في وطنهم الكبير عن أسهموا في تشييد صرح حضارتنا العربية الإسلامية. وقد ارتبط شيخنا بعلاقات زمالة أو صداقة مع عدد كبير من الأعلام المعاصرين خلال عمله الجامعي في القدس وبيروت والقاهرة والخارج على مدى سنين كثيرة وفي أثناء نشاطه المجتمعي الحافل. وأنا أذكر باعتزاز ما رأيته من صور رائعة لهذه العلاقات في أثناء صُحبتي له. وهذا جانب يستحق أن يؤرخ له. كما أذكر كم كان تفاعله في مصر إيجابيًا قويًا نابعا من إدراك لمكانة أرض الكنانة في ذاكرتنا الحضارية وعلاقتها الوثيقة بفلسطين وبيت المقدس وبلاد الشام بعامه. وما أطيب ما أثمره تفاعله هذا أفكارًا ومواقف وصداقات.

كانت عناية شيخنا إسحاق بالغة بموضوع المعاصرة التي نبت عند من تمثله روح حضارتنا المفتحة على الناس جميعا بتوجيه من الله رب العالمين الذي خلقهم من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ودعاهم إلى التعاون على البر والتقوى. وقد قامت هذه «المعاصرة» عند أبي حاتم على «عقلانية» تحترم العقل الذي أنعم الله به على الإنسان، كما قامت على «أصالة» وإعانة بالذات عارفة «بالآخرة في جوانب قوته وضعفه واثقة من قدرة الأمة على القيام بدورها في منطقتها وحمل رسالتها الأخلاقية إلى العالم والإسهام في الحضارة الإنسانية. فكان موقفه من التحديات الخارجية التي تواجهنا موقف المستجيب الفاعل، الذي يأبى الوقوع في أسر رد الفعل المنفعل انكماشيا كان أو انغماسيا. وسيرة حياته حافلة بالأمثلة على تفاعله الحيوي مع أفكار عصرنا.

وقد جعلته هذه «المعاصرة» يؤكد على التوجه نحو «العالية» من خلال التمسك بهوية الحضارة العربية الإسلامية، ويعلن عداؤه الشديد «للعنصرية» بصورها المختلفة. وقد استمتعت إليه

٨ / ١٩٧٨ م «نحيات من كل حجر ناطق في بيت المقدس».

تنوع وغنى

يصل بي استحضار أحداث شيخنا إسحاق في هذه المرحلة إلى استحضار صور من حياته اليومية فيها، فأقف أمام ما تميزت به هذه الحياة من حيوية وتنوع وغنى. والحق أنني رأيت من خلالها نموذجاً رائعاً لما يمكن أن تكون عليه حياة المرء في شيخوخته، عطاء سخياً على صعد عدة في تناغم وتكامل. وقد استمر شيخنا حريصاً على القيام بدوره المجتمعي في عدة «مجامع»، وتحمل مسؤولية خاصة في تأسيس جامعة القدس وتطويرها، وتابع تواصله الأدبي مع قُرَّائه يُطل عليهم بمقطوعات شعرية تنشرها الصحف العربية المقدسية، ويساهم في قضايا شعبه وأمته بالرأي السديد يطرحه بأسلوب رفيع هادئ. وكان من أكثر ما يلفت نظري في هذا النموذج الرائع جانبه الأسري، فما أروع العلاقة التي كانت تجمع بين شيخنا وأهله، وما أعظم العطاء المتبادل بين السيدة المصونة أم حاتم وزوجته وأم ولده، وما أجمل استنساخهما نعمة الحياة الأسرية مع الأولاد والأحفاد.



وما زلت أذكر أحداث أبي حاتم عن الحوار المتصل الذي كان يدور بينه وبني عقيلته حول ما يكتب، وبخاصة في أثناء كتابته «مذكرات دجاجة»، كما أذكر سعادته وهو يحادثني عن أحفاده، وحرصه على صلة الرحم. وقد تعمق فهمي من خلال ذلك لمعنى الدعاء القرآني «ربنا

تميزت حياته بحيوية وتنوع وغنى، وحرص على أداء دوره المجتمعي لخدمة العربية

رمزاً لها. س ونذكر كيف رأينا أبا حاتم ينذر نفسه بعد سقوط القدس الشرقية في حرب عام ١٩٦٧ م للتوعية بهذه القضية وتنبئيه الغالين من قومنا إلى الخطر المحدق بمقدساتنا وحضارتنا، فكتب عن «عروبة بيت المقدس» وعزف بها كته أجدادنا عن «فضائل بيت المقدس»، وقاد قسم فلسطين في معهد الدراسات العربية بالقاهرة ليسهم في تخريج مختصين يشاركون في تعبئة طاقات أمتهم، وأسس «هيئة القدس العلمية». وشاء الله سبحانه له أن يتوج جهاده لتحرير بيت المقدس وفلسطين ومواجهة الاستعمار الغربي بعمل دؤوب مثمر في القدس نفسها بعد أن عاد إليها فور حصوله على «لم الشمل». وهذه فترة من حياته امتدت خمسة عشر عاماً تستحق أن يؤرَّخ لها، حفلت بأروع صور المقاومة الفكرية والمواقف الفاعلة والإنجاز الإيجابي. وقد تحمل في سبيل ذلك ما تحمل، وهو

في سن الشيخوخة يواجه عسف المحتل الصهيوني وكان شيخنا إسحاق مدركاً ما تبيته الصهيونية العنصرية لبيت المقدس في مخططاتها، وداعياً من ثم إلى إعطاء قضيتهم أولوية لأن انتصارنا فيها يحسم الصراع. وما زلت أذكر الجملة التي استهل بها واحدة من رسائله الكريمة إليّ تحمل تاريخ ١٧ /

مرة ونحن نمشي ساعة الصباح في ربي عمان على هامش اجتماع المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، وهو ينشد قول شاعر عربي أندلسي:

إذا كان أصلي من تراب فكلها

بلادني وكل الناس فيها أقاربي

وكم انتشيت يومها بحديثه عن مفهوم الأخوة الإنسانية كما بلوره الإسلام الخفيف. وكان شيخنا إسحاق ينطلق من هذا المفهوم في تصديده للاستعلاء العنصري الذي جسّدته الغزوة الصهيونية الاستعمارية الغربية لفلسطين العربية. وقد حدثني في آخر زيارة له إلى القاهرة عن قصيدة نظمها لإحدى حفيداته جاء فيها قوله:

أحببت من خلق الإله أمّن يسار أو يمين
الله ربك واحدٌ وعباده متوحدون

قد ضلّ من زعم الإله إلهه لا العالمين

وبدا لي أن شيخنا حريص على أن ينشأ نشؤنا الجديد على مفهوم الأخوة الإنسانية كما بلوره الإسلام الخفيفي ورفض العنصرية، فخطابهم من خلال حديثه لحفيدته. وما زلت أذكر تأثره وهو ينشد البيت الأخير ثم حديثه عن اتصال أحد رجال سلطات الاحتلال به مستفسراً عن المقصود من هذا البيت حين نشرت إحدى جرائد القدس القصيدة.

كان يستحوذ على اهتمام شيخنا في هذه المرحلة موضوع «النهضة» وما يتصل به من قضايا تعيشها أمتنا، وهو الموضوع الذي غني به مذ بلغ أشده شأن مفكرينا في عصرنا. ومن بين هذه القضايا تلك التي تتصل بالهوية والانتقاء والعروبة والإسلام، وقد عالجها على صعيد الفكر في عدة كتب وبحوث من بينها كتابه «أزمة الفكر العربي» الذي صدر عام ١٩٥٤ م. ومن بينها أيضاً تلك التي تبحث في كيفية «النهوض» والمبادئ التي يجب أن تعتقها الأمة لتبني مستقبلها، وقد عالجها في كتابه «عودة السفينة» الذي صدر عام ١٩٤٥ م ثم في عدد من البحوث. واحتلت قضية مواجهة الاستعمار الغربي على مختلف الأصعدة والعمل من أجل تحرير فلسطين والخلاص من التبعية مكان الصدارة بين هذه القضايا، وأصبحت «القدس»

هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴿ (الفرقان / ٧٤) وتأكدت لي الصلة القائمة بين الراحة الأسرية والعمل الصالح الدائب .

هذه ساعة ذكرى لحظاتها ممتدة . ونهر الزمن يتابع جريانه ، بينما تشهد الحياة أجيالا من الناس تتعاقب ؛ فالمرت حق والنفس المطمئنة ترجع إلى ربها راضية مرضية فتدخل في عبادته وتدخل جنته ، والحياة ولود وهي أيضا حق ، والإنسان فيها مدعو إلى التعمير والمشي في مناكبها في نطاق الاجتماع الإنساني ، وحاجته ماسة كي ينهض بالأمانة التي حملها إلى تواصل الأجيال ، وسيله إلى هذا التواصل مع من سبقوه هو الوفاء ، بحق الذكرى . والأمة الحية هي التي تستحضر تراثها فهو في ذاكرتها حي ، وتعزز بها خلفه لها الأعلام الكرام من أبنائها البررة .

لنضع نصب أعيننا أيضا استكمال حصر تراث شيخنا إسحاق ، وجمع كل ما كتبه ، ونشر أعماله الكاملة ، لتكون متوفرة لطالبيها وبخاصة من أبناء الأجيال الصاعدة . وقد لاحظت وأنا أعود إلى مكتبي لأراجع ما لدي منها أنني نحتجت بعد جهد في اقتناء أقل من نصف الكتب المنشورة ، والبحوث التي قدمها لمجمع اللغة العربية وكم أنا تواق لاقتناء كل ما كتب ، ولعل نحرنا لتحقيق هذا العمل يصل بنا إلى أن تبني إحدى مؤسساتنا العلمية القيام به ، وإنجازه في وقت قريب . ويتداعى إلى الخاطر هنا كيف كان علمنا حريضا على حصر ما صدر في فلسطين من كتب قبل نكبتها ، حين كتب دليل معرض الكتاب الفلسطيني عام ١٩٤٦م ، ثم كيف قام بعد عودته لبيت المقدس بإعادة نشر بعض أعمال راحل سبقه هو الأديب إسعاف النشاشيبي رحمه الله .

مراحل متعددة

لنضع نصب أعيننا أخيرا أن نوفي هذا التراث حقّه من الدراسة العلمية . فنحن هنا أمام تراث علمي ممتد على مدى ستة عقود من السنين ، في فترة حافلة بالأحداث الضخمة على صعيد العالم والوطن الكبير شهدت تحولات كبيرة . وقد تناول صاحبه فيه بالنظر والمعالجة عدداً من الموضوعات الحيوية في عدة ميادين ، تضمنتها ثلاثة وعشرون

في فكري علمي مصري



كتاباً مطبوعاً وقرابة هذا العدد من البحوث المنشورة . والحق أنني حين عاودت مؤخرًا قراءة بعض هذا التراث وجدت نفسي أمام معلم مُربّ وأديب ومؤرخ ومفكر ومجاهد يقرن الفكر بالفعل . ولا يتسع مجال هذا الحديث لضرب أمثلة من أعماله على جوانب شخصيته العلمية هذه ، ولعل بعض مؤسساتنا العلمية تبادر إلى عقد ندوات تتناول هذا التراث بنظرة شاملة كوحدة واحدة لعلم واحد ، وتركز على كل جانب فيه ، عبر مراحل عدة مرّ بها صاحبه ، تفاعل في كل منها بفكر منفتح مع حقائق الزمان والمكان وهو يمضي في رحلة الحياة ويتنقل بين عدة بلدان .

وبعد . . . فالحديث في ساعة الذكرى هذه ذو شجون . وهو يأتي في وقت يموج فيه عالمنا بأحداث ويحيش بتفاعلات ، وتعيش أمتنا فيه تحولات بعد

” انطلقت كتاباته من انتحاء قومي لدينه ووطنه الكبير ولسانه وحضارته “



زلزال أصابها ، ويدخل الصراع العربي الصهيوني الممتد فيه مرحلة جديدة لها خصائصها ، فتشدد الحاجة فيه إلى الفكر النير لمعالجة قضايا أساسية تواجهنا منذ أن استهدفنا الغرب بغزوه الاستعماري بغيا بغير حق وطنيانا ، ومكن للصهيونية في فلسطين . وطبيعي أن يتميز هذا الفكر في معالجته لهذه القضايا بأراء مفكرينا الذين أعملوا فكرهم فيها . والحق أننا واجدون الكثير عند إسحق موسى الحسيني المفكر الذي اتصفت كتاباته عن قضايانا بانطلاقها من انتحاء قوي لدينه ووطنه الكبير ولسانه وحضارته ، وإدراك لسنن الحياة وأطوار العمران البشري . ويكفي أن نشر في هذا المقام إلى كتابه :

«أزمة الفكر العربي» الذي كتبه وهو في الخمسين ، وإلى مقال «الإسلام ومشكلات معاصرة» الذي كتبه بالإنجليزية ونشره في مجلة الأزهر في شباط ١٩٧٣ ، كمثليين على معالجته العلمية التي بحثت في الوجود الغربي وفي أزمة الفكر وأسبابها وطبيعتها ومظاهرها وفي الدين وأمور الحياة ، بمنهج علمي يوصل إلى أن الأزمة وقتية ويمكن أن تنتهي إذا ما قمنا نحن بأمر محددة قام بإيضاحها . وشتان بين هذه المعالجة وما نراه عند بعضهم من معالجة للقضية نفسها تتحدث عن «العقل الغربي» وكأنه بدع بين العقول

في خلق الله له ، وتصفه بالعقم ، وتلصق به أسوأ النعوت ، ويبلغ بها الأمر أن تقول : بأن هذا العقم على حد زعمها كامن فيه وتحاول جاهدة التماس ما يثبت قسولها في تاريخنا فتتسرع في قراءة هذا التاريخ ، ماضية وراء مقولات عنصرية ظهرت في أوساط حضارة الغرب تدمغ كل ما عدها بالهمجية والتأخر والعجز وتصف الأمم على أساس العنصر . و ما أحوجنا في هذا الوقت إلى حماية أبناء الأمة من انفعالات رد الفعل الانغماسي هذا ، وتحصينهم بفكرنا الأصيل الذي يحث الإنسان على الفعل وأن يكون فاعلاً مستجيباً للتحديات التي تواجهه . وإن لنا أن نتوقع أن تشهد الأيام القادمة التفانا أقوى لفكر معلمنا إسحاق موسى الحسيني .

رحم الله أباحاتم ، وجزه عنا كل خير وأسكنه فسيح جناته في مقعد صدق ، وسدد خطى أمتة في جهادها لتحرير بيت المقدس وفلسطين .

مخورية الشك

عند طه حسين

بقلم: د. محمد الفاضل



طه حسين

نظم
نادي الرياض الأدبي منذ فترة محاضرة بعنوان: (مخورية الشك عند طه حسين) أعدها وألقاها الدكتور / فضل بن عمار العماري الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود بالرياض، وهو أستاذ سعودي حاصل على الدكتوراه من بريطانيا. وقد حضر الأستاذ الفاضل في موعده وألقى محاضرته واستغرقت قرابة الساعة أو أقل بقليل، وكانت في صميم الموضوع المعلن، وحرص الدكتور في محاضرته على التأكيد على قضيتين صرح بأنهما مدار المحاضرة ومصب اهتمامه وغاية ما يريد إيصاله للحاضرين:

الأولى: أن طه حسين لم يتأثر فيما كتبه حول الشك في الشعر الجاهلي بما كتبه المستشرق البريطاني (مرجليوث) بل إنه لم يطلع على ما كتبه (مرجليوث)، والحجة في ذلك - كما أكدها بعض المؤيدين من جمهور المحاضرة الذين أتيج لهم التعليق عليها - أن مرجليوث كتب ما كتبه باللغة الإنجليزية، وطه حسين لا يحسنها، وهذه الحجة كما يبدو عليها عدة مداخل وأضعف هذه المداخل يمكن أن يكون أقوى من الحجة نفسها.

الثانية: أن طه حسين لم يشك في الشعر الجاهلي بمرمته؛ وإنما تفضل علينا ببعض المقطوعات «لعلمة الفحل» و«الأعشى» وغيرها.

هذه زبدة المحاضرة، وهذا هو لبها الذي حاول المحاضر التأكيد عليه مراراً، كما حاول المحاضر مراراً أيضاً التأكيد على أن هذا الذي توصل إليه بعد جهد وطول بحث - كما يقول - جديد كل الجدة ولم يسبق إليه، بل قال: إن أحداً لم ينسب بنبت شفة قبلي حول هذه الأفكار والنتائج التي توصلت إليها. ولكي تسلم هذه النتيجة التي توصل إليها عمد إلى تسفيه آراء سابقه المخالفين له، ووصفها بأنها هراء، مع أنه لم يدعم كلامه

بدليل واحد، وقد نوقش في هذه الآراء من قبل المعلقين بعد المحاضرة - كما سيأتي - وحتى لا نستطرد في كلام قد ينسي بعضه بعضاً أود أن أسلك الحديث في مجموعة نقاط:

١ - وصف المحاضر أفكاره التي توصل إليها - بالإضافة إلى الجدة والابتكار - بأنها أفكار جريئة



زياد الدريش

د. منصور الحازمي

ومثيرة، وأنه بسبب ذلك لن يجزئ على طرح شيء منها في كتابه الذي سيخرجه في هذا الموضوع، وغاية ما يقدر عليه هو أن يطرحها في هذا اللقاء المختصر.

٢ - أكد الأستاذ الدكتور منصور الحازمي - وهو شيخ المحاضر كما قال - على هذه الجراءة في أفكار تلميذه، وأبدى عجبه - ولا أقول إعجابه لأن ذلك لم يظهر لي - من جرأة تلميذه على طرح أفكار كان الواحد يتردد عشرات المرات قبل أن يصرح بشيء منها، كما عجب أيضاً من شدة ثقة المحاضر بنفسه، وترديده مزهواً عدة مرات أنه جاء بما لم يسبق إليه، وقد اتفق الدكتور منصور مع بعض من سبقه من المعلقين فيما أخذه على المحاضر من عدم الدقة والموضوعية، والمجازفة في الأحكام دون ذكر الأدلة والحجج والمعايير التي بنى عليها كل ما توصل إليه من نتائج، وأبدى عدم اقتناعه بالحجة التي سيقى لإثبات عدم استفادة طه حسين مما كتبه (مرجليوث) وهي عدم معرفة طه حسين باللغة الإنجليزية، وقال إن قضية اختلاف اللغة قضية لا نعذر فيها صغار الباحثين من طلابنا، حيث نطلب منهم استكشاف كل ما كتب حول موضوعاتهم ولو كان باللغة الروسية، فكيف باللغة الإنجليزية وهي لغة عالمية مخدومة وكيف بطه حسين وهو من هو في قدراته وإمكاناته وصلاته وعلاقاته..

٣ - علق الأستاذ زياد الدريس تعليقاً في مجموعة نقاط أغلبها يتعلق بالمنهج، وأشار في بداية تعليقه إلى أنه ليس من المتخصصين، وأنه توقع أن يسمع كلاماً أفضل مما سمع وطرحاً أعمق، واستغرب من المحاضر تركيزه لنفسه والثناء على جهده ووصف جهود كل السابقين بأنها هراء مع أنه - كما سبقت الإشارة - لم يقدم دليلاً واحداً على ما يقول لا في نفي ما نفاه من جهود غيره، ولا في إثبات ما أثبتته لنفسه، وأشار الأستاذ زياد إلى أن جمهور الحاضرين ثلاثة أصناف: صنف معجب بطله حسين وكل ما عنده ويطمح إلى أن يسمع شيئاً يرضيه ويؤكد ما لديه، وصنف رافض لطله حسين بسبب بعض مقولاته غير المقبولة ومنها مسألة الشك ويطمح إلى سماع ما يؤكد صحة توجهه، وصنف محايد جاء وهو خالي الذهن. ويبدو - كما يقول الأستاذ زياد - أن المحاضر من الصنف الأول وأنه جاء محملاً بقتاعته بل باقتناعه وأراد أن يسرب ذلك إلى الحاضرين.

٤ - وقعت آراء الأستاذ زياد على المحاضر موقعا غير حسن بوصفها أول نقد قوي وصريح يوجه له في تلك الأمسية، وحاول أن يجهضها كلها بجملة قلم بل بجملة لسان، حيث استغل أول كلمة قالها الأستاذ زياد وهي أنه ليس من المتخصصين، وقد غاب عن المحاضر الكريم أن ملاحظات الأستاذ زياد القوية كلها ملاحظات منهجية لا تحتاج إلى تبخر في تخصص الأدب، وإنما هي من الأمور المدركة من قبل عامة المثقفين.

٥ - أتاح لي مدير الندوة الدكتور نذير العظمة فرصة التعليق، فأكدت على بعض الملاحظات المنهجية التي عرض لها الأستاذ زياد، وخاصة مصادرة أقوال وحجج وكتب السابقين من علماء العربية في أنحاء العالم العربي على مدى ما يقرب من ستين عاماً ووصفها بكلمة واحدة فقط تردت مراراً وهي كلمة (هراء) دون تقديم دليل واحد، وقلت للمحاضر ألا تتوقع بأسلوبك هذا أن تجري بعض الحاضرين على أن يعاملك بمنطقك ويصف محاضرتك وأقوالك وآراءك بأنها (هراء)، إن هذا الأسلوب يجري الطلاب والمتدئين على التناول على العلماء وانتقاصهم وينمي الغرور والعظمة

ويقتل صفة التواضع وهي من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحل بها طلاب العلم.

إنني آخذ على المحاضر قوله في البداية: «إننا سنناقش قضية الشك عند طه حسين بغض النظر عن أفكاره الأخرى التي أخذها عليه علماء الإسلام لما في بعضها من تجاوز». وأعتقد أن هذا مسلك غير علمي ويؤدي إلى نتائج ناقصة، فكيف يتمكن الباحث من دراسة أديب شيوعي أو وجودي مثلاً ويتصور أن فكره لا أثر له في إنتاجه، أظن أن دراسته بمعزل عن فكره واتجاهه ستكون دراسة مختلة أو ناقصة على الأقل، ومن هنا فلا بد لدراسة قضية الشك عند طه حسين من معرفة فكر الرجل وولائه وانتائه وكل آرائه الأخرى؛ لأنها كلها قضايا مترابطة يفسر بعضها بعضاً ويؤثر بعضها في بعض.

المقطوعات، ومعنى ذلك أن ما أثبتته أقل بكثير مما شكك فيه.

ولفت انتباهي محاولة المحاضر التركيز بالقول والعمل على أن النقد الذي وجه لطله حسين نقد من غير المتخصصين، وقد أظهر المحاضر كتابين من حقيقته ورفعها بيده للجمهور وعلق عليها بصورة تظهر عدم رضاه عنها، وهما كتابان لكاتبين إسلاميين كما ظهر لي.

وقد تبني مدير الندوة الدكتور نذير العظمة، هذه الوجهة وتحمس لها، وأكد في أحد تعقيباته على بعض المعلقين أن الذين نقدوا طه حسين كلهم من غير المتخصصين ولقد عجبت عجباً شديداً من حالنا، وتساءلت في حيرة وأسى: كيف تدفع بنا العصبية والحماسة لأرائنا واجتهاداتنا وتوجهاتنا إلى أن نصدر مثل هذه الأحكام المليئة بالمجازفة والبعد



عن الموضوعية والدقة والتحقيق، فهل الأساتذة الكبار الذين ردوا على طه حسين في هذه القضية من أمثال: مصطفى صادق الرافعي، وزكي مبارك، ومحمد فريد وجدي، ومحمد لطفي جمعة، ومحمد الخضر حسين، ومحمد الغمراوي، ومحمود شاكر، وناصر الدين الأسد، وغيرهم وغيرهم من كبار أدباء العربية وأقطابها وأعلامها في مصر وغيرها، هل هؤلاء كلهم غير متخصصين؟! وإذا كان هؤلاء غير متخصصين فلا أدري من المتخصصون؟! هل هم أصحاب مجلة (شعر) و(مواقف) وأعضاء النادي الحداثي، أم هم فرسان الشعر العامي والنبطي من شعرائه ونقاد، لأنه كتب عن الرجل كاتبان إسلاميان صار جميع نقاده

وآخذ أيضاً على المحاضر قوله: إن الشك عند طه حسين ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو أسلوب تربوي يقصد منه تدريب طلابه وتنمية ملكة التمحيص والتحقيق والتدقيق عندهم. وعجبت من هذا الكلام لعدة أمور:

أولها: أن هذا - لو صح - أسلوب تربوي سيئ، وثانيها: أن واقع طه حسين يناقضه، فشكه شك حقيقي معروف ومشهور ولم ينكره أحد وهو يرقى إلى درجة التشكيك في بعض الأحيان كما سيأتي. وثالثها: أن المحاضر نفسه أثبت هذا في مواضع من محاضراته حين قال: إن طه حسين لم يشكك في الشعر الجاهلي كله وإنما أثبت لنا قصيدتين للعقمة وأخرى للأعشى ومعها بعض

غير متخصصين؟! سبحان الله، حقا إن الهوى يعمي ويصم.



طه حسين أغار على نظرية الشك في الشعر الجاهلي ولم يفتروا عن مرجايوت إلا في تسليحه بأن هناك شعراً جاهلياً...

الأمة وانتهكت حرمتها، وليست قضية شخصية مصلحة كما حاول أن يصورها الدكتور الغدامي، حينما ذكر في تعليقه على قضية الشك والردود عليها أن الدكتور زكي مبارك فصل من عمله بأمر من طه حسين، فقال: والله لأطعن أولادي من لحم طه حسين؛ أي إنني سأستزق من الكتابة عنه وسبّه وشتمه، وهذا التوجيه من الدكتور الغدامي تفسير مادي للأحداث، وصرف للموضوع عن وجهته الأصلية، وهب أن القصة صحت مع زكي مبارك



ودخلت فيها العوامل الشخصية، فهل سيصح مثلها مع كل العلماء الذين ردوا عليه وسبق ذكر بعضهم، أو مع أعضاء مجلس النواب الذين يمثلون قطاعات كبيرة من الشعب وينقلون صوتهم للأمة، لقد رمى الدكتور الغدامي بكلمته هذه ومضى ولم يعقب ولم يعلق عليها بشيء، وربما استقر في روع بعض السامعين شيء منها، وهي بلا شك أقوى وأدهى من دفاع صاحبيه عن طه حسين بأن خصومه من غير المختصين، لكنها مع ذلك لم

سياسي فلا نبوة ولا رسالة. وثالثها: عمله في توهين أمر الأئمة من الصحابة فمن بعدهم وقياسهم في الإنسانية وأهوائها وشهواتها على قياس من نفسه وطباعه». ويقول عنه الأستاذ عبد ربه مفتاح أحد أعضاء اللجنة التي شكلها الأزهر للنظر في كتاب طه حسين الذي شكك فيه في الشعر الجاهلي، يقول مخاطباً طه حسين - المرجع السابق ص ٢٤٩ -: «وكيف تزعم أيها الدكتور أن بعض العلماء أثار هذا الأمر - أمر كفر -، هأنذا أصرح لك، والتبعة في ذلك علي وحدي، بأن العلماء أجمعين وعلى بكرة أبيهم يحكمون عليك بالكفر، وبالكفر الصريح الذي لا تأويل فيه ولا تحوّل، وأتأكد وأطلب منك بلإحاح أو رجاء أن تدلني على واحد منهم - واحد فقط - يحكم عليك بالفسوق والعصيان دون الكفر، أجل إني وأنا من بينهم أتهمك بالكفر وأتحمل تبعه هذا الاتهام وعليك ثبوتة نفسك من هذا الاتهام الشائن والمطالبة بما لك من حقوق نحوي».

إن قضية الشك عند طه حسين ليست خصوصية بينه وبين الرافعي وغيره من الأدباء، أو بينه وبين الأزهر ومن فيه من العلماء، وإنما هي - وقتها - قضية الشعب المصري كله الذي هب للدفاع عن دينه وبدأ في محاكمة الجامعة التي جرأت ابنها البكر طه حسين على هذا العمل وطبعت كتابه ودعمته، وقد دخلت القضية مجلس النواب وحفظت ملفات المجلس بعض المرافعات التي تضمنت قطعاً أدبية نفيسة وخطباً بليغة وأدلة قوية وبراهين مفحمة وحججاً دامغة، وكلها توحى لك بأن القضية قضية شعبية عارمة هب فيها الشعب كله ممثلاً بنوابه في مجلس النواب. عندما أهيئ دين

٦ - أما اختيار طه حسين بالذات - مع أن عليه ما عليه مما هو ثابت في كتبه شتاً أم أبيتاً - واختيار قضية الشك بالذات، مع أنها من أخطر القضايا التي جاءه بسببها الاتهام وتسرب منها إليه النقد اللاذع من معاصريه ومواطنيه وأهله، وليس من غرباء أو متعصبين ضده، مع أي لا أسيء الظن بإدارة النادي أو بالمحاضر الكريم، فإني أعتبر ما حصل تصرفاً عفويّاً لم يوفق فيه النادي، ولو أمعن مجلس الإدارة النظر لوجد أن الموضوع غير مناسب لظروف الأمة، وربما فتح باب الظنون، وأعطى مجالاً للأحاديث الجانبية والهمز واللمز وقد سمعت من بعض الناس قبيل إلقاء المحاضرة كلاماً حول عنوانها من أناس ربما كانوا مخطئين، لكنه كلام لا تود إدارة النادي سماعه، ولست والله ممن يرغب في وجوده أو وجود الأسباب التي تتيح له الفرصة. وقد غاب عليّ بعض الحاضرين وصفي طه حسين بأنه من رموز العلمانية وقال لي: إن الرجل قد رجح وتاب قبيل وفاته فقلت له: أسأل الله أن يكون قد تاب وأسأله أن يقبل توبته ويتجاوز عنه، ونحن نُسرّ بكثرة التائبين وندعو الله أن يكثر سواد المسلمين ويقلل سواد العلمانيين، لكن قضيتنا مع طه حسين ليست قضية شخصية، وإنما قضية فكرية إنها قضية تراث ينشر ويعاد طبعه مراراً ويقرأه العامة والخاصة ويدرس في المعاهد والكليات، وهذا التراث كله حي لم يمت بعد، ومادام حيّاً وبقياً كما هو فلا بد من محاكمته ونقده وبيان صححيته من سقيمه، وغثه من سمينه، أما الرجل فقد أفضى إلى حكيم عليم خير عادل. وأما كلمة (العلمانية) فمدلولها واسع جداً؛ فتصدق على من يرفض الإسلام كله؛ بقرآنه وسنته، وعلى من يرفض شيئاً ولو قليلاً جداً من القرآن أو صحيح السنة، وهذا الأخير لن نعدم في كتب طه حسين شيئاً منه، يقول عنه الرافعي رحمه الله في كتابه تحت راية القرآن ص ٢١٣ - بعد حديث طويل - : «رأينا عصية طه حسين على الإسلام تلبس ثلاثة وجوه: أولها: عقيدته في القرآن وأنه من وضع الذي جاء به لا من وحي ولا تنزيل ولا معجزة. وثانيها: رأيه في النبي ﷺ وأنه رجل

تمَّ على كثير من الحاضرين ، وقد سمعت عدة تعليقات من كثير منهم عليها بعد المحاضرة .

٧- علق الأستاذ الدكتور ناصر بن سعد الرشيد على المحاضرة في الختام تعليقاً جيداً علمياً - كعادته - ، وعرض فيه لمجموعة من القضايا ، ومنها : أن المحاضر الكريم ذكر أن طه حسين أبقى لنا من ضمن ما أبقاه من القصاصات التي لم يشك فيها : سينية الخطيئة وبردة كعب بن زهير ، وعجب الدكتور ناصر من هذا الكلام وقال إن هاتين القصيدتين إسلاميتان وليستا جاهليتين ، ولا فضل لطف حسين في إثباتها ، ولا قدرة له على نفيها ؛ لأن البردة وغيرها من بعض القصائد الإسلامية الأخرى قد دخلت كتب الحديث والصحاح وخضعت في إثباتها لمعايير نقد الحديث واتصل ثبوتها بالسند ، فليس بمقدور إنسان أن ينفيها أو يشك في ثبوتها .

٨ - فائدة : أكد المحاضر في حديثه أن طه حسين لم يتأثر بمرجليوث ولم يستفد منه ولم يطلع على ما كتبه . وأود إفادة القارئ هنا بشيء مهم ، وهو أن هذه المسألة التي حاول المحاضر أن ينفيها على عجل دون أن يقدم على نفيها أي دليل أو برهان ، قد سبقه غيره من الأدباء والعلماء إلى إثباتها بعدة أدلة وبراهين ونصوص قاطعة ومقارنات ظاهرة بين ما كتبه الرجلان وقد عرض هذه القضية الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي وقيمته التاريخية) وأفرد فصلاً لما كتبه مرجليوث وما كتبه طه حسين ، واستعرض الكتب التي ألغت في المقارنة بينهما والرد على طه حسين ، و قال بعد ذلك ص ٤١١ : « وقد سعى بعض ناقديه إلى الكشف عما أخذه من مرجليوث خاصة فوجده شيئاً كثيراً ، حتى لقد ذهب بعضهم - [ويقصد به الخضر حسين] - إلى أن الدكتور طه أغار على نظرية الشك في الشعر الجاهلي ، ولم يفرق عن مرجليوث إلا في تسليمه بأن هناك شعراً جاهلياً ، فأخذ أصل النظرية وأقوى الشبه التي استند إليها مرجليوث وجعل يقول لك :

إنني شككت في الشعر الجاهلي ، ويدعبك بقوله : ألححت في الشك ، أو قل ألح علي الشك ، والحديث في صدق وأمانة أخير من هذه المداعة . وقال ناقد آخر - [وهو الأستاذ الغمراوي] - : لقد

كتب صاحب الكتاب بحثه ليثبت دعوى جديدة ينسبها هو لنفسه وتنتسب في الحقيقة لمرجليوث . ولا سبيل إلى الإطالة بإيراد ما ذكره ولا بعضه فقد بسطنا رأي مرجليوث ، وبسطنا رأي الدكتور طه حسين ، ثم أشرنا في هامش هذه الصفحة إلى المواطن التي ذكر فيها الناقدون ما رأوا أن الدكتور أخذه من مرجليوث ؛ ومن كل ذلك نستطيع أن نستبين أثر مرجليوث في كتاب الدكتور طه حسين وخاصة في نقطتين أساسيتين لعلها عماد بحث الدكتور ، هما : الدليل الديني ، والدليل اللغوي » انتهى كلام الدكتور ناصر الدين الأسد . وقد بلغ عدد المواضع التي سجلها في الهامش مما أثبتته الخضر حسين وحده من استفادة طه حسين من

لماذا أكد صاحب المحاضرة دون دليل أن طه حسين لم يتأثر بالمستشرقين؟

مرجليوث ثمانية عشر موضعاً . وينبغي أن نعلم أن الناس عندما يتحدثون عما كتبه مرجليوث حول الشك في الشعر الجاهلي إنما يقصدون بذلك مقالاته المشهورة التي نشرها في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عدد يوليو من عام ١٩٢٥م والتي تبدأ من ص ٤١٧ وتنتهي في ص ٤٤٩ من هذه المجلة . وينسون أو يتناسون أو يجهلون أن مرجليوث عرض هذه القضية قبل هذه المقالة ثلاث مرات : إحداها : في (معلمة الدين والأخلاق - مادة : محمد - المجلد الثامن ص ٨٧٤) . والثانية : في كتابه (محمد وظهور الإسلام - طبعة عام ١٩٠٥م ص ٦٠) . والثالثة : ما نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في عام ١٩١٦م . وهي نفس المجلة التي نشر فيها المقال الأخير ، لكنها مقدمة عليها بتسع سنوات تقريباً . والفرق بين مقالة مرجليوث المشهورة وما كتبه قبلها ، أنه تحدث في هذه المقالة عن هذه القضية بتوسع كبير ، بل خصص المقالة كلها لهذا الغرض ، بينما كان حديثه في المرات الثلاث السابقة يجيء عرضاً ومقتضباً .

والذين يتمسكون بالمقالة الأخيرة ويُعرضون عما قبلها يدافعون عن طه حسين بأنه لم يكن بإمكانه أن يستفيد منها لأنها صدرت في عام ١٩٢٥م ، وكتابه صدر في عام ١٩٢٦ فليس بينهما إلا عام واحد ، وهو وقت - في نظرهم - غير كافٍ للاطلاع على هذه المقالة ، لكن الواقع يؤكد أن الرجل بحكم شهرته وموقعه وصلاته قد تصله المجلة خلال أسبوع من صدورها - وربما كان مشتركاً فيها - وترجم له خلال يومين ويطلع عليها في اليوم العاشر من صدورها ، وليس بعد شهر ، فكيف بعد سنة ، وليس هناك مانع عقلي أو نقلي أو عرفي يمنع من هذا . بل إنني أرى أن قرب تاريخها يصلح دليلاً للإثبات أكثر من صلاحه دليلاً للنفي ؛ لأن هذه المقالة وما فيها من أفكار وشؤون وشجون ربما كانت الدافع والمحرك والمنطلق لإخراج هذا الكتاب ، فلماذا لم يتقدم عليها بشهر أو يتأخر عنها بسنين ، وكيف خرج بهذا التوقيت ؟ ! وهذا مجرد استنتاج واحتمال أطرحه في مواجهة الاحتمالات التي يطرحها المدافعون ، فإذا أضيف إلى هذا الاحتمال تلك الأدلة السابقة التي أوردها الدكتور ناصر الدين الأسد كان أقوى وأرجح وأكد من الاحتمال الذي يطرحه المدافعون ولا يملكون عليه الدليل . والله أعلم .

٩ - أخيراً : أود أن أؤكد على أي إنفا كتبت هذه الأسطر رغبة في بيان موقفي وإيضاح الحق الذي أعتقد في هذه القضية الكبيرة المرتبطة بدين الأمة ، ولم أقصد من وراء ذلك اتهام أحد أو التشكيك في نية أحد ، فرداً كان أو مؤسسة ، فلم يدر - والله - بخلدي شيء من ذلك ، ولم أجعل ذلك هدفاً لي في يوم من الأيام ، ونحن نتعامل مع الظواهر ، وأمر السرائر متروك لعالم السرائر سبحانه ، وأسأل الله لي ولجميع إخوتي وزملائي الهداية والتوفيق وصلاح النية والعمل .

١٠ - ختاماً : اطلعت على فقرة قصيرة في العدد (٤٤٠) من (رسالة الجامعة) التي يصدرها قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، عنوانها : معاناة يجب أن تنتهي ورأيت أن لها صلة قوية بموضوعنا فاستحسنتم إيرادها بالمناسبة ، يقول كاتبها : « سألت زميلي المتخرج مرة : لماذا نحن

طير الحجارة

شعر: فاضل أبو ضيال

حجرٌ يُعَانِقُهُ حَجَرٌ عَمْدًا فَيَنْطَلِقُ الشَّرْرُ
بُشْرَى الهَنَّا يَا أُمِّي فَالآنَ قَدْ نَطَقَ الْحَجَرُ
أَرْضُ تُعَدُّ صِفَارَهَا وَكِبَارَهَا حِينَ الْخَطَرُ
وَيَحُ لِهَمٍّ مِنْ غَرَسِهَا وَالْوَيْلُ إِنْ غَضِبَ الشَّجَرُ
صَهْيُونَ يَغْلِي حِقْدُهَا مَا بَانَ مِنْهُ... وَاسْتَرَّ
مَاذَا سَتَفْعَلُ بِالطَّيُّو رِ الْخُضِرِ أَصْحَابِ السَّيْرِ
إِذْ أَهْلَكْتَ أَعْدَاءَهَا فَعَدَّوْا زُرُوعًا تَحْتَضِرُ
طَيْرُ الْحِجَارَةِ مُرْسَلٌ لِلْحَقِّ، إِنْ أَعْيَا الْبَشَرُ
فَالْعَزْمُ مَوْضُولٌ بِهِ وَالنَّضْرُ... إِذْ عَزَّ الظَّفَرُ
كَمْ مِنْ رِصَاصٍ سَاخِنٍ عَادَ وَأَذْمَاهُ الْخَفَرُ
مَا لِلْبُغَاثِ اسْتَنْسَرَتْ حَتَّى الْقَسَاوِرَ تَحْتَقِرُ
«جَالُوتُ» رَامَ تَجَبُّرًا لَمْ يُرِدْهُ إِلَّا الْحَجَرُ
فَالرَّجْمُ لِلشَّيْطَانِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى سَقَرُ
يَا ذَاذَةً فِي الْقُدْسِ فِي الْهَلَاكِ جَوْلَانِ، فِي أَرْضِ الْغَجَرِ
طَبِثْتُمْ وَطَابَ جِهَادُكُمْ فِي سَفْحِكُمْ وَالْمُنْحَدَرِ
زَيْتُونُكُمْ، لَيْمُونُكُمْ يَحْيَا الْمَخَاضَ الْمُعْتَكِرُ
دُومُوا عَلَى بَذْلِ الدِّمَا كَرَمِي لِمَنْ دَمَهُ نَذَرُ
فَمِنْكُمْ الَّذِي قَضَى وَمِنْكُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
عَيْنَ الشَّهِيدِ قَرِيرَةً مَاذَا لِلَّهِ سَهْرُ
وَرِيحُهُ طَيِّبَةٌ إِذَا مَا حَوَسِبَ الْبَشَرُ
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ مَوْطِنُهُ وَالْمُسْتَقَرُ
يَا ثَوْرَةَ الشَّعْبِ الْمَجُورِ عِ الْمُكَبَّلِ فِي الْحَجَرِ
يَا وَثْبَةَ الرِّقَصِ الرَّجُلِ جُولِي الطِّفْلِي النَّضْرُ
هَذَا زَمَانُ الشَّدِيدِ فَاشْتَدِي وَأَفْنِي مَنْ غَدَرُ
فَاللَّيْلُ يَخْبُو نَجْمُهُ إِذَا مَا الصَّبَاحُ قَدْ انْفَطَرُ

ملتزمون بدراسة كتاب (الأيام) لظه حسين؟ ولماذا هذا الكتاب شبه إجباري إن لم يكن إجباريًا في مقرر (١٠٤ عرب)؟ ولماذا لا نحاول دراسة كتاب أفضل منه فنيًا ومحتوى؟ فقال لي: ولماذا كل هذا الهجوم على هذا الكتاب الذي يعتبر من أفضل ما كتب في السيرة الذاتية؟ فقلت له: لعدة أسباب. قال: فما هي؟ لكي نتناقش فيها. قلت: أولاً: كتاب الأيام يعتبر من الكتب التي فيها لمز وسخرية من الدين الإسلامي. قال لي: وكيف ذلك؟ قلت له: عندما تقرأ الكتاب تجد أن مؤلفه قد سخر من الريف المصري المحافظ وسخر من مدرس القرآن الكريم، ومن ثم يسخر المؤلف من والديه ويصفها بالكذب والزيف ومن ثم يسخر من نفسه هو... قاطعني زميلي قائلاً: ولكن هذا كله عبّر عنه المؤلف بتفكير طفل لا يفقه. فقلت: لقد كتب ظه حسين كتاب الأيام بعد أن بلغ من العمر عتياً، وحتى لو عبّر عن ذلك بتفكير طفل، فهذا يدل على ما يكنه نحو دينه، لأنه لو كان ملتزماً بدينه فلن يبلغ الأمر إلى حد الاستهزاء بالدين، فظه حسين له مؤلفات عديدة، الغالبية فيها تهجم على الدين وسخرية به مثل كتابه: (الأدب الجاهلي)، ولا ننسى أن أفكار ظه حسين هي أفكار فرنسية من السربون وغيره. سكت زميلي برهة، ثم قال: وما الحل يا ترى؟ قلت: يجب على المختصين في قسم اللغة العربية البحث عن كتاب آخر في السيرة الذاتية لا تشك في مؤلفه، الحمد لله الساحة مليئة بالمؤلفين الأفاضل، وحتى لو لم نجد هذا الكتاب فالواجب علينا مطالبة المسؤولين في قسم اللغة العربية بحذف هذا المقرر لأنه لا يغني ولا يسمن من جوع».

انتهى مقال الطالب، وكلامه الأخير موجه إلى آبائه وأساتذته في قسم اللغة العربية، وهم الأستاذ الدكتور منصور الحازمي، والدكتور فضل العماري وزملائهم الكرام، ولا شك في أنهم - بعون الله - آذان صاغية، وقلوب مفتوحة، وأبوة رحيمة وغيره متوقدة وأصحاب رسالة ومسؤولية وأمانة عظيمة وثقيلة، نسأل الله لنا ولهم العون على حملها وأدائها على الوجه الأكمل الذي يرضي الله ويحقق سعادة الدارين.



الرسالة الذهبية

أول كتاب في الطب النبوى

بقلم: د. محمد عايى الباز

لقد جمعت كتب الحديث مثل الأمهات الست (صحيح البخاري ، صحيح مسلم وسنن الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه) وموطأ مالك ومسنند الإمام أحمد وغيرها من المسانيد وكتب الحديث الأخرى ، أحاديث كثيرة مروية عن النبي ﷺ في موضوع من مواضيع الصحة والطب . . وقد حرص هؤلاء الأئمة على جمع الأحاديث الواردة عندهم في موضوع الطب ويؤبوا لها تحت عنوان كتاب الطب . وهذه الأحاديث الشريفة على أهميتها لا تمثل إلا نزرًا يسيرًا مما ورد عن النبي ﷺ في موضوع الصحة والطب . . ولا يكاد يوجد باب من أبواب علم الحديث إلا وفيه أحاديث متعلقة بالصحة والطب .

ابن علي زين العابدين بن الإمام الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وابنة خير البرية المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين وصحبه الميامين .

مولده : ولد الإمام علي الرضا في المدينة المنورة سنة ١٥٣ وبها نشأ وترعرع ، وكان معتدل القامة بهي الطلعة ذا وقار يباه به من رآه ويحبه من عرفه . وكان على جانب عظيم من الورع والتقوى والعلم حتى اتفق العلماء على أنه كان أعلم أهل زمانه وأورعهم وأزهدهم . نحسبه كذلك والله حسيبه .

وقد روى الإمام علي الرضا كثيرًا من الأحاديث عن أبيه عن جده يرفعها إلى المصطفى ﷺ ، وأشهرها قوله ﷺ : « قال الله تعالى : لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن عذابي »

وقل مثل ذلك في كل باب من أبواب كتب الحديث المختلفة . . وكتاب الطب فيها لا يمثل إلا جزءًا يسيرًا مما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موضوع الصحة والطب .

ولم يكتف العلماء الأجلاء بما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث في الطب والمبشوة في كتب الحديث المختلفة ، ولكنهم أفردوها بكتب خاصة تحت عنوان الطب النبوي .

ويعتبر الإمام علي الرضا : أول من كتب كتابًا خاصًا في موضوع حفظ الصحة استمده من أحاديث رسول الله ﷺ ومن معلومات زمانه ووقته في العلوم الطبية ومن ثقافته الواسعة وما حفظه عن سلفه من آل بيت النبي ﷺ .

المصنف : هو الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر

فعلى سبيل المثال نجد في باب الطهارة موضوع المياه وإزالة النجاسة بالاستنجاء بالماء أو الاستجمار بكل قالع نظيف طاهر ، ثم نجد باب الوضوء وما فيه من استخدام للسواك وتنظيف للفم ثم تنظيف للأنف والوجه وبقية أعضاء الوضوء . وهكذا إلى الغسل وموجباته وكيفية . . وكلها من أبواب المحافظة على الصحة . . ثم باب الصلاة وما فيها من صلة بين العبد وربّه وطمأنينة للنفس وفوائدها العديدة التي لا تحصى بما فيها الصحة النفسية وتوازن الإنسان بين ضغوط الحياة المختلفة وما يعكسه ذلك من تجنب أمراض العصر: القلق والكآبة والأمراض النفس جسمية مثل ضغط الدم وقرحة الاثني عشر (المعدة) والبول السكري وجلطات القلب . . ثم ما في الصلاة من حركات رياضية لطيفة لها أعظم الفوائد لإصلاح العمود الفقري .

ولهذا الحديث قصة نوردها كما أوردتها أهل التاريخ وأهل الحديث، وهي أن الإمام علي الرضا دخل نيسابور (في إيران حالياً) في السنة التي توفي فيها (٢٠٣هـ) بعد أن تمت له البيعة بولاية العهد وكان يسير على بغلة فتعرض له الحافظان الجليلان أبو زرعة الرازي (المتوفى سنة ٢٦٤هـ)

ومحمد بن أسلم الطوسي ومعهما خلائق لا يحصون من طلبة العلم وأهل الحديث، فقالا: أيها السيد الجليل بن السادة الأئمة أستحلفك بالله (إلا ما رويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك محمد ﷺ نذكرك به . فاستوقف البغلة وقال: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين شهيد كربلاء عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال حدثني جيبني وقرة عيني رسول الله عليه وآله وسلم قال: حدثني جبريل قال: سمعت رب العزة سبحانه وتعالى يقول: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي». . وعدوا في ذلك اليوم أهل المحابر الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً.

وقد روي هذا الحديث بطرق كثيرة عن الإمام علي الرضا وألفاظ متقاربة منها قوله تبارك اسمه في الحديث القدسي: «إني أنا الله لا إله إلا أنا، من أقر لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي»:

روايته للحديث:

ومن الأحاديث التي رواها الإمام علي الرضا بسنده عن آبائه قوله ﷺ «من لم يؤمن بحوضي فلا أوردته الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي. ثم قال: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل.

ومن كلام الإمام علي الرضا: «إن الله عز وجل أمر بثلاثة، مقرون بها ثلاثة: أمر بالصلاة والزكاة فمن صلى ولم يركّ لم تقبل منه صلاته، وأمر بالشكر له وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله عز وجل، وأمر باتقاء الله عز وجل وصلة الرحم فمن لم

يصل رحمه لم يتق الله تعالى».

ومن كلامه: الصلاة قربان كل تقى. وقال: أقرب ما يكون العبد من الله سبحانه وتعالى وهو ساجد، وذلك قوله تعالى «واسجد واقترب» العلق/ ١٩

وعنه قال: «أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد المولود ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا. ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها. ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا. وقد سلم الله على يحيى في هذه المواطن وأمن روعته فقال تعالى: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾. وقد سلم عيسى بن مريم على نفسه في هذه المواطن فقال: ﴿السلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ مريم/ ٣٣.

وبينما كان علي الرضا في الطواف سأله رجل عن الجواد فقال الرضا: إن كنت تسأل عن المخلوق فإن الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه، والبخل من بخل بما افترض الله عليه، وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع».

ومن دعائه: اللهم سترت عليّ ما أعلم فاغفر لي ما تعلم، وكما وسعني حلمك فليسعني عفوك، وكما بدأتني بالإحسان فأتم نعمتك بالغفران وكما أمرتني بمعرفتك فاشفعها بمغفرتك، وكما عرفتني وحدانيتك فألزمني طاعتك، وكما عصمتني مما لم أكن أعتصم منه إلا بعصمتك، فاغفر لي ما لو شئت عصمتني منه، يا جواد يا كريم، يا ذا الجلال والإكرام.

بتدبير الأغذية
تصح الأبدان
وتدفع الأمراض
وتكون الحياة طيبة

قصة المأمون مع الإمام علي الرضا

لقد كان الخليفة عبد الله المأمون العباسي عالماً أدبياً ذكياً وكان يقول: «إني عاهدت الله إن ظفرت بالمخلوع (يعني أخاه الأمين) أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب. وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل (يعني الإمام علي الرضا) على وجه الأرض». وأراد المأمون أن يخلع نفسه ويولي الرضا بدلاً منه، ولكن الرضا أبى ذلك عليه وأصرّ المأمون أن يوليّه العهد فقبل الرضا بعد تردد. . أنفذ المأمون البيعة برغم ما يعلمه من تمرد بني العباس ضده وعدم رضا الوزراء وكثير من الكبراء في الدولة لأن ذلك يخرج الأمر كله من بين العباس إلى أبناء فاطمة. . وقد أدى ذلك إلى ثورة العباسيين ضد المأمون ولكنه أخضعهم، وزوّج المأمون ابنته للإمام علي الرضا وكتب له ولاية العهد وأمر المأمون ابنه العباس أن يقوم بتقديم الناس ويبيع الرضا فبايع وتبعه كبار رجال الدولة.

نصوص من كتاب العهد الذي كتبه المأمون للرضا

بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: «ولم يزل أمير المؤمنين منذ انقضت إليه الخلافة وحل مشاقها واختبر مرارة طعمها ومذاقها مُسهر العينين، مُضنيا لبدهن، مطبلاً لفكره فيما فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأئمة وجمع الكلمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة».

ثم ذكر كيف اجتهد وسعه كله وطاقته جميعاً في اختيار أصلح رجل لولاية العهد بعده فلم يجد أصلح في الأمة من الإمام علي الرضا. قال: «وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى واجتهاده في نفسه في قضاء حقه في عبادته وبلاده في الفئتين جميعاً (أي أبناء العباس وأبناء علي)، علي بن موسى الرضا، بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما رأى من فضله البار، وعلمه الذائع، وورعه الظاهر الشائع، وزهده الخالص النافع وتحليته من الدنيا، وتفردته عن الناس. وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه مطبقة، والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، والأخبار واسعة، ولما لم نزل نعرفه به من

المثقفون والمهتمون بموضوع الطب النبوي غابت عنهم هذه الرسالة وظنوها من التراث ..

تقريظ المأمون للرسالة الذهبية

«أما بعد، فإني نظرت في رسالة ابن عمي العلوي الأديب والفاضل الحبيب والمنطقي الطيب، في إصلاح الأجسام وتدبير الحماة وتعديل الطعام، فرأيتها في أحسن التمام ووجدتها في أفضل الإنعام، ودرستها متدبرا، ورددت نظري فيها متفكرا، فكلما أعدت قراءتها والنظر فيها ظهرت لي حكمتها، ولاحت لي فائدتها، وتمكنت من قلبي منفعتها، فوعيتها حفظا، وتدبرتها فهما، إذ رأيتها من أنفاس العلائق، وأعظم الذخائر وأنفع الفوائد فأمرت أن تكتب بالذهب لنفاستها وحسن موقعها وعظم نفعها وكثرة بركتها، وسميتها المذهبية، وخزنتها في خزنة الحكمة، وذلك بعد أن نسخها آل هاشم، فتيان الدولة، لأن بتدبير الأغذية تصلح الأبدان وبصحة الأبدان تدفع الأمراض وبدفع الأمراض تكون الحياة وبالحياة تنال الحكمة وبالحكمة تنال الجنة».

واستمر المأمون في مدحها على هذا المنوال العجيب، وذكر أنه عرضها على أهل الحكمة والطب والتأليف وأصحاب الدراية «فكل مدحها وأعلاها ورفع قدرها وأطراها، إنصافا لمصنفها وإذعانا لمؤلفها».

قيمة الرسالة العلمية

(١) أنها أول رسالة في حفظ الصحة والطب، بما أشار إليه من أحاديث نبوية يكتبها عربي مسلم حيث كتبها الإمام الرضا سنة ٢٠٠ هـ.

(٢) تحتوي هذه الرسالة على مبادئ في حفظ الصحة. وهي أول رسالة مستقلة تعالج هذا الموضوع.

(٣) أنها تضمنت معلومات الإمام علي الرضا الواسعة في الطب كما هو معروف في عصره كما ضمنها ما توارثه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه

طلب منه المأمون العباسي ذلك. وكذلك قصة أوردها محمد بن محمد صالح الشيرازي صاحب كتاب عافية البرية في شرح الرسالة الذهبية كما أوردها غيره. قال:

«كان المأمون ذات يوم في مجلسه في نيسابور (مدينة في إيران اليوم). وفي المجلس أبو الحسن علي الرضا وجماعة من المتطبيين والفلاسفة مثل يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختشوع وصالح بن بهلة الهندي وغيرهم من منتحلي العلوم وذوي البحث والنظر فجري ذكر الطب وما فيه من صلاح الأجسام وقوامها فأغرق المأمون ومن حضرته في الكلام وتغلغلوا في علم ذلك وكيف ركب الله تعالى هذا الجسد وجميع ما فيه من هذه الأشياء المتضادة من الطبائع الأربع (البرودة واليبوسة والرطوبة والحرارة)، ومضار الأغذية ومنافعها، وما يلحق الأجسام من مضارها من العلل... وأبو الحسن (علي الرضا) ساكت لا يتكلم في شيء من ذلك.

فقال له المأمون: ما تقول يا أبا الحسن في هذا الأمر الذي نحن فيه والذي لا بد منه من معرفة هذه الأشياء والأغذية النافع منها والضار وتدبير الجسد؟ فقال أبو الحسن: عندي من ذلك ما جربته وعرفت صحته بالاختبار ومرور الأيام مع واقفني عليه من مضى من السلف، مما لا يسع الإنسان جهله ولا يعذر في تركه، فأنا أجمع ذلك مع ما يقاربه مما يحتاج إلى معرفته».

واضطرب المأمون للسفر إلى بلخ (في شمال أفغانستان بالقرب من مدينة مزار شريف). وكتب إليه المأمون ينتجزه وعده فأمل الإمام علي الرضا رسالته وبعثها إلى المأمون فلما قرأها سرَّ بها كثيرا وأمر بكتابتها بقاء الذهب وكتب بخط يده جوابا للإمام علي الرضا يشكره فيها ويقرض الرسالة وإليك بعض ما جاء فيها:

الفضل يافعا وناشئا، وحدثنا وكهلا، فلذلك عقد بالعهد والخلافة من بعده، وإثقا بخيرة الله تعالى في ذلك، إذا علم الله تعالى أنه فعله إيثارا له وللدن، ونظرا للإسلام، وطلبا للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين». ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وتواده وخدمه فباعه الكل مطيعين ومسارعين مسرورين، عاملين بإيثار أمير المؤمنين طاعته على الهوى في ولده وغيره ممن هو أشبك رحما وأقرب قرابة، وسماه الرضا إذ كان رضيا عند الله تعالى وعند الناس. وقد أكثر طاعة الله والنظر لنفسه وللمسلمين والحمد لله رب العالمين. كتب بيده في يوم الإثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين».

وما أروع هذه الوثيقة وما أحقها بالدرس واستخراج ما فيها من العبر.

ولكن الأمر لم يستتب للإمام علي الرضا بل دسَّ له أعداؤه السم في قطف من عنب فقضى نحبه بعد عامين من مبايعته بولاية العهد ومات شهيدا عام ٢٠٣ هـ بمدينة طوس (مدينة مشهد في إيران اليوم) وقبره المأمون بجانب والده هارون الرشيد.

الرسالة الذهبية

تعد الرسالة الذهبية أول رسالة في الطب وحفظ الصحة كتبها عربي مسلم، فقد كتبها الإمام علي الرضا في حدود سنة ٢٠٠ هـ (٨٠٥م) ولم يسبقه في التأليف في ذلك الموضوع أحد في اللغة العربية، حسب علمي.

وكان عصر المأمون عصر الترجمة وقد حفل بالعديد من الترجمات الطبية التي قام بها يوحنا بن ماسويه الذي تولى رئاسة بيت الحكمة كما قام حنين بن إسحاق بترجمة العديد من الكتب الطبية اليونانية. وكذلك استهرت عائلة بختشوع النصرانية بالطب. وقد ترجم جبريل بن بختشوع بعض كتب الطب اليونانية في عهد الرشيد ثم في عهد المأمون.

قصة تأليف الرسالة الذهبية

وقد أملى علي الرضا رسالته الذهبية عندما

وآله وسلم . مع أنه لم يذكر نصوص الأحاديث بل أشار إليها ضمناً .

وقد قام شراح الرسالة الذهبية ، وهم كثير ، بتوضيح ما أشار إليه الإمام علي الرضا وأوماً إليه من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٤) تضمنت هذه الرسالة بالإضافة إلى ما سبق تجارب الإمام علي الرضا الشخصية في هذا المجال .

والغريب حقاً أن الإمام علي الرضا استطاع أن يوجز هذه المعلومات الواسعة في الطب والتجارب الشخصية مع ما ورد من آثار نبوية في حدود ١٤ صفحة فقط . وقد شرحها محمد بن محمد صالح الشيرازي في كتابه «عافية البرية» في ٨٣٠ صفحة (لا تزال مخطوطة في العراق في المدرسة الأحمدية بالموصل برقم ٥٩١)

(٥) تناولت هذه الرسالة حفظ الصحة وكيفية تدبير الغذاء على مختلف فصول السنة وفي مختلف الأعمار . كما أنها تناولت تدبير الحمام والسكن والهواء والرياضة والنكاح ومقدار الاعتدال في ذلك .

وتحدث عن أهمية استخدام الحجاماة والفصد في أوقاتها وعند الحاجة لها . كما تحدث عن أهمية استخدام الأدوية عند الحاجة إليها . وضرر استخدام الدواء بدون حاجة أو الإسراف في استخدامها .

وتحدث عن مراحل عمر الإنسان وما يصلح لكل مرحلة من تدبير الغذاء والرياضة والنوم والنكاح . . وفي أثناء ذلك كان الإمام الرضا يبيّن معلوماته عن التشريح وعلم وظائف الأعضاء ويستدل بالأحاديث النبوية دون أن يذكر سندها ، وفي الغالب يشير إلى معنى من معانيها دون أن يذكر متنها . .

ثم يذكر ما ينبغي على الإنسان أن يفعله في السفر والحضر وفي مختلف فصول السنة وشهورها مبتدئاً بشهر آذار (مارس) ومنتهاً بشهر شباط (فبراير)

مخطوطات ومطبوعات الرسالة الذهبية

لقد ذكر الدكتور ناظم نسيمي في كتابه «الطب النبوي» أن الرسالة الذهبية مفقودة . وكذلك ذكر الدكتور حسن محمد مقبول الأهدل في رسالته لنيل

الماجستير في الحديث النبوي من الجامعة الإسلامية» تحقيق كتاب المنهج السوي والمنهل الردي في الطب النبوي للإمام السيوطي .

والواقع أن الرسالة الذهبية موجودة في كثير من مكتبات العالم وخاصة في العراق وتركيا وإيران ومصر .

وتوجد من المخطوطات النسخ التالية في مكتبات تركيا :

(١) برواية محمد بن جمهور القمي تلميذ الإمام علي الرضا في مكتبة رئيس الكتاب برقم ١٥/١١٦١ ، بخط نسخ ، كتبه أبو عبد الله محمد ابن أحمد المصري الديماطي الشافعي الأنصاري سنة ٧٨٩هـ .

(٢) نسخة بمكتبة شيخ الإسلام أسعد أفندي برقم ٢/١٨٤ بخط نسخ ، برواية الشيخ محمد بن إبراهيم بن مساعد الأنصاري المعروف بابن الكنفاني . وقد كتب المخطوطة في القرن التاسع الهجري .

(٣) نسخة في مكتبة بغدادلي وهي برقم ١/١٤٨٥ ، كتبت المخطوطة سنة ١٢٢٧هـ .

(٤) نسخة بمكتبة على أميري ، بالقسم العربي برقم ٢/٢٨٤٣ بخط نسخ ، كتبت في القرن الحادي عشر .

وتوجد الرسالة الذهبية مترجمة إلى اللغة الفارسية منها نسخة ترجمها أبو علي الحسن بن إبراهيم بن أبي بكر السلماسي الوراق المتوفى سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٦م) وهي نسخة نفيسة جداً لأنها بقلم المترجم وكتبت عام ٦٢٤هـ . وموجودة في مكتبة الفاتح باستانبول برقم ٥٢٩٧/٤ .

وتوجد نسخة أخرى في مكتبة بغدادلي وهي برقم ٩/١٤٨٨ وقد كتبت المخطوطة سنة ١٠٥٨ . وتوجد من المخطوطات نسخ في القاهرة وإيران والعراق وفي مكتبات أوروبا . وقد طبع الكتاب طبعات عديدة في العراق نذكر منها ما يلي :

(١) منشورات ملتقى العصرين ، بغداد ، مطبعة المعارف سنة ١٩٥٣ في ١٧٠ صفحة . ونشره د . صاحب زيني مع تعليقات محدودة على ضوء الطب الحديث .

(٢) نشره مرتضى العسكري في بغداد أيضاً سنة ١٩٥٤م .

(٣) نشرية المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م . وقدم للكتاب محمد مهدي السيد حسن الخرساني في ٤٨ صفحة . وكانت المطبعة الحيدرية أيضاً قد طبعته عام ١٩٦٥م في ١٤٤ صفحة

(٤) طبع في طهران عام ١٩٨٧م .

حفظ الصحة

كما تقدم يتبين لنا أن الإمام علي الرضا الذي أملى رسالته في حفظ الصحة حوالي سنة ٢٠٠هـ . هو أول مسلم عربي يكتب رسالة في الطب . وتأتي قيمة الرسالة من أنها أول مؤلف باللغة العربية في الطب . وما سبقه لم يكن إلا ترجمات لكتب اليونان .

وقد ظهرت شخصية الإمام علي الرضا الفذة في هذه الرسالة المختصرة التي ضمنها علمه الواسع بالطب مع تبحره في علم الحديث . ولكنه أوجزها إيجازاً بليغاً حيث ضمنها تجاربه الخاصة وما ورثه عن آبائه آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإضافة إلى علوم عصره في الطب .

وبرغم أن هذه الرسالة قد اشتهرت منذ أكثر من ألف عام إلا أن كثيراً من المثقفين بل المهتمين بموضوع الطب النبوي ظنوها من المفقودات مع أن نسخها موجودة في كثير من المكتبات .

وتحتاج هذه الرسالة إلى أن تنشر وتحقق وتشرح ليستفيد من كنوزها طلبة العلم وطلبة الطب وعامة القراء .

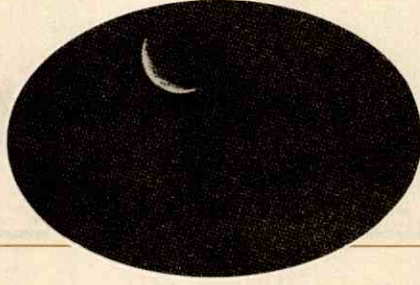
تضمنت الرسالة تراث
البيت النبوي في
الطب بالإضافة إلى
علوم عصرها ..

الهلالة الأولى

شعر: د. يوسف محيي الدين أبو هلالة - الأردن

لم تعد في العيون تحلو الربو
مرّ حين والعيش عذب رغيذ
ثم هبت نكباء جف لها الور
هكذا طبعها الحياة... هناء
محنة داهمت حياتي فيومي
إن بدا الصبح فالأسى لي خليل
أصل الليل بالتهار وسيا
برعم رف من جفاني فلما
وهلال جبا بظلماء عمري
إن يكن عمره قصيرا فحزني
كيف أنساك يا نجّي حياتي
منذ أودعتك البقيع حبيبي
مثقل الخطو عن ضريحك أمضي
إن بدت للعيون أثوابك ارتفع
وإذا ما رأيت رسمك جافا
لم أصدق أن سوف يصبح للدو
وسرير كالنعش في البيت أضحي
ودّعت أمك السرور... وضّر
واستباححت رياض آمالها الخضر
لم تصدق «آلاء» أنك أبهر

والأجباء نازح أو صريع
وحياتي بها الصفاء يشيع
دوغاض الغدير والنبوع
ثم عقباه حنظل وضريع
مرعب والغد الخفي مريع
أو سجا الليل فالشجى لي ضجيع
ن ظلام في ناظري وصديع
كاد يقوى قضى عليه الصقيع
غاله قبل أن يتم الهزيع
هائل باذخ السهك منيع
أو تنسى خفق الفؤاد الضلوع
صار أغلى الديار عندي البقيع
واشتياقي إلي لقاك نزوع
ت كأني بناب أفعى لسبع
ني اضطباري وطاوعتني الدموع
د هاما منك المحيا الوديع
بعدها كان بالرواء يضوع
راعها منذ رحلت عنها وجوع
ر شجون ولوعة ولوع
ت إلى حيث لا يكون الرجوع



ثم رفقت مثل الحمامة منها
واستطالت «أفنان» منك غياباً
عنك يسألن دائماً باكيات
عطلة الصيف آذنت باقتراب
قدر أن أعود ذا العام وحدي
أقبل الصّحب للعزاء وكلي
ويقولون لي تجمل لك الأجر
أظهر الصبر واللظى ملء صدري فاصطباري هو السراب الخدوع
وأواري وجهي بكفّي ودعمي
فأضح للذي كتمت مذيع
وكان ما زلت في ساعة الدف
شرك أمسك الجناح شنيع
و«دعاء» بها ألحّ النزع
يا أبانا متى أخونا يربع
وإلى أهله سيمضي الجميع
بينما أنست في التراب وديع
ألمّ جامحٌ وصبرٌ ظليع
ر وما كنت ما رأوا أستطيع
من بحلقي يُصبُّ سمّ نقيع

كنت أنسى والدرب ولىل وشوك
عذ بأندائك الظليلة فالقي
لم أسرع في الغياب ولما
كنت تأبى الهجوع في سعة البي
لا شفى الله بعد مؤنسها الرو
إن تناءت بك المقادير عني
فالعزاء الذي أفيء إليه
وشفيعي لما جفاني الشفيع
ظ شديد وما سواك الربيع ؟
يملاً النفس بعد منك طلوع ؟
ست أيرضيك في اللحود الهجوع ؟
ح ولا هادن الجراح النجيح
وبك استأثر القضاء المنيع
أن حادي الحياة حاد سريع

ملح البارونيا

في شخصية المتنبي وشعره

بقلم: سلطان عبد الرهادي السمرتي

أبو الطيب المتنبي شاعر العربية
الذي شغل الدنيا بشعره، لا يزال
يثير جدلاً بين النقاد . .
وتجلية لبعض جوانب هذا
الشاعر وشعره، تنشر «الفصل»
في هذا العدد دراستين عنه . .

- ٢ - عدم الثقة بالغير، وهو موقف انفعالي يمهّد لأفكار الاضطهاد ويولّد القلق والرّيبة من الغير.
- ٣ - زيف الحكم، ومصدره تغلب العوامل الانفعالية على المعطيات الموضوعية.
- ٤ - العجز عن التوافق الاجتماعي (٢).

المتنبي: حياته وشخصيته

أبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي (٣). ولد سنة ٣٠٣هـ بالكوفة في محلة يقال لها كندة. فنسب إلى قبيلتها كندة اليمنية المعروفة. وقد نشأ في الكوفة نشأته الأولى حيث أدخله أبوه، الذي كان يقال إنه كان سقاء فقيراً، كُنُاباً فيه أولاد أشرف الكوفة فتعلّم ودرس العربية شعراً ولغة وإعراباً. وقد كان في هذه الفترة يتردد على البادية التي تركت أثرها في نفسه وجسده، ثم رحل به أبوه إلى الشام فنشأ وتأدّب وتخرّج على بعض علمائها، ثم خرج إلى بادية السماوة حيث قبائل بني كلب فأقام بينهم وادّعى النبوة حيث استطاع ببلاغته وشعره وحماسته أن يغوي كثيراً منهم، حتى فشا أمره فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدين فقبض عليه وفرّق أصحابه وجبسه نحو ستين ثم استتابه وأطلقه.

في سنة ٣٣٧هـ اتصل بسيف الدولة الحمداني صاحب حلب حيث وجد كل منهما في الآخر ضالته المنشودة، فنشأت بينهما مودة، وظل المتنبي يمدح سيف الدولة تسع سنوات ثم وقعت بينهما جفوة خرج بعدها المتنبي قاصداً مصر التي دخلها سنة ٣٤٦هـ فمدح أميرها على أمل أن يحصل منه على ولاية، ولكن مراده لم يتحقق على الرغم من أن كافوراً قد وعده أن يبلغه كل ما في نفسه، فخرج منها هارباً سنة ٣٥٠هـ واتجه إلى العراق ثم بلاد فارس فمرّ بأرجان ومنها إلى شيراز قاصداً أميرها عضد الدولة البويهبي الذي أنزله خير مقام، وأخيراً قفل إلى بغداد فالكوفة التي قتل في طريقه إليها على يد فاتك الأسدي وكان ذلك في أواخر رمضان سنة ٣٥٤هـ.

أما العوامل التي أثرت في شخصيته فيمكن إيجازها فيما يأتي:

- ١ - وفاة والديه في مقتبل حياته، مما أشعره باليتم والوحدة صغيراً.
- ٢ - نشأته الفقيرة، وعمل والده بالسقاية، مما كان له أبلغ الأثر في نفسه، فقد جلبت له مهنة والده تلك سخرية وهجاء بعض خصومه، كقول أحدهم في هجائه:

عالم المتنبي عالم رحب ومتجدد يغري الأدباء والباحثين بالولوج إليه
مرات ومرات للتعرف على صاحبه إنساناً وشاعراً. ولا غرو في ذلك
فالمتنبي هو مالى الدنيا وشاغل الناس. ومن يمعن النظر في سيرته وآثاره
يتبين عنصراً ظاهراً في سلوكه وفي شعره، ألا وهو إعجابه بذاته وزهوّه
بها، بحيث أصبح ذلك العنصر مظهراً من مظاهر سلوكه الشخصي
وقاسماً مشتركاً بين معظم قصائده حتى سمي بشاعر نفسه.

لقد تعدى هذا الإعجاب وهذا الزهو حدود الاعتدال وما يتصف به
الإنسان السوي من واقعية في تقدير الذات ليصبح شكلاً من أشكال المرض.
وإذا أردنا الاستعانة بأبحاث علم النفس، هذا العلم الذي جعل من النفس
الإنسانية نقطة انطلاقه ومحور أبحاثه فسير أغوارها وأساط اللثام عن بعض
خباياها وأسرارها لتفسير ذلك العنصر، لأمكننا القول: إن المتنبي كان يعاني
من داء البارانويا (PARANOIA) أي الذهان الهذائي.

إن هذه المقالة المشار إلى عنوانها آنفاً تحاول أن تبرز ملامح البارانويا في
شخصية المتنبي وشعره، ولذلك، فإنه لزام علينا أن نمهّد لذلك بتعريف
القارئ الكريم بطرفي هذه المقالة، حيث سنقوم بتعريف مفهوم البارانويا،
وتقديم ترجمة مختصرة لحياة هذا الشاعر.

الـ PARANOIA — الذهان الهذائي

«بارانويا»: لفظ مقبوس من اليونانية، وهو مؤلف من لفظين: أحدهما
(بارا) وهو الانحراف، والآخر (نوس) وهو العقل، فمعناه إذن: انحراف
العقل . . إن المصاب بالذهان الهذائي هو المختال أو الخائل، المفرط في تقدير
نفسه، والمتوهم أنه أعظم الناس وأحقهم بالتقدم. ومعنى ذلك أن عقله يبدو
سليماً من حيث قدرته على الاستدلال، غير أنه يبنى استدلالاته على اعتقادات
وهمية فاسدة. والذهان الهذائي مرادف بالجملة لهذيان العظمة أو جنون
العظمة (١).

ولزيد من الإيضاح نشير إلى أن الصورة (الإكلينيكية) التي يرسمها الطب
النفسى للبارانويا تتسم بأربع سمات مميزة هي:

- ١ - مبالغة المريض في تقدير ذاته، والزهو الذي يستتر أحياناً خلف
تواضع مصطنع، وأحياناً يتراوح بين الإعجاب بالذات وجنون العظمة.

أي فضل لشاعر يطلب الفضل — مل من الناس بكثرة وعشياً
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما ء وحيناً يبيع ماء المحيّا
٣ - تلقية العلم في كتاب الكوفة إلى جوار أبناء أشرافها من كانوا يفوقونه
نسباً وجاهاً ونفوذاً بومالاً، الأمر الذي ترك أثراً في نفسيته ظهر في كرهه للناس
والحقدهم عليهم وتحقيره إياهم .

٤ - تردده على البادية واكتساب بعض صفات أهلها كالخشونة والشجاعة
والفروسية والإباء وغيرها .

٥ - الظهور المبكر لعبقريته الشعرية ، تلك العبقرية التي كانت وسيلته
لتحقيق آماله وطموحاته .

٦ - تعرضه للسجن والتعذيب في مقتبل عمره بعد ادعائه النبوة في بادية
السّماوة .

٧ - الأحوال السياسية والاجتماعية والدينية السائدة في عصره ، التي كانت
تتسم بالاضطراب وكثرة الثورات والفتن .

٨ - اتصاله بسيف الدولة الحمداني ، وبقاؤه إلى جواره فترة ليست بالقصيرة

تملكه إحساس بالعظمة وكان يسعى لتجسيدها في القيادة والسلطة وليس في الشعر .. !

وما كان يمثل ذلك الأمير في نظر المتنبي من نموذج للقائد العربي الشجاع
الذي نذر حياته للملحمة عن العروبة والإسلام ، ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا
قلنا إن المتنبي كان يرى ذاته في شخص هذا الأمير العربي .

ملاحم البارانويا في شخصيته وشعره

الحقيقة أننا لن نجد عناء كبيراً في تبين الملاحم ، فما أن نتبع سيرة حياة
المتنبي ونمعن النظر في شعره حتى نجد أن شاعرنا قد تملكه الإحساس
بالعظمة ، تلك العظمة التي كان يسعى لتجسيدها في السلطة والقيادة لا في
الشعر ، لأنه ، كما كان يعتقد ، لم يخلق لقول الشعر والتكسب منه بل خلق لما
هو أجل وأسمى . وما الشعر في رأيه إلا وسيلة لتحقيق آماله وطموحاته لا غاية
في حد ذاته ، ولذلك رأيناه ييذي في إحدى المرات تدمره من قول الشعر لأنه قد
يصرفه عن تحقيق ما يصبو إليه حيث قال :

إلى كم ذا التخلّف والتلوّاني وكم هذا التهاذي في التهاذي
وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد

لقد طبع داء البارانويا سواء من خلال إحساس العظمة أو إحساس
الاضطهاد شخصية المتنبي وشعره بمزيج من صور الزهو والكبرياء والتعالي ،
والثورة والتمرد والتذمر والتشاؤم والإحباط والمرارة . وسنحاول بيان ملاحم
البارانويا المشار إليها آنفاً من خلال المجادلات الآتية :

أولاً : في مجال المبالغة في تقدير الذات :

تظهر مبالغة المتنبي في تقدير ذاته وزهوه بها بل وفي غروره وخيالاته في
الملاحم الآتية :

(١) ادعاء النبوة : إن هذه الحادثة — ادعاء النبوة — هي أبرز ملاحم
البارانويا لديه ، لأنه ما من إنسان سوي يقدم على مثل هذا التصرف ، ولكنه
المتنبي الذي دفعه إحساسه بالعظمة إلى الرغبة في التمييز والسلطة والنفوذ
والقيادة ، وهذه الحادثة يترجح أن تكون صحيحة ، بل هي صحيحة استناداً
إلى ما عرف عن المتنبي من اضطراب وزهو وخيلاء وسعي لا محدود نحو
السلطة ، واستناداً أيضاً إلى اعترافه الصريح حينما سُئل عن ذلك بقوله :

«إن هذا شيء كان في عهد الحداثة»^(٤) . وإلى قوله الذي حمل نوعاً من
التورية . ولكنه في الوقت ذاته لا ينفي التهمة — تهمة ادعاء النبوة — فقد كان
جوابه حينما سُئل إن كان قد قال إنه نبي ؟ : «الذي قلته : أنا أحمد النبي»^(٥) .
(وقد عرفنا أن اسمه : أحمد)

(٢) تشبّه بالأنبياء : وهو الآخر من ملاحم البارانويا لديه وهو كذلك
أمر خطير شأنه في ذلك شأن الأمر الأول . وقد جاء ذلك في قوله :
ما مقامي بأرض نحلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
أنا في أرض تداركها الله — غريب كصالح في ثمود
(٣) سعيه الدؤوب ورغبته الجارحة في السلطة والنفوذ والقيادة :

لقد سعى المتنبي جاهداً لإرضاء ذاته المتضخمة الطامحة إلى التميّز والنفوذ
والقيادة ، ومن أجل ذلك أقدم على ادعاء النبوة ولكنه جُوبه برفض شديد
وسجن وتعذيب . ولذلك طفق يبحث عن مجال آخر يبحث به عظمته ويرضي
به ذاته فاتصل بسيف الدولة سنوات عديدة على الرغم من أنها أزهى سنوات
حياته ، إلا أنها انتهت بالفرار لأنها لم تكن تتوافق مع إحساسه بالعظمة فلم
يكن خلال هذه السنوات هو الحاكم المتبع ولا القائد الذي يهزم الأعداء
ويصنع الانتصارات ، بل كان مجرد شخصية ملحقة بسيف الدولة وتابعة له
تمدحه وتتغنى بانتصاراته لا بانتصاراتها هي . فحصل الفراق ورحل إلى مصر
يحدوه الأمل في تحقيق حلمه الذي لازمه طوال حياته في الولاية والحكم ، وهناك
أفصح عن رغبته في ذلك حيث خاطب كافوراً بقوله :

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله فإني أغني منذ حين وتشرب
إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب
(٤) إنشاده للشعر في حضرة الملوك والحكام قاعداً مخالفاً بذلك عادة
الشعراء ، وكذلك عدم تقبيل الأرض بين أيديهم .

(٥) رفع الكلفة بينه وبين الملوك : فقد أشار الثعالبي إلى أن المتنبي كان
يخاطب الملوك مخاطبة الصديق والمحبيب ، وهو مذهب تفرّده به رفقا لنفسه عن
درجة الشعراء^(٦) كقوله في كافور الإخشيدي :

ولذا كان يربأ بنفسه عن الانتساب إلى الناس ، فهو ليس منهم وإن عاش بينهم :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن مَعْدِن الذهب الرغام
٥ - وكما يظهر في سلوكه عدم ثقته بالغير فإن شعره كذلك يعبر تعبيراً صادقاً عن حذره منهم وعدم الثقة بهم يقول المتنبي :

فلما صار ود الناس خبياً جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام
ويقول أيضاً :

وكن على حذر للناس تستره ولا يغرك منهم ثغر مبتسم
غاض الوفاء فما تلقاه في عدة وأعوز الصدق في الأخبار والقسم
●● ثالثاً : في مجال زيف الأحكام .

لم تكن بعض أحكام المتنبي المعبرة عن ذاته أو أحكامه على الناس وعلى الحياة أحكاماً دقيقة وصائبة ومرد ذلك أنها كانت نتاجاً لإحساسه بالعظمة وإحساسه بالاضطهاد ، ولذلك يمكن وصف تلك الأحكام بأنها استجابات وردود أفعال انفعالية نتيجة لوقوعه تحت تأثير داء البارانونيا . ومن ملامح زيف الحكم لديه ما يأتي :

١ - إن إحساسه بالعظمة جعله يصف نفسه بأوصاف لا يمكن أن تكون مقبولة كقوله :

سيعلم الجمع من ضم مجلسنا بأني خير من تسعى به قدم
ولأنه خير من تسعى به قدم فإنه فوق مستوى التشبيه فلا أحد فوقه ، ولا أحد مثله . جاء ذلك في قوله :

أمت عنك تشبيهي بما وكأنه فما أحد فوقي ولا أحد مثلي

إحساسه بالاضطهاد جعله يفضب ويصبر أحكاماً بمضرب زائف ..

و نلمح زيف أحكامه سواء على نفسه أو على الناس من أبيات ارتجلها في صباه حيث قال :

أي محل أرتقي أي عظيم أتقي
وكل ما قد خلق الله ومال لم يخلق
محتقرف في همتي كشعرة في مفترقي

٢ - أما إحساسه بالاضطهاد فقد جعله يصب جام غضبه على الناس وعلى الزمان فجاءت بعض أحكامه زائفة ، يظهر ذلك في قوله :

أذم إلى هذا الزمان أهليه فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد
وفي قوله :

قبلاً لوجهك يا زمان فإنه وجهه له من كل قبح برق
ولك أن تعرف مدى حقه على الناس وكرهه لهم - وهو من ملامح زيف

وما شئت إلا أن أدل عواذلي على أن رأيي في هواك صواب
وقوله في عضد الدولة البويهى :

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواكا
إن إحساس المتنبي بالعظمة ومبالغته في تقدير ذاته وزهوه بها يجعله يقدم على رفع الكلفة بينه وبين الملوك ويخاطبهم مخاطبة الصديق للصديق لأنه كان كما يعتقد واحداً منهم ويملك مؤهلات الحكم والقيادة وقد عبر عن ذلك بقوله :

وفؤادي من الملوك وإن كان لساني يرى من الشعراء
(٦) مبالغته في مدح ذاته : ويظهر في مواضع كثيرة من شعره كقوله :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
وقوله :

وما أنا إلا سمهري حملته فزين معروضا وراع مسددا
وما الدهر إلا من رواة قلائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
وقوله :

إن أكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدا وغيط الحسود
وقوله :

فارم بي ما أردت مني فإني أسد القلب آدمي الرؤا
وفؤادي من الملوك وإن كان لساني يرى من الشعراء
والشواهد على ذلك من شعره كثيرة جدا .

●● ثانياً : في مجال عدم الثقة بالغير :

لعل أهم ما يميز الإنسان الذي يعاني من داء (البارانونيا) بالإضافة إلى إحساسه بالعظمة هو إحساسه بالاضطهاد ، ذلك الإحساس الذي ما أن يتملك الإنسان حتى يجعله حاقداً على الناس ودائم التبرم والشكوى منهم ، وقليل الثقة بهم . ويمكن أن نلمس عدم ثقة المتنبي بالناس من خلال الملامح الآتية :

١ - قلة أصدقائه ورفاقه .
٢ - تنقله وترحاله المستمرين .

٣ - اعتقاده أن الناس من حوله هم مجموعة من الأعداء والحساد . ويظهر ذلك في قوله :

قليل عاندي سقم فؤادي كثير حاسدي صعب مرامي
وقوله :

أزل حسد الحساد عني بكتبهم فأنت الذي صيرتهم لي حسداً
وقوله :

إن كان سرگم ما قال حاسداً فما لجرح إذا أرضاكم ألم
٤ - شعوره بالضطهاد الآخرين له . ذاك لأنهم يعرفون قيمته الحقيقية ، ولا يقدرون قدره الذي يستحق ، ولذلك فإنه يعيش بينهم كالغريب .

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني إن النفيس غريب أينما كانا

أحكامه - لك أن تعرف ذلك من هجائه للأموات منهم . فقد قال في عدو له
وقد مات واسمه إسحاق بن كيغلغ :
قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم : هذا الدواء الذي يشفي من الحمق
إن مات مات بلا فقد ولا أسف أو عاش عاش بلا خلق ولا خلق
مازلت أعرفه قرذاً بلا ذنب صفراً من البأس مملوءاً من النزق

انفعاله السريع جعله يتناقض مع نفسه في أهايين كثيرة ..!

والشواهد من شعره على زيف أحكامه على الناس وعلى الزمان كثيرة .
٣ - ومن ملامح زيف أحكامه أيضاً تناقضه : فهو في موقف من المواقف
يقول شيئاً أو يتخذ رأياً ثم في لحظة انفعال يناقض نفسه وينسف ما قاله . من
ذلك مدحه المتكرر لكافور الإخشيدي على أمل أن يوليه إمارة صيدا أو غيرها
حيث قال :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تملي عليّ وأكتب
فتى يملأ الأفعال رأياً وحكمة ونادرة أحيان يرضى ويغضب
وقال يمدحه أيضاً :

ومن مثل كافور إذا الخيل أحجمت وكان قليلاً من يقول لها أقدمي
شديد ثبات الطرف والنقع واصل إلى لهوات الفـارس المتلثم
ثم انقلب كل هذا المدح إلى هجاء مقدع كما في قوله :

من أبة الطرق يأتي نحوك الكرم أين المحاجم يا كافور والجلم
جاز الألى ملكت كفاك قدرهم فعرفوا بك أن الكلب فوقهم
وقوله أيضاً :

من علّم الأسود المخصي مكرمة أقوم به البيض أم أبأؤه الصيد
أم أذنه في يد النحاس داميّة أم قدره وهو بالفلسفين مردود
وتناقضه وهو شكل من أشكال زيف الحكم لديه يظهر في هجائه لسيف
الدولة الذي كان قد مدحه كثيراً ، فقد قال :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدّر على مرعاكم اللين
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن
٤ - ولأن زيف الحكم يحدث نتيجة لتغلب العوامل الانفعالية على المعطيات

الموضوعية فإن قراره بمواجهة فاتك الأسد ومن معه والذي كان يتربّص به
هو من ملامح زيف الحكم لديه لأن المعطيات الموضوعية كانت تفرض عليه
عدم المواجهة استناداً إلى ميزان القوة الذي لم يكن في صالحه أبداً مما أدى إلى
مقتله ومقتل ابنه محمّد ومقتل غلمانة .

●● رابعاً : المعجز عن التوافق الاجتماعي :

إن التوافق الاجتماعي يتطلب من الفرد أن يكون سلوكه منسجماً مع غيره من

أفراد المجتمع ، وأن يحترم القيم والمعايير والعادات والتقاليد السائدة في هذا
المجتمع ، وأن يتأقلم معها ، ويكيف سلوكه وفقها حتى ينال رضا مجتمعه
وقبوله له .

ولقد عجز المتنبي نتيجة لمعاناته من داء البارانونيا عن التوافق مع مجتمعه
لأن إحساسه بالعظمة جعله ينظر إلى مجتمعه نظرة فوقية متعالية ، أما إحساسه
بالاضطهاد فقد جعله متمرداً وناقماً على مجتمعه وقليل الثقة بأفراده .

ومن ملامح عجزه عن التوافق الاجتماعي : ادعاء النبوة ، فقد أظهر من
خلال هذا التصرف اعتداء على قيم المجتمع وخروجاً على تقاليده ، وهذا
السلوك - التصرف - هو شكل من أشكال المغايرة (NONCONFORMITY)
الذي عرضه للسجن والتعذيب . ولقد خرج المتنبي بعد هذه التجربة أكثر
كرهاً لمجتمعه ونقمة عليه وتبرماً به .

كذلك تعكس آراؤه الواردة في شعره عجزه عن التوافق الاجتماعي ، من
ذلك ما قاله في المرأة وهي نصف المجتمع :

إذا غدرت حسناء وقت بعهدا فمن عهدا أن لا يدوم لها عهد
وجملة القول : إن عجز المتنبي عن التوافق مع مجتمعه هو النتيجة الطبيعية
لمبالغته في تقدير ذاته وعدم ثقته بالآخرين ثم زيف أحكامه ، وهي في مجموعها
تشكل الصورة المريضة (الإكلينيكية) التي رسمها الطب النفسي (للبارانونيا) :
الذهان الهذائي .

الخاتمة

ونحن نختم هذه المقالة لا بد من الإشارة إلى أننا نجزم بأن الحكم الذي
ادعيناه فيها هو بالضرورة حكم دقيق وصائب ، ذاك لأننا نعلم بأننا نطبق
مقاييس جديدة أوجدها علم النفس على سيرة وشعر رجل تفصل بيننا وبينه
فسحة زمنية تربو على الألف عام ، ولكن ليغفر لنا القارئ إن أخطأنا فما ظهر
لنا في سيرته وشعره من ثورة وتمرد وتيه واستعلاء وزهو ثم إحباط وتشاؤم ومرارة
وعجز عن التوافق مع نفسه ومع الآخرين كل ذلك شجعنا على اتخاذ الحكم
السالف الذكر ، ورحم الله المتنبي الذي رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبرسي
بقوله :

ما رأى الناس ثاني المتنبي أي ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جشش وفي كبرياء ذي سلطان
هو في شعره نبي ولكن ظهرت معجزاته في المعاني (٧)

الهوامش

- (١) جيل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج ١ ، ص ٥٩٣ - ٥٩٤ .
- (٢) سيجموند فرويد ، ثلاث مقالات في نظرية الجنسية ، ترجمة سامي محمود علي ، ص ١٧٤ .
- (٣) عبد القادر البغدادي ، خزائن الأدب ، ج ٢ ، ص ٣٥١ .
- (٤) أبو البركات الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص ٢٩٨ .
- (٥) البديعي الدمشقي ، الصبح المنبي عن حقيقة المتنبي ، ص ٦٣ .
- (٦) أبو منصور الثعالبي ، بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج ١ ، ص ١٣٩ .
- (٧) جميع الآيات الواردة في هذه المقالة منقولة عن : شرح ديوان المتنبي الذي وضعه عبد الرحمن البرقوقي .

عَبْقَرِيَّةُ الْمُتَنَبِّي

بقلم: أ. د. يوسف خليف

المتنبي

شاعر القرن الرابع غير منازع، استطاع بموهبته الممتازة وعبقريته النادرة أن يكون أهم شاعر ظهر فيه، وأن يحمل شعراء عصره، ويلقي بهم بعيدا عن مجرى النهر المتدفق الذي انطلق به إلى عالم من الإبداع تراجعت دونه زوارقهم، بل هو - عند كثير من الباحثين - أكبر شاعر أنجبته العربية في تاريخها الأدبي الطويل. ومع ذلك فهناك من يختلفون حوله، ومن نصّبوا من أنفسهم خصوما له، وجردوا من أعلامهم سيوفا شهروها في وجهه. وهو موقف كان سببا من الأسباب التي دفعت الناقد الكبير القاضي عبد العزيز الجرجاني إلى تأليف كتابه المشهور في تاريخ النقد العربي «الوساطة بين المتنبي وخصومه» الذي يكشف اسمه عن موضوعه، فهو محاولة من القاضي الناقد للفصل في تلك القضية النقدية الضخمة التي كثر الجدل حولها بين أنصار المتنبي وخصومه.

وحقا لقد شغل المتنبي الناس بشعره، كما لم يشغلهم شاعر آخر، وقضوا لياليهم ساهرين يختصمون حوله، وهو نائم ملء جفونه عنهم، لا يشغله من أمرهم شيء، لقد قدم إليهم ما يعجزون عن مثله، وما عليه بعد ذلك أن يختصموا حوله، بل ما عليه حتى لو اشتد الخصام بينهم. بدأ هذا الخلاف حول المتنبي في حياته، وتطاولت ألسنة بعض معاصريه عليه وامتد هذا التطاول حتى مسّ أسرته وأصله وشخصيته، حتى ليصل الأمر إلى حد المؤامرة عليه والوقية بينه وبين الأمير العربي الوحيد بين أمراء الدولة الإسلامية الذي أحبه وأخلص له الحب، سيف الدولة الحمداني الذي تراءى له الرمز الخالد للعروبة الضائعة في عصره. وتتردد في شعره شكوى مريرة لا تكاد نراها عند أي شاعر آخر من حسد الناس له لا شيء إلا لتفوقه ونبوغه. ولعل هذا هو الذي دفعه - في رد فعل طبيعي - إلى ذلك الفخر العريض بشعره وشاعريته الذي يصل في أكثر الأحيان إلى درجة الغرور، حتى ليقف أمام سيف الدولة فيقول له في صيغة من التعالي الذي يرتفع صوته حتى يأخذ شكل الأمر الذي لا يُردّ:

وَدَعَّ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرِ صَوْتِي فَإِنِّي أَنَا الطَّائِرُ الْحَكِيْمُ وَالْآخِرُ الصَّدَى وَمَضَى الْمُتَنَبِّي الْإِنْسَانُ، وعاش المتنبي الشاعر خالدا حتى اليوم، واستمر الخلاف حوله لم ينقطع، ومازال النقاد والباحثون يختلفون فيه حتى بعد تلك الأعوام التي تربو على ألف عام طواها الزمن بعد رحيله عن الحياة. حتى في أوساط المستشرقين لم يهدأ الخلاف حوله، فقد اختلفوا حوله كما اختلف العرب، وترجموا بعض شعره - كما يذكر جرجي زيدان في «تاريخ آداب اللغة العربية» - إلى اللاتينية والفرنسية، وقامت حوله دراسات كثيرة اختلفت آراؤهم فيها، على نحو ما نرى عند بلاشير وماسينيون وبروكلمان.

معارك قديمة:

وقد سجّل الجرجاني معركة القدماء حوله في كتابه «الوساطة»، عرض حجج الفريقين: أنصاره وخصومه، وحاول أن يخرج برأي وسط

وأيا ما كان الرأي في المتنبي فإن شاعرا من شعراء العربية على امتداد تاريخها الطويل لم يظفر من اهتمام النقاد والباحثين، القدماء والمحدثين، بمثل ما ظفر به المتنبي، حتى لتوشك الدراسات التي دارت حوله أن تشكّل مكتبة أدبية ونقدية كاملة. وقد ذكر العكبري في مقدمة شرحه لديوانه نقلا عن بعض شيوخه أنه وقف على أكثر من أربعين شرحا لديوانه، ولكن المسألة لا تقف عند الشروح، فالدراسات القديمة والحديثة التي دارت حوله لا تكاد تحصى، وكأنها كان المتنبي يتصوّر حال الناس حين قال بيته المشهور الذي يتحدث فيه عن قصائده، ويصور اعتزازه الكبير بها، وفخره العريض بشواردها التي تقيم الدنيا وتقعدها:

أنا ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاه ويختصم

من كتاب العرب

● د. يوسف خليف



— مؤلفاته:

- (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، (حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن ٢هـ)، (الحب المثالي عند العرب)، (ذو الرمة... شاعر الحب والصحرَاء)، (دراسات في الشعر في العصر الإسلامي)، (تاريخ الشعر في العصر العباسي)، (دراسات في القرآن والحديث)، وديوان (نداء القمم) أشرف على إصدار الجزء الأول من (موسوعة الروائع من الأدب العربي) الذي يغطي العصر الجاهلي وستغطي هذه الموسوعة الفترة من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث.
- من مواليد الإسكندرية في مصر.
- ليسانس آداب لغة عربية من جامعة القاهرة عام ١٩٤٤م، ماجستير ودكتوراه من الكلية نفسها عام ١٩٥٠م عن (الشعراء الصعاليك)، وعام ١٩٥٦م عن (حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني هـ).
- عمل معيدا بكلية آداب القاهرة ثم مدرسا فأستاذًا مساعداً فأستاذًا ثم رئيسا لقسم اللغة العربية حتى الآن، وسبق أن عمل أستاذًا بجامعة الكويت ٦٨ - ١٩٧١م، ومقررا للجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر بين عامي ٧٩ - ١٩٨٢م.
- فاز بجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٤٠٩ هـ.

بينهما، لأن كلا الفريقين - كما يقول - ظالم للمنتبي أو ظالم للأدب فيه .
ولكن الحقيقة التي يكشف عنها ما بين السطور أنّ الجرجاني كان واضح
الميل للمنتبي . وكذلك تتردد أصداء هذه المعركة عند الثعالبي في «تيمة
الدهر»، فهو يرصد الموقف بين خصومه وأنصاره، فيسرد ما أخذه خصومه
عليه، وما استحسنته أنصاره له، ولكنه لا يحاول أن يقف حكماً بين
الفريقين، ولا أن ينصب من نفسه قاضياً يفصل في هذه الخصومة، أو
يحاول الفصل فيها، كما فعل القاضي الجرجاني .

وراء الجرجاني والثعالبي وأمثالهما من حاولوا تحويل الخلاف حول
المنتبي إلى قضية أدبية تتسع لحملات الاتهام وردود الدفاع، فريقان من
النقاد: متعصب عليه ومتعصب له، وكتب ورسائل كثيرة ألفها هؤلاء
وأولئك، ففي كفة الاتهام نرى أمثال «المنصف للسارق والمسروق من
المنتبي» لابن وكيع، و«الإبانة عن سرقات المنتبي لفظاً ومعنى» للعبيدي،
و«الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المنتبي وساقط شعره»
للحاتمي، و«الكشف عن مساوئ المنتبي» للصاحب بن عباد. وفي كفة
الدفاع نرى أمثال «الفسر» و«معاني أبيات المنتبي» لابن جني رواية المنتبي
الكبير، وأهم المعجبين به في عصره، وأكثرهم تعصباً له، وأشدّهم إثارة
لخصومه الذين شغلوا بالرد عليه من أمثال ابن فورجة الذي ألف كتابين
في هذه الخصومة سَمَّى أحدهما «التجني على ابن جني» وسمى الآخر:
«الفتح على أبي الفتح»، وأبي حيان التوحيدي الذي ألف «الرد على ابن جني
في شعر المنتبي»، والشريف المرتضى الذي ألف «كتاب تتبع أبيات المعاني
للمنتبي التي تكلم عليها ابن جني» .

وكذلك كان الشأن مع المحدثين: طه حسين وعباس محمود العقاد
وإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الوهاب عزام ومحمود محمد شاكر وشوقي
ضيف وشفيق جبري وزكي المحاسني وإبراهيم العريض وعبد العزيز بن
عبد المحسن التويجري، وغيرهم كثير في شتى البلاد العربية، لا يكاد
يحصيهم العد، شغلهم المنتبي فقدّموا للمكتبة العربية سيلاً لم يتوقف من
الدراسات حوله وحول شعره .

ومع ذلك ففي ظني أن عبقرية المنتبي ما زالت تخفي وراءها أسراراً لم
تكشف كل جوانبها حتى اليوم، وما زال البحر يخفي في أعماقه كنوزاً من
اللؤلؤ والمرجان لم تُعرف مفاتيح أرصادها حتى الآن، وما زالت هذه الكنوز
في حاجة إلى من يغوص وراءها لعلها تكشف له عما تخفيه من أسرارها
المسحورة .

أهمية بالغة :

في رأيي أن أهمية المنتبي في تاريخ الشعر العربي ترجع إلى أنه استطاع أن
يحرره من قيود الصنعة البديعية والزخارف اللفظية التي كبله بها شعراء
مدرسة البديع العباسية التي ازدهرت في القرن السابق له، وبلغت ذروتها
عند أبي تمام، وأن يعود به إلى أصالته التي كان عليها في عصوره الأولى
حين كان تعبيراً حراً عن نفس صاحبه وعقله، لا تقيده قيود الصنعة

الثقيلة التي تحد حركته، أو سدود الزخرف الصناعي التي تعترض تدفقه
وانطلاقه، وكأنها أحس أن هذا المذهب البديعي قد استنفد أغراضه مع
أبي تمام، وتجمد من بعده في قوالب ثابتة فقدت حيويتها التي كانت لها في
عصر ازدهاره، وأخذت ألوانه الزاهية تفقد بريقها الذي كان يخطف
الأبصار من قبل، ومن هنا نشعر دائماً في شعره بشيء من الانطلاق يذكّرنا
بكبار الشعراء القدماء الذين نهضوا بالشعر العربي قبل مدرسة البديع،
بل نشعر كأنه يخلّق بنا بملء جناحيه القوين في آفاق فسيحة مترامية تمتد
أمامنا إلى ما لا نهاية، أو كأنه يحملنا فوق نهر متدفق تندفع تياراته
الصاخبة في قوة وعنف، وهي تجرف أمامها كل ما يعترض طريقها من
سدود أو صخور، لتلقي بها بعيداً عن مجرى النهر، حتى لا يتوقف
اندفاعه أو يتعثر تدفقه .

ومن أجل ذلك يترأى المنتبي في هذه المرحلة من تاريخ الشعر العربي
كأنه صاحب «ثورة التحرير» التي حرّرت من عبودية مدرسة البديع، وهي
المدرسة التي تعد امتداداً متطوراً لمدرسة «عبيد الشعر» الجاهلية التي يدل
اسمها الذي أطلقه عليها الأصمعي الراوية الكبير على طبيعة عملها
الفني، والتي يصفها الجاحظ بأنها «استعبدت شعراءها»، أو - بعبارة
أخرى - جعلت من شعرائها عبيداً للعمل الفني، يَشْقَوْنَ ويكدحون
ويَنْصَبُونَ ويتحملون في سبيله من الجهد والمشقة والعناء مثلاً يتحمل
العبيد في أعمالهم التي تفرض عليهم حياة العبودية القيام بها . فالمنتبي -
كما يترأى لي - هو محرر الشعر العربي في القرن الرابع، الذي خلّصه من
قيود العبودية التي كبله بها أصحاب مدرسة البديع في القرن الثالث، وردّ
عليه حرّيته الطبيعية وانطلاقته الحرة التي بدأ بها رحلته الفنية من فوق
رمال الجزيرة العربية الخالدة .

مقومات فنية :

ولكن يبدو أننا يجب أن نقيّد هذا الحكم قليلاً، وأن نحدّد هذا الموقف
الفني الذي وضعنا فيه المنتبي تحديداً أكثر دقة، وأن نضبط زوايا الرؤية
التي ننظر إليه منها، فالمنتبي لم يعد بالشعر العربي إلى ما كان عليه في
عصوره الأولى تعبيراً فطرياً بسيطاً يستمد فطريته وبساطته من البيئة التي
أنبتته، وإنما أعاد إليه هذه الحرية ولكن في ثياب جديدة نسجتها خيوط
عقلية معقدة غزلها من المواد الثقافية المتعددة المصادر التي استوعبها في
أعماقه من ثقافات عصره المختلفة، وكأنه النحلة تجمع رحيق الزهر
لتخرجه خلقاً جديداً، شرباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس .

لم يكن المنتبي طبعة طبق الأصل من الشعراء القدماء، وإلا لفقد
شعره طعمه الخاص ومذاقه المتميز الذي لا يخطئه أحد، ولا خفت منه
شخصيته القويمة الطاغية التي تطل علينا دائماً من وراء أبياته بكل ما
نعرفه لها من ملامح مميزة، وقسمات معبرة، وسهات تفرد بها ولا تتشابه
فيها مع غيرها من الشخصيات، وإنما كان المنتبي طبعة جديدة تختلف
عن هؤلاء الشعراء في جانب من أهم الجوانب التي تميزه من بينهم، وهو

ذلك «العنصر العقلي» الذي يشكّل قاعدة أساسية من القواعد التي يقوم عليها بناءؤه الفني، ومقوّما من أهم المقوّمات التي يعتمد عليها العمل الفني عنده. وهو عنصر أثقل شعره بكثير من الأفكار العقلية التي استمدّها مما تعمّقه من ثقافات عصره المتعددة، عربية وإسلامية وأجنبية، وأيضا مما اكتسبه من خبرة، وما نضج في عقله من حكمة، من خلال تجاربه الشخصية الواسعة التي أكسبته رؤية متميزة للحياة والأحياء. وبقدّر ما تخفّف المتنبي في شعره من أثقال الزينة اللفظية، وبقدّر ما حرّره من قيود الزخرف البديعي، أثقله بالأفكار العقلية البعيدة، والتراكيب التي كان في كثير من الأحيان يحرص على أن يبينها بناءً منطقيًا أرسطيا، وعقده بالصياغة الفلسفية التي تحتاج إلى كثير من الجهد العقلي من أجل النفاذ إلى أغوارها العميقة، والإحاطة بأبعادها البعيدة.

اطّلاع واسع:

كان المتنبي واسع الاطلاع على ثقافات عصره، شديد الاتصال بها، حتى ليخيل لمن يقرأ شعره أنه لم يكد يترك جانبا من جوانب المعرفة في عصره إلا اتصل به واستغله في شعره. ونقيض أخباره بأحاديث هذا

لم تقف صلة المتنبي عند الثقافات العقلية، وإنما امتدت لتشمل اللغة والنحو والتراث الأدبي والتاريخ

الحرص على طلب المعرفة، ويذكرون عنه أنه كان يقضي الساعات الطوال من الليل ساهرا في القراءة عاكفا عليها، وأن الكتب لم تكن تفارقه حتى في أسفاره. وأعانتته على ذلك ذاكرة قوية يصفونها -ربما في شيء من المبالغة، ولكنها بدون شك صدق للواقع وانعكاس للحقيقة- بأنها كانت تستطيع حفظ الكتاب من أول قراءة. و أتاح له بيئة حلب من ناحية، ثم البيئة المصرية من ناحية أخرى، فرصة ذهبية ليحقق طموحه إلى المعرفة، فقد كان بلاط سيف الدولة مركز الحركة العلمية على قدر كبير من الخصب والنشاط، وكانت مجالسه كل ليلة ندوة متصلة للعلماء والأدباء والفلاسفة واللغويين الذي كان يجزل لهم العطاء ليحقق لهم ما يريدونه وما يريده هو أيضا من تفرغ لرسالتهم العلمية، وهو الذي منح أبا الفرج الأصفهاني ألف دينار حين أهدى إليه كتابه «الأغاني». و كان قصره يضم مكتبة حافلة بالكتب النادرة أشرف عليها في أول الأمر الشاعر الصنوبري، ثم أشرف عليها من بعده الشعاعان الراويتان الخالدتان. وفي هذه البيئة المواجهة بالنشاط العلمي التقى المتنبي بالفيلسوف العربي الكبير الفارابي، وتوطدت بينهما صداقة وثيقة، مما كان له أكبر الأثر في ثقافة المتنبي الفلسفية، ولعل الفارابي كان هو الواسطة بين المتنبي والفلسفة اليونانية.

وكذلك كانت البيئة المصرية، ففي بلاط كافور ندوات تعقد للعلماء والشعراء والمؤرخين، وفي قصور وزرائه ندوات أخرى، لعل أشهرها ندوة الوزير جعفر بن الفرات العالم المحدث الذائع الصيت الذي وضع مكتبته الزاخرة بشتى الكتب في شتى العلوم تحت تصرف العلماء الذين كانوا يجتمعون إليه. وفي المساجد التي كانت تموج بحلقات العلم والأدب واللغة نشاط علمي لا يكاد يتوقف. ويذكر بعض المؤرخين أن المتنبي كان يعقد في مسجد منها حلقة أدبية يجتمع إليه فيها أدباء مصر وشعراؤها يكتبون عنه شعره وما يمليه عليهم من شروح له وتعليقات عليه، مما أثار حوله حركة نقدية في مصر كما كان الشأن معه دائما في كل مكان ينزل به.

ولم تقف صلة المتنبي عند الثقافات العقلية، وإنما امتدت لتصل أسبابه بالثقافات اللغوية والنحوية والتراث العربي الأدبي والتاريخي اتصالا وثيقا. ويذكرون عنه أنه كان واسع الاطلاع على كتب اللغة والنحو ودواوين الشعراء، واسع العلم بأسرار اللغة وغريبها ولهجاتها، ومذاهب النحاة واختلافهم وشواهدهم، ومذاهب الشعراء وأتجاهاتهم الفنية. وفي شرحه لديوانه الذي سجّله عنه اللغوي الكبير المعاصر له وأحد رواة شعره ابن جني ما يدل على هذا العلم الواسع الغزير الذي يتراءى المتنبي من خلاله علما من أعلام اللغة، وإماما من أئمة النحو، وراوية من رواة الشعر الكبار، عن فهم دقيق لأسرار التراث، وخبرة واسعة بأخبار العرب وحياة البادية، مما أمده برصيد لغوي وفني ثري راح ينفق منه بغير حساب، ويتصرف فيه في ثقة، بل في جرأة، تصرف البدوي صاحب اللغة الواثق من سلامة سليلته وأصاله طبعه، الذي لا يتردد في الرجوع إلى حسنه اللغوي - إذا أشكل عليه أمر - وهو واثق من صحته، مطمئن إلى سلامته، لأنها أولا وقبل كل شيء لغته، ولأنه أيضا ابن هذه اللغة التي طبع عليها، وهو بهذا المنطق الحاسم يدافع عن موقفه في اعتداد هذه السليقة التي طبع عليها: «إنما أمري على طبعي، وأقول ما يستوعبه لساني». ولعل شيئا من ذلك هو الذي جعل صاحب بن عبّاد - أحد خصومه الألداء - يقول عنه في رسالته: «الكشف عن مساوئ شعر المتنبي»: «ومن أعظم ما يتعاطاه التفاسيح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة، حتى كأنه وليد نجباء أو غيّدي لبن، لم يطق الحضر، ولم يعرف المدر». ولكن المسألة ليست - كما بصورها صاحب - «تفاصحا» مفتعلا، وإنما هي «فصاحة» فطرية، وليست ألفاظا نافرة أو كلمات شاذة، ولكنها تصرف ابن البادية صاحب اللغة في لغته التي هو صاحبها، وحرته في أن يخرجها «من أي شدّقيه شاء».

ولعل ذلك أيضا هو الذي دفع طائفة من خصومه إلى إثارة قضية «السرقا» من حوله، والمسألة - كما أراها في وضعها الحقيقي - ليست سرقة، ولكنها ذلك الموروث الشعري الضخم الذي استقر في أعماقه، واختزنه في سراديب «اللاشعور» الخفية وكهوفه الغامضة، يتسرّب منها في غفلة من «الحارس» الواقف على أبوابها السحرية متنكرا في ثياب جديدة غريبة، كما تتسرّب مكبوتات اللاشعور في صور غير مألوفة، لتتحول إلى

اختزن في أعماقه عالماً متناقضاً غريباً يجمع بين البداوة والحضارة ، ويتداخل فيه الموروث مع الوافد..!

رؤى وأحلام كأنها صادرة من عالم غريب لا عهد للنائم به .

قضايا متناقضة :

لقد استطاع المتنبي أن يخزن في أعماقه عالماً متناقضاً غريباً يجمع بين البداوة والحضارة ، ويتداخل فيه الموروث العربي بأصالته وعراقته والوافد الأجنبي بطرافته وجدته ، وأيضاً بتعقيداته الفلسفية وتشكيلاته العقلية وأقيسته المنطقية . وهذا استطاع أن يقدم قصيدة حضرية في أفكارها ، بدوية في صياغتها لهذه الأفكار ، تقوم على موازنة بارعة بين العنصر الأجنبي الوافد والعنصر البدوي الأصل ، أو — بعبارة أخرى — بين الفكرة العقلية الجديدة والصياغة البدوية الموروثة ، واستطاع — بعد استئذان أصحاب الكيمياء في استعارة مصطلحاتهم — أن يذيب العنصر العقلي في شعره ، ويُحوّله إلى «مادة منصهرة» تمتزج بالعنصر البدوي ، وتسرى في عروقه ، فتخلقه خلقاً جديداً ، وتثبت فيه حياة لم نعهدها من قبل في أساليب الشعراء ، وتكسبه طعماً غريباً لم نألفه عندهم . ومن هذا المزاج الغريب الذي تذوب فيه «المادة الأولية» لتتحول إلى مادة جديدة لها

خصائصها الأصلية ولكن ليس لها شكلها الأول ، خرج المتنبي على الشعر العربي بقصيدة جديدة ، أهم ما تمتاز به أنها انعكاس صادق لهذا المزاج الغريب بين عقل الحضري المثقف الواسع الثقافة وأسلوب البدوي في أصالته الفطرية وعراقته الموروثة ، وهي «القصيدة البدوية الحضرية» .

رفع المتنبي شعار «تحرير الشعر» ، وأعلن «ثورة التحرير» ، ومضى يطبق مذهبه الفني في شعره ، فخرج على مجتمعه الأدبي بهذه الصيغة الجديدة للقصيدة العربية : «القصيدة البدوية الحضرية» التي وضعت نهاية لقضية الصراع بين القديم والجديد ، أو الخصومة بين مذهب المحافظين من أصحاب «عمود الشعر» ومذهب المجددين من أصحاب «البديع» ، وهي الخصومة التي شغلت جيل الشعراء الذين سبقوه في القرن الثالث ، واستنفدت جهود نقاده المحافظين والمجددين على السواء ، وأخذ يلفت إليه الأنظار — في شيء من التحدي والعنف والعدوانية — شاعراً يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ويمزج بين البداوة والحضارة ، ويقدم للشعر العربي هذه الصيغة الجديدة التي حقق بها هذه المعادلة بين الطرفين ، والتي حققت له ما كان يدعو إليه من «تحرير» القصيدة العربية من قيود البديع التي أثقلت بها مدرسة البديع العباسية في القرن الثالث ، وهي المدرسة التي بدأ حياته الفنية تلميذاً بارعاً فيها ، ولكنه لم يلبث أن تحرر من إسارها إلى عالم فسيح مترامي الآفاق يتطلق فيه حيث يشاء ، ويخلق في سمائه ملء جناحيه القويين حُرّاً طليقاً لا تثقله قيود الصنعة الزخرفية ، ولا تحد من انطلاقه أغلال البديع .

لقد وجد المتنبي نفسه ، وحقق ذاته ، واستقل بشخصيته ، وخرج — بل انطلق — يرتاد دروباً جديدة مع قصيدته الجديدة «البدوية الحضرية» .

قائمة ببليوجرافية بأهم الدراسات عن المتنبي

أولاً - عن المصادر القديمة :	- الحاتمي : الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب وساقط شعره (دار صادر - بيروت ١٩٦٥م)	- زكي المحاسني : المتنبي (دار المعارف - مصر ١٩٦١م)	القاهرة ١٩٨٢م)
- ديوان المتنبي بشرح الواحدي (برلين ١٨٦١)	- الصادر - بيروت ١٩٦٥م)	- شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي (دار المعارف - مصر ١٩٧٤م)	- عبد الغني الملاح : المتنبي يسترد أباه (دار التأخي - بغداد)
- ديوان المتنبي بشرح العكبري (الخليج - القاهرة ١٩٧١م)	- صاحب بن عباد : الكشف عن مساوئ المتنبي (المعارف - بغداد ١٩٦٥م)	- شوقي ضيف : عصر السدول والإمارات : الجزيرة - العراق - إيران (دار المعارف - مصر ١٩٨٠م)	- عبد الوهاب عزام : ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام (دار المعارف - مصر ١٩٥٦م)
- ديوان المتنبي تحقيق عبد الوهاب عزام (دار الزهراء - بيروت ١٩٧٨م)	- العميدي : الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى (دار المعارف بمصر ١٩٦١م)	- طه حسين : مع المتنبي (دار المعارف - مصر)	- محمد عبد الرحمن شعيب : المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث (دار المعارف - مصر ١٩٦٩م)
- ١٩٤٥م)	- يوسف البديعي : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (دار المعارف بمصر ١٩٦٣م)	- عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة (التجارية - القاهرة ١٩٢٤م)	- محمود محمد شاكر : المتنبي (دار المدني - جدة ، الحانجي - مصر ١٩٨٧م)
- الثعالبي : بيمته الدهر (دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣م)	- ثانياً - من الدراسات الحديثة :	- عباس محمود العقاد : آراء في الأدب والفنون (الهيئة العامة للكتاب)	- مصطفى الشكعة : أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين (عالم الكتب - بيروت ١٩٨٣م)
- الجرجاني (القاضي عبد العزيز) : الوساطة بين المتنبي وخصومه (الخليج - القاهرة ١٩٦٦م)	- إبراهيم عبد القادر المازني : حصاد المشيم (القاهرة ١٩٦١م)	- عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري : في أثر المتنبي بين اليامة والدهناء (المكتب المصري الحديث - القاهرة ١٩٧٥م)	- النعمان القاضي : كافوريات أبي الطيب (مركز الشرق الأوسط - القاهرة ١٩٧٥م)
- ابن جني : الفتح السوهمي على مشكلات المتنبي (بغداد ١٩٧٣م)	- إبراهيم العريض : فن أبي الطيب بعد ألف عام (بيروت ١٩٦٢م)		

تأملات .. في الناس

شعر: سعيد حسين القاضي

مَالُ الزمانُ فلم يسمع لشكونا
ياقلب صبراً فما للوم فائدة
إن رأيت رياحاً بالمنى عصفت
وإن رأيت امرأة يزهو بمنقصة
هل كلفتك الليالي أن تقومها
أما رأيت أناساً ما لهم همم
مثل الجراد يريد القفز مرتفعاً
أو كالفراشة تأتي النور مسرعة
أما رأيت أناساً للعلا سعدوا
يرميهم البحر في حنق ويقذفهم
خفوا فطاروا ولجؤا في تطاولهم
أما رأيت أناساً كيف تحسبهم
إن يضحك الدهر قالوا أنت سيدنا
لكن .. إذا مالت الأيام أو عبست
يا كم رأيت صنوفاً لست أحصرها
هون عليك فكم في الناس من عجب
قد يألف المرء من أمسى يشابهه
تأبى الأسود طعاماً سيئاً غفناً
ولا يؤاخي دينياً قط ذو شيم
كم في الرياض زهوراً ريحها عبث
لا خير في الفن .. بل لا خير في أدب
فإن رأيت امرأة شهماً له قيم

والحكم لا ينصف الأحرار أحيانا
وامرح قليلا فقد أثخمت أحزانا
تبك الأماني بلحن فاض أشجانا
فيه تجلّت .. قضيت الليل سهرانا
أو أن تقيم بها للعدل ميزانا ..؟؟
يغون نيل العلا والمجد « مجاناً »
لكن قواه وهت فارتد ندمانا
كيما تلاقي لدى الأنوار نيرانا .. ؟
مثل الفقاقيع تعلق الموج أحيانا
من بعد أن سبوا للبحر غثيانا
حتى كساهم غرور الطيش أكفانا .. ؟
في صفوة العيش أحباباً وإخوانا
وأظهروا الودّ تقديراً وعرفانا
كانوا عليك - مع الأيام - أعوانا
وسلّ خبيراً بهم إن شئت برهانا
ولا تصاحب صغيراً حيثما كانا
والحر لا يرتضي الجهال خلانا
وتجذب الجيفة النكراء غربانا
ولن يصادق ليث الغاب ثعبانا
والوحد يفرز أعطانا وديدانا
إن لم يكون لدى الإنسان وجدانا
يرعى الجميل .. فقد أبصرت إنسانا

مِنْ رَكَائِزِ النِّضَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ

بقلم: أ.د. أحمد عمر هاشم

وقيل: نزلت في سخرية الغني بالفقير، وقيل: في عكرمة بن أبي جهل، فعندما جاء إلى المدينة مسلماً كان بعض المسلمين إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنه وقر فإذا سبقوه إلى مجلس النبي ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ﷺ فلما انصرف النبي ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه فزعي كل رجل منهم بمجلسه وعضوا فيه - أي لزموه - فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلساً، فيظل قائماً فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له: تفسح. فقال الرجل: قد وجدت مجلساً فاجلس فجلس ثابت من خلفه مغضباً ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، يعيره بها يعني أمأ له في الجاهلية فاستحى الرجل فنزلت. أهد تفسير القرطبي.

وقد نصت الآية على النساء كذلك وأفردتهن بالذكر في النهي عن السخرية، وذلك لأن السخرية تقع كثيراً منهن، «فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه» ولذا نص عليهن في قوله: «ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن» وقد جاء في سبب نزولها أن مرأتين من أزواج الرسول ﷺ سخرتا من أم سلمة عندما ربطت خصرها بثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنها: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذه سخرتها. وقال أنس وابن زيد: نزلت في نساء النبي ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر وقيل: نزلت في عائشة أشارت بيدها: يا بني إنها لقصيرة تعني صفية بنت حيي رضي الله عنها وقال عكرمة عن ابن عباس: إن صفية بن حيي بنت أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء يعيرنني فأنزل هذه الآية..

وقد نهى الله تعالى كذلك عن اللمز (وهو العيب)، ويكون تعبيراً باليد، أو العين أو اللسان أو الإشارة.

وأما الهمز فيكون باللسان. قال تعالى: «ولا تلمزوا أنفسكم» ويدل هذا التعبير الحكيم على أن المؤمنين نفس واحدة، فلا يليق بهم أن يعيب بعضهم بعضاً، وكما لا يعيب المؤمن نفسه لا ينبغي أن يعيب غيره، فالمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

دون تنابز:

ومن الرذائل التي نهى عنها الإسلام: التنابز بالألقاب. قال تعالى: «ولا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات / ١٠). في هذه الآية الشريفة، يقرر الإسلام أخوة الإيمان، وأنها لا تنقيد بعلاقة النسب فإن أخوة النسب تنقسم بمخالفة الدين، ولكن أخوة الدين لا تنقسم بمخالفة النسب. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تمنحسوا ولا تمنحسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخواناً» والتجسس: هو الاستماع لحديث القوم، والتناجش: هو أن تزيد في ثمن السلعة دون رغبة في شرائها لتحريض الغير عليها، وفي رواية أخرى بلفظ مسلم يبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه حقوق هذه الأخوة وواجباتها «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

ومن الواجبات المترتبة على أخوة الإيمان بين المسلمين ما جاء في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.. فالإصلاح بين كل مسلمين أو طائفتين، واجب تمليه أخوة الإيمان، وقد مهدت الآية الشريفة طريق الإصلاح بالتزام التقوى، حتى لا يجحد المصلحون ولا يجابي بعضهم بعضاً، بل يكون العدل رائدهم والتقوى طريقهم وبهذا تتحقق الغاية الكريمة وهي رحمة الله بالمؤمنين دنيا وأخرى ﴿واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ ويدعو القرآن الكريم جميع المؤمنين أن يطهروا البيئة الإسلامية من رذائل شتى:

١ - منها الرذائل الظاهرة التي تتعلق بالجوارح كالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

٢ - ومنها الرذائل الباطنة التي تتعلق بالمشاعر كالظن.

أما الأولى الظاهرة: فيقول فيها القرآن: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ (الحجرات / ١١) فينهى الله تعالى عن سخرية بعض الناس ببعض، فعسى من سخرها منه أن يكون خيراً منهم عند الله تعالى، في عقيدته وفي عمله وفي باطن أمره. فإن مقاييس الخيرية ليست في المظهر ولا في الشكل، ولكنها فقط في التقوى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات / ١٣) وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ نرى أنه ورد في سبب نزولها آراء منها: أنها نزلت في وفد بني تميم عندما استهزؤوا بفقراء الصحابة أمثال عمار وبلال وخباب وابن فهيرة وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثالة حالهم..

يقتضي ذلك أو دون أن تظهر له علامة على تحقيق ظنه كأن يكون المظنون به من أهل الصلاح والتقوى فإن ظن السوء به حينئذ يكون محرماً، هذا بخلاف من عُرف واشتهر بين الناس بمخالفة الشرع والمجاهرة بالمعاصي فلا يكون الظن به محرماً.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله حَرَّمَ من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء».

هذا ويترتب على الظن التجسس ثم الغيبة وذلك لأن مجرد التهمة يكون سبباً في البحث عما ساور الإنسان من خاطر فيحاول التجسس ليتحقق مما يظنه فينتقل من درجة الظن إلى درجة التجسس ثم يدعو وقوفه بالتجسس على بعض ما يعلم أو ما لا يعلم إلى غيبة أخيه فينتقل إلى درجة أسوأ وحالة أكبر وهي الغيبة وهكذا.

وينفي الإسلام جو المجتمع على مختلف طبقاته ويوضح كيف يتفاهم الخطر من جراء الظنون السيئة بين الناس بعضهم مع بعض، بل وبين الحاكم والمحكوم، فحين يتنفي الحاكم الريبة في الناس يفسد ذات بينهم، ويوضح الرسول ﷺ خطر الغيبة والتجسس ويبين نتائجها السيئة التي لا تقتصر على الآخرة فحسب بل إن المغتابين والمتجسسين ينالون جزاءهم في الدنيا وعقابهم فيها قبل الآخرة، قال ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته».

أدرك سلفنا الصالح خطر التجسس فنهوا عنه وحذروا منه..

وقد كان سلفنا الصالح يدركون خطر التجسس ومدى حرمة، فكانوا يتعدون عن التجسس وعن تتبع أسرار الناس حتى ولو ترتب على ذلك إقامة حكم من أحكام الشريعة، أو إقامة حد من حدود الله، قال عبد الرحمن بن عوف: حرس ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهما الآن شرب فها ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجسسُوا﴾ وقد تجسسنا وانصرف عمر وتركهم.

كفارة الغيبة :

ومن الرذائل المنهي عنها «الغيبة» قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغتب بعضكم بعضاً﴾ وقد فسر الرسول ﷺ معنى الغيبة: ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته.

تنازوا بالألقاب ﴿ قيل : إنما نزلت في بني سلمة ، قدم رسول الله ﷺ وليس رجل إلا وله اسان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا فلان ، فيقولون : مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فنزلت الآية ، وقال الحسن ومجاهد : كان الرجل يعير بعد إسلامه بكفره ، كأن يقول له : يا يهودي يا نصراني ، فنزلت الآية . وقال قتادة : وقول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق . .

قال تعالى : ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ يقول ابن زيد : أي بئس أن يسمى الرجل كافراً أو زانياً بعد إسلامه وتوبته . . وقيل من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق . أما بعض الصفات التي يكون ظاهرها الكراهة ، ولكن لا يراد بها العيب حين التحدث بها فلا بأس بها . وقد سئل عبد الله بن المبارك عن الرجل يقول : حميد الطويل ، سليمان الأعمش ، وحميد الأعرج ، ومروان الأصفر ، فقال : إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به .

وقد ختم الله تعالى الآية الكريمة التي نهى فيها عن تلك الرذائل بتهديد من تسول له نفسه الاسترسال في مثل هذه المعاييب بأنه وقع في الهلاك وأصبح من الظالمين لأنفسهم لارتكابها فقال تعالى : ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ وإذا كان التنازع بالألقاب مما يعيب المسلم ويمزق ود الصدور، فإن بديله وهو نداء المسلم لأخيه بأحب الأسماء مما يصفى له ود أخيه، يقول عليه الصلاة والسلام : «ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه إذا لقيتته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه».

ومثال النوع الثاني وهي الرذائل الباطنة التي تتعلق بالقلب والشعور: (ظن السوء) وقد حذر الله تعالى من الظن في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾. (الحجرات / ١٢) وقد نزلت هذه الآية الكريمة كما قال أبو عبد الله القرطبي في رجلين من أصحاب النبي ﷺ اغتابا رفيقهما وذلك أن النبي ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام، ولم يهبي لهما شيئاً فجاء فلم يجد طعاماً وإداماً فقالا له: انطلق فاطلب لنا من النبي ﷺ طعاماً وإداماً فذهب فقال له النبي ﷺ: اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له إن كان عنده فضل من طعام فليعطك. وكان أسامة خازن النبي ﷺ فذهب إليه فقال أسامة: ما عندي شيء، فرجع إليهما وأخبرهما، فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل ثم بعث سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة - وهي بئر قديمة بالمدينة بها ماء غزير - لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء فأرهما النبي ﷺ فقال: مالي أرى خضر اللحم في أفواهكما؟ فقالا: يا نبي الله والله ما أكلنا في يومنا لحماً ولا غيره، فقال: ولكنكما ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة. فنزلت الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».. والظن الذي تحذر الآية منه هو: الظن الذي يقوم على اتهام لا أساس له ولا سبب يوجه.

ومن الرذائل المنهي عنها «التجسس» وهو البحث عما يكون خفياً عن الإنسان كمن يتهم إنساناً بفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً دون أن يبدو له ما

وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج صورة محسوسة لأولئك المعتدين المغتابين وكيفية عذابهم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحمة الناس ويقعون في أعراضهم». وقد صور القرآن الكريم صاحب الغيبة في هيئة مستقذرة، وصور تدل على خسة الطبع ودناءة النفس وفساد القلب، قال تعالى: «أحب أحدكم أن يأكل لحمة أخيه ميتا فكرهتموه» فصور الله تعالى الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمة كما أن الحي لا يعلم بغيته من اغتابها، ولننظر بعد تصوير الرسول ﷺ للغيبة: روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه حين جاء ما عز إلى النبي ﷺ فشهد على نفسه بالزنا فرجعه الرسول ﷺ، فسمع نبي الله ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب فسكت عنها، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: «أين فلان وفلان؟» فقالا: نحن يا رسول الله، قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يا نبي الله ومن يأكل هذا؟ قال: فلما نلتنا من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذي نفسي بيده إنه لفي أنهار الجنة وينغمس فيها!!

وحكم الغيبة: أنها من الكبائر قال ﷺ: «دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام». واتفق العلماء على أنها من الكبائر تجب التوبة إلى الله منها، واختلفت الآراء هل يستحل المغتاب أم لا؟!

١ - فقال بعض العلماء: ليس عليه استحلاله، وإنما هي خطيئة بينه وبين ربه واستدل أصحاب هذا الرأي بأنه لم يأخذ شيئا من ماله، ولا أصاب من بدنه ما ينقصه فليس في ذلك مظلمة يستحلها منه وإنما المظلمة ما يكون في المال والبدن.

٢ - وذهبت فرقة أخرى: إلى أن الغيبة مظلمة، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه واستدلوا على ذلك بما روي عن الحسن: كفاة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبت.

٣ - وذهبت فرقة ثالثة: إلى أن الغيبة مظلمة، وعلى صاحبها الاستحلال منها، واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه اليوم قبل ألا يكون له دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه».

والذي نُرجحه: هو الرأي الثالث القائل: بأن على الذي اغتاب

الاستحلال من غيبته لحديث البخاري، فهو يدل على التحليل وحديث الرسول ﷺ هو الحجة والبيان الصحيح ولأن التحليل كذلك يدل على التعاطف والتراحم وهو من قبيل العفو قال الله تعالى: «فمن عفا وأصلح فأجره على الله» (الشورى / ٤٠). اللهم إلا إذا ترتب على الاستحلال خطأ شديد، ومخافة أن يجر إلى اندلاع فتنة كبرى فإنه حينئذ يمسك عن الاستحلال حتى يواتيه الوقت الملائم له ويقول بالتوبة والاستغفار لأخيه.

وأما الرأيان الثاني والأول: فنرى أن أصحاب الرأي الأول ينفون الاستحلال متعللين بأنه لم يصب مالا ولا بدنا فليس في ذلك مظلمة والحق:

أن إجماع العلماء منعقد على أن على القاذف للمقذوف مظلمة بأخذه بالحد حتى يقيمه عليه وذلك ليس في البدن ولا في المال، فهذا دليل على أن الظلم في العرض والبدن والمال، وأما الرأي الثاني القائل: إنها مظلمة يستغفر لصاحبها ففيه تناقض لأن قولهم «مظلمة» يثبتون ظلامة المظلوم وإذا ثبت لم يزها عن الظالم إلا إحلال المظلوم له وهذه الأحكام سارية في سائر المظالم. وأما صاحب الهوى والفاسق العلن فسقه والإمام الجائر فكل هؤلاء لا غيبة في حقهم فإن من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له بل إن ذكرهم بها هم عليه يحذر ويكشف عوارهم.

قال ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس»، وإذا كانت واجبات الأخوة في الدين تقتضي تكريم المؤمن ونفي كل الرذائل عن دائرة نفسه ومجتمعه وتحتم احترام المسلم لأخيه ومساعدته له وعدم التعرض بما يسيئه في نفسه أو ماله أو عرضه.

إذا كانت هذه وغيرها من أسامي المبادئ لتكريم الإنسان المسلم فإن الله تعالى قد وسع دائرة هذه الأخوة فلم يجعل للأسرة الإسلامية حدودا تحدّها قرابة أو نسب أو زمان أو مكان أو بيئة أو مجتمع بل إن الإسلام فتح أمام أتباعه آفاق التعارف والتآلف.

واستهدف من وراء جعله لهم شعوبا وقبائل التعارف المثمر الذي يكمل بعضهم بعضا في إطاره المشرق.

ولم يجعل من اختلافهم في اللون أو اللغة أو المال أو القوة سببا للتمايز والتعاضم، فنفي أن تكون هذه الأسباب أصولا للتكريم أو قواعد للتعظيم وإنما جعل المعيار الحقيقي الذي توزن به منازلهم منحصر في شيء واحد هو «تقوى الله».

قال الله تعالى: «يا أيها الناس إننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» (الحجرات / ١٣).

أخي المواطن .. أختي المواطنة.

إن الإخبار عن مهربي ومروجي المخدرات واجب على كل من عرف عنه ذلك وإنه من التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به في الكتاب والسنة.

مع تحيات الإدارة العامة لمكافحة المخدرات

غرفة عمليات الإدارة ٩٩٥

اللعبة السردية في رواية «سارة»

بقلم: بلغيتي علوي مريم (المغرب)

«سارة» هو عنوان الرواية اليتيمة التي أصدرها الأديب والمفكر العربي الراحل «عباس محمود العقاد»، وبرغم العناية الفائقة التي حظيت بها إنتاجات هذا المفكر، فإن هذه الرواية بقيت في الظل، حيث لم تحظ بما تستحق من نقد وتحليل.

وحتى تكون مقاربتنا واضحة، فإننا نسارع إلى القول بأن منطلقاتنا المنهجية هي منطلقات المنهج البنوي الذي يعتبر العمل الأدبي نصاً مادياً تاماً ومنغلقاً على نفسه، ولأنه منغلق فهو يبني على نظام داخلي يجعل منه وحدة محددة، والنظام في النص لا يكمن في ترتيب عناصره، وإنما يكمن في شبكة من العلاقات تنشأ بين المكونات. وحين تنبئ هذا المنهج، فإن علينا أن نضبط هذه المكونات وأن نستكنه وظائفها وطرق اشتغالها، الشيء الذي يؤدي بنا في النهاية إلى تحديد نظام النص وبالتالي بنيتها.

القصة والخطاب في الرواية

يميز جيرار جونيپ^(١) داخل الرواية بين عنصرين أساسيين هما:

القصة (Histoire) والخطاب (Discours). وهو يعرف القصة بأنها مجموعة الحقائق والشخصيات والأحداث التي تقدمها الرواية. أما الخطاب، فهو طريقة تقديم القصة، وحتى يكون هناك خطاب فلا بد من توفر سارد Narrateur يقوم بعملية الحكى، ومسرد له Narrataire يتلقى الحكى ويستقبله.

وحسب جيرار جونيپ أيضاً، فدون قصة أو خطاب لا يمكن أن يكون هناك حكى ولا أعمال حكاية. لكن ما هو أساسي في الرواية ليس هو القصة في حد ذاتها وإنما طريقة تقديمها، أي الخطاب^(٢). وانطلاقاً من ذلك نستطيع أن نتناول ما يلي:

١ - قصة «سارة»

القصة في هذه الرواية قصة بسيطة وهي عبارة عن علاقة حب بين شخصيتين هما: «سارة» و«همام» وهي كأغلب علاقات الحب تبدأ باللقاء مصادفة، يتلوه حديث يؤدي إلى إعجاب كل واحد منهما بالآخر، فينشأ الحب وتنشأ معه المشكلات بسبب شكوك «همام» في «سارة» نظراً لعلاقاتها الغرامية السابقة مما يؤدي إلى قطيعة مؤقتة يعقبها صلح ثم شكوك جديدة فقطيعة نهائية.

وكما هو معلوم، فإن هذه القصة تصلح لأن تكون موضوع فيلم أو مسرحية أو قصيدة... كما أنه بإمكان الخطاب الروائي أن يقدم إلينا أحداثها بطرق مختلفة ومتباينة، لذلك فإننا سنطرح السؤال التالي: كيف قدم إلينا الخطاب الحكائي هذه القصة؟ أو ما التقنيات التي وظفها في سبيل ذلك؟

للإجابة عن هذا السؤال سنتناول مستوى «الخطاب» في هذه الرواية وضمنه سنتناول العناصر التالية:

أ- الرؤية السردية.

- ب- وظائف السارد.
- ج- الزمن:
- زمن القصة
- زمن السرد

٢ - خطاب «سارة»

(أ) الرؤية السردية: إذا كان المقصود بالخطاب - كما أوضحنا - هو طريقة تقديم القصة في الرواية، فإن ما يجب أن نشير إليه هو أننا لا نصادف القصة في الرواية مقدمة تقديراً مجرداً وموضوعياً، بل إنها تقدم دائماً منظوراً إليها من زاوية معينة، ذلك أن الكاتب / الروائي لا يتكلم بصوته في الرواية، وإنما يفوض سارداً تحملياً يأخذ على عاتقه عملية الحكى. وقد قسم النقاد^(٣) العلاقات الممكنة بين السارد والقصة إلى ثلاثة أقسام هي:

١ - أن يكون السارد عالماً كل شيء عن قصته وأحداثها وشخصياتها حيث يستطيع أن يخترق جميع الحجب والحواس من أجل أن يعطينا تفاصيل عالم الرواية، وتسمى هذه الرؤية: «رؤية من خلف» (Vision de derriere).

٢ - أو أن يكون السارد مساوياً في معرفته لباقي الشخصيات حيث لا يعلم إلا ما تعلمه هي نفسها، وتسمى هذه الرؤية «رؤية المعية» (Vision avec).

٣ - وإما أن تكون معرفة السارد أقل من معرفة الشخصيات، وفي هذه الحالة يتحول السارد إلى مجرد واصف للحركة الخارجية للشخصيات وناقل للأصوات ويطلق على هذه الرؤية «الرؤية من خارج» (Vision de dehors).

انطلاقاً من هذا التقسيم نستطيع أن نسجل ما يلي:

★ أولاً: أن سارد رواية «سارة» يعتمد في عملية الحكى على ضمير الغائب: المفرد (هو أو هي) والمتن (هما):

- (سار) (همام) في وجهة المنزل وكأنه يريد أن يتعد منه لا أن يدنو إليه بخطاه، وفي يده حقيبة صغيرة لا يدري ماذا يصنع بها، ويزعم أنه يود لو ألقاها في عرض الصحراء لولا ما فيها من حديث يصونه عن الإفشاء... ص (٧٧).

- (ثم أقبلت في ثوبها العنابي وطرتها المشتهاة! ونظرت إليه وهمت أن تنحرف إلى ناحية الصحراء...) ص (٧٦).

- (... الحقيقة أنها - أي صاحبنا وصاحبتنا - قد تغيراً كثيراً بعد أن مضت على صحبتها برهة من الزمن، ولكنها لبنا برهة أخرى من الزمن وهما لا يريدان أن يعترقا بهذا التغيير) ص (٣٣).

★ ثانيًا : أن السارد في هذه الرواية كلي المعرفة (Omniscient) لأنه لا يكتفي بتقديم أحداث الرواية وشخصياتها بل ينقل إلينا أيضًا ما يدور بخلد هذه الشخصيات، كما يصور لنا مشاعرها وإحساساتها الخفية، وكنموذج على ذلك نقدم الأمثلة التوضيحية التالية :

- (مضت الأشهر وخيل إلى صاحبنا أنه لم يعد يخشى أو يذكر - ص (٤٩) .

- وكأننا ندمت (سارة) مرة أخرى على الركوب، وعلى اللقاء، وعلى السؤال، لأنها كانت تنتظر من صاحبها لهفة على مكان من أماكن الرياضة المعهودة التي ألفا أن يترددا عليها . . . فجلست صامتة .

وجلس (همام) كذلك صامتًا، وطال الصمت لا لأنه يريد أن يريده أو لأنه كان يأبى الكلام، ولكن لأنه كان يفتش عن كل كلام الدنيا فإذا هو يهرب . . . أو يستعصي ولا ينقاد .

كان الكلام الذي يريد . هو التواعد إلى غد حيث يلتقيان في المنزل، وحيث يقولان ويعيدان ويتأهبان للعذر ويتأهبان للملام . ولكن هذا هو بعينه الكلام الذي كان لا يريد! ص (١١) .

إذن ف رؤية السارد في هذه الرواية « رؤية من خلف » أي أن السارد مهيم من هيمنة تامة على عالم الرواية .

« وظيفة الوصف في الرواية تفسيرية رمزية وليست بشكل مباشر »

(ب) وظائف السارد : إضافة إلى وظيفته الأساسية التي تتجلى في الحكى (أي تقديم الأحداث والشخصيات والحقائق)، يمكن للسارد أن يقوم بوظائف أخرى موازية منها : التعليق والوصف .

وهو حينها يعلق على الأحداث، فذلك من أجل تحليلها وتأويلها بغية تقريبها من المسرود له / المتلقي .

وكدليل على وظيفته هذه نقدم النموذجين التوضيحين التاليين :
- (مضت خمسة أشهر قبل أن يمرؤ على عبور ذلك الشارع مشيًا على قدميه) .

وليس الشارع مقفرًا أو مخيفًا، لأنه محاط بالمعمار مزدحم في جوانبه بالسابلة والسكان .

وليس هو بالبعيد عن طريقه، لأنه يوشك أن يحتاج إليه في ذهابه وإيابه إلى حيث يقيم في ضاحية المدينة .

ولكنه كان شارعًا يلتقيان فيه عند ذهابهما إلى دار الصور المتحركة ثم يلتقيان فيه عند خروجهما منها) ص (٥) .

- (ووقفت هي أيضًا لا تدري ما تقول، وكأننا ندمت على الكلمة لأنها لم تسمع لها جوابًا سريعًا، ولم تزل تخشى ما يجيء به الجواب . فأومأت إلى مركبة قريبة واقفة بين مركبات كثيرة، وإذا بهما يسيران معًا إلى تلك المركبة، فتجلس فيها ويجلس هو إلى جانبها وهي تقول :

- هذا خير من أن يرانا الناس مشدوهين كالصنمين ! والواقع أن الناس التفتوا فعلا وجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويتهامسون) ص (١٠) .

أما فيما يتعلق بالوصف، فقد كان دائمًا حسب جيران جونيطة (٤) ذا وظيفة في الأعمال الحكائية (ومنها الرواية)، وقد حصر هذا الناقد وظائف الوصف في وظيفتين أساسيتين هما :

١ - الوظيفة التزيينية أو الزخرفية (Décoratif) .

٢ - الوظيفة التفسيرية الرمزية (Explicatif et symbolique) .

وإذا كان الأمر كذلك فما وظيفة الوصف في هذه الرواية؟ للإجابة عن هذا السؤال نقدم أولاً هذين النموذجين :

- (كانا يجلسان إذا دخلا تلك الدار في مكانين متجاورين ولكنها لا يدخلان إليها ولا يخرجان منها متجاورين) ص (٥) .

- (كانا يتلاقيان - إذا لم يتلاقيا في المنزل - عند مفترق طريق في الضاحية ينشعب يمينًا إلى ناحية الصحراء، ويسارًا إلى ناحية الأندية ودور الصور المتحركة، وكانت تلمحه مقبلًا فتسبقه خطوات إلى حيث تواعدا من قبل فإما إلى الصحراء أو في بعض الأندية يدخلانها على انفراد) ص (٧٥) .

من خلال هذين النموذجين التوضيحيين يتبدى لنا بوضوح أن وظيفة الوصف في هذا النص تفسيرية رمزية، حيث نلاحظ من خلال النموذجين المسجلين أعلاه، أن «سارة» و«همام» لا يلجان دور الصور المتحركة (السينما) متجاورين ولا يخرجان منها متجاورين والسارد بذلك يرمز إلى كونها لا يستطيعان إعلان علاقتهما أمام الملاء خوفًا على سمعتهما واتقاء لشر الألسن كما أنه يرمز بذلك إلى كون المجتمع كان محافظًا . لكل ذلك، فإنها لا يذهبان إلى الأماكن الفارغة التي لا يمكن لأحد أن يراها فيها، أما إذا ذهبا إلى مكان عام (السينما مثلاً)، فإن كل واحد يدخل بمفرده ولا يلتقيان إلا داخل القاعة حيث الظلام الدامس .

(ج) الزمن : يميز النقد الحديث (٥) بين عدة أزمنة تتعلق كلها بالرواية (وفن القصة بصفة عامة) . بعضها خارجي : (زمن الكتابة، زمن القراءة . . .) وبعضها الآخر داخلي : (زمن القصة، زمن السرد . . .)، وفي مقاربتنا هذه، فإننا لن نتناول إلا الزمنين الأخيرين (زمن القصة وزمن السرد) .

والمقصود بزمن القصة هو الزمن الذي نفترض أن أحداث القصة قد وقعت فيه، وهو طبعي في تسلسله : ماضي - حاضر - مستقبل .

أما زمن السرد فهو زمن الأحداث كما تقدمها إلينا الرواية، وهو مخالف في تسلسله لزمن القصة، وذلك لاعتبارين :

أ - اعتبار موضوعي : حيث إنه حسب تودوروفي (٦) بمجرد ما يكون هناك أكثر من شخصية واحدة في الرواية، فإنه يستحيل أن يطابق زمن السرد زمن القصة لأنه لا يمكن للسارد - أثناء الحكى - أن يتابع أفعال كل الشخصيات في نفس الوقت .

ب - اعتبار جمالي : حيث إن السارد يلجأ إلى مجموعة من الحيل الفنية / التقنيات من أجل إثارة اهتمام المتلقي وتشويقهم، ومن هذه التقنيات هناك الاسترجاع (Anapse) الاستباق الداخلي (Prolepse interne)، الحذف (Ellipse) . بعد هذا، فإننا إذا ما حاولنا مقارنة عنصر الزمن في رواية «سارة»، فإنه لا بد من معاينة النقطة التالية :

« الزمن في الرواية أغلق » الباب أمام التطور والاستمرار»

لكن إذا ما تجاوزنا هذه النظرة البانورامية إلى التشخيص الدقيق لزمن السرد فسنجد أن هناك تداخلاً وثيقاً بين الزمنين الماضي والحاضر في جل الفصول

وهكذا يبدو لنا من خلال هذه الخطاطة المفصلة أن الفصل الأول الذي تجري معظم أحداثه في الزمن الحاضر يضم في ثناياه أحداثاً من الماضي تقارب في كمها أربع صفحات ذلك أن الأحداث تبدأ في الحاضر (عبور «همام» للشارع الذي كان يلتقي فيه مع «سارة»)، لكن السارد سرعان ما يتوقف ليسترجع بعض ذكريات الحبيين همام وسارة) ويستغرق هذا الاسترجاع ما يقارب أربع صفحات، ثم يعود ليقدم لنا الأحداث التي تجري في الحاضر: (لقاء «همام» «بسارة» وامتطأهما لمركبة... وتواعدهما بالالتقاء في الغد). ونفس هذه العملية نجدها في باقي الفصول.

وإضافة إلى ما سبق نلاحظ أن السارد قد وظف تقنية يطلق عليها «جبرار جونيط» (Paralipse) أي «الحذف المؤجل» حيث إن السارد في بداية الرواية لا يقدم لنا «الوضعية البدئية» بل يبدأ سرده بالأحداث وهي في طريق التطور، وبرغم أنه يث في ثنايا السرد بعض الإشارات التي تحيل على الوضعية البدئية، فإنه لا يمكن لهذه الإشارات أن تغني عن «الحذف المؤجل»، لذلك فإنه سيعود وتبفصيل إلى هذه الوضعية البدئية ابتداء من الصفحة التاسعة والسبعين (الفصل التاسع).

من كل هذا نخلص إلى كون السارد قد كسر عمودية السرد أي أنه لم يقدم الأحداث وفق التسلسل المنطقي والزمني (٧).

خلاصات

من هذه المقاربة المكثفة والموجزة يتبين لنا أن بنية النص بنية محجوزة، ويتجلى لنا حجزها من خلال عنصرين أساسيين هما:
أ- الرؤية السردية: حيث إنها - كما رأينا - رؤية من خلف بمعنى أن السارد يقدم للمسرد له / المتلقي كل شيء عن أحداث الرواية أشخاصها، كما أنه يقوم من خلال وظيفتي التعليق والوصف بتفسير كل ما يعتقد أنه لا زال غامضاً لدى المتلقي، وهو بذلك يحول بين المتلقي وبين حقه في ممارسة فعل التخيل.

ب- الزمن: حيث نلاحظ أن أن السرد يحيل على زمنين اثنين فقط هما: الماضي والحاضر، وهو بذلك يغلق الباب في وجه المستقبل ويقرب كل إمكانية لتطور أحداث القصة ويلغي إمكانية تصالح الشخصيتين المتحابتين: وبذلك أيضاً يبدو لنا الزمن محجوزاً ومعاقلاً عن التطور والاستمرار.

● زمن القصة وزمن السرد في رواية «سارة»: إن الحديث عن زمن القصة يتطلب بالضرورة الحديث عن أحداثها، وأهم هذه الأحداث هي: التعارف - الحب والهيام - الشكوك والمشكلات - المراقبة - القطيعة.

وهي أحداث تخضع للتسلسل المنطقي كما تخضع للتسلسل الزمني الطبيعي، وبذلك فالخطاطة الممثلة لزمن القصة تتخذ الشكل التالي:
- زمن القصة: ماضي حاضر

والزمن الماضي في هذه القصة هو ماضي الشخصيتين معا (سارة وهمام) قبل تعارفهما، أما الحاضر فهو حاضر العلاقة ويمتد من لحظة تعارفهما حتى لحظة الفراق والقطيعة، أما المستقبل فليس هناك أية إشارة إليه.

هذا عن زمن القصة، أما ما يمكن تسجيله بصدد زمن السرد فهو خضوعه لمقتضيات زمنية جمالية مغايرة لمقتضيات الزمن الطبيعي، حيث إن مجرد إلقاء نظرة عامة على عناوين فصول الرواية يبين هذه الحقيقة الفارقة.

فإذا كان عدد فصول الرواية يبلغ ستة عشر فصلاً (١٦) فإنها تتوزع زمنياً كما يلي:
الماضي: في ١ في ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
الحاضر: ١ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

من خلال هذه الخطاطة البانورامية المعبرة عن زمن السرد (من خلال عناوين الفصول فقط) يتبدى لنا أن هذا الزمن يبدأ في الحاضر ويستمر فيه ثمانية فصول ثم يعود إلى الماضي ويمتد فيه سبعة فصول (من الفصل التاسع إلى الفصل الخامس عشر) ثم يعود مرة أخرى إلى الزمن الحاضر في الفصل السادس عشر / الأخير.

ملحوظة: إن المقصود بزمن السرد الحاضر هو زمن ما بعد القطيعة المؤقتة التي تمت بعد تعارف «سارة» و«همام» وبعد أن نشأت بينهما علاقة الحب، أما ما نقصده بزمن السرد الماضي فهو زمن ما قبل هذه القطيعة المؤقتة وهو يمتد من لحظة التعارف حتى لحظة اللقاء الذي يتم بين «سارة» و«همام» مصادفة في الشارع، وهذه اللحظة (لحظة اللقاء مصادفة) هي التي يتخذها السارد بداية للرواية، وهذه البداية وما يتلوها من تسلسل. يكشفان عن مدى تباين زمن القصة وزمن السرد. (انتهت الملحوظة).

82. F.V. - Rassum - Guyon, la critique du Roman, Paris, Gallimard, 1971
PP 150 - 40

4 - G. Genette : Frontières du récit, in communications n°8, PP 162 - 165

٥ - سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في «ثلاثية» نجيب محفوظ، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ ص ٣٣.

6 - T. Todorov : Les Catégories du récit littéraire P.133.

٧ - توما شفكي: نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكليات الروس. ترجمة إبراهيم الخطيب: الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط: ١، ١٩٨٣ م، ص ١٨٦.

الهوامش

★ عباس عمود العقاد: سارة، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت دون ذكر لرقم الطبعة، ولسنة الطبع.

1 - G. Genette Figures III. Seuil, Coll: "Pétique" 1972 P. 80

2 - T. Todorov: Les Catégories du récit littéraire, in communications n° 8 1966 P. 132.

3 - J. Pouillon: Temps et Roman, Paris, Gallimard, 1946, PP. 67 - 114.T.

Todorov : Littérature et signification, Paris, Larousse, 1967. PP: 79 -

النقد الأدبي بين الانحياز والتجرد

تحقيق: عبد الواحد القاضي

لنظروا

للأدب دون نقد جاد يواكبه، هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان، لكن للنقد طرقه الكثيرة، قد يكون نقداً سلبياً أو إيجابياً، موضوعياً أو ذاتياً، منهجياً أو انطباعياً، فهل يوجد ناقد محايد؟، وفي حالة وجوده، ماهي أدواته التي يتعامل بها مع النص؟، هذا ما حاولنا أن نتلمس الطريق إليه خلال هذا التحقيق.

الجانب ينحّض الفرد غير المتخصص. وفيه أيضاً تتم حرية الاختيار،. والإطار الثاني هو التعامل مع النص لتقويمه وتصنيفه وتطبيق المقاييس النظرية عليه. وهنا لا بد من إبعاد «الذات»، فدراسة النص من هذا الجانب لا تهتم بحقيقة التجربة. وهنا يأتي دور المتخصص. ولا يكون له حرية الاختيار لأن مقاييسه النظرية لا بد أن تثبت في المجال التجريبي وعلى كل النصوص. وهذا الإطار الثاني من دراسة النص هو المقصود بالحيادية.

الحيادية العلمية..

ويطرح د. العجمي مفهوم «الحيادية» في إطار

أسلوب...). وهذه المرحلة تتطلب تجرد القارئ عندما يصدر حكماً على جماليات النص. بينما من حق الناقد ألا يفعل ذلك في المرحلة الأولى للقراءة إلا في أضيق الحدود. فقد يركز الناقد على المكونات الجمالية للنص دون أن يقف المعنى الأخلاقي أو المضمون عائقاً في سبيل الاستحسان الجمالي. وهذا في رأيي مفهوم «التجرد» المطلوب في النقد. لذلك

في البداية يرى أ.د. ناصر الرشيد أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود أنه لا يوجد شيء في الوجود محايد.. إن عدم اتخاذ موقف هو في حقيقة الأمر اتخاذ موقف، ومن هنا ينتفي معنى «حياد». وهذا الاضطراب في الفهم أدى إلى الخلط بين معنى «الحياد» ومفهوم «التجرد». «فالتجرد» معناه النظر إلى الأمر «أي أمر» بعين العدل. وتحري الحق دون إسقاطات أو تصورات مسبقة أو مؤثرات خارج هذا الأمر نفسه.

والكثير من اتجاهاتنا النقدية العربية ترفض مبدأ «الحياد» ومذاهب النقد الحديثة من «بنوية» و«تشريحية» و«السنية» و«توليدية» تلغي احتمالات «الحياد» وتحافظ على فرضيات «التجرد»

بين «التجرد» و«الحياد»..

ويضيف د. الرشيد: إن قراءة النص الأدبي تمرّ بمراحل أهمّها: القراءة المعنوية والتي يهدف منها الناقد إلى الغوص في أعماق النص لمحاولة فهمه واستنباط وجه الدلالة منه. وهذه المرحلة لا تحتل سلبيات الحياد بمعناه الجديد. فهي مرحلة تتطلب حشد الجهد بكل ما يوصل إلى هذا النص ويساعد على فهمه. ولذلك نجد عدداً من المناهج النقدية الجديدة تركز على قراءة النص على هذا النحو في المقام الأول.

وثانياً: القراءة الجمالية. ونقصد بها تتبع ما في النص من جمال (بيان — بلاغة — صور —

د. فالح العجمي: «الذاتية»



توجيه الفكر وتغيير معالم النص



أ.د. ناصر الرشيد: «الحياد»

ومفهوم «التجرد»

العلاقة بين علم الأدب والعلوم الطبيعية فيقول:

لا بد من الإشارة إلى فكرتين يعاني منها منهج «الحيادية»، الفكرة الأولى تلخص في أن كثيراً من المنظرين لا يريدون الاقتناع بأن علم الأدب له علاقة بالعلم الطبيعي لهذا يقترحون أساليب «التمثل». فيتوصلون إلى نتائج لا يستطيع أحد

فإن الإسقاط أو الحكم النقدي المسبق على النص المقروء يتنافى مع مفهوم «التجرد».

يضيف د. فالح العجمي أستاذ الأدب بجامعة الملك سعود: أن الناقد يتعامل مع النص الأدبي في إطارين. الأول على سبيل المتعة أي «التمتع بالإبداع الفني». وهنا تتدخل الذات. وهذا

الخروج منها بشيء . والفكرة الثانية هي أنه لا يمكن دراسة الأدب أبداً ولا نستطيع سوى قراءته والتمتع به فقط .

ويستطيع الإنسان أن يستخدم الطرق المطوّرة لعلوم الطبيعة ويطبّقها على علم الأدب . وذلك إما أن يجزّب مثاليات «الحياة» العلمية العامة ، ويجري خلف هذه «المثل» التي تؤدي إلى نقل الحقائق المجردة . وإما أن يجتهد الإنسان لتقليد طرق علوم الطبيعة بالبحث عن الخلفيات والعلاقات المسببة .

وإذا طبق هذه الطريقة حرفياً فإنه يستخدم سببية فيزيائية لشرح الظواهر الأدبية . حيث يعطي الشروط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الأولوية في إحداث الأثر .

ويطالب د . العجمي بإبعاد الذاتية من منهج الحياة . ويقول : إن الذاتية المطلوب استبعادها هي «ذاتية الدارس» . لأن سيطرة الذاتية أو اشتراكها في التقويم يوجّه الفكر ويطمس حقيقة النص ، ويغير معالم الواقع . وهنا يكمن الخطر الكبير في الآراء المسبقة التي تفرضها علينا ذواتنا أو توجّهنا إليها أثناء ملاحظة النص . فإن فرض ذواتنا على شخصية ثقافية يعتبر هتكاً لأبسط أسس الأخلاق . فإذا اعتبرنا الأساطير - مع فيكو - تاريخ مدنية للمجتمعات الأولى فإن إدخال الذات عند التعامل مع النص يفسد الكثير من ذلك التاريخ . فلا بد أن نفرّق بين عالم «الأنسا» و«الواقع» الذي ينعكس من خلال النص .

«الموضوعية» غير «الحياة»

ويطرح الأستاذ عبد الحميد حواس المحاضر بجامعة الملك سعود الفرق بين الموضوعية و«الحياة» فيقول : إن «الموضوعية» تختلف مع فكرة «الحياة» فالموضوعية تعني إبعاد الأهواء والتحيزات المسبقة التي تعمي القراءة وتضلّلها . ربما تشوّش التعامل مع النص . كما تعني أيضاً الاعتصام بنسق معين من المقاييس والإجراءات المنهجية المضبوطة التي تكفل الثقة في قراءة الناقد للنص الأدبي وفيما يتوصل إليه من نتائج . ولذلك يجب أن تستند قراءة الناقد إلى نتائج الدراسات والبحوث الأدبية واللغوية وما

إليها من دراسات إنسانية . ويجب أن تتأسس أحكامه النقدية على الإنجازات والإضافات المنهجية لهذه الدراسات . فتجاهل الناقد لهذه المكتسبات الإنسانية تحصر الناقد في طور القراءة الانطباعية الهشة . وتجعله يقع فريسة للصياغات الإنشائية والأحكام المتعجلة .

النقد ذوق

ويرى د . فوزي مسعود أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود أن النقد تذوق . والتذوق لا يخرج عن مقاييس الصواب ومعايير الجمال . لأن العلاقة بين الناقد والنص الأدبي علاقة حكم .

والحكم لا بد أن يكون عادلاً بعيداً عن الهوى ، ومقاييس الصواب ومعايير الجمال كثيرة . وخلاصة القول أن يعبر النص الأدبي عن قضية معينة يمكن إدراكها ببسر وسهولة دون الاستخفاف باللغة وقوانينها . والأصل في الحكم على النص الأدبي أن



□ أ. عبد الحميد حواس :

هناك فرق

بين «الموضوعية» و«الحياة»

بين «الموضوعية» و«الحياة»

يكون مهتماً بأمرين هما : وضوح المعنى وجمال التعبير . فإن كان النص الأدبي واضح المعنى جميل العبارة كان نصّاً جيداً . وإن كانت اللغة خفية المعنى عصيّة الإدراك كان ضرباً من ضروب التعمية ، تسمّ صاحبها بالضعف وعدم القدرة على الإفهام أو البيان .

حرية الناقد

ومن جانب آخر يختلف د . عبد الله المعقل أستاذ الأدب بقسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود في رؤيته النقدية لفهوم الحيات لدى الناقد . فيرى أن الرؤية النقدية المستنيرة والواعية ليس لها

حدود . ويجب ألا تقيدها أطر . ورغم أنه يعترف بوجود معايير ومقاييس تمثل الحد الأدنى من شروط العملية النقدية ، ولكنه يرى أن النظريات وما اصطلح النقاد على تسميته بالمدارس والتيارات والاتجاهات ما هي إلا اجتهادات مرحلية ، تصلح لنصوص معينة ، ولا ينبغي أن تؤخذ على أنها أصول وقواعد ثابتة لا تتغير ولا تتجدد ، ويرى أن على الناقد أن يتحرر من هذه الأطر عند معالجته للنص الأدبي . وأيضاً يتحرّر من التحزّب والتعصب الشخصي . ولا يجعل أي خلاف أو عداوة أو اختلاف في مبدأ أو مذهب مع مبدع النص يؤثر في تقويمه النقدي . ولا يؤثر السلوك الفردي أو الشخصي للمبدع في حكمه . ويضيف د . المعقل أن على الناقد أن يطرح جانباً كل تأثير للعلاقة بصاحب النص من صداقة أو مجاملة أو مصلحة أو غرض . فالساحة الأدبية للأسف - وهذا رأي د . المعقل - تعج بالتّعيين المتملقين الذين يتسابقون

□ د. فوزي مسعود:

تذوق النقد لا يخرج عن مقاييس الصواب ومعايير الجمال

للتهافت على موائد أصحاب النفوذ والأسماء الالامعة في مجتمعاتهم وإن تواضعت بضاعتهم .!!

وتضيف د . نورة الشملان أستاذة اللغة العربية بجامعة الملك سعود : أن الدعوة إلى حيادية الناقد دعوة قديمة . وأول من نادى بها هو الجاحظ ، فدعا النقاد إلى نبذ التعصّب والتحيز للقديم . وكان معيار التقدير عند هذا الناقد هو سبق الزمني .

فلضمان حياد عملية النقد يجب التحزّر من التعصب أو العاطفة الإيجابية أو السلبية تجاه النص أو المبدع . ورغم ذلك فإن الناقد لا يستطيع أن

□ د. ألفت الرويلي: "الرؤية الخاصة" للناقد تفرض "لاحيادية" النقد

يصدر حكمه على النص الأدبي دون أن يستلهم ذوقه وبصيرته وإحساسه وشعوره. وهو الأمر الذي يقف عائقاً دون تحقيق «الحيادية» التامة. وتقول د. نورة: إن الناقد الذي يخضع للقواعد الموضوعية خضوعاً تاماً يفقد نقده المشاعر الوجدانية، ويتحول النقد عنده إلى قوالب ميتة. وتخلص د. نورة إلى أن النقاد يصدر عن أحكامهم النقدية وفق نظرتهم للمثل الأعلى في الفن الأدبي.

لا «حياد» في النقد..!

وتتفق مع هذا الرأي د. ألفت الرويلي الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود. فتري أنه من

□ د. نورة الشعلان: التحرر من التعصب والعاطفة يضمنان حيادية النقد

تقاليد النوع الأدبي الذي ينتمي إليه النص وراثته. فالنص غير معزول عن هذه السياقات الأدبية والثقافية والتاريخية والاجتماعية التي يفترض أن يكون الناقد محيطاً بها.

وتضيف د. ألفت:

إن هذا لا يعني أن الناقد يفرض أفكاراً مسبقة على النص الأدبي - كما أنه لا يقدم عليه مسلطاً معاييره ليخضع لها في غفلة عن التحليل الداخلي لهذا النص، وخصوصيته وفرديته الجمالية. «فالتحليل الداخلي» للنص الأدبي هو نقطة البداية بالنسبة للناقد «الموضوعي» وليس «الحيادي».

وتأمل. وهو في أفضل حالاته لا يستطيع التجرد من ذوقه الخاص أو من ذوقه النقدي. أما بالنسبة للمحور الثالث فهو آفة الثقافة؛ لأن المفترض ألا يجمال الناقد أحداً، وأن يقول رأيه بصراحة في العمل الأدبي دون حجر على فكره إزاء التحولات والمعتقدات التي قد تطرأ على ذوقه أو مذهبه النقدي، وألا يتعصب الناقد أو يتبع أمام تلك المتغيرات.

سليبات «الحيادية»

ويؤكد هذه الصورة السابقة حرية الناقد التي تضمن له حيادية التعامل مع النص الأدبي د. مأمون فريز جرار أستاذ الأدب بجامعة الملك سعود. فيقول: إن للنص الأدبي عدة أوجه. فالنص وثيقة لغوية، تكشف عن لغة أديب ما ومنطقة ما في عصر معين. وهو وثيقة نفسية تكشف عن تصوّر الأديب لما حوله من الأشياء والأشخاص. وهو وثيقة فنية تكشف عن قدرة الأديب ومستواه الفني وتحدد موقعه في مسيرة الأدب في عصره وفي تيار الأدب العام

ولكننا نتساءل مع د. مأمون: هل كون الأديب يحمل هذه الأوجه يدعو إلى أن يقف منه الناقد موقفاً حيادياً؟!

ويرى د. مأمون: أن الموقف الحيادي يعني الموقف الوصفي لما يبصره الناقد من غير إصدار حكم. وبهذا يتحول الناقد إلى «دارس وصفي» للأدب.

ويضيف: إن الناقد الحق أشبه ما يكون «بالكايب» الذي يخفف من الاندفاع في طريق غير صحيح. أو هو المصنّف «الفلتر» الذي ينقي الأدب من الشوائب التي تدخله.

فوقوف الناقد على الحياد يعني التعطيل لوظيفته كما يتصورها. د. مأمون. فهو في موقع أمانة ومسؤولية. ولا بد أن يقوم بها. وعمل الناقد مختلف عن عمل الدارس اللغوي أو الباحث الاجتماعي لأنه أشمل من ذلك وأعم.

ويبقى البحث عن ذلك التجرد الغائب - غالباً - عن ساحة النقد عندنا حتى يعتدل ميزان تناول الأعمال الإبداعية.

□ د. مأمون

جرار: الناقد «فلتر» ينقي الأدب من شوائبه



□ د. عبدالله

المعيقل: الساحة الأدبية

تعجّ بالنقاد النفعيين والمتمالقين

وتطرح فاطمة الوهبي المحاضرة بقسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود رؤيتها من خلال ثلاثة محاور رئيسية. المحور الأول: يتعلق بوظيفة النقد ومهمة الناقد. والمحور الثاني: يتعلق بأمر مختلف حوله وهو تجرّد الناقد أو تجنبه للذوق الخاص. والمحور الثالث: يتعلق بالمبالغيات في اعتناق مذهب معين. الأمر الذي يحول بين كثير من النقاد والإحساس بالمتغيرات الدائمة والحادة أحياناً داخل النوع الأدبي من جهة، وداخل الذوق النقدي والمدارس النقدية من جهة أخرى.

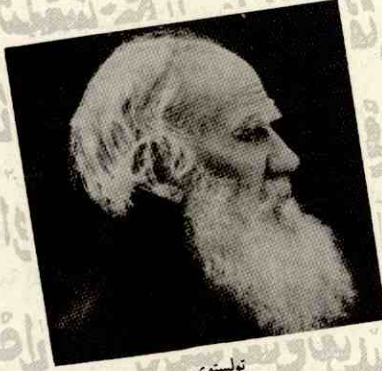
وتضيف قائلة: إن عمل الناقد هو اكتشاف

الصعوبة أن يكون الناقد حيادياً. فكل ناقد له رؤية خاصة ينفذ من خلالها إلى معالجة النص الأدبي سواء كان على دراية بهذه الرؤية أم غير واع لها.

فمعايير تعامله مع النص الأدبي تستند إلى معايير مستمدة من هذه الرؤية ولا يمكن أن يبدأ من نقطة الصفر. وتقول د. ألفت: إن طبيعة العمل الأدبي تفرض عدم حيادية التعامل. فالنص الأدبي يوجد في سياق يبدأ بمؤلفه الذي يعيش بدوره في مرحلة زمنية معينة، وداخل مجتمع معين له نظم وقيمه. وهذا المؤلف له انتباهاته الفكرية والسياسية والأخلاقية. فهو صاحب رؤية أيضاً. وهناك



بوشكين



تولستوي



تشيكوف

حول كتاب

”مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي“

تأليف: د. د. مكارم الغمري ○ عرض وتعليق: محمد إبراهيم الصميم أبوسنة

مايزلة

هناك عمل طويل وشاق أمام دراسات الأدب المقارن للكشف عن أبعاد التأثير والتأثر بين أدبنا العربي وتراثنا الإسلامي من جهة والآداب الأجنبية من جهة أخرى وربما كنا في هذه المرحلة التاريخية أحوج ما نكون إلى مضاعفة الجهد في هذا المجال ونحن بصدد استطلاع الآفاق الحضارية للعالم العربي وثقافتنا الإسلامية في مرآة المستقبل. إن الرؤية التي تسود فكرتنا عن أنفسنا وفكرة الآخرين عنا لن يتاح لها الوضوح والاستقرار إلا إذا بلورنا إطاراً راسخاً هويتنا يتسم بالمرونة والانفتاح على عالم الآخرين في ثقة وأمل. ولا شك أننا في حاجة ملحة لاستعادة هذا الإحساس الذي نوشك أن ن فقدته أمام التقدم المذهل للغرب وبعض أمم الشرق، هذا الإحساس بالقدرة على الإبداع والقيادة والإضافة المميزة إلى الحضارة الإنسانية، لا من أجل الزهو السطحي وتبرير الكسل العقلي بل من أجل الوصول إلى معرفة صحيحة للذات والتراث العربي والإسلامي.

نطاقة فتقول بأن المدرسة الفرنسية قد ركزت على شرط الحدود اللغوية في دراستها للأدب المقارن الذي يعرفه ماريوس جويار بأنه «تاريخ العلاقة الأدبية الدولية» فالباحث المقارن يقف على الحدود اللغوية والقومية، ويراقب مبادلات الموضوعات

عنوان «مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي» للدكتورة مكارم الغمري يضرب بسهم وافر نحو تحقيق هذا الهدف الذي نصبو إليه جميعاً. تبدأ المؤلفة دراستها بتوضيح المفاهيم الاصطلاحية للأدب المقارن وهو الحقل الذي تقع الدراسة في

هذا التراث يشكل جوهر هويتنا الثقافية والفكرية، بل إن هذا التراث يمثل الأفق البعيد والنطاق الحيوي لحاضرنا وثقافتنا المعاصرة.

إن الكتاب الذي صدر منذ فترة قصيرة تحت

والفكر والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة أداب. أما المقارنون الأمريكيون فقد تغاضوا عن شرط الحدود اللغوية فيرى «رينيه ويلك» أن الأدب المقارن يمثل دراسة أدبية مستقلة عن الحدود اللغوية والعنصرية السياسية، كما يعتبر دراسات الأدب المقارن جزءاً من دراسة الأدب العام. ومن أهم أركان الأدب المقارن دراسة التوازيات أي التشابهات بين الآداب المختلفة، وكذلك دراسة التأثيرات التي تُعنى بتحليل التفاعل بين أدبين أو مجموعة من الآداب، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على الوسائط التي لعبت الدور الرئيسي في خلق هذا التأثير، وانتقال العناصر الأدبية من أدب إلى آخر. تتناول المؤلفة في الفصل الثاني من الكتاب علاقة روسيا بالشرق العربي ووسائط الاستقبال، وتبدأ هذه العلاقة من خلال العثور على مخطوطة لقصة روسية بعنوان «قصة السنوات العابرة» والتي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر الميلادي (حوالي ١١١٣م). وتتحدث القصة عن الأمير فلاديمير الذي اعتلى الحكم في روسيا عام «٩٨٠م» وتأثر بالإسلام. وتحدد الدكتورة مكارم الغمري مراحل التفاعل الحضاري بين العناصر العربية والأدب الروسي في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى هي مرحلة الاستقبال أو التلقي من خلال العلاقات التجارية ورحلات الحجاج والبعثات العلمية والدبلوماسية ومغامرات الرحالة. كذلك عبر جهود المستشرقين والصحافة والترجمات.

المرحلة الثانية مرحلة الاستيعاب وتحجوب العناصر العربية مع ظروف ومتطلبات الأدباء الروس في القرن التاسع عشر.

وتأتي المرحلة الثالثة لتمثل التأثير الذي تبدي واضحاً للأدب العربي والثقافة الإسلامية في الأدب الرومانتيكي الروسي في القرن التاسع عشر.

وقد تناولت المؤلفة شرح هذه المراحل بأسلوب علمي يتسم بالدقة والتوثيق وتعقب التفاصيل التي تجعل القارئ يتبين بوضوح أبعاد الصورة الكاملة للعلاقة التي نشأت بين الأدب العربي والأدب الروسي. وإذا كان الفصلان الأول والثاني

قد تناولوا موضوعات مدرسية اصطلاحية فإن الكاتبة قد بدأت في الفصل الثالث دراسة الموضوع الأدبي بادئة بالرومانتيكية الروسية وصلتها بالشرق.

العرب أكسبوا الشعر البلاغة والشهامة ومفاهيم البطولة

وقد تركز المجال الزمني للبحث حول القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين، أي إن الدراسة لم تتناول الفترة التي تشمل وقوع الأدب الروسي تحت تأثير الثورة الروسية الشيوعية «١٩١٧» والتي عرفت بمرحلة الواقعية الاشتراكية.

بواكير النهضة الأدبية

ربما لأنها تعتقد، وهي على صواب في اعتقادها، أن القرن التاسع عشر هو أزهى عصور الأدب الروسي على الإطلاق، حيث شهد بواكير النهضة الشعرية متمثلة في إبداع الشاعر الروسي ألكسندر بوشكين، و تطور الرواية إلى مرحلة العالية على يد ليو تولستوي، ونضج القصة القصيرة عند أنطون تشيخوف. إن الرومانتيكية الروسية قد بلغت أوجها في الشعر في إبداع شاعرين كبيرين هما بوشكين وليرمنتوف. إن بوشكين يعتقد أن ثمة عاملين كان لهما تأثير حاسم في روح الشعر الأوروبي هما غزو العرب لأوروبا والحروب الصليبية. فقد أوحى العرب إلى الشعر بالنشوة الروحية ورقة الحب العفيف، والولع بالرائع والبلاغة الفخمة للشرق، وأكسبه الفرسان الشهامة وبساطة الروح ومفاهيم البطولة وحرية الشعوب. هكذا كانت البداية الرقيقة للشعر الرومانتيكي.

إن المؤلفة تلمس بذلك وهي تتعرض لمفهوم الرومانتيكية الفرق بين الرومانتيكية كحركة لها انعكاساتها في الفنون والآداب وتأثيرها في عصر ما، والعناصر الرومانتيكية التي لا يخلو منها أدب قديم

أو حديث. أما الرومانتيكية كحركة فقد ارتبطت بسمتي الحلم والخيال في أعلى صورهما. وقد ساعد الخيال على تحقيق الحلم الذي يجسد المثل الأعلى الشعاري ومن ثم فالمقابلة بين الواقع الفعلي الذي يتمرد عليه الرومانتيكي والواقع الحلم هو المنطلق الأساسي في الاتجاه الفكري والجمالي للرومانتيكيين.

وتعد سمة التركيز على الذات من أهم منجزات الرومانتيكية كمذهب فني، وصار مجال الأدب الرومانتيكي هو كما يشير بلينسكي «الحياة الداخلية والروحية للإنسان، تلك التربة الخفية السحرية للروح والقلب التي تتقدم فيها كل المساعي غير المحدودة تجاه الأفضل والأسمى» ولقد نشأت الرومانتيكية الروسية في إطار من التفاعل مع الحركات الرومانتيكية وبتأثير منها، ولكن الرومانتيكية الروسية في تطلعها إلى المثل الأعلى قد التفتت إلى الشرق القديم وبرز الشرق الخيالي الذي يمثل البراءة والسعادة والفطرة كنموذج لعالم الحرية المنشودة والمفقودة في عالم روسيا الذي كان يضحج بالأقنان. لقد بدأ العنصر الثقافي العربي والإسلامي تأثيره قويا بارزا في إبداع أكبر شعراء روسيا ألكسندر بوشكين الذي تقول عنه المؤلفة الدكتورة مكارم الغمري «إنه أكثر أدباء روسيا حبا للشرق العربي وتأثرا به حضاريا وتراثيا وروحيا» ولقد كان بوشكين يمت إلى الشرق بصلة الدم فجده لأمه كان حبشيا مسلما كما تقول الروايات، واسمه إبراهيم هانيال. أُخْتُف من وطنه وهو في الثامنة من عمره و اشتراه السفير الروسي في القسطنطينية وأهداه إلى

القيصر بطرس الأكبر. كان إبراهيم يرافق القيصر، وفي عام ١٧١٧ ترك القيصر إبراهيم في باريس ليتلقى العلوم العسكرية في فرنسا، وبعد إتمام تعليمه عاد إلى روسيا لينخرط في سلك الضباط حتى وصل إلى رتبة جنرال وتزوج وأنجب سبعة أبناء منهم يوسف الذي أنجب أم بوشكين. لقد تعلق خيال بوشكين بهذه القصة - والرومانتيكيون ذوو خيال جامح - حتى أصبحت روحه قريبة من جذوره. إن بوشكين كان يتسم رائحة أصوله في الوجوه التي كان يلتقي بها. ولقد توطدت أواصر الصداقة بين بوشكين وبحار مصري يدعى «علي» قابله الشاعر في ميناء أوديسا على البحر الأسود،

وتقول المؤلفة إن بوشكين كان يعلل ارتباطه الروحي بالبحار المصري «علي» بأنه ربما كان جده وجد «علي» من أقرب الأقرباء، ويقول بوشكين في إحدى قصائده:

تحت سماء إفريقيا ولدت

وعشت الحياة في مصر

لكنني هنا مفتون بك

ونسيت وطني

وكل كنوز الأرض

ومداركي الرائعة

أهبها لعينيك الزرقاوين

وخصلات شعرك الصفراء المتموجة

لقد فتن بوشكين بعالم «ألف ليلة وليلة» خاصة في قصته «روسلان ولودميلا» وكان بوشكين قد تعرّف هذه الرائعة الأدبية العربية «ألف ليلة وليلة» من خلال الترجمات التي ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر. وتتساءل المؤلفة الدكتورة مكارم الغمري قائلة «لماذا اتجه بوشكين إلى ألف ليلة وليلة مستلهما؟ ثم تجيب «إن الإجابة عن هذا السؤال تكمن في خصائص «ألف ليلة وليلة» فهذه الحكايات التي تبرز بين الواقع والخيال الثري تطرح حواراً خصباً مضمونه الإنسان في علاقته بالواقع، وفي هذه الحكايات يكمل سعي الإنسان نحو الخير بالنجاح، وتنتصر قوى الخير على قوى الشر. ويحل التوازن محل عدم التوازن، وفي هذا الإطار وجد

بوشكين ضالته وهي التعبير عن الواقع من خلال قالب فني يشبه إلى حد كبير قالب الليالي، ويسمح بالتعبير عن المثل الأعلى الشعاعي» لقد تتبعت المؤلفة عناصر الاستلهام عند بوشكين من خلال تحليل أسلوبي للنص القصصي «روسلان ولودميلا» وتشابه الأحداث والوقائع وشاعرية الوصف وملامح الشخصيات. وكذلك انعكس تأثير التراث العربي في قصة «نافورة باختش سراي» وأثر الغزل الفارسي في أسلوبه وموضوعاته، حيث كان لقصة مجنون ليلي أثر بعيد في الشعر الفارسي الذي أولع به بوشكين. وفي قصيدة «بدون عنوان» يقدم

سيرة الرسول الكريم فضل كبير في ظهور الإنسانيات في الأدب الروسي

بوشكين هذه الصورة الساخرة ويذكر ليلي في مطلع القصيدة يقول بوشكين:

تركتني ليلي

مساء أمس دون اكترات

قلت توقفي إلى أين؟

فعارضتني:

«رأسك أشيب»

قلت للمتهمكة المتعالية

لكل أوانه

فالذي كان مسكاً حالكا

صار الآن كافورا

لكن ليلي سخرت

من الحديث الفاشل

وقالت «أنت تعلم

أن المسك حلو لحديثي الزواج

أما الكافور فيلزم النعوش»

تأثير إسلامي:

إن بوشكين يتجاوز عالم «ألف ليلة وليلة» والشعر الغزلي إلى تأثر صريح بعناصر التراث الإسلامي والتاريخ المصري القديم، ويتبدى تأثره بتاريخ مصر القديم في قصته «قضينا الأمسية في الداتشا» من خلال رؤية فنية لشخصية كليوباترة التي تحدث عنها بوشكين شعرا في قصته تلك فقال:

لم هي حزينه؟

لم يعتصرها الحزن

ماذا بعدُ ينقصها

ملكة مصر القديمة؟

في عاصمتها البهية

يجرسها حشد من العبيد

وتحكم هي في سكينه

يذعن لها حكام الدنيا

يلتهب النهار الإفريقي

ويردد نضرة طيف الليل

دائماً أبهة وأفانين

تطربها الأحاسيس الغافية

الأرض كلها وأمواج البحار كلها

تحمل إليها في جباية الكسوة الجميلة

لكن المؤثرات الإسلامية تبدو أشد وضوحاً وصراحة في أدب بوشكين وشعره على وجه الخصوص. فقد تأثر الشاعر الروسي بسيرة الرسول الكريم. تلك السيرة التي صارت بالنسبة لصفوة المثقفين الروس في مطلع القرن التاسع عشر نموذجاً للقدوة الحسنة الصابرة على الرسالة. والكفاح في سبيلها، ولا أدل على ذلك كما تقول الدكتورة مكارم الغمري من كلمات الأديب الروسي تشايف الذي أكد فيها عظمة الرسول محمد ﷺ الذي حمل لواء الدعوة الجديدة التي كان لظهورها الفضل في الغليان الديني في الشرق. لقد كتب بوشكين عام ١٨٢٤م تسع قصائد تأثر فيها بسيرة الرسول عليه السلام، ثم في عام ١٨٢٦م كتب قصيدة الرسول وهي التي يقول فيها:

ونادى وحي الله

«انهض أيها الرسول وأبصر

لب إرادتي

وجُب البحار والأراضي

وأيقظ بدعوتك قلوب الناس»

لقد اختلف الباحثون في تحديد الأسباب التي حدثت ببوشكين إلى الاهتمام بالإسلام فعزا بعضهم ذلك إلى قصة نسبه وحنينه إلى جذوره من ناحية أمه إلى هذا الحبشي المسلم إبراهيم هانيبال، ولكن فريقاً آخر ومنهم «سلومينسكي» رأوا أن ثمة نوعاً

من التوازي بين العناصر المستلهمة عن التراث الإسلامي والملاحم التاريخية الروسية في أوائل القرن التاسع عشر.

في الفصل الخامس من الكتاب تلتبس المؤلفه مظاهر للتأثير في شعر شاعر روسي كبير آخر من عصر بوشكين هو لرمنتوف (١٨١٤ - ١٨٤١م) تقول المؤلفه :

- ربما يكون الموضوع الإسلامي قد شغل حجماً أقل من إنتاج لرمنتوف بالنسبة لكتاباته عن الشرق المتاخم لروسيا «منطقة القوقاز» بيد أن القيمة الفكرية والفنية لإنتاج لرمنتوف المستوحى من الشرق العربي والإسلامي تبدو على نفس الدرجة من الأهمية بالقياس إلى أعماله المرتبطة بالقوقاز. بالإضافة إلى أن بعض قصائده عن القوقاز تلتقي بالقصائد المستوحاة من الشرق العربي وذلك من خلال الموضوع الإسلامي ومن خلال مسلمي القوقاز الذين عاشهم لرمنتوف عن كثب، وتعرف منهم الكثير من تعاليم الإسلام ونهجه. ويشير لرمنتوف في قصيدته «فالريك» إلى القرابة الروحية التي كانت تربطه بالإسلام في وقت كان يشعر فيه بالغرابة والوحدة.

يقول لرمنتوف :

ربما ساء الشرق

قد قربتني بلا إرادة مني

من تعاليم دينهم

الحياة تجول دائماً وهكذا

الكد والهموم ليلاً ونهاراً

كل شيء يعوق التأمل

ويؤدي إلى بدائية

النفس المريضة : القلب ينام

ولا توجد فسحة للخيال

وثمة قصائد أخرى تتضح فيها مؤثرات عربية وإسلامية في شعر لرمنتوف مثل قصيدة «الشركس» وقصيدة «ثلاث نخلات» حيث يلوح تأثير لرمنتوف بالقرآن. ولم تقتصر هذه المؤثرات على الشعراء فقط بل تعدتهم إلى الروائيين والفكرين. إن تولستوي بعالمية فكره وأدبه قد تأثر هو الآخر بالثقافة العربية. بل إن هذا الكاتب الروسي العظيم قد

وضع كتاباً بعنوان «أحاديث مأثورة لمحمد ﷺ» تضمن تسعين حديثاً من الأحاديث النبوية الشريفة. تقول الدكتورة مكارم الغمري «لقد استحوذت معاني القرآن الكريم على اهتمام تولستوي كما استأثرت أحاديث الرسول بحبه وعنايته. ومن بين محاولات تولستوي للتعريف بالإسلام نشر إلى مقالة له قدم بها دراسة كتبها بيرس شقيقة زوجته وتناولت فيها بالتعريف سيرة الرسول الكريم «لقد التقت القيم الأخلاقية التي آمن بها تولستوي وهي القناعة والزهد والتسامح والعدالة والتواضع مع المبادئ الأساسية للإسلام».



الشعائر الإسلامية لها تأثير واضح في أعمال الشعراء



أما الكاتب الروسي الذي جاء بعد هذا الرعيل وتركت هذه المؤثرات العربية الإسلامية ملاحمها في أدبه فهو الشاعر والأديب الروسي «إيفون بونين» (١٨٧٠ - ١٩٤٥م) وترى المؤلفه أنه من أبرز الأدباء الروس تأثراً بالشرق العربي، وقد زار كلا من مصر وفلسطين والأردن وسورية ولبنان والجزائر. إن بونين يستلهم القيم الإسلامية في العديد من القصائد، وفي استطلاعاته الأدبية كذلك. وتحدد المؤلفه المحاور الإسلامية التي تدور حولها أعماله المتأثرة بالإسلام في سيرة الرسول الكريم - وشعائر الحج والصلاة في الإسلام والمدن العربية التي ذكرها القرآن الكريم وارتبطت في الأذهان بمقدسات المسلمين وعلى رأسها مكة والقدس، وكذا المساجد الشهيرة. ولقد كان تأثر بونين مباشراً من خلال دراسته للإسلام وقراءته للقرآن الكريم، يقول بونين في إحدى قصائده :

هنا مملكة الأحلام عند آلاف الأميال غير
المأهولة

مالحة شطآنها العارية
لكن المياه زمردية سماوية
أما حرير الرمال فناصع. أنصع بياضاً من
الثلج

وفي ساعة الوهج وحين السراب البلوري
سيمزج العالم كله في حلم واحد عظيم
في بهاء لا نهائي. وراء حد الأرض الخزينة
إلى حدائق الجنة. يحمل هو الروح
وهناك ينساب. هناك ينهمر خلف الضباب
نهر الأنهار كلها «الكوثر السماوي اللون
والأرض كلها والعشائر كلها والبلدان

سيغمرها السكون.

اصبر. صل. وآمن

ومن وحي حاضر مصر وماضيها القديم
يستلهم بونين موضوعات لقصائده يقول في قصيدة
«القاهرة»

الجنود الإنجليز في القلعة

يحملون فيها وراء النيل إلى الغروب. من القلعة

حتى الأهرامات. وسط الأودية من الغبار

ترقد القاهرة. جافة ورطبة في أبريل

وفي عتمة رمادية الزرقة زعفرانية خلف
الصحراء

خفت الغروب. وكان هواء المساء

خانقا. معتم الزرقة

تقرب الخماسين

وبأضواء مرحة لا تحصى

تضاء القاهرة. وأبو الهول عند الأهرامات

يحملق في هوة الليل

وظلام القرون

إن هذا الكتاب «مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي» للدكتورة مكارم الغمري يسد فراغاً واضحاً في المكتبة الأدبية المقارنة ويفتح الباب واسعاً أمام جهود أخرى تحاول متابعة هذا الجهد العلمي الفائق بما اتسم به من دقة وإحاطة بالموضوع وإخلاص في البحث والدراسة.

الأميري



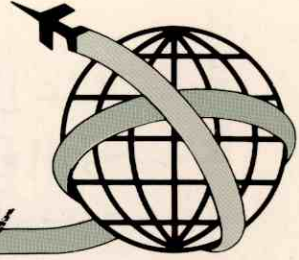
الأميري

شعر

سليم عبدالقادر

عبرتَ الحَيَاةَ بقلبٍ كبيرٍ
أبيّاً إِبَاءَ اللبوث الغضاب
كبيراً، كأكبر من استطاع
عبرتَ الحَيَاةَ فأطلقت فيها
وفلاً ذُلاً درجت، كبرت، رحلت
فيا سيدي، يا صديقي الكبير
أأرثيك، أم ألزم الصمت، والصمتُ
ولو كان فيما أرى من نظير
عبرتَ الحَيَاةَ، فخلّفت عُمرًا
عبرتَ الحَيَاةَ وما زلتَ فيها
وهل راحلٌ من يظلُّ يعيش
عبرت، وغبت، وذكرَكَ راك تبقى
وهبت حَيَاتِكَ لله وجلاً
وذُبتَ هيأماً وشوقاً وعشقاً
وللناس عشتَ ضياءً ورِيّاً
تُجَبِّئُ آمَلَكَ الطاحنات
وتُسكنُ في القلب آه الجريح
ولو شئتَ عشتَ خَلِيَّ الفؤاد
أذُوبُ المروءاتِ، منها فطُرتَ
فرحتَ تجوُّبَ السَّمَوَاتِ صَبّاً
عففتَ، ولو شئتَ نلتَ شهياً
من المغرب العربيّ إلى الهندِ
حملتَ الهمومَ، كأنك أنتَ
ودُرتَ مع الحقِّ حيث يـدور
وتلمعُ كالسيف، تومضُ كالبرق
فتسخرُ حتى من الزمهريرِ
أيا جَنَّةَ الشعرِ والنثرِ والفكرِ
ويا أَيُّها المتألق ما شئتَ
ويا سيِّدَ العاشقين، تُسَبِّحُ
ويا أُمَّةَ عاشٍ في أُمَّةٍ
رويدك، طاولتَ هام النجوم
وكنتَ كبيراً، وقد سحرَ النَّاسَ
أبا الدُّوق والشُّوقِ والظُّرفِ نُحْيِ
رحيلك أدمى قلوبَ المحبِّين
وإن العزاء الكبير الجميل

وروحُ مُشعٍّ، ولـسبِّ بصيرٍ
نقيّاً نقاء السحاب الطهورِ
فتى عاش يدرك مغزى العبورِ
صفاء الحَيَاةَ، وضوء العبرِ
كصقـر تفرَّد بين الطيورِ
ويا راحلاً، باقياً في ضميري
كالْبَـوْحِ صعبٌ، فأنتَ الأميري
لقلتُ: العزاء بـذلك النظرِ
تكوّن سِفْراً، بديع السطورِ
ولو غبت عنها، شديد الحضورِ
ويكبر في مؤننات الصدورِ؟!
فهل كنتَ إحدى عطايا العصورِ؟!
وعشتَ مع الله جمَّ الحبِّ دورِ
بحبِّ النبيِّ البشير النذيرِ
كنجم السماء، كما الغديـرِ
بـعـيـداً، وراء قناع السرورِ
ودمع الحزين، وبـؤس الفقيرِ
تقلَّبُ في فُرُش من حريرِ
فكانت سجايا فتاها الأثيرِ
على رفرفات الخيال المثيرِ
نار الحَيَاةَ، متاع الغرورِ
من كُـلِّ صقع عـرـيـق أسيرِ
الوكيل الوحيد بسدِّ الثغورِ
ولـالأرض قلتُ: كما شئتَ دوري
تُشرقُ عند احتدام الأمورِ
وبـالهزء تصفع وجهه السعيرِ
يا عالماً من يقين ونورِ
فوق ائتلاف الربيع النضيرِ
عند الشهيق، وعند الزفيرِ
حياة الدليل المحبِّ الغيورِ
بإيمان حـرّ حكيمٍ خبيرِ
وهج النُّضار، وزيف القصورِ
وتُثري بهنّ خفايا الشعورِ
حزناً، أوان الوداع الأخيرِ
بحُسن الحَيَاةَ، وحُسن المصيرِ



بقلم الشيخ: محمد الجاسر

من أمريكا إلى طوكيو..

في الحلقة السابقة من مذكراته تابع القارئ ما ذكره حمد الجاسر عن المدة التي أمضاها في المستشفى في هيوستن وفترة النقاهة هنالك والحلقة هذه يواصل فيها القارئ متابعة هذه المذكرات.

الوجبات تلك بشيء فقد قيل لنا: إن في هذه المدينة (هونولولو) مطعمًا عربيًا، ووصف لنا موقعه، فذهبنا إليه وكان قريبًا من الفندق الذي نسكنه، فلما دخلناه استقبلنا صاحبه متأسفًا بأنه لا يوجد فيه مكان إذ الأمر يتطلب حجز الأمكنة أولاً، ولعله فعل هذا لكي يغالي بمطعمه فلما رأى مني عدم الحرص على البقاء أوعز إلى فتى يقف قريبًا منه لكي يقول لي: ما دمت خمسة فسنهيئ لكم أمكنة، إكرامًا لك، على أن تنتظروا ساعة. ولكنه لما رأي مصمما على عدم البقاء أدخلني إلى محل الطعام فرأيت أكثر الكراسي خاليا.

تمت أن أنزل في الماء، ولكن لم أر أحدًا يسبح في هذا المكان في هذا الوقت، ولم أهيئ نفسي لذلك، فعدت إلى الفندق ولما قربت منه أبصرت أناسًا كثيرين يدخلون مكانًا تكاد أضواؤه تخطف الأبصار بقوتها وسرعة حركتها، فدخلت معهم، فإذا مطعم، ومعارض مختلفة، فاتجهت نحو المطعم، وأخذت - كغيري - طبقًا كبيرًا أخذًا مكاني في الصف، إلا أنني عند الدخول رأيت للمطعم بابًا آخر، خاليا فدخلت معه، فرأيت أصناف الأطعمة معروضة أمام المارة، ورأيت الذي تقدمني يضع من كل صنف قليلًا في طبقه، أما أنا فكنت أكثر من أصناف الفواكه، التي لا عهد لي بأكلها مثل (العنب) ياسكان الباء و(الأناناس) ونوع الترنج المعروف باسم (الكريب فروت) وغيرها وما كنت أدري بأن للمرء أن يأخذ من جميع أنواع الطعام ما يريد، بثمان ممدد لقد اكتفيت بما اخترت وبعد أن خرجت من المطعم وقفت متحيرة في أمري وأنا على مقربة منه أين أدفع ثمن ما أكلت، فإذا بي أبصر لوحة عند مدخل المطعم فهمت مما هو مكتوب فوقها أن طعام الإفطار بمبلغ ثلاثة دولارات وربع، وأنا قد دخلت وأكلت فاكهة وخرجت ولم أدفع شيئًا فرجعت ودخلت من لآباب الذي تحاشيت الدخول منه لكثرة الناس، فرأيت كل داخل يدفع المبلغ وتدفع له بطاقة له به، ثم يختار ما يشتهي مما هو معروض من مختلف الأطعمة، أية كمية من أي نوع منها.



كيف يجنون ثمار هذه الشجرة؟

يحمل المطعم اسم (مراكش) بخط عربي جميل، والنندل فيه يتكلمون العربية بينهم وهم خليط من مصر وغيرها، وصاحب المطعم من إيران، والموسيقى والأغاني عربية مقلدة، وكذا الطعام من لحوم الدجاج والأرانب وغيرها. أما الثمن فقد بلغ حدًا لم أدفع مثله ثمن عشاء خمسة سوى ليلة طلب أحد الضيوف الأربعة الذين دعوتهم نوعًا خاصًا من الأكل، لا يوجد في المطعم الذي نحن فيه وكان من أفخم مطاعم تلك المدينة، وأحضر النوع المطلوب من مكان غير قريب.

ويكثر هذا النوع من المطاعم في البلاد الخارجية إلا أن المرء بعد أن يختار ما يريد من الطعام يدفع ثمن ما اختار، أما أن يختار من أي نوع أي قدر بثمان ممدد، فهذه أول مرة أرى فيها مطعمًا بهذه الصفة. وما أسعد الأكلة بمثل هذا!! ولا شك أن القيمة قدرت بمراعاة أحوالهم، ولكي يدرك الإنسان جانبًا من مستوى تكاليف المعيشة هنا فإن ما يدفعه للوجبات الثلاث على التوالي: $\frac{1}{2} + 3 + 4 + 5 = \frac{121}{2}$ من الدولارات، وأنواع الطعام من لحوم وخضر وفواكه جيدة، وكذا القهوة والشاي.

وفي (فروت نورث) أحد ضواحي مدينة (دلس) ذهبنا إلى مطعم (لبناني

وقد يدفع الإنسان ضعف هذا المبلغ في أحد المطاعم بوجبات لا تمتاز على

رأيت أشجاراً عالية قطر استدارة الواحدة تزيد عن عشرين متراً

“

والكراسي المنتشرة على جوانب الطريق، أو داخل هذه الحديقة، وكنت أنطلق إلى مقهى أو مطعم ولكن الساعة الآن لم تبلغ الساعة صباحاً. رأيت إنساناً واقفاً تحت مظلة مبنية وبجانبها مقاعد مستطيلة فجلست بقربه فما كان أسرع من وقوف حافلة (أوتوبيس) بقرب المظلة وإذا بالواقف يتجه إليها فسرت خلفه وأخذت مقعدي داخلها، ولكنني رأيته وقف بجوار السائق ووضع في صندوق زجاجي بجانبه نقوداً، وأنا لم أفعل، ولا أعرف مقدار ما أدفع فأتيت إلى السائق بعد أن وضعت قطعاً من النقود في يدي وأبرزتها له فأخذ منها ربع دولار قذف بها في الصندوق. وأنا الآن وقد جلست مستريحاً فلتتجه هذه الحافلة حيث تريد، ولن أعدم نفعاً من اتجاهها إلى أية جهة. ها هي نهاية الغابة نكبتها



الحافلة يمينها، ثم انحراف جانبها الموالي للجبال، ثم زاد انحرافها حتى اخترقت وسط الحديقة فالتقى طريقها بالطريق الذي سلكته حين أتيت وسرعان ما مرت بأمكنة عرفتها لقرها من الفندق لتكون جولة في المدينة على حساب ربع دولار، ها هي التربة العظيمة التي تشق وسط البلدة، ها هي الضاحية الجميلة التي مررت بها أمس عند الذهاب إلى القنصلية اليابانية) وها هو وسط المدينة، لا يتميز إلا بقدم كثير من مبانيه. لقد أوشكت أن أصل الشارع الطويل الذي يقع فيه الفندق فقد عدنا إلى التربة وعرفت الطريق فنزلت في أول موقف.

لما حدثت إحدى بناتي بهذه الجولة التي شاهدت فيها كثيراً من معالم المدينة، ولم تكلفني سوى ذلك المبلغ القليل. أضافت قائلة: ونلت - فوق ذلك - شكر رئيس الولايات المتحدة (كارتر) وشكر رئيس بلدية هذه المدينة.

يدعى (مطعم الحديري) باسم صاحبه، يزدان داخله بصور شجرة الأرز، وتشنف الأسماك فيه صباح وفير وغيرهما من مطري لبنان بأعذب الأكلان والطعام جميعه على الطريقة اللبنانية، ومع الاقتصار منه على اليسير، كان الثمن أكثر من الكثير.

وكما قيل: (مانزلنا مسكه وضريه، إلا للهامل والهميه).

والجو هذه الأيام أميل إلى الحرارة منه إلى الاعتدال.

وفي الظهيرة بعد أن هأت ما أحتاج إليه للسباحة من تبان (مايوه) وفوطه وفراش، وخرجت من باب الفندق النافذ إلى الشاطئ، فخلعت نعلي للسير على الرمل، فلم أستطع من شدة الرمضاء، والناس هناك متمددون فوق الرمال، وحرارة الشمس تلهب أجسامهم التي قد لطحوا فوقها أنواعاً من الطلاء من دهن وغيره، وقليل منهم من يستظل.

لم أستطع التوغل في البحر، لأنني لا أجيد السباحة - وإن كنت أحسنها - وما قرب منه من الساحل معرض لشدة الموج أثناء المد والجزر وأرضه يكثر فيها نوع من النبات شبيه بالطحلب، وليس الماء صافياً، فأبصرت على مقربة مني عددًا من الأطفال والشيوخ يتغامسون في الماء حتى تكاد تختفي أجسامهم فسبحت حتى قربت منهم فإذا المكان أشبه ببركة، والماء نظيف، وحركة البحر ليست شديدة إذ الأمواج تتكسر على حاجز مبني من الحجارة الضخمة دونه، وليس هناك من يهزأ بي لكوني تشبهت بالأطفال وبأشباههم من كبار السن من أحد الجنسين!! ولم أغامر في التوغل في البحر مع الماهرون في السباحة، إنني مع القائل:

لا أركب البحر إني أخاف منه النواث
طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

وخير لي أن أعد طفلاً، من أن يذكر اسمي بين الغرقى!!

تماديت في المشي هذا الصباح على الشاطئ عكس الاتجاه إلى وسط المدينة فامتد بي السير إلى غابة ذات أشجار عظيمة باسقة ولا أعرف منها سوى شجر (النارجيل) الذي يحار المرء في سموقه مع دقة سوقه، كيف يستطيع صعوده لجني ثمره؟!

وهذه الشجرة العظيمة المنتشرة الفروع بحيث لا يكون المرء مبالقاً لو قُدر قطر دائرة استدارتها بعشرين متراً، وطاب لي السير في تلك الأرض الخضراء وأكثر من أشاهد ينهبون نهباً بعدوهم على أرصفة الطرق ومنهم من أبرز من جسده أكثره، وكانت الشمس مشرقة تتسلل أشعتها الدافئة من خلال الأشجار، وأصوات الأمواج المتكسرة على الرصيف الطويل، تدوي في الأذان، كلما قرب الطريق إلى الشاطئ، وها هي فنادق ومواقف سيارات منتشرة في جانب الغابة الموالي للبحر أما الجانب الآخر فما هي سلسلة الجبال الممتدة بدأت تطل بقممها الشاخحة حتى تكاد تطوق هذه الحديقة الواسعة - الغابة - لقد أحسست بالتعب من كثرة المشي، ولم أجد مكاناً أستريح فيه سوى المقاعد

ركبت الحافلة فشكرني على ذلك رئيس الولايات المتحدة

الأحيان حتى تبدو وكأنها ستبتلع فتختلط ضحكات من في الزورق وصخبهم بهدير الأمواج .

أما العشاء فكان شهياً سبقه نوع من الشراب من عصير الفواكه، كانوا أسخياء به، لا يمتاز عن الماء إلا باللون، وحلاوة الطعم .

الناس هم الناس في كل مكان وزمان، فقد كتب الطبيب حينما كنت في مدينة (هيوستن) قطرة لعيني فدفعت ثمنها لها اثني عشر دولاراً ونصف دولار ثم احتجت إليها فاشترت لي وهي بثانية دولارات ونصف دولار أي ما يقارب الثلث، وها أنا في (هنولولو) بعد أن اشترى حاجة بعشرة دولارات أشاهدها هي بعينها في محل آخر معروضة بثمانية . وأجلس في مقهى الفندق الذي أسكن فيه فأدفع نحو دولار ثمننا لكوب من الشاهي، لا يكلفني حين أجلس في مكان يمتاز على المقهى - أكثر من نصف ما دفعت .

تُخدع المرء حين يتوهم أن الغربيين لا يُحاولون ابتزاز الأموال بمختلف الطرق، أو أن معاملاتهم كلها نظيفة شريفة إن الطبيعة الإنسانية هي هي، فيها الخير والشر والناس فيهم الخير ومنهم الشرير وليس من تفوق عليك بعلمه، بخير منك في خلقه .

لحظة الوداع

أحسست هذا المساء (يوم الأحد ١٨ مارس) بوحشة تغمر قلبي، لقد عدنا أنا وأم محمد وإحدى بناتي من المطار الساعة التاسعة، بعد أن ودعنا اثنين من بناتنا، عادتا للإكمال دراستهما في جامعتي (هيوستن) و(دلس) ولم أتمالك نفسي عندما رأيت دموعهن تسيل، وأم محمد تحتضنها وقد اعترتني شهقة انهمر دمعي من عيني بدون إرادتي، فغالبت ذلك بإبداء التجلّد وإظهار عدم التأثر ومن نعم الله على سرعة تحكّمي بعاطفتي بحيث أستطيع إظهار نفسي بحالة من الحالات تخالف ما يضطرب في داخلها وهكذا كان فقد غيرت ذلك الموقف المؤثر بسرعة بحالة من حالات السرور بتبادل عبارات المزح مع ابنتنا الباقية معنا، حتى تغيّر جو الأسى المخيم في نفوسنا ولو ظاهراً ولكن سرعان ما غمرتني تلك الوحشة، حين عدت إلى الفندق والليلة كلها، مع محاولتي التغلب عليها بدخول نادٍ ليلى فيه غناء وأنواع لهو، ولكنني لم أطلق البقاء فيه دقائق . أنا لا أتهم ذوقي فأصفه بالجفاء . وضعف التمييز بين الحسن وضده، إلا أنني أرى في كثير من مظاهر الطرب كالغناء وغيره - في هذه البلاد، ما لا يتلاءم مع الذوق مما لا ترتاح إليه النفس كهذه الأصوات المرعبة المنبثقة من أقصى الحناجر، بنبرات مختلفة إذ تدخل الأسعاع آونة أشبه ما تكون بعواء

وقد ظننتها ساخرة غير أنني في المساء وعند العودة من المطار - بعد سفر ابنتي - ركبنا الحافلة من المطار إلى الفندق، وإذا بابنتي الثالثة تريني لوحة خضراء تحوي كتابة مذيلة بتوقيع (جيمي كارتر) وآخر معه، وترجمة تلك الكتابة : (شكراً لك حيث ركبنا الحافلة، فوفرت قدراً من الطاقة) .

لم أقل : ياليت قومي يعلمون، فالعلم لا ينقصهم، بل قلت : ياليتهم (يعملون)، خدعنا في مساء هذا اليوم بوصف رحلة بحرية، يشاهد المرء خلالها أشياء ممتعة ويتمتع بوسائل تسلي وتبهج مما لا يجد المرء له مثيلاً في غير هذه البلاد - كذا قيل لنا كتمازج من مظاهر الحياة هنا من غناء وغيره، وبوجبة عشاء متعددة الأصناف في بلد الضيافة - على ما تقوله عنها وسائل الإعلان . وها هي النيران تشتعل أمام كل مطعم وتذكر بما ينسب لحاتم الطائي يخاطب مولاه :

أوقد فإن الليل ليل قـرّ والريح يا غلام ريح صرّ
لعل أن يبصرها المعـرّ إن جلبت ضيقاً فأنت حرّ
ويظهر أن عادة إشعال النيران بقرب المطاعم انتقلت من شرق آسيا حيث



انتشرت المجوس فأهل هذه الجهات على ما قيل لي : يعتقدون أن النار تطرد الأرواح الشريرة عن الطعام ولهذا يموؤن إناءً مستطيلاً زيتاً ويضعون في الزيت فتيلة عريضة يشعلون النار في طرفها فلا تزال تمتص الزيت وتشتعل ما داموا بحاجة إلى ذلك وفي داخل المطاعم في كثير من البلاد، يوضع فوق كل منضدة قدح من زجاج مملوء زيتاً وفيه فتيلة نارها تزهر ولكنها خافتة وأرى هذا مأخوذ من تقديس النور وتلك عقيدة (المانوية) إحدى فرق المجوس، والمتنبّي يقول :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن (المانوية) تكذب
أي في اعتقادها أن النور إله الخير، والظلمة إله الشر .

لقد انتهت الرحلة التي استغرقت نحو ساعتين في زورق بخاري ضم ما يقارب خمسين راكباً وسامر يشق عباب الأمواج التي ترتفع أمامه في بعض



قصار) كما يقال، وكان السفر من مطار (هنولولو) في صباح يوم الثلاثاء ٢٩/٤/١٣٩٩هـ (٢٠/٣/١٩٧٩م) الساعة التاسعة والنصف بتوقيت هذه البلاد، على طائرة يابانية، بعد ترتيب ما نحتاج إليه من سمة دخول، وتذاكر سفر إلى تلك البلاد والخروج منها، وحجز في أحد الفنادق في (طوكيو) ومدة الطيران تسع ساعات كاملة، في اجتياز المحيط الذي اجتازنا جانبه الموالى للقارة الأمريكية من (هيوستن) إلى (هنولولو) في ثماني ساعات.

وكان الوصول إلى مطار (طوكيو) الساعة الواحدة والنصف ظهر يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني لا يوم الثلاثاء الحادي والعشرين منه كما كان مفروضاً، مع أننا لم نقطع من الزمن سوى تسع ساعات، ذلك أن الخط الوهمي الذي يبتدئ منه اليوم العالمي يبدأ من خط الطول ١٨٠ المار بالمحيط الأدراتيكي وقد اجتازناه بعد مجاوزة أرخبيل (هاواي) الواقعة على خط طول ١٨٠ غرب (جرينتش) وباجتيازه اجتازنا خط الطول ١٨٠ شرق (جرينتش) فأطلقنا يوم جديد - حكماً لا واقعاً - ولولا هذا لاختللت الأيام في العالم بدون تمييز بينها، إذ الشمس تجري فتقطع دائرة الأرض (٣٦٠) بمعدل أربع دقائق للدرجة الواحدة ولهذا يختلف الزمن باختلاف كل بلد، ولا بد لهذا من ضابط.

كانت الرحلة مريحة على طولها فالعناية بالمسافرين فوق ما اعتدناه في كثير من الرحلات، ولا أبالغ إذا قلت بأنني لم أر أرق من اليابانيين عند التعامل معهم، وفي غير هذا يشاهد المرء عندهم ما يشاهده لدى كثير من الشرقيين من التسرع في بعض الأمور، ها أنا أقف في الصف للخروج إلى الطائرة فلن أعدم إنساناً يحاول أن يتقدم عليّ. وعند محاولة أخذ الحقيبة بعد الهبوط في المطار تحتاج إلى جهد لكي تحافظ على موقفك أمام ملقي الأمتعة. وأن لا تستنكر وكزة خفيفة من كوع أو مرفق ناعم، ولا تستغرب ارتفاع أصوات من حولك مما يذكرك إذا كنت ممن عاش في البادية بضوضاء ورّاد المناهل في الصحراء وقت القبط. ومن المطار كان الركوب في الحافلة، فالمسافة بينه وبين مدينة (طوكيو) عشرات الأميال، بحيث لا تقلّ أجرة السيارة عن ستين دولاراً، أما في الحافلة فعشرة دولارات لكل راكب مع حمل أمتعته والموقف وسط المدينة، ومنه إلى الفندق لا تقل عن هذا المقدار، مع كثرة سيارات الأجرة.

كل ما يقع عليه النظر في الطريق إلى المدينة يبدو أضالّ مما كان متصوراً عن مظاهر حياة أهل هذه البلاد ونشاطهم وتقدمهم بين أمم العالم. وها هي ضواحي المدينة توحى بالكآبة فالمساكن غير متناسبة، فهذا بيت أشبه بخن الدجاج بجوار دار فخمة، وها هي مجموعة من المنازل على نسق واحد، لعلها مساكن شعبية قد امتلأت نوافذها بالملابس المشورة، وها هي الورش والمصانع الصغيرة يتخيل الناظر إليها أن مدينة (طوكيو) العظيمة ما هي سوى ورشة مجزأة تذكر بما كان المرء يشاهده قبل بضعة أعوام في مداخل مدن بلادنا.

لا يتألك المرء حين يستمر به السير مسافة طويلة داخل هذه المدينة من أن يصفها بأنها كالحلة المظهر، معتمة المنظر، وها نحن قد بلغنا وسطها دون أن

الذئب ثم تغير فجأة إلى صرخة مدوية تكاد تشق طبلة الأذن، ثم هذا الزفن الذي تتضارب فيه الأجسام كتضارب الأمواج، بدون اتساق وإنها محاكاة لتلك الصرخات المنبعثة من حناجر هؤلاء السود. إنهم في غنائهم وزفنهم شديد والشبه بطائفة من الناس، كانوا يأتون إلى بلادنا للحج - أو غيره - من طريق سواحل اليمن من أفريقيا، وفي منتصف القرن كان المرء يشاهد أشكالا منهم يجوبون شوارع مكة، وبأيديهم دفوف صغيرة وأجسامهم ليست مستورا منها سوى العورة المغلظة وهو يرقصون ويدقون تلك الدفوف ويكررون نغمات رتيبة. لا أزال أحفظ منها: (شندق شنديقاً، أي والله).

أترى هذا الزفن الصاخب من رقص ورنات آلات وأصوات غير منغمة ولا منسجمة في الأسراع انتقل إلى هذه البلاد من أفريقيا لم لا وأكثر المغنين عندهم من أهلها؟

كنت رأيت مطعماً قريباً من الفندق في قائمة طعامه المعروضة على بابها سمك طري و (أبو جلنبو LOBESTER) وثمر الوجبة نحو أربعة دولارات فذهبت إليه الساعة العاشرة ليلاً فلما نظرت قائمة الطعام إذا ثمن الوجبة من لحم ذلك الحيوان البحري - وكنت أستطيع لحمه - ثمانية عشر دولاراً - فطلبت سمكاً وكان الثمن ثمانية دولارات فأشار لي النادل على القائمة بأنه لا يوجد الآن سوى الطعام الغالي فطلبت نوعاً من الفاكهة فأحضره لي مُصَبِّراً ليس طرياً وتقاضى مني ثمن وجبة عشاء كاملاً - أي أربعة دولارات - في سائر المطاعم وكما قيل: (ما يخلي الظلم إلا عاجزاً!!) كما قال أبو الطيب:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلّ لا يظلم

”
مظهر البلاد اليابانية لا يُعبر
عن مخبرها.. فعند ما تدق
تجد النظام يسود كل شيء“
“

لم أر في هذه البلاد سوى رجل عربي واحد هو حمّال في المطار من (أريتريا) له خمس وثلاثون سنة وقد استغربت منه تكلّمه العربية بطلاقة على طول مكثه بعيداً عن العرب فقال: إنه يمر بهذا المطار كثير منهم، فيحرص على التحدث معهم باللغة العربية. أخبرني أحد العاملين في فندق (شرتون) أن رجلاً أعرف أسرته من أهل مكة اعتاد أن يأتي بأهله كل عام فيسكن في هذا الفندق أياماً.

وأكثر العاملين في المطاعم والفنادق من جزائر الهند الشرقية، وأكثر من يرتادها من الأمريكيان المتقدم السن، التمرهلي الأبدان، يأتون جماعات، فتغص بهم المجتمعات.

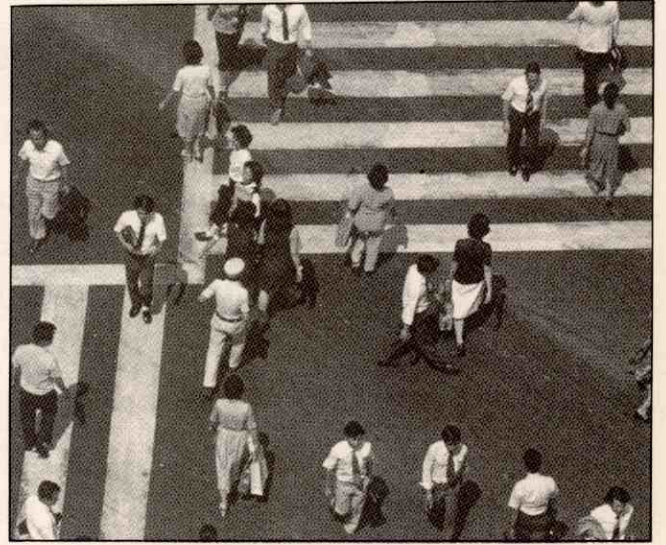
في مدينة طوكيو

إلى طوكيو : بعد أسبوع مرت أيامه مسرعة قصيرة (وأيام السورور

يتبين لنا من معالمها ما تتميز به عن أية مدينة من مدن الشرق، فالشوارع ليست واسعة والأزقة المتعرجة ضيقة وسير السيارات بطيء من شدة الازدحام في الطرقات مع كثرة الجسور فوقها، وأصوات القطارات وحركاتها وهي تسير فوق الشوارع العظيمة تزعج بضجيجها. حتى الأشجار المغروسة يوحي منظرها بالكآبة فهي أغصان بلا ورق مع إطلالة فصل الربيع.

العودة إلى المكان بلا قصد

ها هو الفندق على أحد الشوارع الكبيرة في وسط المدينة، وكان سائق سيارة الأجرة لبقاً في إنزال الأمتعة وعدّها لنا، ولم يتقاض سوى عشرة دولارات (ألقي بين).



إن داخل هذا الفندق يوحي بأن مظهر المدينة لا يعبر عن مخبرها، إنه حسن التنسيق على صغره وموظفوه في غاية الرقة وكما الأدب، بدرجة هي إلى النعومة أقرب وما هو كل شيء نظيف فلا تقع العين إلا على ما يستهوي النظر، والغرفة - مع ضيقها - قد أعدّ فيها ما يحتاج إليه، حتى الأحذية التي تستعمل داخلها، ولباس النوم وأدوات تنظيف الأسنان، وآلات الحلاقة وكلها تُغيّر كل يوم وفي أحد مطاعم الفندق أربعة أمكنة لتناول الأكل على صغره - كان الغداء ولم يكن للجوع أثر في استطابته، ولم نشأ تغيير ما اعتدنا تناوله من الطعام بسرعة، والثلث لم يزد على ثلث من مثله في مدينة (هنولولو) سوى يسير.

بعد استراحة خرجت من الفندق الساعة السابعة ليلاً، فلم أر في الأسواق ما يراه المرء من المدن في مثل هذا الوقت من الحركة، فالمقاهي والمطاعم مغلقة، والناس في الشوارع قليلون، أترى هذا في كل مكان من المدينة، أم في هذه الناحية وحدها، اتجهت سائراً في أحد الشوارع أتعرف معاملة لكي أهتدي إلى الفندق حين أعود، وأحاول ألا أبعد كثيراً عنه، وكلما انحرف بي الطريق عرجت للناحية التي يقع فيها الفندق، وكثيراً ما يستوقفني منظر أعشاب ذات زهور جميلة في مدخل بيت أو على طول طريق، أو إنسان واقف بجوار صندوق زجاجي يصنع في داخله أقراصاً صغيرة فيقف عليه أحد المارة متناولاً من تلك

الأقراص، فدفعني حب الاستطلاع إلى الوقوف عند رجل أمامه مقلاة كبيرة مملوءة بجيوب سوداء، استطبت رائحتها، وقد صفّت على جانب تلك المقلاة أكياساً من الورق مختلفة الأحجام مملوءة مما بين يديه فتناولت من أصغرها ما كان ثمنه (٥٠٠ ين) وسرت في اتجاهي متلذذاً برائحة ما بيدي، محاذراً من ابتعادي عن الفندق، فأبصرت على مقربة مني لافتة مضئية عرفت من كتابتها أنها مقهى، فذكرت وأنا أصدق إلى المكان درج الفندق وهذا المدخل شبيه بمدخله حتى هذا الإنسان الذي حضر ليسألني عما أريد فطلبت منه قهوة، إنه يشبه أحد من رأيت وقت الغداء مع أنني سرت سراً أجهدي، ولكنه على طريقة (يا حويرا، يا دويرا)!!

لم أصبر فأدخلت يدي في الكيس، فأخرجت منه حبة في فمي، فلم أدر ما هي لصلاية قشرتها حتى هشمتها بأضراسي، فإذا طعمها لذيق، ذكرني بنوع من البقول يدعى (الكستنا) إلا أنه ليس بحلاوة هذه، ولكنني بعد أن أمعنت النظر فيها في الكيس تبين لي أنه هو (الكستنا) أما حلاوة الطعم فلمكونه تقع في ماء فيه سكر، ثم قلي بعد ذلك، ولما انتهيت من شرب القهوة وقمت لأدفع الثمن في الصندوق فوجئت بأنني في المكان الذي تغديت فيه من الفندق!!

الجو أميل إلى البرودة منه إلى الاعتدال، وقد قيل لنا ونحن في (هنولولو): يحسن اتقاء برد (طوكيو) وأنا شديد الإحساس بالبرد، سريع التأثر به ولا أزال أعاني من زكام حاد أصبت به في مطار القاهرة، في مكان حجزت فيه ثلاث ليال، يدعونه (المحجر الصحي) من قبيل التسمية بالصد، كالمفاضة والبصير، للصحراء المهلكة وللأعشى. لأخذل إلى الراحة الليلة.

وحصلت على الخريطة

كان أول ما فكرت فيه صباح هذا اليوم (الخميس ٢٤/٤/١٣٩٩ هـ - ٢٢/٣/١٩٧٩ م) زيارة السفارة لتسجيل جوازات السفر، فبعد أن قاربت الساعة التاسعة خرجت من الفندق فرأيت شرطياً واقفاً فعرضت عليه عنوان المكان وأني بحاجة إلى سيارة (أجرة) فأشار لي بالوقوف في مكاني وذهب مسرعاً ثم عاد إلى بسيارة فتح لي بابها وأطال الحديث مع سائقها، ويظهر أنه يصف له المكان ويحدد الطريق إليه، ولكن السائق فيما يبدو لم يكن على درجة كافية من معرفة الجهة فلم نصل السفارة إلا بعد أن تجاوزت الساعة الحادية عشرة، وبعد أن وقف ثلاث مرات يتحدث في الهاتف مستوضحاً عن المكان.

والشرطة هنا من أرق الناس أخلاقاً، سألنا أحدهم عن (فندق أميرال) حيث يوجد هناك مكاتب لخطوط الطيران بقرب الفندق الذي نسكنه، فاتصل هاتفياً، ثم أخذ ورقة رسم موقع الفندق، وما بيننا وبينه من شوارع، مع طريق السير، ولم يكتف بذلك بل خرج من مكانه وأشار لنا إلى الجهة التي نريدها وقيل لنا: إن الشرطي في اليابان مضرب المثل في خلقه، وقيامه بواجبه في خدمة المجتمع.

(وللحديث صلة)

الجمعية التي مركز عالمي للإعلام الإسلامي

بقلم: د. عبد القادر طاشي

عصرنا اليوم هو عصر الإعلام وقد غدا الإعلام طاقة وقوة لا بد لأي أمة تريد لنفسها العزة وللبادئتها التمكين والانتشار أن تهتم به وتولييه من عنايتها الفائقة ما يستحقه، وتتفق في سبيله من الجهد والمال والوقت ما يجعلها قادرة على أن تجابه به الأمم الأخرى وتنافسها. ولذلك ليس من الغريب أن نجد القوى الكبرى والجماعات وأصحاب المبادئ والدعوات والمصالح يحرصون حرصاً شديداً على تسخير وسائل الإعلام المختلفة لخدمة أغراضهم وتوظيفها لنشر مبادئهم وأفكارهم وسياساتهم.

تحفظ على المسلمين دينهم وتورد عنهم حملات التشكيك والتحريف والتشويه سواء من قبل الإعلام المعادي، أو من قبل كثير من الطوائف والاتجاهات والفرق المنحرفة عن الإسلام التي تتدثر بزي الإسلام وهم أبعد ما يكونون عن الإسلام في جوهره وحقيقته. إن هذه الفرق الضالة والطوائف المنحرفة التي تنتسب إلى الإسلام زوراً وهتاناً تسخر العديد من وسائل الإعلام لنشر ضلالاتها وانحرافاتها.

وتقوم بعض طوائف الرافضة بتوزيع الملايين من الكتب والنشرات والصحف والمجلات لتضليل المسلمين من جهة، ولتشويه صورة الإسلام لدى غير المسلمين من جهة أخرى. وللطوائف الأخرى كالكاديانية والبهائية وغيرها نشاطات إعلامية في العديد من دول العالم، وكل هذه الفرق والطوائف المنحرفة لا تقدم الصورة الحقيقية للإسلام، مما يصد الناس عن معرفة الإسلام الصحيح ومن ثمّ اعتناقه أو تفهمه على أقل تقدير!

إنّ من العجب أن نرى أهل الباطل يكذبون أيما كذب في سبيل نشر مبادئهم وأفكارهم التخريبية، واستغلال جميع وسائل الإعلام لخدمة أغراضهم، بينما يُجحّم أهل الحق - وهم المسلمون - عن العمل الجاد والفعال لنشر مبادئ الإسلام وتقدير الحق إلى البشرية التائهة التي هي في ميسس الحاجة إلى ذلك الحق. بل إن أهل الحق - يا للأسف - غير قادرين على حماية أنفسهم ومجتمعاتهم من سموم الإعلام الغربي والشرقي والصهوني والتشعيري. وليس من المبالغة في شيء أن نقول: إن المسلمين اليوم مستهدفون إعلامياً، ولا بد لهم من أن يواجهوا سموم الإعلام المعادي من خلال إعلام إسلامي عصري يستطيع أن ينافس الإعلام المعادي ويتصدى له بقوة وثبات والحاجة إلى الإعلام الإسلامي العصري لا تقتصر فقط على ضرورة استخدامه في مجال الدعوة الإسلامية خارج المجتمعات المسلمة، بل إن تلك الحاجة ماسة للإعلام الإسلامي في داخل تلك المجتمعات حتى

طوفان كتب
أجنبية
تحاول تضليل
المسلمين.. ولكن..

من كتاب العروة



د. عبد القادر طاش،

- رئيس تحرير صحيفة (المسلمون) التي تصدر في جدة ..

- من مواليد الطائف في ١٣٧٢ هـ (الموافق ١٩٥٢ م)

- دكتوراه في الصحافة والإعلام من جامعتي أو كلاهما وجنوب البنيوي.

- أستاذ مشارك بقسم الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والرئيس السابق لقسم الإعلام بها.

- زار الولايات المتحدة، بريطانيا، إيطاليا، مصر، تركيا، سويسرا، الصين والإمارات المتحدة.

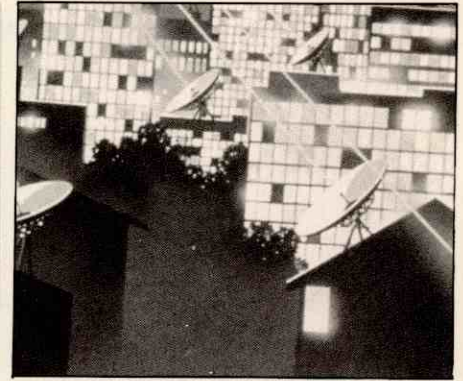
- شارك في ندوة أقسام الإعلام بالجامعات العربية التي عقدت بجامعة الإمارات كما شارك في المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي (الأقليات المسلمة) بالرياض والمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز بالرياض.

- يكتب في الصحف والمجلات المحلية.

واقع مؤلم:

وتعود بي الذكريات إلى سبع سنوات خلون عندما كنت رئيساً للمركز الإسلامي بمدينة (كاربونديل) بالولايات المتحدة الأمريكية. لقد اتصلت بي مدرسة مادة مقارنة الأديان في جامعة جنوب «الينوي» طالبة مني مساعدتها في إلقاء محاضرة لطلابها للتعريف بالإسلام. وأمهلتني بعض الوقت لأحضر مادة المحاضرة بما يليق بمستوى طلبة الجامعة، وبما يوفر لهم فرصة التعرف الحقيقي على الدين الإسلامي.

لقد كانت المهمة صعبة للغاية، إذ كان المطلوب ألا تقتصر المحاضرة على الكلام النظري، بل تشمل أيضاً على بعض وسائل الإيضاح كالشرائع المصورة والأفلام والنشرات المطبوعة. وبقيتُ أياماً أبحث عن هذه الوسائل دون جدوى. وذهبت إلى مكتبة الجامعة أبحث في دليل المواد السمعية والبصرية، ويالهول ما اكتشفت. لقد وجدت النصارى واليهود وبعض أصحاب الديانات الأخرى قد خدموا أديانهم بالعديد من وسائل الإيضاح السمعية والبصرية. أما الإسلام



فلم أظفر بشرط مسموع واحد أو فيلم سينمائي واحد أو نشرة ميسورة أو حتى بضع شرائع مصورة يمكن أن أعرضها على أولئك الطلاب! بل لقد صُدمتُ صدمة موجعة عندما اكتشفت أن بعض المؤسسات اليهودية قد أنتجت بعض الأفلام التعليمية للتعريف بالإسلام: تصوروا أن اليهود هم الذين يعرفون الآخرين بديننا الإسلامي! وماذا سيقدّم اليهود عن الإسلام سوى التحريف والتشويه والدس والتخريف؟! ولا مجال أبداً لأن نتوسع في تبين الحاجة إلى

الإعلام الإسلامي في عصرنا الحاضر. لقد أصبح الإعلام الإسلامي ضرورة شرعية وواقعية لا مهرب من السعي من أجل تحقيقها ونحويلها إلى واقع ملموس. وكفانا صراخاً وعويلاً ولنتوقف عن الشكوى والنقد، ولنتنقل إلى الميدان العملي، فالأخطار كبيرة والتحديات صعبة ولا بد لنا من المواجهة، وإلا فإن الأمة معرضة للضياع في ظل غزو فكري شرس من أعدائنا. فضلاً عن أننا مطالبون بتبليغ رسالة الإسلام إلى العالم أجمع. وسنقف بين يدي الله لنُسأل عن أمانة التبليغ والدعوة، فإذا نحن قائلون؟!!

مهمات إعلامية:

وإننا لنطمح أن يتم إنشاء ما نادينا به منذ فترة، ونادى به المخلصون من قبل وهو إنشاء «المركز العالمي للإعلام الإسلامي» على أن تكون مهمات هذا المركز ما يلي:

- ١ - إنتاج المواد السمعية والبصرية: التي تعرف بالإسلام وتشرح مبادئه وتبين محاسنه بجميع اللغات، وتيسر الحصول عليها لكل من يريد.
- ٢ - إنتاج المواد الإعلامية المكتوبة والمطبوعة

كارثة: اليهود يقدمون الإسلام في الغرب على أنه الجوع والحرمان والدمار!

كالكتب والصحف والمجلات والنشرات والموسوعات والملصقات وغيرها لتكون تحت أيدي الدعاة والعاملين للإسلام في كل مكان في العالم.

- ٣ - إنتاج البرامج والأفلام السينمائية والتلفزيونية التي تعمق مبادئ الإسلام في النفوس، أو تقدم الصورة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين إلى العالم. وكذلك تشجيع وتقويل ومساعدة المشروعات الإسلامية التي تحقق أهداف الإسلام وغاياته.

- ٤ - متابعة ما ينشر ويذاع ويثبت في صحافة

العالم ووكالات الأنباء والإذاعات الموجهة والأجهزة التلفزيونية وتأييد الجيد والموضوعي منها وتفنيد الرديء والردّ على الأباطيل وتصحيح الأخطاء.

٥ - توثيق علاقات الاتصال بالهيئات والمنظمات الدولية وكذلك دور النشر الكبرى والمكتبات ومراكز المعلومات لتزويدها بالمواد الإعلامية والعلمية التي توفر للباحثين والراغبين الفرصة للتعرف على الإسلام من مصادره النقية بعيداً عن التشويه والتحريف. كما أن هذه العلاقات يمكن أن تسهم في قيام المركز بتصحيح الكثير من الأخطاء والمغالطات الموجودة في مصادر المعلومات في تلك الهيئات أو المكتبات أو مراكز المعلومات.

إن إنشاء هذا المركز أصبح اليوم ضرورة لازمة حتى يمكن للمسلمين أن يخدموا دعوتهم الإسلامية ويستثمروا وسائل الإعلام الحديثة لتمكين الإسلام في نفوس معتنقيه وخصوصاً بين صفوف الأقليات المسلمة والجاليات المقيمة في البلدان غير الإسلامية والذين يتعرضون لخطر الذوبان. وكذلك لتوفير الفرصة لغير المسلمين في جميع أنحاء العالم ليتعرفوا على هذا الدين القيم ويتبينوا محاسنه بعيداً عن تشويه أعدائه وبعيداً أيضاً عن تحريف الفرق والمذاهب الضالة المنحرفة عن سبيله القويم.

ولا بد - في الختام - من التأكيد على ضرورة أن يتوافر لهذا المشروع الحيوي العملاق عنصران أساسيان: أولهما: حسن اختيار الأشخاص الذين يتولون التخطيط له والعمل فيه ممن يجمعون بين سلامة العقيدة والفكر والحماسة للإسلام والقُدوة الصالحة في القول والعمل من جهة، وثراء العلم والخبرة والتخصص والاهتمام في المجال الإعلامي من جهة أخرى.

أما العنصر الآخر فهو: المال إذ لا بد أن يتوافر لهذا المشروع قدر وافٍ من التمويل. ولا أظن أن هذا العنصر بعيد المنال وخصوصاً ونحن نرى عدداً من المؤسسات المالية الإسلامية القادرة كالبانك الإسلامي للتنمية والبنوك الإسلامية المنتشرة، إلى جانب العديد من رجال الأعمال الخيّرين ممن يتشوقون إلى استثمار الثوبة والأجر عند الله، أو الربح الحلال في الحياة الدنيا. ولن يجيب رجاؤنا في أن يحقق الله هذه الأمنية بفضله وكرمه.

دروب الربيع

شعر: سلوم درغام سلوم

أسافر في عيونك مستهاما وأفهم من لوحظك الكلاما
وأمشي فوق درب سندسي وحلم النور في دربي تسامى
ينبغي الطير ألحان الصبايا ويلقى بعد غربته الحماما
وأيامي على دربي طيور تغني للتي أهوى مقاماً
وزهر رياضها للحب نادى سأقطف من براعمها الخزامى
أرى وجهاً جميلاً من مصيري أرى علماً وأمطاراً سجاماً
ودربي يهتدي زهراً ونوراً وأجني من مرابعه النعاما
ويغدو الحب في عيني ربيعاً ويمسي العشق في العين التزاما
أبقى العقل بعد الحب عقلاً؟ وسحر العين قد أمسى المداما
ولما أيقظ السحر اصطباحاً أبى طرفي بجنبك أن يناما
خذي كأسى رحيقاً من فؤادي وردى نحو لهفتنا السلاما
علاقتنا لها قلب وشوق ولا ترضى لصنوين انقساما
فما ذنبي إذا أظهرت حبي؟ متى كان الهوى درباً حراماً؟
فتختارين بعداً بعد وصل علام الهجر والمنأى علاما
أبت شفتاي أن تروي حديثاً لغير الدرب أو تشكو هياما

رحلة الأصوات اللغوية من التشويش إلى الإدراك

بقلم: علاء الدين رمضان

اللغة والتفكير^(١) . . أو القدرة على التفكير: يرتبطان ارتباطاً وثيقاً، فهاتان الخاصتان تُميّزان الإنسان من غيره من الحيوانات، بل إننا نجد كثيراً من علماء البيولوجية أنفسهم ومن بينهم العالم الإنجليزي الشهير «السير جوليان هكسلي Ser. G. Huxely» يضعون الفكرة واللغة خاصيتين مميزتين للإنسان في مرتبة أعلى من الخصائص البيولوجية ذاتها، مثل السيادة أو السيطرة البيولوجية والقدرة على التناسل على مدار السنة . . . وما إلى ذلك.

أما العالم الألماني مارتينييه فيعرف اللغة بأنها: أداة اتصال يستطيع بها الإنسان في جماعة بشرية أن يُحلّل ويبرز تجاربه في وحدات كلامية ذات مظهر صوتي.

إن الأصوات تمثل المحور الأساسي لدراسة اللغة، وبناء عليه، يجب أن نجعل منها أساس المعلومات الخلفية لعالم اللغة، فهي مطلب أساسي وخلفية ضرورية يجب توافرها لدى عالم اللغة فضلاً عن كونها جزءاً من علم اللغة ذاته، فمعرفة الأصوات الإنسانية: طبيعتها، ومخرجها، وكيف تُصوّر، وصفاتها . . .

يجب أن تمثل أساس المعلومات الخلفية التي منها يبدأ وينطلق عالم وباحث اللغة . . . تماماً مثلما يجب على الإنسان أن يتعلم كيف يقرأ قبل أن يدرس أي علم أو فن . . . فدراسة الأصوات هي المحور والركيزة الأساسية التي يجب أن ينطلق منها الباحث اللغوي إلى مجالات علم اللغة الأخرى.

الفونولوجيا . . والجغرافولوجيا

عَدَّ الباحثون جانب التحليل اللغوي للغة إلى عناصرها الصوتية من أهم جوانب الدراسة في علم اللغة الصوتي^(٤)، ودراسة هذا الجانب يرجى من ورائها التوصل إلى تدوين اللغة لما تُوصَل إلى اختراع علم الكتابة، وجاء نظام الكتابة في العربية مبنياً على حقائق صوتية من حيث وضع رمز Symbol واحد مستقل لكل وحدة نطق صوتية (فونيم Phoneme)، وهذا النظام يتمشى مع إحداث منهج في التفكير الصوتي الذي يرمي إلى تأسيس نظم كتابية للغات خالية من التعقيد والاضطراب.

ومن أهم مميزات هذا النظم أن يكون متمشياً مع القاعدة المشهورة «رمز واحد لكل فونيم» وصار البحث في الكتابة أحد الفروع التي تندرج تحت علم اللغة العام النظري، وصار علم الخط الجغرافولوجي Graphology، أو الجغرافيمكس Graphemics أحد العلوم التي تجد عناية من الباحثين اللغويين^(٥)، فقد كان لا بد للقواعد المستخدمة في التعبير المسموع أن تقابل القواعد المستخدمة في التعبير المكتوب، فالوحدات الخطية ينبغي أن تكون

فاللغة مطلب ضروري للمجتمع يتحقق به التعاون الفكري بين أفرادها، وهي أساس إحساس الناس بانتماء بعضهم إلى بعض، واشترآكهم فيما يؤلف بينهم من روابط ثقافية ووجدانية وتاريخية وسياسية^(٢). والطريق المعهود للتعبير عن هذا التفكير، واللغة، هو طريق الأصوات.

الفونيتيكس . . والكيان اللغوي

الأصوات (الفونيتيكس) تُمثّل عنصراً من أهم عناصر البناء اللغوي، بل العمود الفقري والوسيلة الأساسية لتحقيق الوجود اللغوي في درجة المحاورة اليومية، وما لا يمكن تصوّره - بأي حال من الأحوال - هو ذلك الذي يمكن له أن يتنبأ بمصير الفكر والتقدم الإنساني دون وجود نظام أصوات acoustic system منظّقة أو معهودة ووسيلة الكلام على السواء، فالأصوات، أصل الكيان اللغوي، تمثل المحور الأساسي لدراسة علم اللغة، وهي الركيزة ونقطة المحور التي يجب أن يبدأ منها عالم اللغة الانطلاق إلى بقية مجالات علم اللغة الأخرى، وليس أدل على ذلك من تعريف ابن جنسي للغة، بأنها «أصوات . . .»، «يُعَبَّر بها كل قوم عن أغراضهم . . .»، ولكن ثمة فجوة عميقة وواسعة بين الأصوات التي تصدر عن مختلف الكائنات الحية، والكلام المفصّل المنطوق الذي يصدر عن الإنسان، بيد أن اللغة التي يستخدمها الحيوان ليست لغة، وما هو أهم من ذلك بكثير أنها لا تؤدي إلى لغة.

أما اللغة الإنسانية من ناحية مظهرها المادي وصورها المنطوقة فنظام صوتي فالأصوات تُعدّ من أوضح مظاهر اللغة؛ فاللغة أصوات يتركب منها ما يسمى بالكلمات والألفاظ، ومن هذه تؤلف الجمل والعبارات فالأصوات Phonetics أصل كل اللغات، ويتجلى لنا ذلك في تعريف علماء اللغة لِلُّغة، فالعالم البريطاني هنري سويت H. Sweet في كتابه Sound of English عرف اللغة بأنها: التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية، واللغوي الأمريكي إدوارد سابير E. Sabir يرى أنها وسيلة إنسانية خالصة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز الصوتية - System of pho-netic Symbols التي تصدر بطريقة آلية^(٣).

صورة مرئية للوحدات الصوتية Segments فتقابل كل واحدة صوتية وحدة خطية، بل تقابل كل صورة من صور الوحدة الصوتية، صورة من صور الوحدة الخطية حتى يُنطق النص في القراءة كما نطق به المتكلم تمامًا، فالكتابة تحويل التعبير الرمزي Symbolic Expression إلى تعبير تصوّري Conceptual Expression.

ومع ظهور الكتابة والتوصل إليها اهتدى التفكير العلمي إلى التحليل الصوتي. ومن ثمَّ ظهرت الكتابة، وتدوين الأصوات اللغوية إلى الوجود، من أجل الكتابة إذن كان التحليل الصوتي وكان التعرّف على أصوات اللغة. ومن هنا: فقد اعتبر العلماء والباحثون أن اختراع الكتابة هو أول عمل في الدراسات الصوتية خاصة والدراسات اللغوية عامة، وعُدَّ تاريخ هذا الحدث بداية لتاريخ علم اللغة كما يقولون (٦).

«الإلام بقوانين الأصوات
أدّى إلى تطور علم
اللغة المقارن»

ولم يكن اختراع الكتابة هو غاية هذا التحليل ونهاية دوره، لكنه شارك بفاعلية واضحة في خدمة مجالات كثيرة علمية وعملية، وظل هذا التطور في تقدم ملحوظ حتى أخذ شكل ما يعرف هذه الأيام بعلم الصوتيات، أو الأصوات.

الصوتيات

الأصوات phonetics هي المكونات الأولية والمادة الأساسية التي تتألف منها اللغة فمثلاً كلمة (قُدس) تتكوّن من القاف المثناة والدال والسين المهملتين (ق. د. س) والتي نستعملها بهذا الشكل المعروف لنا بالحروف، أو الحروف الأصوّل - عند الاحتراز من حروف الزيادة - وهذه الحروف الأصوّل هي ما نُطلقُ عليه في أبحاثنا اللغوية الحديثة مصطلح الفونيمات Phonemes أي الوحدة الصوتية المنطوقة، مفردها فونيم. والفونيم Phoneme هو أصغر وحدة صوتية مؤثرة في الدلالة، أي: إذا حُلَّ محل غيره مع اتحاد السياق الصوتي Phonological Contexte والاتفاق في بقية الأصوات الأخرى: تغيّرت الدلالة، واختلف المعنى مثل Sale و [Soul (S)^w - Moul (M)^w] اختلاف الصوت في اختلاف في المعنى مثل الجيم القاهرية والضاد العراقية، فلا نطلق على هذه الوحدة مصطلح (فونيم Phoneme)، وإنما هي مجرد صورة صوتية - فتح. كسر. ضم. مد. الخ - (فون Phon) تُلاحظ عند الأداء ولا يُلْتَفَتُ إليها عند التحليل الفونولوجي لفونيمات اللغة المخضعة للبحث.

وتختلف هذه الفونيمات من لغة إلى أخرى باختلاف الصفات التحليلية في كل لغة، وتختلف عنها في الأخرى. فليس بالضرورة أن ما يمكن اعتباره صفة مميزة لصوت من الأصوات في لغة ما، أن يكون صفة مميزة لنفس الصوت في لغة أخرى، فمثلاً في اللغتين العربية والإنجليزية: في الإنجليزية يختلف الصوتان (P)، و (b) الواحد عن الآخر بصفة الهمس aspiration، أو الجهر Voicing، غير أن هذه الصفة لا تميّز حرف الباء المجهور عن حرف الباء المهموس في اللغة العربية، والتي ليس فيها سوى فونيم واحد للباء بمستوى صوتي Phonological واحد (v)، فلكل وحدة صوتية لغوية (فونيم - pho-neme) صفاتها الذاتية من حيث المصدر Source، والتكوين Compo-sition، والشكل Miseen Forme، والسرّنين الخاص بها Resonance، والزمن المحدد لها The Determinant Time، وليس للفونيم معنى أو حياة مستقلة، لكنه العنصر الذي يدخل في تركيب الوحدة الحية المستقلة التي تسمى، في حالة المشاهدة بالمنطوقات Utterances.

والفونيم مصطلح فونولوجي وهو جوهر الدراسات الفونولوجية والتي ترتبط ارتباطاً تعريفياً عمادياً وثيقاً باتجاه وتسلسل التغير والتغير الصوتي، وقوانين التغير الصوتي مثل تحول الجيم في اللغة العربية الحديثة إلى عدة أشكال متطورة عن الجيم العربية الأصلية: «الجيم الصعيدية» - تنطق بصعيد مصر، وهي الأقرب إلى الأصل اللغوي الصحيح تقريباً - ثم «الشامية» المبالغ في تعطيشتها، ثم «القاهرية» وهي لا تُعْطَشُ مطلقاً، ثم جيم بعض القبائل العربية السودانية والتي تناقلها عنهم بعض العرب «الصعيدية» بمصر العليا: وهي قلب الجيم دالاً.

ج

د ج ك [وهذا التغير مَرَدّه إلى اللهجة]

وهناك متغيّرات صوتية مَرَدّها إلى اللغة نفسها، مثل:

GH h
G J

[تحويل G ز (صوت هوي)]

ولولا الإلام بقوانين الأصوات Phonology وَتَفَهُّمُهَا فِهْماً جيّداً ما تَطَوَّرَتْ دراسات علم اللغة المُقَارِن Comparative Linguistics التي أُجريت على العديد من الأسر اللغوية مثل أسرة اللغات الهندو - أوروبية Indo-European التي تضم لغات مثل الرومانسية Romance، والسلافية، والجرمانية، والهندية.

ومن أهم هذه التطورات اكتشاف المزيد من التساويات المنظومة على المستوى الصوتي، ومثال التراكيب التساوية المنظومة Regular Gorrespon-dence's:

اللغة	الفونيم	سحابة	أحمل
الجرمانية	$\geq b$	ne bal	baira
الأرمينية	$= b$	ne ibah	berem
السنسكريتية	$= bh$	na bhah	bharami
الإغريقية القديمة	$= ph$	ne phos	phero

(نقوم بعدة افتراضات أولية Assume's حتى نتوصل للحل الفونيمي الأمثل في القضية الصوتية المنظومة والتوصل إلى أقرب الافتراضات في الوحدة الأصل التي تفرّعت عنها بقية الوحدات الصوتية). (٨)

«جوانب متعددة للصوت اللغوي: ذهنية ونفسية وعنصرية وغيرها..»

أقسام الفونيم

الفونيم، ذلك الصوت الأصلي الأساسي الذي يندرج تحته عدد آخر من الأصوات التي تختلف عنه من الناحية الصوتية في بعض الصفات، ولكنها مع ذلك تظل تعتبر أحد فروعها، ينقسم - الفونيم - إلى: قسمين رئيسين وقسم آخر فرعي؛ فرضته التطورات اللغوية والترجمة العربية الحديثة:

(١) الفونيم الأساسي Fundamental Phoneme : هو الوحدة الصوتية Segments الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فلو حُدِّثَتْ، أو غُيِّرَتْ لضاع المعنى المقصود أو اختلف اختلافاً يَبِينُ مثل «هجم» فلو اسقطت الوحدة الصوتية «ج» لاختلف المعنى إلى «هَمَّ» والتي تحمل معنى الشروع في الفعل.

(٢) الفونيم الثانوي Secondary Phoneme : وهو وحدة صوتية مساعدة، تؤدي إلى فهم معنى اللفظة المسوقة مثل التنغيم، والنبر، والترنيم، والتلوين... إلى آخر العناصر الأذنية التي تُفَرِّقُ بين المعاني في استخدام الألفاظ من اندهاش، أو استغراب، أو إخبار، أو إنكار، أو استفهام، أو تعجب، أو سخرية، أو استهزاء... وما إلى ذلك من صور التمثيل الصوتي Phonological Representation والتي ترجع إلى طريقة الأداء اللغوي كالإشباع والإشباع والمد والتفخيم والترقيق.

(٣) فونيمات خاصة Special phonemes : قد فُطِنَ اللغويون إلى أن أصوات اللغة العربية لم تف بحاجة الحركات التعريبيه والتقنية اللغوية، مما اضطرهم إلى استحداث اصطلاحات كتابية للوفاء بالأصوات الخاصة باللغات الأوروبية، نحو: «ك = G»، «ب = P»، «ف = V»... ولو قدّر الله هذه الاصطلاحات الانتشار الواسع، أو بمعنى أدق، الالتزام المنضبط بها، لوضعت حدًا لاختلاف السائد في رسم الأعلام الأجنبية، وحينئذ نستغني عن كتابتها بحروفها الأصلية (٩).

المراحل الصوتية

للصوت اللغوي عدة جوانب، منها: الجانب الذهني الذي يسبق عملية

الكلام، والجانب العضوي النطقي الذي يتصل بأعضاء النطق، وأوضاعها، وحركاتها، وما تُصدره من ذبذبات، واهتزازات موجية Vibrations of wave's، والجانب السمع الذي يتصل بالجهاز السمع من الجهة العضوية الفسيولوجية، كما يتصل بالإدراك، وهي جهة عقلية نفسية، والتي تُسمى بمرحلة الاستيعاب السمع auditory perspective، وبين جانبي النطق والسمع يوجد الجانب الفيزيائي، ويتعلق بالوسط الناقل للذبذبات The Transmitting Medium بين فم المتكلم (المصدر Source) وأذن السامع (المستقبل Receiver) وسنغني فيما يلي بشرح بعض الجوانب المتعلقة بهذه المراحل (١٠):

● أولاً: مرحلة النطق الصوتي، إن هذه المرحلة تعني بالجوانب الفسيولوجية ووظائف أعضاء النطق المختلفة - كما أشرت سابقاً - وطريقة تحريكها بحيث تصدر الأصوات المختلفة والصفات الخاصة بكل من تلك الأصوات والبصوات الصوتية التي تُمَيِّزُ كل صوت من الآخر رغم ما يكون بينهما من تشابه كبير والجهاز الصوتي المشتغل على أعضاء النطق يتكوّن من:

الشفنتين Lip's، والأسنان Teeth، وأصول الثنايا (اللثة أو مقدّم الحنك) Tooth-ride، والحنك Palate، واللهة Uvula، واللسان Tongue، والحلق pharynx، ولسان المزمار Epiglottis، والحنجرة Larynx والحبلين الصوتيين Vocal Chord's، والقصبه الهوائية windpipe، والتجويف الأنفي Nasal Cavity.

وهذه الأعضاء تنتج الصوت اللغوي، ذلك الأثر السمع الذي يظهر في صورة ذبذبات تُطابق ما يصحبها من حركات أعضاء النطق، وقد حدّد اللغويون العرب أعضاء النطق التي أسموها بمخارج الحروف تحديداً لم يضيف إليه الباحث الجديد - مع كل إمكاناته العلمية الحديثة المتطورة - شيئاً كبيراً، على الرغم من أن القدامى كان اعتقادهم في تحديد المخارج على الملاحظة الذاتية، وفيها كل الصعوبات التي تواجه الطلبة في العادة؛ ومع ذلك فإن ما خالفهم المحدثون فيه - وهو قليل - يرجع أن يكون نتيجة للتطور الصوتي في النطق العربي الحديث، وإننا برغم كل ما أخذنا على القدامى في مجال دراسة الصوتيات من تقصير في بعض النواحي؛ إلا أننا نلمس لهم أعدداً واقعية ملموسة، فلم تُنَحْ لهم من آلات وأجهزة التصوير والتسجيل وتحليل الأصوات وغيرها ما هو مُتاح لنا في مُتاح في هذه الفترة المعاصرة، وبرغم كل شيء فإننا نُكَبِّرُ ما ابتدروا من أصول بحثية هذا العلم، وما قدّموه من دراسات أوليّة جليّة.

ولنا على جهاز النطق الصوتي ملاحظات نورد بعضها هاهنا:

(١) أعضاء الجهاز النطقي ليست وظيفتها الأساسية إخراج الأصوات اللغوية، وإنما هذه الوظيفة ثانوية، وعليه فإننا نعتبر إطلاق هذه التسمية على تلك الأعضاء من باب المجاز والتوسّع.

(٢) معظم الأجزاء الصوتية ثابتة لا تتحرك، وهناك أجزاء متحركة منها: الحبلان الصوتيان، واللهة، والشفنتان، واللسان؛ وهو أهمّها على الإطلاق، مما دعا كثيراً من اللغات لتطلق على اللغة اسم اللسان.

(٣) إذا حدث أي خلل في هذه الأجهزة تأثر إصدار الأصوات به ، لكنه لا يصل إلى درجة العطل الكلي والتوقف عن أداء وظيفته إلا في حالة تعطل الحبلين الصوتيين .

(٤) تخرج من تجويف الفم معظم الأصوات عدا أربعة أصوات يُستعمل التجويف الأنفي في نطقها بشكل رئيسي .

●● ثانيًا : المرحلة السمعية : لما كان الصوت ظاهرة تدرك بحاسة السمع كان لا بد من الاهتمام بهذا الجهاز - الاستقبالي - في علم الأصوات ، غير أن الاهتمام به ظل نادرًا في معظم الدراسات اللغوية ، في حين خلصت دراسته للنواحي الفيزيولوجية .

وتتعلق هذه المرحلة بجانب استقبال الصوت من الناحية السمعية ، وهذه تبدأ من اللحظة التي تستقبل فيها طبلة الأذن The Ear Drum تلك الأصوات والذبذبات التي تحدثها في أجزاء الأذن المختلفة حتى تنتقل عن طريق الأعصاب إلى الدماغ ، ويشتمل هذا الجانب على ناحيتين : الناحية العضوية (الفسولوجية) ، والناحية النفسية (السيكولوجية) .

أما عن الناحية النفسية فهي تلك التي تتعلق باستيعاب وفهم الدماغ لرموز الرسالة التي تحملها الأعصاب إليه ، وقد تعاون علماء النفس فيما بينهم في محاولة التوصل إلى تحليل حقيقة العملية العقلية البالغة التعقيد ، فالبحث النفسي يذهب إلى أن نصفي المخ يختلفان في طريقة تعاملهما مع المحفزات الداخلة عليهما (يمكن تصوّر أية محفزات خارجية) فيتعامل النصف الأيمن معها ككليات Totality ، بينما يتعامل النصف الأيسر معها بتحليلها إلى أجزائها .

وقد اعتبر العلماء أن النصف الأيمن من الدماغ - علاوة على كونه أقل تطورًا - فهو غير قادر على التعبير بواسطة اللغة والكتابة ، بل ويعتريه قصور من ناحية كونه لا يتحكم في الكلمات بل ولا يستطيع حتى الإحساس بها ؛ ولهذا فقد وصفوه في مثل هذه الحالات بأنه مصاب بالعمى الحركي (١١) .

الجهاز السمعي

الصوت حاسة تدرك بحاسة السمع وتستلزم وجود موجات مهتزة ، هزّاتها متتابعة تنتقل هذه الهزات في وسط غالبًا ما يكون الهواء - كما أشرت سابقًا - حتى تصل إلى جهاز الأذن Ear أو شبكة استقبال الأصوات net of sound transfer التي تتكوّن من الأذن الخارجية Out Ear ، والوسطى Middle Ear ، والأذن الداخلية Inner Ear وتحتوي على جهاز التوازن Equilibrium وجهاز السمع (القوقعة) .

والأذن البشرية حساسة تجاه التغيرات الضغيطية الدقيقة الناتجة عن ميكانيكية ذبذبات الموجة الصوتية ، كما أنها تقوم بتكبير هذه التغيرات الضغيطية من الداخل ، ويتم هذا التكبير في منطقة الأذن الوسطى ، وتكبر هذه التغيرات الضغيطية The Pressure changes بعامل تقريبي ٥٠ بالنسبة لمنسوب حركة الثلاثة عظميات (المطرقة - السندان - الركاب) .

فالصوت عندما يُحدث هزّات وتخلخلات ضغيطية في الوسط الملاصق للمصدر وهذا الوسط - الهواء غالبًا - يتشكل بتذبذبات وتوجّجات ينقلها إلى

أذن السامع ، وتلك الهزات تطرق طبلة الأذن The Ear Drum بطرق ماثلة تمامًا للهيئة التي كانت في مصدر الصوت ومن طبلة الأذن تنتقل إلى عظميات الأذن الثلاثة : المطرقة Hammer ، والسندان anvil ، والركاب stirrup ، والمسماة بمنطقة الأذن الوسطى region Middle Ear ، ثم تنتقل إلى الأذن الداخلية حيث السائل السمعي الذي تنتشر فيه أعصاب السمع ، وبه العضو الكورتي Organ of Corti الذي تتجمع فيه الألياف العصبية المكونة للعصب السمعي ؛ فتحس بتلك الهزات والتوجّجات التي انتقلت إليها ماثلة لما صدر عن مصدر الصوت .

« إشارات رمزية يقوم المخ بتحويلها إلى صور صوتية ذات معنى »

«

والمنطقة السمعية aural region تقع في في الفص الصدغي الأيسر للمخ ، وتحتل منطقة أكبر من منطقة الشم ، والوظيفة المميّزة للمخ البشري هي استخدامه للرموز وابتكارها ، وهذه الرموز أو الدفقات الصوتية القادمة من الجانب الأيمن للجسم ، تصل مباشرة إلى مركز الكلام في المخ . . بينما يتوجّب على الدفقات القادمة من الجانب الأيسر أن تلامس قاعدة الجانب الأيمن من المخ قبل مرورها بالجسم الجاسئ Rigid body لإنصاجها .

في وقت الانفجارات الكشفية المتتالية التي تعقب البحث عن اكتشافات فسيولوجية تحدد الخواص الكلامية التي تثير عمل النصف الأيسر للمخ ، ومن الفرضيات التي وضعتها بعض هذه الأبحاث : أن ميزة الأذن اليمنى تتحقق لكل صوت ينتجه الجهاز العضلي الصوتي ، ولم تصمد هذه الفرضية كحقيقة ، فقد زالت بفعل نتائج بعض البحوث التي اكتشفت أن ميزة الأذن اليمنى تتعلق بالكلام المفيد والرموز الشفوية المتعمّدة ذات الخلفية المنتظرة في المخ ؛ ولكنها ليست للضحك أو السعال .

ويقوم المخ بتحويل الإشارات الرمزية التي يستقبلها إلى صورة صوتية ذات معنى Significant From of Sound يدركها العقل ويقوم بترجمتها ، وهذه الصورة الذهنية التي تمثل اللغة الداخلة في طور الترجمة وفك الرموز ، ذات مظهرين - أو جانبيين - جانب اللفظ . . بمعنى تصوّر الأحداث المعيّنة مثل أصوات الفونيمات المكوّنة للكلمة [عكف . . . ع . ك . ف] وجانب الدلالة ، أي تصوّر ارتباط هذه الأصوات بمعنى محدد ومعين ، وهو العكوف والصورة الذهنية بهذا المفهوم في مظهرها يُطلق عليها في هذه الحالة : الرمز اللغوي (١٢) .

ويعد فك شفرات هذا الرمز اللغوي تتم الخطوات النهائية المكوّنة للمحادثة المثلى والمحادثة طبيعية وغريزة في الإنسان ، وهي التي تُميّز من بقية

(٢) المسافة بين عقدتين متتاليتين خلال الحركة (الطول الموجي - wave le- ngth [L]).

(٣) السرعة الموجية للصوت: وأجريت عدة تجارب لمحاولة تعيين انتشار الموجات الصوتية في الهواء، ولقد أصيبت كل هذه التجارب بعيوب أساسية مثل ما يُعرف «بالمعادلة الشخصية» والتي عيبها تجربة إطلاق مدفع وتسجيل الفترة ما بين رؤية الوميض وسماع الصوت، وأيضاً ما يُعرف «بالتوافق العصبي العضلي للراصد» والذي ينتج عنه مضيّ فترة زمنية معيّنة بين رؤية الوميض وبدء تشغيل الساعة ثم فترة بين سماع الصوت وإيقاف الساعة.

وقد تحلّص العالم «ريجنولت Regenwalt» من كل هذه العيوب باستخدام طريقة كهربائية لتسجيل لحظة إرسال الموجات الصوتية ولحظة وصولها إلى نقطة تقع على مسافة معيّنة من المصدر.

وأدت التجارب إلى أن سرعة الصوت في الهواء الطلق تبلغ حوالي ٣٤٠ مترًا في الثانية عند ٢٠م، وتكون سرعة الصوت في الهواء متناسبة طردياً مع الجذر التربيعي لدرجة حرارته المطلقة تحت الضغط الجوي المعتاد في درجة التردد الطبيعي nature Frequency الموازي لاتجاه انتشار الموجة الصوتية^(١٤)، وفي بعض الحالات - المقصودة أو النادرة - لا تصل هذه الذبذبات إلى شبكة استقبال الأصوات net of Sounds transfer ولكنها ترتد فيها يسمى بالأصوات المرتدة Restoring sounds أو الصدى Echo، أو بواسطة التداخل Interference، أو الحيود Diffraction، أو الاستقطاب Polarization فيما ليس له من موقع في دراستنا الآتية هنا.

وفي الختام أمل أن أكون بهذا الجهد المتواضع قد أسهمت - عملياً - بخطوة على طريق الدراسات الطامحة لتوحيد الدراسات الفيزيولوجية Psycho- linguistics - والمتصلة بالجانب الصوتي اللغوي المنطوق. والله من وراء القصد.

المخلوقات، فالإنسان بطبيعته عو اللغوي القمة The Linguistic primate ، القادر على تشكيل عناصر النص الرمزي وعرض المعاني وتكوين البنية العميقة Deepstructure ، من خلال تسلسل المنظومات السيميولوجية-The Ensem ble of Semiololiquol Systems ، فهو صاحب التكوين النبوي الذي يرجع إليه المعنى، والمالك لأساليب التفسير الإستمولوجي المُقنن لهذه البنية اللغوية.

الوسط الناقل

بين الفم (المصدر Source)، والأذن (المستقبل receiver) يقوم الجانب الفيزيائي، والمُتصل بالوسط الناقل The transmitting medium والذي يحدث فيه الصوت اللغوي phonology من ضغط عضلات القفص الصدري على الرئتين فتتقلصان، ويندفع منهما الهواء عبر القصبة الهوائية فالحنجرة محدثاً اهتزازات Vibration's في الأحبال الصوتية vocal chord's ويستمر في سيره حتى يخرج من فم المتكلم أو أنفه متموجاً بالصورة التي خرجت عليها الذبذبات، فعندما تهتز الأحبال الصوتية وتخرج هذه الاهتزازات من المصدر إلى الهواء، فإنه يؤثر في طبقة الهواء المجاورة له بقوى دورية مما يتسبب في انتشار نوع من الاضطراب الدوري في الهواء في صورة تضاعف يليه تخلخل، ويحمل الهواء هذه الذبذبات حتى يصل بها إلى أذن السامع، ولكي تصدر الأحبال الصوتية المهتزة صوتاً مسموعاً لا بد أن يقع تردده في حدود التردد المسموع والذي يتراوح ما بين ٢٠ ذبذبة/ثانية، و٢٠.٠٠٠ ذبذبة/ثانية، وأن ينتقل في وسط مادي بين المصدر الصوتي Sound Source وبين أذن السامع Human Ear، وعندما ينتقل الصوت في الهواء فإن أجزاء الهواء تهتز دون أن ينتقل الهواء من المصدر إلى أذن السامع^(١٣).

وتعتمد هذه الموجات على عدة عوامل (فيزيائية) منها:

(١) عدد الذبذبات الكاملة في كل ثانية، فيما يسمى بالتردد Frequency.

الهوامش

بالفونيم "p" فنقول مثلاً "bus" بدلاً من "puce". وأما في العربية فإن هذين الحرفين لا يمثلان فونيمين، فنستطيع أن نقول «باريس» أو «باريس». ومن المعروف أيضاً أن الرموز الصوتية «ت» و«ط» و«د» و«ض» و«ح» و«ع» تُغَلّ فونيمات في اللغة العربية (تختلف بعضها عن البعض الآخر)، بينما هي قد لا تكون كذلك في العديد من اللغات الأوروبية (انظر: د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، ص ٦٥).

(٨) لبحث هذه القضية يمكن الرجوع إلى: مجلة (الفصل)، ع ١٠٤، الفونولوجيا وإعادة التراكيب اللغوية، صفر ١٤٠٦هـ/نوفمبر ١٩٨٥م.

(٩) يُرجع في هذا الصدد إلى: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م ٣١/ج ٣/ص ٥١٣، لعام ١٩٥٦م، وم ٣٩/ج ٣/ص ٣٥٣، لعام ١٩٦٤م. البحوث والدراسات لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دورة (٣٤) لعام ١٩٦٧-١٩٦٨م، ص ٩٧-١٠٧.

(10) AL'aud.din Ramadan (1990); The Hearing, Poetique & Language-Comparative Linguistics, library of faculth of Arabic language Ashar University of ALMALIK FAYSAL, Egypt.

(11) Ibid.

(١٢) فودينان دي سوسير، (١٩٨٣م) محاضرات في علم اللغة، الترجمة العربية، ط وزارة الثقافة، بغداد.

(13) Al'aud. din Ramadan: The Hearing.

(١٤) وفيزيائياً يمكن إجراء بعض القياسات فيما يسمى بمعادلة الموجة The wave equation: $y = A \sin 2n (k/h + t/p)$ where the wave moving from right to left. But: if the wave moving from left to right.. the equation become: $y = A \sin 2n (k/h - t/p)$. [Al'aud.din, Ibid.]

(1) Look: Vygotsky; (1934). Thought and language.

&: D. Slobin; (1971), Psycholinguistics, London, P.g 8 & P101

&: D. Child; (1977), Psychology and teacher, London Holt, P.P 171 - 172

(٢) د. البدراوي زهران: بحث في اللغة المشتركة، مقدّم إلى الندوة الخاصة بالعلاقات المصرية السعودية، والتي عُقدت بجامعة الزقازيق وجامعة السويس - مصر: أكتوبر ١٩٨٧م.

(3) Edward sapir; (1964), Language: An introduction to the study o speech.

(٤) يجب أن يُفَرّق القارئ بين مصطلحي الفونولوجيا phonology وهو علم وظيفة الأصوات، أو علم الأصوات التشكيلي، وبين الفونيتكس phonetics وهو علم طبيعة الأصوات، أو علم الأصوات اللغوية.

(٥) ومنهم: علاء الدين رمضان، (١٩٨٨م) Graphology، بحث غير منشور.

- د. جمعة يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة (١٤٥)، ص ٥٩ وما بعدها.

- ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتاب ١٩٨٣م، ط ٢. ص ٣٥. - J. Wallwork; (1969), language and linguistics, an introduction to the study of language, London, P. 14.

(٦) عبدالرحمن صالح: مجلة اللسانيات ٢/١ سنة ١٩٧١م، ص ٢٥ وما يليها.

(٧) وكذلك الفرنسية ولغات أخرى - أيضاً - لنضرب لذلك مثلاً فنقول إن أي صوتين من أصوات اللغة يصحبان فونيمين - مثنى فونيم، أي وحدة صوتية - إذا كان من شأن إحلال الواحد منها محل الآخر في أي سياق لغوي واحد بعينه أن يحدث تغييراً في المعنى: كما هو الحال حين نستبدل - في الفرنسية - الفونيم "b"



بحاجة إلى توصية بضرورة التنكيل بهؤلاء الذين لا يقبلون أفكار ماركس ولا تعاليم لينين. فالحقد القديم في داخله كان وحده كافياً لأن يدفعه لارتكاب مجازر دامية في حربه بأشد الأسلحة فتكاً ضد جماعات لا تملك من السلاح سوى بضعة بنادق.

حيرة !

كان «أناتولي» حين قدم لأفغانستان يظن أن مهمته سهلة، فالمجاهدون المسلمون كما قيل له وكما ظنه بالمسلمين دائماً عبارة عن جماعة متخلفين يتشبثون بأوهام غيبية لا معنى لها. ويرفضون التحضر والمدنية وسائر إنجازات العلم، ثم إنهم لا يملكون سلاحاً يمكن أن يصمد أمام دباباته وقذائفه الصاروخية.

لكنه ما إن خاض المعارك ضد المجاهدين حتى فوجئ بأناس يقاتلون بضراوة لا يهابون الموت ولا يخيفهم تفوق عدوهم عليهم عدداً وعتاداً، فليدهم سلاح يتفوق على كل ما أنتجته ترسانة الدمار السوفييتية من أسلحة فتاكة، إنه سلاح الإيمان الذي يحقق المستحيل.

وذاقت قوات «أناتولي» الهزيمة تلو الأخرى من فصائل المجاهدين القليلة العدد والعتاد، مما أصابه بالهلع والخيرة، وزاد من حيرته أن الذين وقعوا أسرى في أيدي قواته من المجاهدين لم يزددهم التعذيب الوحشي الذي أمر جنوده بممارسته معهم إلا ثباتاً على الحق، وإصراراً على فداء دينهم ووطنهم.

نداء الفطرة يستيقظ

أعيت هذه الأحداث فكر الجنرال الشيوعي، إذ لم يجد تفسيراً مادياً لهذه الهزائم التي تلحق بقواته المنظمة المدربة أعلى تدريب والمسلحة بأحدث الأسلحة، أمام بعض الفصائل من المسلمين، فتقرر إلى التدريب والتسليح. ولأول مرة في حياته بدأ يفكر بفكر غير مادي، بدأ يشعر في داخله أن هناك قوة غيبية تساند هؤلاء وتحرسهم، وتحقق لهم الانتصار.

بعد مشاهدته تضحيات المجاهدين الأفغان: من لواء «جنرال» شيوعي إلى مؤزن

في مدينة باكو بأذربيجان، كان مولد أناتولي اندريوتش، لأسرة نصرانية غير متمسكة بديانتها، وفي ظل الحكم الشيوعي شب الصغير لا يؤمن بشيء سوى المادة، ويسخر ممن يحدثه عن الغيبيات أو البعث والحساب.

لم يكن أناتولي يشعر في قرارة نفسه أنه نصراني، وإن حملت هويته ذلك، كان في أعماقه متأثراً إلى حد كبير بالأفكار الشيوعية التي تنكر وجود الله وتكفر بكل ما هو غيبي خارج عن نطاق قدرة استيعاب العقل البشري.

سائر الديانات أشد وأنكى، حتى لطالما عبر عن رغبته في قتل كل من هو مسلم.

فرصة للتنفيس عن الحقد

جاءته فرصة - كما اعتقد هو - لترجمة مشاعره نحو المسلمين إلى واقع، حين كُلف بقيادة القوات الروسية في جبهة قندهار بأفغانستان، في مواجهة المجاهدين، واعتراه السرور بهذه الفرصة، ولم يكن يدري أنها ستكون فرصة خلاص روحه من براثن طاغوت الشيوعية، وأن «أناتولي» سيعود من أفغانستان شخصاً آخر، مختلفاً تماماً عن ذلك الذي جاء إليها على رأس شزيمة لا تؤمن بدين أو إله.

لم يكن يتوقع ذلك. ولا أحد آخر كان يتوقع هذا التحول الذي جاء من حيث لا يدري، فمن أراد الله أن يهديه فلا مضل له.

لقد كان مقدم الجنرال إلى أفغانستان تدبيراً من خالق الكون ليهدي به تلك النفس القلقة التي لا تعرف أين تجد الحق، فوجدته من حيث اعتقدت أنها لن تراه فيه.

لقد ذهب «أناتولي» إلى أفغانستان مكلفاً بمهمة سحق جموع المجاهدين الذين ثاروا على الحكم الشيوعي العميل في بلاد مسلمة، ولم يكن

تأثر بالماركسية

وحين التحق أناتولي بالمدرسة كان يثيره أن يرى زملاءه المسلمين يتحدثون فيما بينهم عن وجود خالق متعال، يستر أمور الكون، ويكتب لكل فرد رزقه، كان يسخر منهم حين يرددون هذه الأقوال أمامه، فباب الرزق قد حدده كارل ماركس في كتاباته وتعاليمه، أما توزيعه - حسب ظنه - فتتولاها الحكومة، هكذا علموه، وهكذا كانت ردوده تثير الشفقة عليه.

وبات معروفاً لدى زملاء أناتولي أنه شيوعي من رأسه لأخص قدميه، فتجنبه الكثير من زملائه المسلمين اتقاء لبطشه، ومن جانبهم فقد عليهم، ونمت جذور الحقد مع نموه.

العداء للإسلام والمسلمين

بعد أن انتهى أناتولي من دراسته التحق بصفوف الجيش، وتدرج في الرتب. حتى وصل إلى رتبة لواء (جنرال)، وكان طوال مدة خدمته مثلاً للشيوعي المنضبط الذي يطبق تعاليم ماركس ويحفظها عن ظهر قلب، وأولها أن «الدين أفيون الشعوب» ولأنه يحكم تربيته في جمهورية ذات غالبية مسلمة، كان يرى كيف يتمسك المسلمون سراً بعقيدتهم فقد كان حقه على الإسلام دون

قبل اتخاذ القرار

رغم أن الجنرال قد بات مقتنعا بدين الله، إلا أن بقايا من نوازع الدنيا كانت تشده وتمنعه من اتخاذ القرار، فالمنصب الكبير والمستقبل الواعد، مهددان في حالة إشهاره إسلامه، فظل على حيرته لأسابيع، حتى كانت صبيحة يوم مشرق، استيقظ فيه وقد وصل إلى اليقين، وقرّر قراره على إعلان ما كتّمه طويلا، ونفذ ذلك بالفعل برغم نصيحة زملائه بألا يفعل، وتوجه إلى الشيخ محمد حسين في الإدارة الدينية حيث نطق أمامه بالشهادتين وأشهر إسلامه.

الجنرال يصير مؤذنا لمسجد

بعد إشهاره إسلامه، اختار «أناتولي» أن يتسمى باسم «علي»، وعاد إلى أسرته فرحاً، لكنها استقبلت فرحته بالوجوم، إذ لم تفهم وقد عاشت عمرها كله في الإلحاد معنى أن يعبد إلها لا يرويه رأي العين، وزاد قلقها وعجبها حين صار يعمل مؤذناً للمسجد بعد أن كان جنرالاً.

حقيقة أن إسلامه لم يكن مفاجأة للأسرة لأنها سبق أن شاهدته مراراً منكباً على دراسة الأديان السبائية الثلاثة، لكنها لم يدر بخلدها يوماً أنه سوف يعتنق الإسلام، وأنه سوف يضحي بالمنصب الكبير ليعمل مؤذناً لمسجد.

وعمد «علي» من جانبه إلى محاولة هداية زوجته وأولاده إلى دين الحق خلاصاً لأرواحهم وتجلت عناية الله ورحمته عندما تكملت جهوده بالنجاح وما لبثت زوجته وابنته وابنه أن أسلموا ليكمل إيمان الأسرة الصغيرة.

وقد بدأ «علي» في تلقي دراسات إسلامية متخصصة على أيدي عدد من المشايخ الأجلاء عن قناعة بأن المؤمن الحق هو الذي يلم بتعاليم دينه ويعلم إياها زوجته وأولاده.

والأسرة الصغيرة تحيا اليوم سعيدة بإسلامها، وضاعفت سعادتها سقوط النظام الشيوعي وبدء عودة الروح والقيم الأصلية إلى تلك الجمهورية الإسلامية.



وبات الجنرال - لأول مرة - غير مقتنع بالحرب التي تخوضها بلاده ضد المسلمين، لكنه استمر في تنفيذ ما يتلقاه من تعليمات، لكن بدرجة حماسة لا تقارن بحماسة الأولى، فالشك قد بدأ يتسرب إلى فكره، ولم تعد أفكار ماركس ولينين بالنسبة له أفكاراً مقدسة لا تقبل النقض، فالحوار مع أسرى المجاهدين قد كشف له الكثير من مواطن ضعف تلك الأفكار وزيفها.

البحث عن الحقيقة

لم ينقد «أناتولي» من حيرته إلا قرار حكومته بالانسحاب، ذلك القرار الذي اتخذ إنقاذاً لماء وجه ثاني أكبر قوة عسكرية في العالم، بعد الهزائم التي منيت بها، والخسائر الكبيرة التي لحقتها، فعاد إلى باكوا، حاملاً معه همومه، آملاً أن يجد جواباً للصرعات داخله.

عاد الجنرال إلى زوجته وابنته وابنه، محاولاً عبر إشراكهم معه إيجاد المخرج لقلقه واضطرابه وعانى من البحث عن يرشده إلى الحقيقة بين الدعاة المسلمين، الذين تملكهم الشك والخوف منه لمنصبه العسكري الرفيع، خشية أن يكون مدسوساً عليهم من السلطات الشيوعية التي تطارد الدعاة، ولا تدخر سبيلاً لهدم المساجد على رؤوس المصلين أو قتل ونفي من يصل إلى علمها أنه يقوم بتدريس الدين الإسلامي أو مجرد قراءة القرآن الكريم.

تدخل العناية الإلهية

فشلت محاولات «أناتولي» في باكوا في العثور على من يرشده إلى خلاص روحه، إلا أن العناية الإلهية أرادت أن تُعجل بإنقاذه وإراحته من قلقه واضطرابه، إذ ما لبث أن نُقل إلى «ألماتا» وهناك تعرف على أحد الدعاة هو الشيخ محمد حسين، ولم يصعب على الداعية أن يكتشف القلق والضياع اللذين يحياهما الجنرال، وأن يدرك أنها مقدمتان عبر رحلة الشك للوصول إلى اليقين، فساعدته على اتخاذ القرار الصعب بتقديم الإجابات لكل ما يعن له من أسئلة، حتى عرف كل ما يحتاج إليه للوصول بروحه إلى بر الأمان.

كانت الفطرة السليمة قد بدأت تستيقظ داخله، وتناديه بصوت هامس أن يلبي نداء العقل الذي أفسدته تعاليم ماركس وتفسيراته المادية، وتفاعلت في داخله رغبة عميقة في أن يجالس بعض الأسرى. لعلّه من خلال الحوار معهم يكتشف ما يغمض عن فهمه من أسباب تولي انتصاراتهم.

كانت هذه الخطوة الأولى نحو تحرر روحه وفكاكها من عقال الفكر الشيوعي، الذي طالما أعمى بصيرته عن تبيين نور الحق، وما لبث أن استدعى حاجبه وأمره بإحضار بعض الأسرى ليجلس معهم، وحوار الحاجب فيما سمع، فقد عهده دائماً ينفر من مجرد رؤية المسلمين ويأمر بتعذيبهم أقصى العذاب، فما باله اليوم يطلب أن يحضرهم إليه ليجلس معهم، والأغرب أن يطلب لهم طعاماً وشايًا!!

نفذ الحاجب أمر الجنرال، وجاء ببعض الأسرى، الذين فوجئوا بذلك الضابط الكبير الذي طالما عرفوه متكبراً طاغية يجاذبهم أطراف الحديث في لطف ومودة، ويستمع إلى أحاديثهم عن الدين الإسلامي، ذلك الدين الذي جاء خصيصاً من بلاده ليحاربه، لكنهم بمرور الوقت أنسوا فيه رغبة صادقة في التعرف على العقيدة الإسلامية واستشراف ملامحها، فتمنوا في قلوبهم أن يجعلهم الله سبباً في هداية روحه الضائعة. فأخذوا يتحدثونه حديث القلب عن الإسلام ومزاياه عقيدة وسلوكاً. وكونه ديناً للناس كافة لا يميز بين عرق ولون، ولا يفاضل بين الناس إلا بالقوى.

صراع بين الحق والباطل

مست تلك الأحاديث قلب «أناتولي» فأخذته الاضطراب، ولم يستطع وهو الرجل الذي تربى على تفسيرات مادية أن يجد تعليلاً مناسباً، فالشعور الغامض الذي يصرخ في أعماقه يقلقه ويؤرق نومه، إذ خاض صراعاً عنيفاً بين ما تعلمه على مدى سنوات عمره من تفسيرات مادية للحياة، وبين ذلك النداء الغيبي الذي يدعوه إلى عبادة «إله» لم يشعر بوجوده إلا متأخراً!!

وكيل المرأة

● إذا قامت قضية على امرأة فهل يجوز توكيل من يحضر عنها؟

خ. م. م. أ.

جدة

□ لا بأس بهذا إذا كان من سوف تُؤكله: أميناً... عاقلاً مُدركاً لكافة وجوه الأمر، ويتوجب هذا على ولي أمرها إذا كانت لا تحسن بنفسها «المرافعة» لأن العاقلة من قومها يقومون مقامها... لها أو عليها سواء بسواء.

درجة حديثين

● من ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه - أفعمياوان أنتما-

هل صح هذان الحديثان...؟

عبد الله. ل. أ..

المدينة

□ الحديثان ضعيفان بعللة السند ففي سند كل منهما ضعيف فالثاني فيه نبهان مولى أم سلمة مجهول هو وأمه، والأول غاب عني الراوي الضعيف يحكم كتاب هذا الجواب حال السفر. وإلا فالحال كما ذكرت.

أفضل كتب الحديث

● ما أفضل الكتب التي ترى أن أحوزها من كتب الحديث؟

داود عدنان خالد جستنيه

جدة... طريق المدينة

□ لعلك تقتني / عقود اللؤلؤ والمرجان...)

٣٣ جمع فيها الجامع ما اتفق عليه البخاري ومسلم، وقد أجاد فؤاد بن عبد الباقي في عمله.

كذلك «سبل السلام» ٤٤ م و «الأربعين النووية» | صغير ورياض الصالحين | كبير.

فإذا داومت النظر في هذه وحفظت شيئاً منها فتقتني «فتح الباري». لابن حجر ١٤ عمدة

القاري». للعيني ١٢ م «شرح النووي». على مسلم للنووي ١٣ م.

كذلك «تحفة الأحوذى» و«عون المعبود» و«صحيح ابن خزيمة» و«موطأ مالك»، الموسوم: بالموطأ.

الحج عن الحي القادر

● ما حكم الحج عن الحي القادر؟

محمد العبد الله الفرهود العودة

بريدة... القصيم

□ مثل هذا لا يجوز الحج عنه لأن النيابة هنا لا تصح إنما يُحج عن الميت بهال حلال ونية صالحة وأن يكون من يريد الحج عن الميت قد حج عن نفسه.

حكمة صلاة النوافل

● ما الحكمة من صلاة النوافل؟

مبارك بن بخيت الدوسري

الأفلاج

□ الحكمة من هذا تزود المسلم بكثرة العمل الصالح كما أنها من أسباب تقوية الإيمان وتوليد حب العباداة في النفس شيئاً فشيئاً.

أما السُنن الرواتب التي تكون قبل صلاة الظهر وبعدها وبعد المغرب، وبعد العشاء، وقبل صلاة الفجر فهذه بجانب ما ذكرت. تُرَقَّع الخلل الحاصل في صلاة الفريضة لما قد يعتري المصلي من شروء ذهن ونحو ذلك، وهذا من فضل الله - سبحانه وتعالى - ومنته على خلقه.

محققو كتاب المفهم

● المفهم شرح صحيح مُسلم. هل هو في الحديث ومن حققه؟

ضيف الله ولي أحمد

الهند / دار الحديث

□ المفهم... هذا كتاب للإمام أبي العباس

أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٥٦هـ

وهو كتاب لم أطلع عليه من قبل هذا لكنني دلفت إلى مكتبة متواضعة فألفيته فاقنيتيه منها بثمان

بخس دراهم معدودة، وكم كان فرحي به، وكم كنتُ به حفيّاً.

والكتاب كما جاء في غلافه الأنيق «مخطوط ينشر لأول مرة» قام على تصحيحه وضبطه ومراجعته والتقديم د/ الحسيني أبو فرحة، حمزة د/ الأحمدي أبو النور، إبراهيم الأبياري، حمزة الزين، محمد بن عبد الكريم الحكيم القاضي.

قلتُ، وهو شرح لصحيح الإمام «مسلم بن الحجاج» رحمه الله المحدث المشهور وقد شرحه القرطبي جامعاً بين الحديث وفقهه واللغة ونحو ذلك.

قال في ص ٨ من المقدمة بعد كلام جيد «... وبعد: فلما حصل من تلخيص كتاب مسلم وترتيبه وتبويبه المأمول، وسهل إلى حفظه وتحصيله، رأيتُ أن أكمل فائدته للطالين ونسهل السبل إليهم على الباحثين، بشرح غريبه، والتنبيه على نكت من إعرابه وعلى وجوه الاستدلال بأحاديثه واتضح مشكلاته حسب تبويبه وعلى مساق ترتيبه، فنجمع فيه ما سمعناه من مشايخنا، أو وقفنا عليه في كتب أئمتنا، أو تفضلُ الكريم الوهاب بفهمه علينا على طريق الاختصار، ما لم يدع الكشف إلى «التطويل والإكثار حرصاً على التقريب والتسهيل وعوناً على الفهم والتحصيل وسميته «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» إلخ...»

ثم بدأ رحمه الله في ص ٩ المقدمة فقال [باب ما تضمنته خطبة الكتاب وصدره من المعاني والغريب]...

ويتبين من هذا سياسته العلمية في طرحه لشرحه «لمسلم» وحسب رأيي إنه كتاب لا يستغني عنه: محدث، وفقه، وأصولي «علم أصول الفقه» ومفسر لكونه جمع بين ما يحتاجه هؤلاء بموهبة ربانية عالية.

على أن لي ملاحظات على تحقيق الكتاب ودراسته لا أظن مقاماً كهذا يتسع لطرح رأيي «حسب فهمي» لهذا وذاك. ولكن جزى الله هؤلاء خيراً على كريم صنعهم.

جراد

شعر:
عبد العليم القباني
(الإسكندرية)

من كتاب: العبد



عبد العليم القباني

- عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب
بمصر

- رئيس لجنة التراث بمجلس الثقافة
بالإسكندرية.

- له دراسات وبحوث في الشعر
والصحافة في الإسكندرية.

أَجَدَّ الوجودَ أن أَرْفَ الفراقُ
وأني بين أصحابي غريب
سَمَتَ بي هَمَّتِي، وأبى زَمَانِي
وكيف؟ وفي دمي نَار تَلْظَى
أرادوني على دَخَلٍ وزَاغُوا
وطاولني ليجحدني أناس
وأوغر صدرهم أني صريح
إذا صغرت نفوسهم، رأوني
وما غمغمتُ من أسف ولكن
على أوتارهم نغم سليب
وفوق طروسهم جمدت سطور
«جراد» كل نغمتها طنين
وليس الشعر أوزاناً تقفَى
وأبياتاً يرددوها شُداة
ولكن، فيض عاطفه إذا ما
تحسَّ البيت يدفعه انطلاق
فهل لمس الشعور بنو زماني؟
وهل تركوا توابيت القدامى؟
(أسائل عن حصين كل ركب)
سلكت طريقهم أمداً طويلاً
أحاول أن أثور على قيود
إلى أن عدت بينهم غريباً
ولولا أن يقال أخو جموح
لطلقتُ الذي نغموه متي
ولكنني صمدت فما أبالي
ولما أن تجهمت الليالي
نعمت بقسمتي ورضيت حظي
وبعض البأس متكأ إذا ما
وهل من غفوة الماضي أفاقوا؟
وقادهم من العصر اتساق
وعند حماته دمه المراق
وعدت وقد تمرد بي انطلاق
مُذهَّبةً، فينكرني الرفاق
أصارعهم فيصرعني النفاق
تبجح ثم أعجزه اللحاق
وبعض الشرّ يحسمه الطلاق
أفاض الشهدُ أم طفع الغساق
وضلّ السعي واختلط السباق
وقد يُرَضَى من القمر المحاق
ضللت ولم تجد أملاً يساق

تجربتي في كتابة العمود الصحفي

برأيت مشواري الصحفي في عدن حيث عملت محرراً ناشئاً في صحيفة «فتاة الجزيرة» التي أسسها وحررها والدي محمد علي لقمان رحمة الله عليه وكانت أول صحيفة عربية منتظمة الصدور في جنوب الجزيرة العربية. وبعدها في جريدته «عدن كرونيكل» أول جريدة إنجليزية في الجزيرة العربية بأكملها.

ولما كنتُ عائدًا لتوي من دراسة الصحافة في جامعة «كولومبيا الأمريكية» اقترح علي والدي كتابة عمود صغير في الجريدة التي كانت متواضعة الحجم عندما تحولت إلى يومية، على أن أسجل في هذا العمود انطباعاتي عن الدراسة في أمريكا وقبل ذلك في الهند حيث نلت «الليسانس» في العلوم السياسية والتاريخ والاقتصاد.

وفي غضون ذلك صدرت جريدة «الشرق الأوسط» شقيقة «عرب نيوز»، إلا أنني لم أفكر في الكتابة فيها لسببين: أولهما: أنني كنت غارقاً ولا زلت في تحرير جريدة «عرب نيوز»

وثانيهما: لإحجامي عن العودة إلى كتابة العمود المعرفي خشية عدم ملاءمته وبالتالي خوفاً من رفض القارئ عليها لذلك النوع الجديد نوعاً ما من التناول. فقد كان جديداً في محتواه كما قال لي الأستاذ الكبير مصطفى أمين في رسالة خطية بعثها إليّ بعد أعوام من ظهور العمود ورواجه الضخم.

لكنني كنت أروي لأبتي «وحي»، التي حُرمت فيها بعد من متعة القراءة، كل ليلة ما صادفته في حياتي من حكايات عن مختلف الناس والأجناس وما زرتة من بلاد وشاهدته من عادات وقرآته من علم علني أعوضها ولو بالقدر اليسير عما خسرته بعد ما كانت من «أقرأ» الناس الذي عرفتهم في حياتي إذ كانت قبل محتها العسيرة التي تقبلناها بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره تلتهم كتاباً كل يوم حتى وهي تدرس الثانوية في جدة بما تبقى لها من نعمة البصر.

ابنتي دفعتني للكتابة:

وذاث ليلة وأنا أروي لها غرائب عن الهند وعجائب عن الولايات المتحدة ونُبداً عن

فبدأت أكتب عموداً صغيراً في حدود مئة كلمة يومياً بعنوان «بسرعة» ولأنه كان محدوداً تفاديت الخوض في الأمور السياسية والأدبية والفلسفية لأن عدد الكلمات لم يكن يحمل ذلك النمط من الموضوعات؛ فلجأت إلى المعلومات التي جمعتها من مشاهداتي وانطباعاتي وقراءاتي الغزيرة لوكالات الأنباء بحكم المهنة والكتب التي شغفت بها منذ الطفولة بتوجيهات والدي ومقترحاته، ومستفيداً من مكتبة المنزل التي اكتظت بنتاج المؤرخين والدارسين وما حمله معهم إلى عدن إخوتي الذي سبقوني إلى التخرج في مصر وبريطانيا. وحرصت على أن يحتوي كل عمود على فكرة أو معلومة أو قطعة من المعرفة: اختراع، اكتشاف، نظرية علمية، نبذة عن صانع تاريخ أو مؤلف كتاب أو سباق إلى إنجاز متعدد الروعات بعيد الأثر دائم المنفعة.

وواصلت الكتابة عدة أعوام حتى أمرت الحكومة «الماركسية الجديدة» - وقتها - في عدن بإغلاق الصحف الحرة وتأميم صناعة الصحافة بالكامل.

ثم شاء الله سبحانه أن أشد الرحال إلى هذه الأرض الطيبة وأسهم في إخراج جريدة يومية باللغة الإنكليزية باسم «عرب نيوز»، وواظبت فيها على نشر عمود يومي بالإنكليزية بعنوان «وجهة نظر».

من تجاربهم



بقلم:

فاروق لقمان

من كتاب: التجارب



● فاروق لقمان:

— من مواليد
عدن، الجنوب
العربي سابقاً
— حصل على

ليسانس العلوم السياسية والتاريخ من جامعة بومبي

— نال الماجستير في الصحافة من جامعة كولومبيا

— عمل في دار والده للنشر في عدن في جريدة (فتاة الجزيرة) وجريدة (ايدن كرونيكل)

— عمل مراسلاً متجولاً لوكالات الأنباء وجريدة (نيويورك تايمز) ومجلة (نيوزويك) في الخليج العربي.

— عام ١٩٧٤ اشترك في الإعداد لإصدار أول جريدة إنجليزية في المملكة العربية السعودية ولا يزال يعمل فيها حتى اليوم

— يكتب عموداً يومياً في جريدة «الشرق الأوسط» تحت عنوان (عالم بلا حدود)

الإمكان، ووجدت في نجاحه وقبوله دافعاً متزايد
الغفوان للاطلاع والاتصالات والزيارات
والرحلات، فإذا بلغني أن رجلاً من مواليد
الإسكندرية أضحي أحد أشهر خبراء العطور
الفرنسية في العالم رحل أبحث عنه لإجراء حديث
مباشر لأنشره يوماً ما. وإذا سمعت عن امرأة
حطمت الرقم القياسي لأسرع حاسب آلي في العالم
سافرت إليها.

في الوقت نفسه أسعدني ولا يزال يسعدني تلقي
مكالمات القراء الذي يطلبون عنواناً للمكتبة التي
توزع كتاباً استعرضته أو الشركة التي أشرت إلى
قيامها بتصنيع مزارع للأراب في تايوان أو لأسماك
السلمون في النرويج.

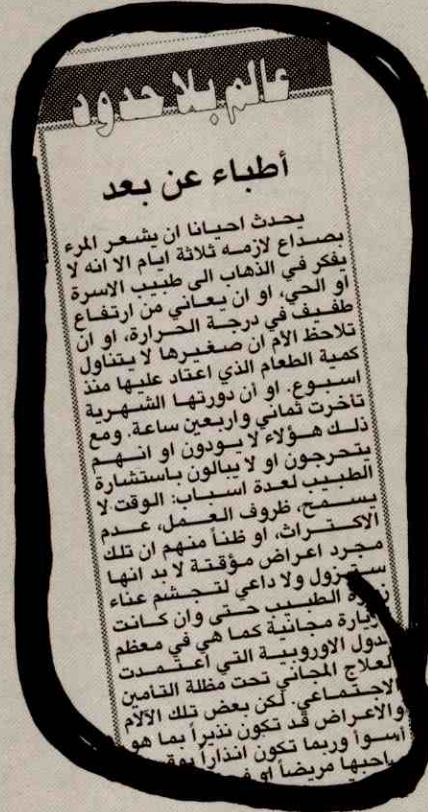
وقد ذكرت في أكثر من مناسبة أن تجربتي في
كتابة العمود المعرفي - والتسمية من اجتهادي -
بدأت بشغف متأصل وحب استطلاع عميق
استثمره والدي رحمه الله عليه ودفعني إليه ابنتي
«وحي» التي لم تشغلها دراستها الحقوقية للماجستير
في القانون عن متابعة ما أكتبه، وبالفعل كانت
ابنتي وراء هذا الإلحاح حول المعلومات والحصول
عليها وتضمنها مقالات مفيدة بإذن الله..

ومن جهتي لم أكن أغفل - كأب - طموحات
ابنتي بل كنت وسأظل خلف هذه الطموحات
حتى تواصل طريقها الذي بدأت بفضل الله تحمي
أولى ثمراته في صورة «ماجستير» في القانون من قسم
الدراسات العليا في كلية الحقوق في الجامعة الأردنية
عن أطروحتها في القانون المدني عن «الظروف
الاستثنائية التي تطرأ على العقد بعد إبرامه» دراسة
مقارنة.. وحمدت الله أن فرحت ابنتي - التي هي
بمثابة القلب مني - بمناقشة الأطروحة برغم ظروفها
الصحية، وبالتداخلات العلمية التي كان قلبي
معها وهي ترد وتداخل وتحيب بثقة برغم أنها أول
طالبة عربية مكفوفة تحصل على هذه الدرجة في هذا
التخصص.. والله الحمد..

.. إنني وأنا أكتب العمود الصحفي أشعر
أنني أكتب لأسرتي الصغيرة: الزوجة، الأبناء،
الأهل، الجيران، المعارف، الأصدقاء من القراء
ومن هنا أتصور أن يكون نبض الحرف موصولاً.



مصطفى أمين



ابنتي دفعتني
للكاتبة والقراء
سجتموا مسيرتي
في الصحافة..

وأثرت في مسيرتنا من مخترع القلم الجاف إلى أكبر
ذواقة للشاي في الكرة الأرضية إلى مؤسسي شركات
رولز رويس وسوني ومرسيدس. ولأن العمود ينشر
يسومياً ويجب أن يحتوي على شيء نافع بقدر

الحضارتين بادرني بالسؤال «لماذا لا تكتب عموداً
بين الحين والآخر فيه جوانب مما جمعت في جعبة
العمر؟ فأجبت بأنني سأعدها مجموعة منها وأقرؤها
عليها بعد ما بدأت تحضر لشهادة الليسانس في
الحقوق من جامعة صنعاء بالانتساب والحضور إذ
كانت تنتقل بين جدة وصنعاء في كفاح مرير وعنيد
لتحقيق أمنية عمرها. ولما أعجبها ما كتبت أرسلت
واحدة منها إلى رئيس تحرير «الشرق الأوسط» آنذاك
الأستاذ الصديق محمد معروف الشيباني وفوجئت
بنشرها بالرغم من أنها كانت عن «هونج كونج» ثم
نشرت الثانية وكانت عن المكسيك. عندئذ سعدت
بزيارة أحد الناشرين خلال جولته اليومية في المبنى
الجديد للشركة بطريق المدينة. فبادرني بما أثلج
صدري وأراح همي إذ قال: إنه يمنحني العمود
الذي كان أسبوعياً وحثني على مواصلة الكتابة
أكثر من مرة في الأسبوع كذلك فعل الناشر الآخر في
الصحيفة الذي سألتني إن كنت قادراً على الكتابة
ثلاث مرات في الأسبوع. ولما أجبت بالإيجاب أمر
الناشران بإفصاح المجال أمامي للكتابة وظلاً
يشجعاني بحرارة وصدق وحماسة دفعني إلى بذل
المزيد من الجهد ليس في الكتابة فقط بل في القراءة
أيضاً خارج نطاق المادة الصحفية التي تزودني بها
وكالات الأنباء العالمية. وحثني على ذلك تدفق
رسائل القراء الكرام التي ملأت ملفات عديدة لا
زلت أحفظ بها وأعز بها كل الاعتزاز.

ثم جاء يوم مشهود لا يمكن نسيانه عندما
استدعاني الناشران إلى مكتبهما لطلباً مني نشر
عمود يومي اختارنا عنواناً مناسباً لطبيعته وهو «عالم
بلا حدود». وقالوا لي: إنه يجب أن يعكس عنوانه،
ومنحاني حق تناول أي موضوع أراه مناسباً ومفيداً
ومُسوّفاً ومختلفاً عن سواه من الأعمدة المعروفة في
صحافتنا. المهم أن يكون نافعا.

وصادف ذلك هوّ في نفسي إذ كنت ولا زلت
ميّالاً إلى المحتوى المعرفي للعمود الذي يستهدف
القارئ المشوق إلى كل جديد في كل مجال من
الكتب الجديدة إلى النظريات العلمية والأماكن
البعيدة والشخصيات النافذة التي عرفتُها أو
قابلتها أو قرأت عنها وتركت بصماتها على حياتنا

بدايات

المخرطة

ومن أنواع المخارط الصناعية ما يلي:

١ - مخرطة المجوهرات :

وهي مخرطة صغيرة الحجم بالقدر الذي يمكن تركيبها على منصدة صغيرة، وبالتالي لا تحتاج - كما هو الحال في مخارط المعادن - إلى حيز كبير.

٢ - المخارط الصناعية :

وهي ضخمة الحجم، وتقوم بتصنيع أجزاء المحركات، والغلايات، ومولدات الكهرباء Dy-namos وغيرها من أجزاء المنتجات الصناعية الضخمة.

٣ - المخارط المحدودة الاستخدام:

وتستخدم لتصنيع الأشياء الصغيرة الحجم أو التي لها استخدامات شخصية مثال تلك التي تقوم بإنتاج العدسات اللاصقة أو غيرها.



وفي عام ١٨٠٠م، ظهرت الحاجة إلى توافر مستوى معين من الدقة، يلزم لتصنيع أجزاء المحركات العاملة بالبخار وماكينات الغزل والنسيج... مما أدى إلى حدوث تطورات سريعة في حركة صناعة المخارط، والتي كان أهمها تلك التي ابتكرها «هنري مودسلي» Henry Maudslay (١٧٧١ - ١٨٣١م) عندما أنتج أول آلات صناعية تستطيع التحرك بقوة لإنتاج الأدوات وأجزاء قص الخيوط.

على أن المخرطة الصناعية النمطية هي تلك التي أنتجها المهندس البريطاني «هاريسون» Harrison والتي حملت اسمه، وهي من موديل إل. جي ١٧٤٥ والتي كانت تستطيع خراط أية قطعة معدنية وبأي مقاس سواء كان مقاساً بريطانياً أو مترياً.

تجاه طرفه الآخر: مما يؤدي إلى حدوث حركة أمامية / خلفية. وبينما يقوم رجل بتشغيل المغزل بهذه الطريقة، يقوم رجل آخر بتشكيل الجسم المراد إنتاجه مستخدماً أدوات يدوية.

التطور التاريخي

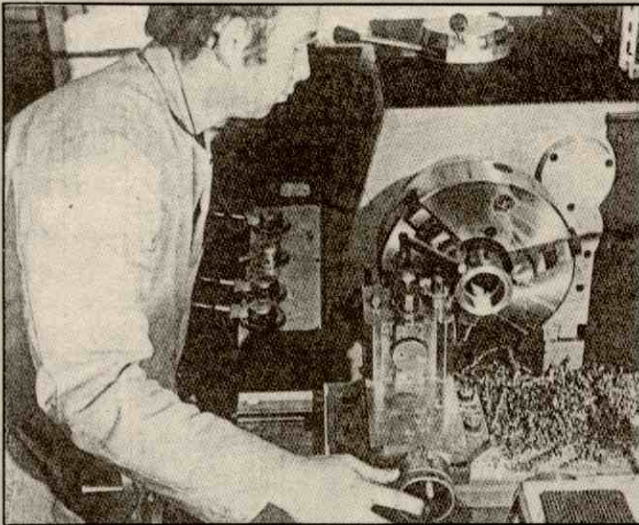
في القرن الخامس عشر للميلاد، أمكن إنتاج حزام ذي حركة مستمرة يعمل بواسطة ذراع تدوير Crank. ومن المحتمل أن تكون تلك الفكرة قد اقتبست من فكرة تشغيل أنوال الغزل والنسيج. ثم قام «ليوناردو دافينشي» Leonardo da Vinci بتصميم مخرطة تعمل بواسطة «مُدَّوس بالقدم» Foot Treadle يستطيع رجل واحد تشغيلها.

ومع حلول القرن الثامن عشر للميلاد، كانت المخارط التي تعمل بأدوات يدوية تنتج قطعاً معدنية طرية أو لدنة.

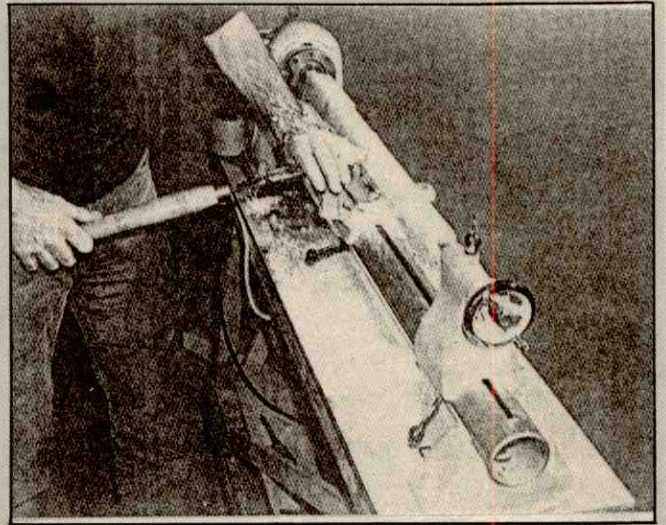
تطور صناعة المخرطة شهر Lathe مراحل تاريخية متتالية. وتكاد المخرطة تنفرد بكونها أقدم وأهم أدوات صنع المحركات. ذلك أن معظم منتجات المحركات - في الوقت الحاضر، مثال «المخرطة البرجية» Turret Lathe أو «المخرطة الرأسية» Vertical Lathe تستخدم نفس مبادئ تشغيل تلك المخرطة التي تظهر على رسومات المعابد المصرية القديمة التي يعود تاريخها إلى ثلاثمائة عام قبل الميلاد.

فكرة التشغيل

قد تكون فكرة تشغيل المخرطة مقتبسة من فكرة عمل قرص تشكيل الأواني الفخارية. فقد استخدمت المخارط القديمة في صناعة آلات غزل القطن، والبكرات Pulleys، وأرجل الكراسي وغيرها من الأشياء الأسطوانية الشكل المصنوعة من الخشب. وكانت إحدى تشغيل تلك المخارط، أن يُلف حبل حول مِغْزَل Spindle الآلة، ثم يُجذب الحبل تجاه أحد طرفيه، تُعاد الكرة بجذب الحبل



مخرطة صناعية



مخرطة محدودة الاستخدام

الإنسان أو من الحيوان أو الرقعة الجلدية الصناعية ثم تحدث عن الوقاية من الحروق والجروح التي تستدعي البعد عن أسبابها.

وفي الفصل الأخير تحدث باقتضاب عن الموقف الشرعي من زرع الأعضاء وزرع الجلد على وجه الخصوص، وألحق به نص الفتوى التي أصدرها مفتي الديار المصرية الشيخ محمد خاطر عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٣م) عن هذا الموضوع الهام.



د. فهد بن عبد الله الساري



● العنوان : أزمة الخليج (دراسة في الخلفية التاريخية والعوامل السياسية).

● المؤلف : د. فهد بن عبد الله الساري.

● الناشر : المهرجان الوطني للتراث والثقافة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

فوجئ العالم بالحدث الهائل الذي وقع في ٢ أغسطس من عام ١٩٩٠م، وراح يتساءل في حيرة: ما هذا الذي وقع؟ كيف تحرّج دولة عربية على الإقدام على غزو دولة عربية جارة لها؟ وبدأ في مراجعة أوراق هذا الحدث، والتقليب في وثائقه القديمة.

فلم يكن هذا الحدث منطلقاً من فراغ، وإنما له جذور بعيدة الغور في التاريخ القديم والمعاصر، وله أيضاً خلفياته وأطماعه.

وهذا ما يشير إلى أهمية هذا الكتاب الذي تعرض له، فقد أراد مؤلفه د. فهد بن عبد الله الساري - من خلال صفحاته - إلقاء الضوء على الخلفية التاريخية وعواملها، ولقد بذل في سبيل ذلك جهداً عظيماً؛ ليضع الحقائق أمام المتأملين، والذين أصابهم الدهش بسبب ما أقدم عليه العراق في ذلك اليوم المشؤوم.

فقد كان من الغريب حقاً أن تقوم دولة عربية باحتلال دولة شقيقة كانت تنعم بالجوار معها، وأن يفرز هذا الاحتلال سياسة بشعة تسعى إلى طمس معالم الدولة على المستويات السياسية والاقتصادية والبشرية والحضارية.

وقد كان الهنود القدماء يزرعون الأنف والأذن والمتأكلة ويصلحونها بالرقعة الجلدية وأخذها منهم المسلمون ومنهم انتقلت إلى أطباء أوروبا.

تاريخ طويل :

وفي الفصل الثاني تحدث عن تاريخ زرع الجلد واستخدام الرقعة الجلدية في الوقت الحاضر باستخدام الليزر بدلاً من الآلات القديمة لأخذ الرقعة الجلدية بـسـمـكٍ محدّدٍ تماماً مسبقاً، ثم أتبع ذلك بفصل تحدث فيه عن وظائف وتركيب الجلد وتاريخه، إذ لا يمكن فهم هذا الموضوع دون الإلمام بوظائف الجلد وتاريخه.

وفي الفصل الرابع تحدث عن الحروق وأنواعها وأسبابها من الاحتراق بالنار، أو الماء في حالة غليان، والاحتراق بالكهرباء، والاحتراق بالمواد الكيماوية، وأوضح درجات الحروق وتقسيماتها الثلاثة عند الأطباء حيث إن أولها تصيب الطبقة السطحية من البشرة، والثانية تصيب بشرة الجلد بكاملها وتغور إلى الأدمة، والثالثة تتجاوز البشرة والأدمة والأنسجة تحت الأدمة حتى تصل إلى اللحم والعظم، وهي أخطر تلك الدرجات على حياة الإنسان، ومع ذلك فإن المصاب بهذه الحروق الشديدة لا يشعر بألم الحرق لأن الأعصاب الحساسة للألم والحرارة تكون قد احترقت تماماً.

وفي الفصل الخامس تحدث عن معالجة الحروق ابتداء من الإسعافات الأولية، ثم إدخال المصاب المستشفى والمعالجة بالسوائل والبلازما والدم والأمصال وكيفية رعاية المصاب ومتابعة حالته وكيفية معالجة الحروق موضعياً وبالمضادات الحيوية ومعالجة قرحة الإثني عشر والمعدة الناتجة عن الحروق وكيفية التوقّي منها، والوقاية من الإلتان ومعالجته عند حدوثه.

ترقيع الجلد :

ويتحدث المؤلف الدكتور محمد علي البار عن ترقيع الجلد في الفصل السادس لمعالجة الحروق. والشروط التي ينبغي توافرها، وكيفية الزرع، وأنواع الرقعة الجلدية المستخدمة وأين يبدأ الجراح بالترقيع بناء على أهمية الموضع المصاب بحيث يبدأ بالأهم ثم المهم.

وأخيراً شرح كيفية إزالة الندوب والتشوهات الناتجة عن الحروق أو الفُـرح الزمنية الكبيرة، أو العمليات الجراحية لإزالة ورم خبيث مثلاً، وأنواع الرُقـع الكاملة أو الجرتية المستخدمة في ذلك، وكيفية استخدامها وكيفية توقّي الرفض أو فشل الترقيع، واستخدام الرُقـع من



د. محمد علي البار



● العنوان : زرع الجلد ومعالجة الحروق

● المؤلف : د. محمد علي البار

● الناشر : دار القلم - دمشق (الدار الشامية بيروت) - ط أولى ١٤١٢ - ١٩٩٢م

يدخل هذا الكتاب الهام تحت بند الثقافة العامة لموضوع مهم هو (زرع الأعضاء) من منظور إسلامي، خاصة في هذا الوقت الذي زادت فيه المخاطر على الإنسان.

يبدأ المؤلف كتابه بالآية الكريمة ﴿ومن أحيأها فكأنها أحيأ الناس جميعاً﴾ (سورة المائدة آية ٣٢) والآية تشير إلى أن إنقاذ حياة إنسان واحد كإنقاذ حياة الناس جميعاً، ثم تُشـي بالحديث الشريف «عباد الله، تداوؤا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، غير داء واحد هو الهرم».

ويقول: إن مسألة زرع الأعضاء ليست مسألة جديدة وإن اتسع نطاقها في العصر الحديث، حتى لا يكاد يوجد عضو من الأعضاء إلا وقد استُبدل واستُزِع باستثناء الدماغ - ومع ذلك فهناك محاولات كثيرة لنقل خلايا إلى الدماغ لمعالجة مرض الشلل الرعاش (الباركنسون)، ومعالجة الخرف المبكر وخاصة مرض «الزهايمر» الذي يصيب مئات الألوف في الولايات المتحدة وأوروبا.

وقد عرف قدماء المصريين عمليات زرع الأسنان التي أخذها عنهم اليونان والرومان فيما بعد، كما عرفها سكان الأمريكتين ممن يستعملون الهنود الحمر قبل أن يعرفها الأوروبيون، وعرفها المسلمون كذلك منذ القرن الرابع الهجري..

وقد أعاد النبي ﷺ على قتادة بن النعمان عينه عندما أصيب بسهم يوم الحُد، فكانت أصح عينيه وأحدّها بصراً، وكذلك ردّ ﷺ يد معوّز بن عفراء بعد أن قُطعت من الكتف يوم بدر، كما ردّ يد حبيب بن يساف بعد أن ضُرب على عاتقه يوم بدر أيضاً وهذه من المعجزات التي أيد الله سبحانه وتعالى بها.

بالخلفية التاريخية الشاملة لحدث هز كيان الأمة العربية ،
بل اهتزت له شعوب العالم قاطبة .

فقد كان حدثاً فارقاً بالمعنى التاريخي لأن صورة
العالم بعد حدوثه غيرها قبل وقوعه الميزل .



● العنوان : لغة قريش .

● المؤلف : مختار سيدي الغوث .

● الناشر : النادي الأدبي بالرياض (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)

ستظل لغة القرآن الكريم - على مر العصور - هي
المعيار اللغوي الأسيل ، والمرجع الذي تضبط عليه اللغة
العربية تقعيذاً وتركيباً ومبنى ، فمنذ نزول الوحي بآياته
البيئات على الرسول ﷺ ، وهو شغل العربي الشاغل ،
فبعد أن جمعت مسوره من صدور الصحابة رضوان الله
عليهم ، وظهر إلى الوجود أول مصحف في عهد الخليفة
الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتم
رسمه النهائي بالطريقة والشكل اللذين وصلنا به إلينا
حتى عصرنا الحالي ، ومن قبل ، وبالتحديد خلال القرن
الرابع الهجري ، وما تعارف عليه بعض التدوين العربي ،
كان قد هُمى للعرب فتح البلدان شرقاً وغرباً ، واستطاع
الأسلاف نشر الدين الجديد (الإسلام) وفي خط مواز نشر
اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) انكفاً علماء اللغة
ليستنبطوا علوماً جديدة تحفظ للقرآن الكريم حروفه ،
وضبط قراءاته خشية الوقوع في اللحن . بعد أن دخلت
الإسلام شعوب غير عربية ، وسعى علماء اللغة إلى
البادية ، وخصّصوا الرحلات تلو الرحلات إلى أعماق
الجزيرة العربية ، ليصلوا إلى البدو الأقحاح الذين لم
يختلطوا بالشعوب الأخرى ، وصار البدوي مرجعاً
أساسياً لتحصيل المرادفات اللغوية التي تثري اللسان ،
وتصقله ، ولم يك هذا الجهد داخل نطاق اللغة منفصلاً
عن جهود علماء الفقه والتشريع ، فضبط معاني الكلمات
أساس لا مندوحة عنه لقيام علم التفسير ، وبالتالي

كبير في هيبة الأرضية لمطالبة العراق ببعض الأراضي
الكويتية لأغراض استراتيجية .

ثانياً : أثبتت دراسة هذه المحاور المختلفة أن الأزمة
متصلة بجذور تاريخية وعوامل محددة كانت تعمل منذ
فترة طويلة لرسم وبلورة معالمها وتطوراتها وساحتها . كما
تعطينا الخلفية التاريخية للنزاع العراقي الكويتي صورة
واضحة عن الخلل الكبير والواضح الذي تعاني منه
السياسة العربية في تعاملها مع الخلافات الإقليمية .

ثالثاً : لا يمكن التقليل من تأثير المتغيرات السياسية
الدولية في منطقة الخليج وخصوصاً فيما يتعلق
بالمستجدات السياسية التي أحدثتها روسيا في مجال
الإصلاح والوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية . إلى
جانب هذا اتضح الدور الذي مارسه الصراع الإيراني -
العراقي في المنطقة وما أدى إليه من سياسات عدوانية من
جانب العراق تُرجم أخيراً في احتلال الكويت .

رابعاً : لقد أثبتت الأزمة على المستويين الرسمي
والشعبي جهل الكثيرين بالتاريخ وبأهميته التحليلية .
وينعكس هذا الجهل أو التجاهل في اعتقاد الكثيرين بأن
الأزمة مفاجئة من جميع الجوانب والخلفية التاريخية التي
بين أيدينا تثبت بكل بساطة عكس ذلك .

خامساً : من خلال هذه الخلفية التي اتسمت
بالتعددية في العوامل والمحاور يمكن الخروج بعدد من
التطلعات الاستشرافية المستفادة من الأزمة وخلفيتها
التاريخية وما ارتبط بها من تطورات ، منها ما يتعلق بالقوة
الذاتية لدول العالم العربي والإسلامي ، فقد أثبتت الأزمة
ضعف هذين العاملين عسكرياً على الرغم من القدرات
المتوافرة لديها ، ومن هذه التطورات إثبات أن الدول
القوية سواء الشرقية أو الغربية تنتهج سياسة تتفق مع
مصالحها وأهدافها في المنطقة ، كما أثبتت أيضاً أن
مشكلات الحدود بين البلدان العربية ليست بسيطة
وعادية ، وأن المنطقة العربية بحاجة ماسة إلى نظام أمني
متكامل يضم معظم الدول القوية في العالم العربي
والإسلامي رغم اختلافها .

وأثبتت أخيراً أن هناك مسؤولية كبيرة ملقاة على
عاتق كل المؤرخين والحكومات العربية للتنسيق حول
الاستفادة من دراسة التاريخ عند وضع الاستراتيجيات
أو تحديد الأوضاع المحيطة بكل دولة .

دعم د . فهد بن عبد الله الساري دراسته القيمة
بعدد كبير من الوثائق والخرائط التي تعكس تطور
الحدث منذ بداياته التاريخية حتى الوقت الحالي .

هذه الدراسة ذات قيمة تاريخية هامة لأنها تمدنا

ركزت هذه الدراسة على أهم المحاور الرئيسية التي
كان لها دور فعال في تهديد أرضية الغزو العراقي
للكويت ، وذلك لفهم حقيقة الأزمة قدر الإمكان ،
والإيجاد منطلق جديد يشجع على إدراك أهمية الوعي
بالتاريخ والاستفادة من مراثياته الاستشرافية .

وواجهت الدراسة صعوبات شتى من أبرزها أن
الحدث لم تنته تطورات بعد ، بالنسبة للمتخصصين في
الدراسات التاريخية الذين يفترض أن يتسموا بالتأني في
دراسة القضية حتى تتكامل مصادرها ووثائقها وفترتها
الزمنية المطلوبة ، ولذلك فقد تحاشت الدراسة الخوض في
التفصيلات المباشرة للأزمة وتطوراتها ، وركزت بدلاً من
ذلك على استعراض الجذور التاريخية لها ، وإلقاء الضوء
على الظروف السياسية المحيطة بها والمؤثرة في تطوراتها .

وكان لاستعراض الجذور التاريخية أهمية خاصة لأنها
تعطينا أيضاً كافيًا للتعرف على منطلقات الأزمة
ومسبباتها مما يتيح الفرصة للاستفادة والعمل على التعامل
مع المستقبل من منظور هذه الخلفية ، كما أن تسليط
الضوء على هذه الخلفية التاريخية يجعلنا ندرك حجم
غياب الوعي بالتاريخ والنتائج السلبية لهذا الغياب .

وأزمة الخليج تعود جذورها إلى عوامل عديدة
ومشتركة أسهمت في تشكيل الإطار المكاني والزمني
لحدوثها ، ومن أهم هذه العوامل والمحاور :

- أهمية الخليج العربي والتنافس الدولي على مياهه .
- دور بريطانيا في المنطقة .
- الأهداف العراقية في منطقة الخليج .
- النزاع التاريخي بين الكويت والعراق .
- النفط وأمن الخليج العربي .
- سياسة العراق لملء الفراغ السياسي في الخليج .
- العوامل الأيديولوجية العراقية .
- الحرب العراقية الإيرانية .
- تأثير سياسة الوفاق الدولي على المنطقة .

قام الباحث بتناول كل عامل من هذه العوامل على
حدة ، وسعى إلى تقديم التحليلات الكافية لتغطية جميع
هذه الموضوعات ، وتم تحديد هذه العوامل لشموليتها
ولارتباطها بما يدور اليوم على سواحل الخليج العربي من
حيث توجيه التطورات السياسية وتشكيلها ، وتحديد هذه
العوامل يغطي جميع المؤثرات التي لعبت دوراً كبيراً في
رسم إطار الأزمة في مظهرها الراهن .

ومن خلال العوامل التي ناقشناها الدراسة خرج
الباحث بعدد من النتائج التحليلية البسيطة ، يمكن
استعراضها فيما يلي :

أولاً : ساهم النزاع بين البلدين حول الحدود بدور

العلوم الفقهية والشرعية الأخرى، وقد وقع جدل لم ينته بين علماء اللغة في ذلك العصر حول هل أنزل القرآن بلغة قريش محتجين بالآية الكريمة ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ (سورة إبراهيم/ ٤) والمقصود بقومه هنا (قريش) أم أنه أنزل بلسان القبائل العربية جميعاً محتجين بالآية الكريمة ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾؟؟ (سورة الزخرف/ ٣)

ولأن الجدل لم يزل قائماً حول هذا الموضوع، فقد جاءت هذه الدراسة لتدلي بدلوها. وتناقش الحجج المطروحة لدى القدامى والمحدثين معاً.

والدراسة نال بها صاحبها درجة الماجستير من جامعة الملك سعود، ويبدو لنا - منذ الهولة الأولى - الجهد العظيم الذي بذله الباحث، والرحلة المرهقة التي قطعها مع اللغة العربية في تحولاتها المختلفة؛ لتأتي دراسته العميقة شاملة جوانب الموضوع كافة، فلم تترك صغيرة ولا كبيرة، كما يقال عادة. فالباحث يناقش الآراء المتباينة التي جاءت على ألسنة علماء اللغة القدماء، كما يناقش الآراء الواردة في مؤلفات علماء اللغة المحدثين، وكذلك يفند آراء المستشرقين المتخصصين في دراسة لغة القرآن الكريم، ثم يخلص إلى رأيه، ويقدم البراهين القاطعة التي تحسم الخلاف حول هذه القضية المثيرة.

يقول الباحث في معرض تقديمه للكتاب: قضيت زمناً تصطريح في فكري تلك الأحاديث المروية في الصحاح في نزول القرآن بلغة قريش وإجماع اللغويين على ذلك وعلى تفصيلها على سائر اللغات، وآراء هؤلاء المحدثين، أجدهم من اللغويين الأقدمين تعليلاً دقيقاً، وترفعها عن كذا وتباعدوها عن كذا، ولا أجدهم ما أدفع به حُجج مغاليفهم، وهي حجج قوية في ظاهرها، فانهكت زماناً في قراءة كتب اللغة والأدب أستوضح اللغة القرشية وخصائصها، وأنقب عن معنى الفصاحة ومقاييسها، وفي قراءة تاريخ القرآن وعلومه وشرح الأحاديث المروية في كتابته، استجلى معانيها (...). فطفت أستوضح حجج المحدثين وأقارنها بما استبان من تلك المعاني التي كانت غامضة، فإذا هي تنتفض حجة حجة.

إذن فهذا هو الدافع الذي جعل الباحث يقدم أطروحته، إنه هاجس قديم لا يفتأ يتردد على ذهنه، حتى أراد أن يضعه موضع الحسم.

ولكن البداية (فصاحة قريش) للكشف عن خصائصها، وتلك هي الخطوة الصحيحة. فإذا تم التعرف على المقدمات المنطقية فإنه يسهل علينا الوصول إلى نتائج محدودة.

ولكن هل يبدأ الباحث من فراغ؟

إنه يرصد لنا عددًا من الدراسات التي سبقته في نفس المجال، ثم يجد لنا درجة اختلافها معها، ذلك أنه وجدها لا تناول لغة قريش تناوُلًا يصح التعويل عليه. فبعضها لا يدرس منها إلا جوانب دون أخرى.

وبسبب هذا كان الاعتماد عليها غير ممكن، فلا بد من دراسة جديدة للغة القرشية تتجنب ما قصرت فيه الدراسات السابقة، وتدارك ما وقع فيها من أخطاء، وتسعى إلى تمييز لغة قريش من غيرها من القبائل التي قد يطلق عليها (أهل الحجاز) وتستقرى أحكام اللغويين على لغة قريش ظاهرة ظاهرة، من حيث الفصاحة أو عدمها، وتبيح ورودها في القرآن الكريم، حتى إذا تم الاستقراء أمكن أن تناقش آراء القدماء والمحدثين في لغة قريش في ضوء ما انتهت إليه.

ومن أجل هذا فإن الباحث قد سلك السبيل الآتية: عرض أقوال اللغويين في الظاهرة اللغوية، ليوازن بينها إن كانت مختلفة، ويرجع بعضها على بعض معتمدًا على القرائن والسياقات التي يرد فيها كلامهم مستعينًا بالقرآن الكريم ولا سيما قراءات قراء الحجاز، والنصوص القرشية شعراً ونشراً، فإذا فرغ من تقرير نسبة اللغة نفيًا أو إثباتًا، عرض آراء اللغويين فيها من حيث الفصاحة والشيوع في الأدب، وإن لم تكن اللغة مما اختلف فيه، وكانت دلالة (أهل الحجاز) على قريش لا إشكال فيها، عرض لورودها في القرآن الكريم وشعر قريش ونشرا، ثم درجتها في الفصاحة، وبالطبع فإن المعتمد في الحكم بالفصاحة أو عدمها، على ما قرر اللغويون؛ لأنهم هم واضعو مقياس الفصاحة، ولأن غاية البحث الوصول إلى أي اللغات كان أفصح في زمانهم.

ويمكن أن يقال إن هذا البحث ليس دراسة للغة قريش، وجمعاً لها فحسب، بل هو أيضاً نقد لما أورد في المصادر القديمة منسوباً إلى قريش أو ما يحتمل أن تكون مقصودة به، لتخليص ما صَحَّ لها مما لم يصح.

وقد قسم البحث إلى أربعة فصول يسبقها تمهيد يعرض المصطلحات اللغوية التي استعملتها المصادر القديمة لتدل بها على لغة قريش: إذ لم تكن اللغة القرشية تذكر باسمها الصحيح، على الدوام، فكان استعراضها ضرورة، لئلا يفجأ القارئ أن اللغة في البحث تنسب إلى قريش، وهي في المصدر المقتبسة منه منسوبة إلى غيرها.

والفصل الأول من الكتاب موضوعه القضايا

www.ahlaltareekh.com

الصرفية: أصوات الكلمة وأبنيتها. إلى غير ذلك من الموضوعات الصرفية التقليدية. وأما الثاني فيعرض للموضوعات النحوية. وموضوع الفصل الثالث هو المعجم، وجعله للحقائق اللغوية الخاصة التي لا تنتظمها قاعدة وليس من شأنها أن تدخل تحت قاعدة، كحركات حروف الكلمة، ودلالاتها، والأصل الذي اقترضت منه (المعرب). أما الفصل الرابع فقد تناول آراء القدماء والمحدثين في لغة قريش، عرض فيه آراء العرب قبل تدوين اللغة، في لغة قريش، ثم آراء اللغويين القدماء وآراء المحدثين من مستشرقين وعرب، من حيث الفصاحة ومن حيث صلتها بلغة القرآن ورأىهم في اللغة المثالية التي يرون أنها كانت لعرب الجاهلية. تبعت ذلك مناقشة لتلك الآراء يتقدمها حديث عن اللغة المثالية في الجاهلية وعصور الاحتجاج يتضمن من الأدلة ما قد ينفي صحة وجودها في ذلك الزمن، تلاه بحث في الفصاحة ودلالاتها في الفكر اللغوي القديم ومقاييسها. وكان الحديث عن اللغة المثالية رداً ضمنياً على كثير من الآراء التي لا يوافق عليها البحث، يغني عن مناقشتها مفصلة، أما الحجج التي كانت تلقى اعتراضاً على فصاحة قريش ونزول القرآن بها، ولم ينلها الرد، فنوقشت واحدة واحدة.

وبعد هذا تأتي الخاتمة التي تتضمن موجزًا لما قبل في البحث وما انتهى إليه من نتائج. أما المصادر التي اعتمد عليها البحث في دراسته لغة قريش فهي:

١- القرآن الكريم.

٢- شعر قريش.

٣- النثر القرشي.

٤- الحديث النبوي.

لقد أضيف بهذه الدراسة مرجع هام إلى المكتبة العربية للدارسين والباحثين في علوم اللغة العربية عموماً، وفي لغة قريش خاصة، وستظل لغة القرآن الكريم بإعجازها مثاراً للجدل الخصب المعطاء، في كل الحقب، أو كلما أتيح للإنسان أن يراكم خبراته المكتسبة التي تضيء له الطريق في فهم كتاب الله إلى البشر كافة.





الجزيرة

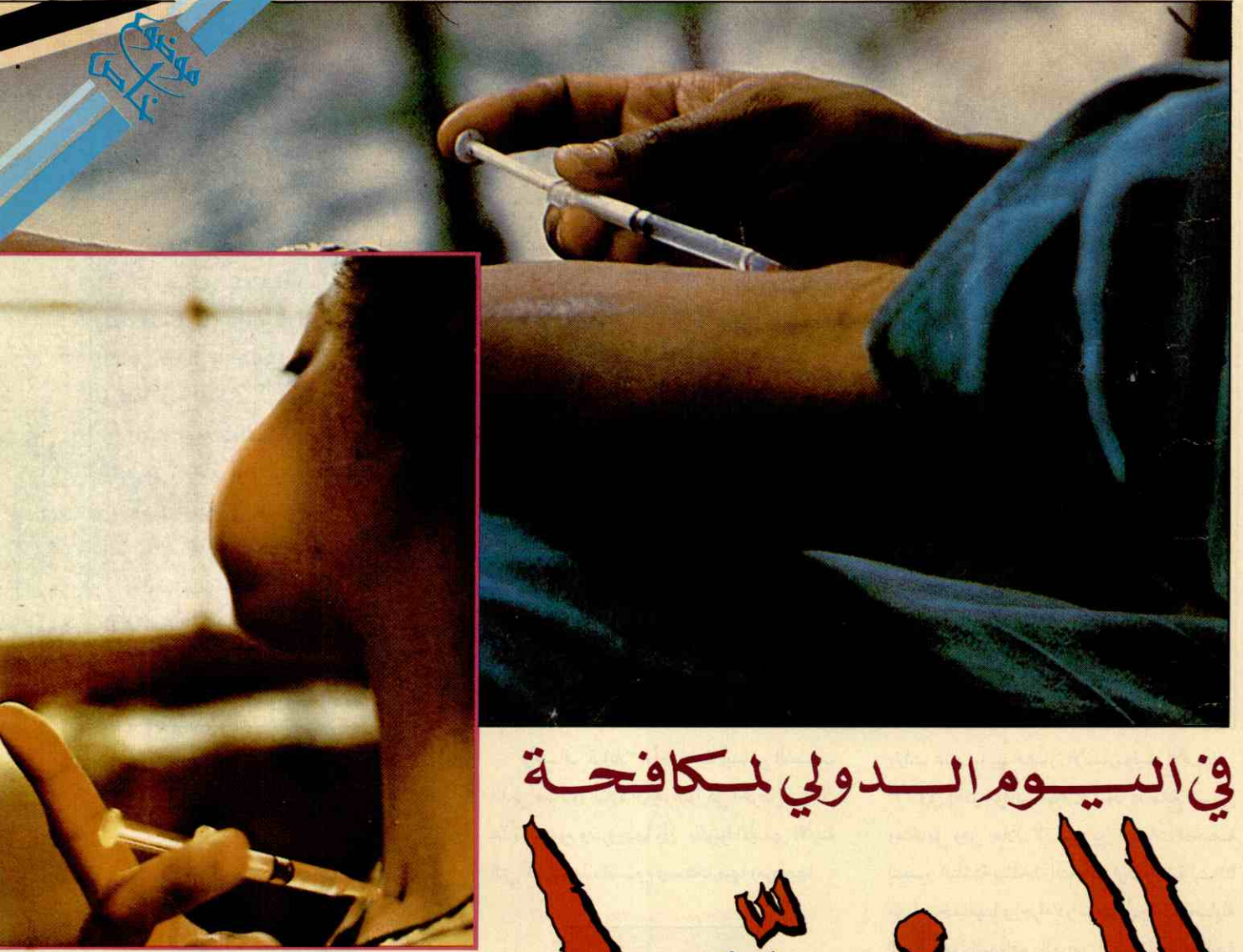
تكفيك



**تثري
مساءك**

المسارعة
مؤسسة العربية للصحافة والطباعة والنشر
ص.ب. ٣٥٤ الرياض ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ • فاكس ٤٠١٤٧٩ جزائي اس جي

تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر. ص.ب. ٣٥٤ الرياض ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ • فاكس ٤٠١٤٧٩ جزائي اس جي.



في اليوم الدولي لمكافحة

المخدرات

العالم يحارب هذا الوباء

موقفها الإسلامي الذي يحارب مظاهر الانحراف جميعها وفي مقدمتها المخدرات، فالتحذرت وسائل متعددة لحماية البلاد من هذا الخطر المدمر. وأسهم المسؤولون والهيئات والمؤسسات في جميع فعاليات التحرك والتعاون الدولي للتصدي لأفة تجارة وإساءة استعمال المخدرات.

ففي مثل هذا اليوم قبل خمس سنوات اجتمعت وفود الدول الأعضاء في الأمم المتحدة - في مقر الهيئة العالمية في فيينا - للتشاور في كيفية محاربة المخدرات والقضاء على أخطارها. وفي إطار الوقاية من هذا الوباء نهجت المملكة العربية السعودية نهجاً ينطلق من

منذ أيام، وبالتحديد في الخامس والعشرين من ذي الحجة، طافت شوارع مدن كثيرة في العالم قوافل توعية تحذر من خطر المخدرات، هذا الوباء الذي فاق عدد ضحاياه ضحايا الحربين العالميتين. والمناسبة: «اليوم الدولي لمكافحة المخدرات».

المخدرات.. مدمرات

الشيطان وأوليائه من أعداء مجتمعاتنا المسلمة لجلب تلك الأوبئة وترويجها وبث سمومها في إخوانهم وبني جلدتهم وما ذاك إلا لانعدام الإحساس لدى هؤلاء المأجورين في ظل غياب الوازع الديني وموت الضمير ومع أنهم قلة في مجتمعاتنا السعودي المسلم إلا أنه يحسن في هذا المقام أن تتمثل بقول الشاعر:

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
ولقد أحسنت حكومة خادم الحرمين الشريفين صنعًا عندما تيقظت لذلك فوظفت رجالها المخلصين وإمكاناتها المتاحة لدرء ذلك الخطر الداهم والشر المستطير والتصدي بقوة لكل عاثب لا يرقب في مؤمن إلا ولاذمة . .

ونحمد الله أننا رأينا تلك الجهود وقد آتت ثمارها وتكللت بالنجاح المطرد وأسهمت إلى حد كبير في خفض نسبة متعاطيها ومروجيها .

وبهذه المناسبة أهيب بكل مواطن ومقيم على ثرى هذه الأرض الطيبة أن يتقي الله في دينه ومجتمعه وأمنته وألا يضع يده في يد أعداء الأمة لكي يكون معول هدم في مجتمع آمن ومستقر وأن يضع نصب عينيه سلامة أمته ومجتمعه . فإن الرائد لا يكذب أهله .



يقول سمو الأمير خالد الفيصل ، أمير منطقة عسير، محذرا من المخدرات :

لا يزال أعداء الأمة الإسلامية على اختلاف مللهم ونحلهم يترصدون بها الدوائر ويحكون ضدها المؤامرات بغية النيل منها ومن أبنائها والحرص على تدميرها بكل ما أوتوا من قوة . فلقد سخروا جل جهودهم وإمكاناتهم ونفوذهم لتدمير الأمة بل وأخضعوا الابتكرات وما تفتقت عنه الحضارة البشرية لتوظيفها في هذا النهج الهدم . .

فمنذ الحملات الضليعية ضد الأمة الإسلامية وما تبعها من حروب عسكرية وغزو فكري واستعمار والسعي للإفساد في الأرض لهم منهج .

حيث نجدها قد تضافرت لخدمة تلك الخطة الرهيبة ألا وهي الكيد للأمة العربية الإسلامية بكل السبل والإمكانات المتاحة .

ولعله يعني أن تنطرق لقضية خطيرة رزئنا بها في مجتمعاتنا دفعت الأمة ثمنها غاليا ألا وهي (المخدرات) ذلك الشبح المخيف والمرص العضال الذي يفتك بكل من وقع فريسة له دون شفقة أو رحمة .

ومن المؤسف حقا أن نجد أناسا باعوا أنفسهم في صفقة خاسرة مع

يترتب عليه تهديد حضارة الإنسان وقيمه الأصلية .
وفي إطار الوقاية نهجت نهجًا ذا طابع شمولي ومتكامل ومن خلال التنسيق بين الجهات المختصة لتبصير الناشئة بالمخدرات وأضرارها وحماية أبنائنا من استخدامهما وإجراء دراسات وأبحاث لمحاولة التعرف على الدوافع والعوامل النفسية والاجتماعية والخصائص الخاصة بمستخدمي المخدرات وطبيعة الإدمان .

وأضاف قائلا: وأخاطب أبنائي الشباب الذين هم ثروة البلاد أن يحرصوا كل الحرص من شر هذه السموم ومروجيها وأن يكونوا الأيدي الأمنية التي تحارب هذه السموم ومستخدميها ومروجيها .



الفريق حمد العريفي

تبصير بأضرارها:

ويقول الفريق حمد بن عبد الله العريفي مساعد مدير الأمن العام لشؤون العمليات :
المملكة العربية السعودية بلورت خيارًا استراتيجيًا مميزًا لمعالجة مشكلة المخدرات منطلقة في ذلك من انسجام تام مع موقفها العقائدي من كل مظاهر الانحراف في كافة صوره وأشكاله والذي



الفريق أول عبد الله الشيخ

أمانة ومسؤولية:

ونظرًا لأهمية دور الأسرة في المحافظة على أبنائها من السقوط في فخ الإدمان، وجه الفريق أول عبد الله بن عبد الرحمن آل الشيخ مدير الأمن العام بالمملكة العربية السعودية نداءً إلى الآباء بأن يكونوا أمناء على المسؤولية الملقاة عليهم في المحافظة على أبنائهم ومراقبة جلسائهم، وأن لا تشغلهم أمورهم الشخصية عن فلتات أكبادهم الذين بانجرافهم خلف هذه السموم ستكون خسارتهم فادحة ولن يعوضها أي شيء في الدنيا وعندها لن ينفعهم ندمهم .



اللواء إبراهيم الميyan

أضرار صحية:

أما اللواء / إبراهيم بن علي الميyan مدير الإدارة العامة لمكافحة المخدرات بالنيابة وأمين



عام اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات فيقول: إن تعاطي المخدرات والإدمان عليها أصبح مشكلة متعددة الأبعاد، عميقة الجذور تؤرق المجتمع الدولي، ذلك أنه بالإضافة إلى ما تسببه المخدرات للمدمن عليها من أضرار جسمية وعقلية، فإن انتشار تعاطي تلك السموم في أي من المجتمعات، يؤدي إلى ظهور أضرار صحية واجتماعية واقتصادية تهدد الفرد والأسرة والمجتمع . .

ومكافحة المخدرات عمل جماعي، ولذلك تضافرت جهود كافة أجهزة مكافحة في إطار علاقات إيجابية تستهدف إيجاد نوع من التعاون الدولي في كافة المجالات ذات العلاقة كتبادل المعلومات والتدريب والتوعية الوقائية وعلاج الإدمان .



د. سليمان المحيا

مشكلات متعددة:

للمخدرات تأثيرات خطيرة متعددة منها الصحية والنفسية والاجتماعية، هكذا يقول الدكتور سليمان المحيا المدير الطبي لمستشفى قوى الأمن بالرياض بالملكة العربية السعودية، ويضيف قائلاً:

المشاكل الصحية المتعلقة بالمخدرات تتمثل في انتشار المرض وسط الفئات التي تستعمل المخدرات وتسبب في أشد الأمراض فتكا وضراوة مثل مرض الإيدز نتيجة تعاطي المخدرات عن طريق الوريد، ورغم أن التأثيرات الصحية خطيرة على الفرد إلا أن التأثيرات النفسية أشد خطراً حيث يصاب المدمن بالأمراض النفسية كالالاكتئاب والاضطرابات العاطفية، فيتحول إلى كائن آخر فاقد القدرة على التفكير أو التمييز عديم الإحساس بقيمة الحياة، ويكون لدى المدمنين نزعات قوية نحو ارتكاب

في مجال التوعية بأضرار المخدرات لها ما يعززها من واقع ديننا الحنيف الذي ينهى عن الوقوع في مغبة المخدرات والإدمان ولكن ضعف الوازع الديني لدى البعض يجعلهم يفقدون السيطرة على أنفسهم أمام دعوة آثمة من قرناء السوء، وهذا ما يجب أن نلتفت إليه، خاصة وأن الإمكانيات كلها متوافرة.



الحوادث ومخالفة القانون واستخدام العنف بل والإقدام على الانتحار، وللمخدرات أشد الآثار السيئة التي تلحق بالأسرة وهي الخلية الأولى للمجتمع فانهارها وتفككتها بسبب الإدمان يعود بالسلب على المجتمع.

ومن حسن الحظ أننا نعيش في مجتمع إسلامي - الشريعة الإسلامية هي دستوره، لذا فإن أية جهود

المخدرات تلوث الجسد والروح

بقلم: سعد بن عائض العتيبي

* الكوكايين وقد يخلط مع الهيروين أو المورفين فيعطي مركبات أقوى كالديانميت ويزبناخ .



الأضرار الصحية التي تسببها المخدرات

لا توجد أي خلية في جسم الإنسان لا تتأثر بالمخدرات . فحتى العظام والأظافر والشعر يمكن أن تتأثر . فقد يكون الاختلاف في درجة التأثير وكمية المخدر . كما أنه لا يوجد مخدر ليست له آثار . . حتى ولو كان في أقل تركيزاته . ولأن كل تلك المخدرات تجد طريقها إلى جسم الإنسان إما عن طريق الشم أو الحقن أو البلع فإني أرصد هنا آثارها الضارة في الأجهزة المختلفة لجسم الإنسان مستنداً في ذلك على أضرارها الصحية المباشرة وغير المباشرة .

الأضرار الصحية المباشرة للمخدرات

المنبهات والمنشطات :

في أقل صورها تتمثل في النيكوتين الموجود في التبغ والسجائر والكافيين الموجود في الشاي والبن والكافور والمطبات الفوارة .
وتدخل تحت المنشطات عقاقير الأمفيتامينات وأشبه الأمفيتامينات والقات وغيرها من المنشطات المصنعة .

المخدر علمياً : أي مادة كيميائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعي المصاحب بتسكين الألم .

أما القانون فيحدد المخدر بمجموعة المواد التي تسبب الإدمان وتسمم الجهاز العصبي ويحظر تداولها أو زراعتها أو صنعها إلا لأغراض يحددها القانون ولا تستعمل إلا بواسطة من يرخص له بذلك .
وهناك تصنيفات عديدة للمخدرات بعضها حسب تركيبها الكيميائية ، وبعضها تصنف حسب ألوانها ، وبعضها حسب تأثيراتها مثل :

أولاً : المبهطات :

* المسكنات المخدرة مثال : الأفيون : مشتقات الأفيون . . . المورفين ، الكوديين ، البافرين ، الثيابين ، الناركوتين ، الهيروين ومشتقاته ، الميثادون .
* المنومات والمهدئات :

* مشتقات حامض الباربيتودييك (الباديتورات) ومشتقات البنزودياييز .
البروميدات ، هيدروكلورال ، باراليد والغالوم والليبريام والاتيغان .
(منومات قوية)

مشتقات غير باربيودييك : مثل ميثيل بنتيفول ومركبات تجارية مثل ميلكون وسيدالون .

* مشتقات أخرى مهبطة للجهاز العصبي المركزي :

الكحول الإيثيلي ، وكلورال هيدرات والورودين والتولودار .
* المذيبات الطيارة (المستنشقات) مثل الايروسولات كالفريون والبريلانت بأنواعه .

ثانياً : عقاقير الهلوسة :

* عقاقير الهلوسة الموجودة في النباتات :
الحشيش والماريوانا والميسكالين والزايلوساين وبذور نبات مجد الصباح والداتور وقشور الموز .

* عقاقير الهلوسة المصنعة وأهمها ال . اس . دي الانجل دست .

ثالثاً : المنومات والمهدئات :

* المهدئات العظمى (القوية) المطفات ومضادات الاكتئاب :
مثل اللارجاكتيل والمونامين ، أوكساديز واليفال .

رابعاً : المنبهات والمنشطات :

* الامفيتامينات : مثل : الامفيتامين ، البنزيدرين . وعقاقير التخسيس مثل الفيفلورامين والبوندراكس .

ومن أضراره أيضًا زيادة الإثارة والتصرفات غير الإرادية وزيادة الأرق والاتجاه إلى العنف .
أما بالنسبة لأضراره على الجهاز الهضمي :
فهو يؤدي إلى اضطراب الجهاز بأكمله ، فينتج عنه العزوف عن الطعام والإحساس بالشبع والامتلاء ، ونتيجة لذلك يحدث الهزال والضعف العام وفقير الدم .

(٣) الكوكايين (Cocaine) :

هو مسحوق بلوري أبيض يستخرج من أوراق الكوكا (Cocaleaves) والتعاطي المستمر منه يؤدي إلى الإدمان ، و التعاطي إما عن طريق الاستنشاق أو الحقن في الوريد بعد إذابته في الماء .
- يقوم الكبد بإتلاف الكوكايين كما أن الكليتين تقومان أيضًا بإتلاف جزء منه ، وزيادة كمية الكوكايين بكثرة خلال حقنة واحدة أو تنشقه بكثرة على

(١) الإمفيتامينات :

تستعمل لزيادة اليقظة والسهو وتستخدم لعلاج الزكام وكمضغف للشهية ومنقصر للوزن . . . وفي نطاق ضيق تستعمل طبيًا لعلاج بعض حالات الاكتئاب والصرع وبعض حالات الشلل .
أهم أعراض الإدمان على الأمفيتامين :

(١) الإصابة بالهلوسة السمعية .

(٢) فقدان الاتزان والحكم الصحيح على الأمور والشك في الناس وهذا يؤدي إلى الانطواء والعزلة .

(٣) الإصابة بمرض باندنج (Panding) ومن مظاهر هذا المرض القيام بنفس الأعمال مرات متوالية دون انتباه أو إدراك لذلك .

(٤) اصطكاك الأسنان .

(٥) السلوك الآلي المستيري .



غشاوة مخاطية ملتتهبة بسبب تسممًا حادًا .

الكوكايين منبه للجهاز العصبي المركزي حيث يمتد مفعوله من المراكز العليا في الجهاز العصبي إلى النخاع الشوكي ، ويؤدي إلى زيادة الحركة واختفاء الحياء ، وأحيانًا يؤدي إلى هياج حركي وزيادة في القوة العضلية وعدم شعور بالتعب وعدم خوف من المخاطر . وتعاطيه يؤدي إلى التقليل من شهوة الطعام فلا يشعر بالجوع ، ويوسع بؤبؤ العين وتسارع ضربات القلب واضطراب وارتفاع ضغط الدم وارتفاع حرارة الجسم ، ويدوم الحال كذلك ساعتين ثم تختفي النشوة وتظهر تشوشات الأفكار وهلوسات سمعية ولمسية ثم يعقب ذلك النعاس . وقد يؤدي تعاطي الكوكايين أحيانًا إلى اضطرابات قلبية تنفسية مع موت فجائي نتيجة شلل عضلات القلب .

والمدمن بعد فترة من التعاطي المتواصل يظهر خاملًا مترنحًا في مشيته وثيد الحركة ، وإذا تكلم فهو هراء غير مترابط ، وعند زيادة الجرعات أكثر قد يصاب المدمن بالجنون أو العته أو الاضطرابات العقلية .

ولأنه يسبب اضطرابًا زائدًا فهو يساعد على السهر ، ونجد أن بعض الطلبة يستعملونه للسهر قبل الامتحانات حتى يستذكروا دروسهم ولكنه دائمًا يؤدي إلى نتائج عكسية ، فيما أنه ينه الجهاز العصبي تنبيهًا شديدًا فهو يؤدي إلى حدوث حالة اضطراب عقلي تشبه إلى حد كبير الانقصاص الهذائي ولهذا يتوهم الطالب أنه قد أجاب الإجابة الكاملة بينما يكون في الواقع قد أفرز على ورقة الإجابة كل مظاهر الهذيان والتفكير المشوش وعدم ترابط الإجابة .

(٢) القات : Kat

لقد أجريت التحليلات الكيماوية لمعرفة الجواهر المؤثرة الموجودة في هذا النبات فكان أهمها هو القاتين والقاتينين .

- أما تأثيره في الجسم فهو يحدث في البدء شيئًا من التنبه العصبي يدوم وقتًا قصيرًا ثم يعقب ذلك هبوط وتثبيط وتخدير في القوى العقلية ، يتبع ذلك ذبول يرافقه توسع حدقة العين وتتهيج في الجهاز العصبي مما يسبب اضطرابات عصبية قد تؤثر في القلب .

المهبطات وتأثيراتها الصحية :

(١) الأفيون : إدمان تعاطي الأفيون الخام الناتج من كثافة تعاطيه يختلف عن الإدمان على مشتقاته، إن تعاطي الأفيون يؤدي إلى :
- فقدان الشهية والهزال والضعف الجنسي .
- اضطراب العادة الشهرية عند النساء .

- تقيح الجلد . - تسمم الدم والتهاب الكبد - الإصابة بالزهري والأمراض الخبيثة نتيجة الحقن باستخدام إبر غير معقمة - التسمم والوفاة والانتحار .
- الانطواء والانزواء عن الآخرين ومصاحبة المدمنين، الانحرافات السلوكية كالسرقة والدعارة وغيرها .

- إحداث الاعتماد النفسي والعضوي، فيشعر المدمن بعد مدة قصيرة إلى ما يقرب من أكثر من يوم كامل بأعراض منها :

- الإلحاح في طلب العقار، القلق الزائد، ارتخاء العضلات والتثاؤب، عدم الاستقرار، تصبب العرق وزيادة إفرازات الأنف والعينين، غمغمة وبؤبؤ العين، فقدان الشهية، انكماش الجلد واختلاج العضلات، اضطراب الإحساس والشعور بالسخونة والبرودة وآلام العظام والعضلات، الأرق وارتفاع ضغط الدم وسرعة النبض والتنفس، الغثيان والقيء والإسهال، فقدان ونقصان الوزن، ارتفاع السكر في الدم .

(٢) الهيروين والمورفين :

المورفين والهيروين هما أخطر المواد التي يتناولها الإنسان بواسطة الحقن، وتكفي حقتان أو ثلاث متتابعة لتسبب الإدمان في حالة الهيروين، بينما يحتاج المورفين إلى تكرار الحقن لمدة أسبوعين بواقع حقنة يومية حتى تحدث حالة الإدمان على المورفين . ويستخدم الهيروين أيضًا عن طريق الشم .

* إن معظم الأضرار الصحية الناتجة عن استخدام الهيروين والمورفين تأتي من الأسباب التالية :

أ - الحقن غير المعقمة : بواسطة الزرق بالوريد وهي من أخطر وسائل أنواع التعاطي إذ إن ذلك يدخل أنواعًا مختلفة من الفيروسات والبكتيريا والطفيليات والفطريات إلى دم المتعاطي ويؤدي بالتالي إلى ظهور أمراض خطيرة وقاتلة .
ب - خدوش الإدمان : حيث يضطر المتعاطي أن يزيد الجرعة شيئًا فشيئًا

(٤) الكافيين (Caffeine)

منبه للجهاز العصبي ومدر للبول فهو يعطل عادة امتصاص سوائل البول من شعيرات الكلية ولذلك يزداد إفراز البول عند التعاطي الكثيف، كما أنه يرفع تمثيل العضلات الإرادية فيزداد تحمل الشخص للتعب والعمل الجسمي، ويؤثر الكافيين على العصارة المعدية فيزيدها كما أنه ينشط خائر الكبد . الأمر الذي يجعل المسرفين في شرب القهوة أو الشاي يحتاجون إلى كميات أكبر من الأدوية التي يصفها لهم الأطباء لأنها تبقى في الدم فترة كافية لتأتي بالتأثير المطلوب وذلك بسبب نشاط خائر كبد متعاطي القهوة بإسراف .

- الكافيين يرفع نسبة الدهون في الدم والسكر مما يؤثر في عضلة القلب حيث يؤثر بدوره في سرعة النبض وعدم انتظامه وارتفاع ضغط الدم وحدوث جلطة القلب في المتعاطين والمسرفين .

ويسبب الكافيين ومشابهاته الشعور بالنشاط والخفة والنشوة . كما يؤدي استخدام جرعات كبيرة منه إلى القلق والتوتر ورجفة اليدين وخلل المهارات الحركية .

(٥) النيكوتين (Nicotine)

يقول تقرير الكلية الملكية للأطباء بالملكة المتحدة (بريطانيا) والصادر في عام ١٩٧٧ م : «إن كمية النيكوتين الموجودة في سيجارة واحدة كفيلا تقتل إنسان في أوج صحته لو أعطيت له هذه الكمية من النيكوتين بواسطة إبرة في الوريد» .

التدخين والإدمان :

يقول تقرير الكلية الملكية للأطباء بعد مسح شامل للشباب المراهق ما بين العاشرة إلى العشرين وجد أن ١٥٪ فقط ممن دخنوا سيجارة واحدة أفلتوا من براثن إدمان التدخين، أي إن ٨٥٪ ممن دخنوا سيجارة واحدة وقعوا في براثن التدخين - وهذه النسبة عالية جدًا ولا تكاد توجد في أعنى المخدرات، ولا نجد ما يشابه ذلك إلا في المورفين والهيروين وهما أعنى المخدرات وأشدّها تسببًا للإدمان وأضرارها الصحية .

- التأثيرات التي يسببها النيكوتين على أجهزة الجسم :

- ينشط النيكوتين المخ بجرعات صغيرة ويهبطه في الجرعات الكبيرة .
- يؤثر في الجهاز التنفسي حيث يسبب سرطان الرئة وسرطان الحنجرة والالتهاب الشعبي المزمن والأمفيزيا .
- يؤثر في القلب والجهاز الدوري حيث يسبب جلطات القلب وموت الفجأة وجلطات الأوعية الدموية للمخ وما ينتج عنها من شلل واضطراب الدورة الدموية في الأطراف وجلطاتها .
- يؤثر في الجهاز الهضمي حيث يسبب سرطان الشفة وسرطان الفم والبلعوم وسرطان المريء وقرحة المعدة والثاني عشر وسرطان البنكرياس .
- يؤثر في الجهاز البولي حيث يسبب أورام المثانة الحميدة وسرطان المثانة وسرطان الكلى .
- يؤثر في المرأة الحامل حيث يسبب كثرة الإجهاض .



مباشرة، هذا بالإضافة إلى الفيروسات مثل الهربس، وسيتوبجالفيرس، والبكتيريا، والطفيليات، والفطريات المختلفة / ويصاب الجهاز الهضمي بإصابات مختلفة أهمها إسهال شديد ومتكرر يبلغ ٢٠ - ٣٠ مرة يوميًا بسبب طفيلي يدعى (البوغيات المختفية) (Crypto sporodidium).

(٢) التهاب الكبد الفيروسي من نوع (B).

حيث ينتشر في الدول الغربية لدى الفئات التالية - الشاذين جنسيًا - مدمني المخدرات وبالذات الهيريين حيث يتعاطونه زرقًا بالوريد - الذين يعملون في وحدات الكلى الصناعية (الدليزة) والمرضى الذين يحتاجون للدليزة المتكررة.

والتهاب الكبد الفيروسي خطير جدًا لأن نسبة كبيرة من المصابين يتحولون إلى الإصابة النشطة المزمنة (Chronic Active hepatitis)، ونسبة أخرى تتحول إلى تليف الكبد (Liver Cirrhosis) وهو مرض خطير ومميت، إضافة إلى أن ١٥٪ ممن أصيبوا بالتليف الكبدي يصابون بسرطان الكبد (Hepatoma).

(٣) الإنتان الدموي (Septica emia)

تنتقل الميكروبات بواسطة الحقن أو المواد المغشوشة إلى الدم ومنه إلى الأعضاء الهامة مثل القلب فتسبب التهاب غشاء القلب الداخلي الحاد أو تحت الحاد (Acute or Sub acute Endocarditis).

ولا نكتفي الميكروبات بتعطيم الغشاء الداخلي للقلب بل تعطيم الصمامات وخاصة الصمام الأورطي والميتالي وقد تصيب أيضًا الصمام ذا الثلاث شرفات (Tricuspid Vale).

- ويصيب الدماغ بالتهاب الدماغ (Encephalitis) وتحدث خرابيج بالدماغ كما يحدث التهاب بالسحايا (Meningitis).

- وتصاب الرئتان بالتهابات متعددة كثيرة منها التهاب رئوي وخراج الرئة (Lung Abscess) والتهاب البلورا وارتشاح في الرئة وارتفاع في توتر الشريان الرئوي.

- وتنتشر الملاريا ومرض الزهري بواسطة الحقن لدى مدمني الهيريين.

وكثيرًا ما تلتهب الأوعية الدموية والأوردة نتيجة تكرار الحقن فيها، ويؤدي ذلك إلى تخثر الدم وتجلطه فيها.

حتى يحصل على الأثر النفسي المنشود. وقد سجل الأطباء وجود حالات إدمان للهريون يتعاطى منها المدمن خمسة آلاف مليجرام من الهريون النقي يوميًا، وتكفي في العادة عشرون مليجراما لقتل إنسان غير مدمن ونقله فورًا إلى العالم الآخر.

ج - وجود مواد مغشوشة : طلبًا لمضاعفة الربح يقوم التجار بوضع مواد مغشوشة مع الهريون والمورفين، وهذه المواد بحد ذاتها سامة حيث تسبب أنواعًا من الالتهابات والإنتان في جسم المتعاطي.

د - نوبات من التسمم الحاد : بسبب زيادة الكمية فجأة أو بسبب عدم معرفة الهريون النقي الموجود في الجرعة.

هـ - نوبات سحب العقار : ترتبط ظاهرة سحب العقار (Withdrawal Symptoms) أو الامتناع بمجموعة من المخدرات أهمها : الأنيونينات (الهريون والمورفين) والكحول، والباريتورات، وترتبط ظاهرة الامتناع بظاهرة أخرى هي ظاهرة التحمل (Tolerance) والتي يحدث فيها أن الجسم يقوم بتعطيم العقار بسرعة.

- إن الخلايا العصبية تعود على الكمية المعينة من العقار فلا تعود تؤثر فيها، لذلك كله يحتاج المتعاطي باستمرار إلى زيادة الجرعة وإلى تكرار الجرعة في أوقات متقاربة، ولا تمضي على مدمن الهريون أو المورفين سوى بضع ساعات حتى يشعر بقلق شديد ويتأهب وتنسكب دموعه لا إراديا ويزداد إفراز الأنف، كما يزداد إفراز العرق رغم أن الجو قد يكون باردًا، ويكثر العطس والحكة في الأنف، وآلام شديدة في القدمين والبطن والإسهال الشديد، كما يكثر إفراز اللعاب بطريقة مزعجة جدًا، والوهن والضعف الشديد، والرعب النفسي.

* ولتفسير أعراض الامتناع نجد أن لدى الإنسان مجموعة من الموريفينات الدماغية والجسدية الطبيعية، فإن تناول الموريفينات الخارجية (المورفين، الهريون أو مشتقاتها) أدى ذلك إلى قلة إفراز الموريفينات الدماغية والجسدية الطبيعية والتي بدورها تساعد على إفراز الهرمون المنتمي للغدة الكظرية.

ويحدث رد فعل عنيف من الجسد وتنعكس كل الآثار الاقرباذينية التي كان يحدثها الهريون والمورفين.

فالهريون أو المورفين يسبب انقباض حدقة العين، فتتسع عند سحب العقار والهريون يسبب حركة المعدة والأمعاء مسببًا الإسهال فتكثر الحركة ويحدث الإسهال... وهكذا - ويكون العذاب والبؤس أشد في حالات سحب الهريون.

* أهم الأمراض التي تنتشر لدى مدمني الهريون بسبب الغزو الميكروبي : (١) مرض الإيدز (مرض فقدان المناعة المكتسبة) :

- حيث يشكل مدمنو المخدرات وخصوصًا الهريون الذي يتناولونه زرقًا بالحقن ١٧ - ٣٠٪ من مجموع حالات الإيدز في الولايات المتحدة وأوروبا.

يسبب هذا المرض فقدان المناعة حيث يهاجم الفيروس الخلايا اللمفاوية من نوع (T4)، وهي المعروفة بالخلايا المقاتلة التي تصد العدوان من الفيروسات وغيرها وتصيب الإنتانات في مرض الإيدز مختلف أجهزة الجسم وأهمها الرئتان، حيث تصاب بالطفيلي في الرئتين (Pneumocystis Carini) والذي يعتبر أهم أسباب الوفيات في حالات الإيدز.

أما إصابات الجهاز العصبي فمتعددة حيث إن فيروس الإيدز يصيبها



وهي تضر بوظائف القشرة المخية، كما أن أضرارها تصيب أيضًا مراكز التنفس عند المتعاطي، وسوء استعمال هذه العقاقير يؤدي إلى الإدمان واضطرابات في الاتزان الحركي والإصابة بنوبات تشنجية عنيفة ومفاجئة.

٤ - الكحول أو الخمر :

الخمر هي الأشرطة التي بها كمية من الكحول. والكحول اسم عام يطلق على جملة من المركبات الكيماوية لها خصائص متشابهة ومكونة من ذرات الهيدروجين والكربون وآخرها مجموعة هيدروكسيلية أي ذرقي أكسجين وهيدروجين.

وتشمل :

البيرة ونسبة الكحول فيها من ٢ - ٨٪

والأنبذة الخفيفة كالشبابيا ونسبة الكحول فيها من ٥ - ١٠٪

والأنبذة القوية كالشرى والبودت ونسبة الكحول فيها من ١٠ - ٢٠٪.

والخمور المقطرة وهي الويسكي والروم والبراندي والعراقي ونسبة الكحول فيها من ٤٠ - ٦٠٪

إضافة إلى الكحول الإيثيلي والكحول الميثيلي والأسبريتو والعرقى.

تأثير الكحول على أجزاء الجسم :

يقول الدكتور سيدني كاي في كتابه علم السموم أن الخمر هي السبب المباشر وغير المباشر في خمسين في المائة من مجموع حالات الوفاة التي يفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة. ويقول آخر في تقرير لهيئة الصحة العالمية والذي نشرته صحيفة الديلي ميل في ٢٦ / ٦ / ١٩٨٠ م. إن ٨٦ بالمائة من حالات القتل و ٥٠٪ من حالات الاغصاف وجرائم العنف تمت تحت تأثير الكحول) كتاب الخمر بين الطب والفقه - وهذا يؤكد لنا فداحة أضرارها وبشاعتها.

وفيا يلي سنوجز أهم الآثار والأمراض العضوية والعصبية والذهنية المرتبطة بالكحول كما ورد في كتاب الإدمان أسبابه ومظاهره - الوقاية والعلاج .

أ - الأمراض العضوية :

١ - الأوعية الدموية في الأطراف تتوسع نتيجة شلل مؤقت بالمركز الدموي الحركي في النخاع المستطيل فيشعر المتعاطي بالدفء لتدفق الدم في الأطراف وإن كان الجسم يفقد حرارته في واقع الأمر بحيث إنه عندما يتعرض المتعاطي للبرودة الشديدة في هذه الأثناء يتعرض لغيوبة فالموت المحقق.

٢ - زيادة إدرار البول ومرجع هذا من الناحية العضوية تأثر الغدة النخامية وهبوط إفراز التحكم في إدرار البول من الغدة النخامية.

٣ - يزيد إفراز الحامض المعدي عند تعاطي جرعات متوسطة من الخمر وهذا يؤدي إلى زيادة الحموضة في المعدة وبالتالي حدوث قرحة في المعدة وتقرح في الاثني عشر وحدوث نزيف وانفجار الاثني عشر أو مكان التقرح.

أما عند تعاطي الجرعات الزائدة يهيج نسيج المعدة ويسبب التهابات.

٤ - تسبب الغثيان والقيء لتنشيطها مركز الغثيان في النخاع المستطيل

٥ - ترفع نسبة السكر في الدم والسبب هو قلة استهلاك أنسجة الجسم

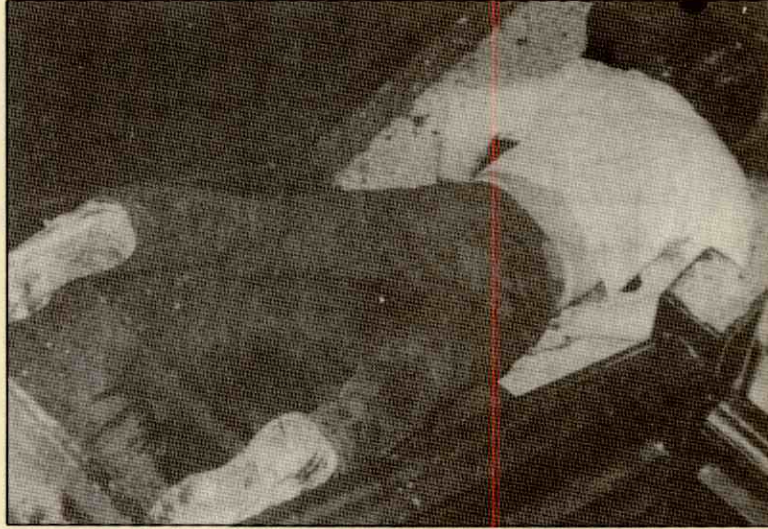
للسكر أثناء التعاطي فتحدث غيبوبة ودوخة أحيانًا.

٦ - اضطرابات خلوية تحدث أضرار عامة بالوظائف الخلوية بالجسم وتعطلها عند كثافة التعاطي.

- و ينتشر لدى مدمني الهيروين أيضًا مرض الكزاز «التتانوس» .
- وتحدث التهابات كثيرة متكررة تحت الجلد ومنها التهاب الفلغوني (Cellulitis) ووجود خراج وقروح متصلة.

* تأثير الهيروين والمورفين المباشر على أجهزة الجسم :

إن عمل الهيروين والمورفين هو مثبط للجهاز العصبي وخاصة على الدماغ حيث يبدأ التثبيط على مراكز الدماغ العليا في القشرة، ويؤدي ذلك إلى بطء عملية التفكير وفقدان العواطف الحادة أولاً، ثم العواطف بصورة عامة، ولهذا يفقد المتعاطي الإحساس بالألم والشعور بالضيق وغيرها من العواطف، ويتتابه خمول تام وتخف سرعة التنفس وعمقه بسبب التثبيط لمراكز التنفس في النخاع المستطيل (Medulla oblongate) وبنه الهيروين والمورفين مراكز القيء ويؤدي ذلك إلى الغثيان والقيء المتكرر، وكثيرًا ما يؤدي تثبيط مراكز التنفس إلى احتقان الرئة بسبب تراكم CO2، في الدم ثم هبوط في الدورة الدموية.



- تكرار استخدام الهيروين أو المورفين يؤدي إلى ضمور الدماغ وإلى حدوث حالات الجنون (الخرف Dementia) كما تحدث نوبات من الهذيان متكررة ويزداد لدى مدمني الهيروين إصابات الجهاز العصبي.

كذلك فإن هناك زيادة في حوادث انضمام الشرايين المخية (Cerebral embolism) وزيادة في جلطات الدماغ والسكتات الدماغية (Strokes) ويحدث تحلل إسفنجي في المادة البيضاء في الدماغ.

وكثيرًا ما تحدث لمتعاطي الهيروين أو المورفين نوبات إغماء (Coma) وقد تكون هذه النوبات طويلة وعميقة بحيث يتوفى الشخص في أثناء هذه النوبات.

(٣) المنومات الباربيتورية (BARBITURATES) :

يتم تصنيفها من مشتقات حامض الباربيتوريك ويدخل في تركيبها كثير من المركبات الكيميائية.

٧ - ازدياد الرغبة الجنسية وإن كانت السبب وراء العجز الجنسي وضعف القدرة الجنسية عند الذكور ومرجع هذا تأثر أعصاب العضو التناسلي الذكري وتأثير الغدد التناسلية وانخفاض هرمونات الذكورة في الدم .

٨ - الاضطرابات الكبدية : و التي يصاب بها حوالي ٢٥٪ من المدمنين والمتمثلة في ثلاثة أنواع من الاضطرابات هي :

I - التثريب الذهني الكبدي : بحيث تتضخم الكبد ويشعر المتعاطي بالإعياء نتيجة لتراكم الدهون في الكبد في المراحل المبكرة من التعاطي .

II - التهاب الكبد الحاد : يحدث عند زيادة الجرعات وأعراضه ارتفاع درجة حرارة الجسم وفقدان الشهية والإعياء وآلام البطن واليرقان وقد تحدث الوفيات في حوالي ١٠ - ١٥٪ من المصابين ، أو قد تودي عند ٣٠٪ من المصابين إلى تشمع الكبد «التليف» .

III - التليف الكبدي : وهي حالة خطيرة من تراكم الألياف في الكبد واضطراب ضربات القلب وحدوث دولي المريء ، وتمدد أوردة المعدة والبطن ويتبع هذه العادة فقر الدم ونقص الفيتامينات والبروتينات وتراكم الهرمونات الأثوية في الدم وعند تفاقم الاضطرابات العضوية قد يحدث قيء دموي نتيجة نزيف من المريء والمعدة والبطن مما يؤدي بحوالي ٢٠٪ من المصابين بتليف الكبد .

٩ - اضطراب الجهاز الدوري : نتيجة لانخفاض فيتامين ب الناتج عن تأثير الكحول تتأثر عضلة القلب ومن أعراضه ضيق التنفس وسرعة التعب لأي مجهود وتورم القدمين وكثرة السعال .

١٠ - اختلال تركيب الدم : نتيجة للتعاطي الكثيف تحدث الإصابة بفقر الدم وازدياد سيولته ونقص الصفائح الدموية مما يتسبب عنه تجلط الدم .

١١ - اضطراب الجهاز التنفسي : نتيجة للمناعة الضعيفة وكون الجهاز التنفسي مجهذاً عند التعاطي الكثيف يتعرض المتعاطي للإصابة بالسل الرئوي نتيجة لسوء التغذية ونقص الفيتامينات .

١٢ - تورم وضمور العضلات : بسبب النخر الحاد في خلايا النسيج العضلي في جسم المتعاطي يحدث تورم وضمور في العضلات .

١٣ - رعشة اليدين : يشكو المتعاطي عند إسرافه في الشراب من إهتزاز ورعشة اليدين وعدم ثبات الاتزان الحركي عند الاستيقاظ من النوم في الصباح المضحوبة بالقلق والغثيان والإعياء والرغبة الملحة في تعاطي الخمر .

١٤ - العمى الكحولي : يحدث ضمور في أعصاب الإبصار قد يؤدي إلى العمى عند زيادة نسبة الكحول وخاصة في الأنواع الرخيصة من الخمر .

ب - الأمراض العصبية : ومنها :

١ - خدر الجهاز العصبي المركزي وتعطيل وظائفه نتيجة لتعطيل المراكز المخية الخاصة بالشبه واليقظة والتركيز والحواس والانفعالات .

٢ - تعطل مراكز الجهاز العصبي اللامركزي في النخاع المستطيل في حالة زيادة التعاطي حيث تتأثر وظائف القلب والتنفس وقد تفضي الحالات المزمنة إلى الموت عند تأخر إسعافه .

٣ - النوبات الصرعية : تحدث عند ١٠٪ من المدمنين وتحدث عند الإقلاع عن التعاطي وتظهر في المادة بعد حوالي ١٢ - ٣٦ ساعة آخر جرعة من

تناول الخمر وهي لا تستجيب لمضادات التشنج مثل أنواع الصرع الأخرى .

٤ - اختلال التوازن : نتيجة لضمور خلايا المخ وفقدان السيطرة على الاتزان الحركي ، يحدث اختلال في التناسق العضلي الحركي وينتج عن ضمور الخلايا ارتقاء عضلات الجسم مما يتسبب في ارتعاش اليدين والقدمين والترنح واهتزاز حركة العينين وتلعثم في الكلام .

٥ - تهبط أفعال الجهاز العصبي في الشخص العادي يتم عندما يصل تركيز الكحول في الدم إلى ٣٠ - ٤٠ مجم٪

٦ - التهاب الأعصاب المحيطية : حيث تبدو مظاهر التمثيل في القدمين والكفين والذراعين والساقين ويرجع هذا إلى نقص وخلل في وجود فيتامين (ب) ، وتعالج هذه الأعراض بإعطاء المريض كميات كبيرة عن طريق الحقن من فيتامين (ب) .

ج - الأمراض الذهنية : وتمثل في :

١ - السكر والتسمم الباثولوجي أو ما يعرف بالتسمم الحاد (Pathological Intoxication) وتحدث هذه الحالة عند عدم انتظام التعاطي ، ومتعاطي كميات غير كبيرة من الكحول بل معتدلة تعريضهم حالة انفعالية عارضة



ويحدث خلط في الاتجاه الزمني والمكاني وهلاوس وتشوهات حسية وخداع بصري .

وأعراض التسمم الحاد تستمر لمدة يوم كامل أو أطول من ذلك كما أن التغير الانفعالي يعقبه سبات طويل يفوق من بعده وقد نسي الواقعة .

٢ - هذاء الارتعاش (Dilirium Tremens)

تظهر عند التعاطي الكثيف من الكحول بحيث يحدث هذا الاختلال عند الأفراد في متوسط عمر زمني ٣٠ سنة والذين عاشوا مدمنين مدة ٣ - ٤ سنوات . ومن الاضطرابات الجسمية لهذا الهذيان اتساع حدقة العين والارتعاشات في اليدين والأصابع والوجه واللسان واضطراب النبض والخلط الزمني والمكاني والعجز الشديد في تركيز الانتباه ويصاحب هذا الاضطراب في العادة مخاوف مفرزة وتخيلات غير واقعية كتصور حيوانات قارضة تقرض لحمه .

ب- من الناحية النفسية : تتبدد طموحاته ، يزداد بأسه ، يفقد اهتماماته بنفسه ويطلب من أسرته إعالته .

ج- من الناحية الاجتماعية : يتهم الزوجة بالإهمال والخيانة ويسيء معاملتها .

د- من الناحية الخلقية : ينحرف جنسياً ، يعتمد على الآخرين ويستخدم السباب وفاحش الكلام .

هـ- من الناحية العضوية : أعراض كثيرة منها (الغثيان الشديد ، وفقدان الوعي ، والضعف العضلي ، بطء الاستجابات ، الارتعاشات المستمرة) .

٨- الغيرة المرضية من مسبباتها إدمان الكحول والضعف الجنسي للمدمن نتيجة للاضطراب العصبي واشتمزاز الزوجة أثناء السكر مما يجعل المدمن يحتقر زوجته ويهينها وتأكيد ظنونه وشكوكه في سلوكها .

٩- التجول : نجد أن المدمن ينتقل من مكان لآخر وهو فاقد الحس والإدراك تحت تأثير الخمر . من الشعور .



الأضرار الصحية غير المباشرة التي تسببها المخدرات

هناك أضرار صحية غير مباشرة يتسبب فيها تعاطي المخدرات ولا تقل أهمية عن الأضرار المباشرة .

فالثابت علمياً أن الذين يتعاطون المخدرات يؤثرون تأثيراً مباشراً على أطفالهم ابتداءً من طور الأجنة حيث يتأثر الجنين تأثيراً كبيراً بما يصله من غذاء ملوث من أمه وفي كثير من الأحيان يولد الأطفال وهم يعانون من تخلف عقلي أو تشوهات خلقية هذا بالإضافة إلى أن أعداداً كبيرة منهم يولدون وهم يعانون من الإدمان . . فقد جاء في كتاب «المخدرات والعقاقير المخدرة» :

أنه في دراسة للدكتور ستيفن كاندال الخبير بظاهرة الإدمان قامت بتوزيعها

ومن مسببات هذا الهذيان اضطراب النوم والعجز عن تناول الطعام وطول فترات الأرق وعدم الاستقرار - ويستمر هذا الارتعاش من ٣ - ١٠ أيام فإذا أدخل المريض المستشفى وعولج بنظام تغذية جيد غني بالفيتامينات والسكريات وفترة النقاهة تسبقها فترة سبات عميق يضيق منها المريض حيث يكون الإدراك غير متكامل .

٣- ذهان كورساكوف (Korsakoff's Psychosis)

يفسر العالم سرجي كورساكوف هذا الذهان على أنه التهاب في بعض الأعصاب المعينة والأعراض الخاصة بهذا الذهان هو فقدان الاتجاهات المكانية والزمانية وعدم القدرة على تمييز الوحدات القريبة المباشرة .

وفي هذا الذهان يحدث تلف في القشرة المحية والأعصاب المحيطة في المخ ويمكن تعويض نقص فيتامين ب بإعطاء المريض كميات كافية من خميرة البيرة واللبن والفاكهة والبيض واللحم ويستعيد المريض صحته خلال ٦ - ٨ أسابيع وقد يتم التحسن من غير أن تعود للمريض ذاكرته ، كما قد تتدهور صحته النفسية بحيث يحدث له عجز عقلي وتدهور خلقي في نفس الوقت .

٤- أعراض فيرنيك (Wernick's Syndrome)

وهو من مسببات الإدمان وناتج عن نقص فيتامين الثيامين . ومن أعراض المرض فقد الذاكرة واضطراب الحس البصري والتبلد والخلط والغيوبة ومن مضاعفات المرض عند تدهور الحالة تحلل في أعصاب المخ وحدوث نزيف في أوعية الدم والتعرض للإصابة بالبلاجرا ، وهذيان الارتعاش وذهان كورساكوف .

٥- الهلوسة الكحولية (Acute Hallucinosi)

حيث تحدث هلاوس سمعية تتمثل في طنين أو أزيز أو أصوات حادة يخيل إليه أنها تسبه أو تأمره أو تسخر منه . وفي العادة تحدث الإصابة بالهلوسة الكحولية بين حوالى ٦٪ من المدمنين حتى بعد الكف والامتناع عن تعاطي الخمر .

٦- السكر المرضي : (Pathological Drunkenness)

وهي الإصابة الناجمة عن تعاطي جرعات صغيرة من الخمر لا تسبب السكر للشخص العادي والتي تحدث عند بعض الأفراد وحيث يصابون بنوبات من الهياج الشديد والهذيان والعنف وما يتبع ذلك من فقدان الوعي والذاكرة .

وهذه التغيرات من الناحية الباثولوجية تحدث في المخ وتتأثر هذه التغيرات مع بعض أنواع الصرع .

٧- الانحلال الكحولي (Alcoholic Deterioration)

وهو الاضطراب والانحلال في الشخصية والاختلال العقلي نتيجة الافراط الزمن والمكثف في تعاطي الخمر حيث نجده سريع الانفعال وحاد المزاج بينما يكون هادي الحس مع رفاق الشراب .

وفي كثير من الأحيان تعطل وظائف حيوية لديه فيصبح :

أ- من الناحية العقلية : كثير النسيان ، بطيء الفهم ، مشوش الأفكار ، مشتت الانتباه .

وقد أثبتت الدراسات الطبية أن ٥٠٪ من الحوامل يتعرض لزيادة ضربات قلوب أجنتهن إذا هن قمن بالتدخين وزيادة ضربات قلب الجنين هي علامة على نقص الأكسجين في دمه كما يدل على أن الجنين يعاني من بعض المصاعب التي تهدد حياته .

وهناك مرض فقر الدم الذي يصيب المدمنين لأنهم يكونون قد استبدلوا بالطعام الخمر أو المخدرات تضعف شهيتهم وتذبل أجسامهم .

على أن من الأمراض العقلية التي تصيب المدمنين عدم مقدرتهم على إدراك التصرف السليم واندفاعهم بوحشية لتحقيق مآربهم وهم في ذلك يتخلون نهائياً عن إنسانيتهم وأدميتهم وقد جاء في مجلة التايم (١٩٨٩م) - وصف تقشعر له الأبدان لمجزرة ارتكبتها مروجو وتجار المخدرات في المكسيك على حدود الولايات المتحدة فقد اتضح أنهم قاموا بقتل ثلاثة عشر شخصاً وخلطوا دماءهم بدماء السلاحف والغنم وأدمغة القروء وذلك لاستعمالها كسحر يبعد عنهم أعين رجال الأمن ويجعلهم يروجون تجارتهم دون أن يتعرض لهم أحد . إلى هذا الحد تملكهم جنون المخدرات فلم يعودوا يعرفون الخطأ من الصواب . ومن ناحية أخرى فإن تأثير المخدرات على الرياضيين وأنديتهم وبالتالي سمعة بلادهم تأثير حقيقي فقد كتب الدكتور محمود إبراهيم (١٩٨٩م) - يقول إن اللاعب متعاطي المخدرات يكون شارد الذهن في الميدان ضعيف البنية يفتقد المهارة الفردية وتتغير الفسيولوجية التنفسية بالنسبة له إلى الأسوأ وتقل نسبة الهيموجلوبين الموجودة في كرات الدم الحمراء وهي التي تحمل الأكسجين للعضلات .

أما بالنسبة لاستخدام العقاقير كوسائل مساعدة لرفع مستوى الأداء الرياضي فهي من المحظورات التي تحرمها قوانين ولوائح الاشتراك في المسابقات لأنها ربما تساعده أثناء النشاط ولكنها تجعله من المدمنين وهي محظورة دولياً وربما تؤدي إلى شطب اللاعب نهائياً وآخر مثال هو العداء الكندي بن جونسون .

وفي الختام

فهذه بعض الأخطار التي تهدد الصحة العامة للإنسان والتي تسبب فيها المخدرات رأيت أن أتناولها في هذا البحث علها تنير الطريق لأبناء جيلي فتدفعهم إلى العمل الجاد على محاربتها ومواجهة أخطارها . والله من وراء القصد . . .



وكالات الأنباء الأمريكية في أواخر ١٩٨٦م لكي تقول أن ظاهرة الرضع المدمنين شائعة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن المرأة الأمريكية المدمنة للكوكايين أو الهيروين أو المورفين على سبيل المثال تلد طفلاً به كل الانحرافات النفسية لأن دمه وجهازه العصبي قد تشبعا قبل نزوله إلى الدنيا وهو في رحم أمه بالمخدر اللعين . . . ومن ثم فالرضيع يبدأ حياته مدمناً تتابته الثوبت المزاجية الحادة المصحوبة بالتقلصات والركل والصراخ لأنه في هذه الحالة يكون مثله مثل المدمن بحاجة إلى العلاج من آثار المخدر الذي تشبع به دمه وجهازه العصبي .

ويؤكد أحد أطباء الصحة النفسية بالطائف أن أطفال المدمنين يكونون ضعاف البنية وأكثر عرضة للإصابة بالأمراض .

وقد ذكر دكتور البار أن الباحثين قد لاحظوا زيادة في ولادة الأطفال الموتى "STILL BIRTH" لدى المدمنات بالمقارنة إلى أمثالهن من غير المدمنات وقد وجد أن التدخين بعد الشهر الرابع له الأثر الأكبر في تسبب تلك الوفيات .



المراجع

- ١ - جيمس لونق (١٩٧٧م) .
- ٢ - دون اتيو جونانان قرين (١٩٨١م) .
- ٣ - ريتشارد ودبري (١٩٨٩م) .
- ٤ - سيف الدين حسين شاهين (١٩٨٩م) .
- ٥ - صديق حسين آدم (١٤٠٨) .
- ٦ - عالم الاستشار العربي (١٩٨٩م) .
- ٧ - عبد المجيد سيد أحمد منصور (١٩٨٦م) .
- ٨ - د. محمد علي البار (١٩٨٠م) .
- ٩ - د. محمد علي البار
- ١٠ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م)
- ١١ - د. محمود إبراهيم (١٩٨٩م) .
- ١٢ - مركز أبحاث مكافحة الجريمة - الكتاب الخامس .
- ١٣ - د. محمد علي البار (١٩٨٠م) .
- ١٤ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ١٥ - جريدة الشرق الأوسط العدد ٧٤٥ السبت ١٥ ربيع الأول ١٤١٠ - ١٩٨٩م .
- ١٦ - مجلة التايم العدد ١٧ - ٢٣ أبريل ١٩٨٩م .
- ١٧ - سيف الدين حسين شاهين (١٩٨٩م) .
- ١٨ - د. محمد علي البار (١٩٨٠م) .
- ١٩ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٢٠ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٢١ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٢٢ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٢٣ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٢٤ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٢٥ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٢٦ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٢٧ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٢٨ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٢٩ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٣٠ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٣١ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٣٢ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٣٣ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٣٤ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٣٥ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٣٦ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٣٧ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٣٨ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٣٩ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٤٠ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٤١ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٤٢ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٤٣ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٤٤ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٤٥ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٤٦ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٤٧ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٤٨ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٤٩ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٥٠ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٥١ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٥٢ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٥٣ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٥٤ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٥٥ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٥٦ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٥٧ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٥٨ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٥٩ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٦٠ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٦١ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٦٢ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٦٣ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٦٤ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٦٥ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٦٦ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٦٧ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٦٨ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٦٩ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٧٠ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٧١ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٧٢ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٧٣ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٧٤ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٧٥ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٧٦ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٧٧ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٧٨ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٧٩ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٨٠ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٨١ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٨٢ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٨٣ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٨٤ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٨٥ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٨٦ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٨٧ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٨٨ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٨٩ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٩٠ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٩١ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٩٢ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٩٣ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٩٤ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٩٥ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٩٦ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٩٧ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٩٨ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ٩٩ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .
- ١٠٠ - د. محمد علي البار (١٩٨٨م) .



الأخطبوط العملاق بين الأسطورة والحقيقة



من كل الحيوانات وفي نفس مستوى
ذكاء القط المنزلي .

أذواق مختلفة

■ عند بحث الأخطبوط عن فريسة يتراجع للخلف استعدادًا للانطلاق صوب الأمام، وخلف عيونه الغائرة المتهدلة يجتفي التحفز وسرعة الانقباض، وداخل جسمه الذي يشبه العباءة أو الحقيبة توجد أعضاؤه الداخلية، وبعد سحبه الماء داخل جسمه يقوم بدفعة داخل سكابات أو ممصات متعددة ثم يندفع بسرعة عبر قاع البحر، وفي هذه الأثناء تمشط أطراف الأذرع قاع المحيط، وبين حين وآخر يهبط الأخطبوط إلى القاع للانقباض على سرطان الصخور الأحمر وبعد إطلاقه السم في الماء يفقد السرطان الحس ثم في صفوف منظومة تضع الأنثى بيضها

طويل كان الأخطبوط العملاق محورًا لكثير من الأفلام والروايات الطويلة التي تصوره على أنه وحش دموي لا يتسبب في غرق السفن الكبيرة فقط ولكن يسحب الرجال من على ظهورهم إلى الأعماق، ولكن الحقيقة غير هذا، فإن الأخطبوط يتميز بالذكاء والخجل ولديه غريزة أبوية قوية حتى إن أنثاه تجرع حتى الموت أثناء حراستها للبيض . .

لوقت

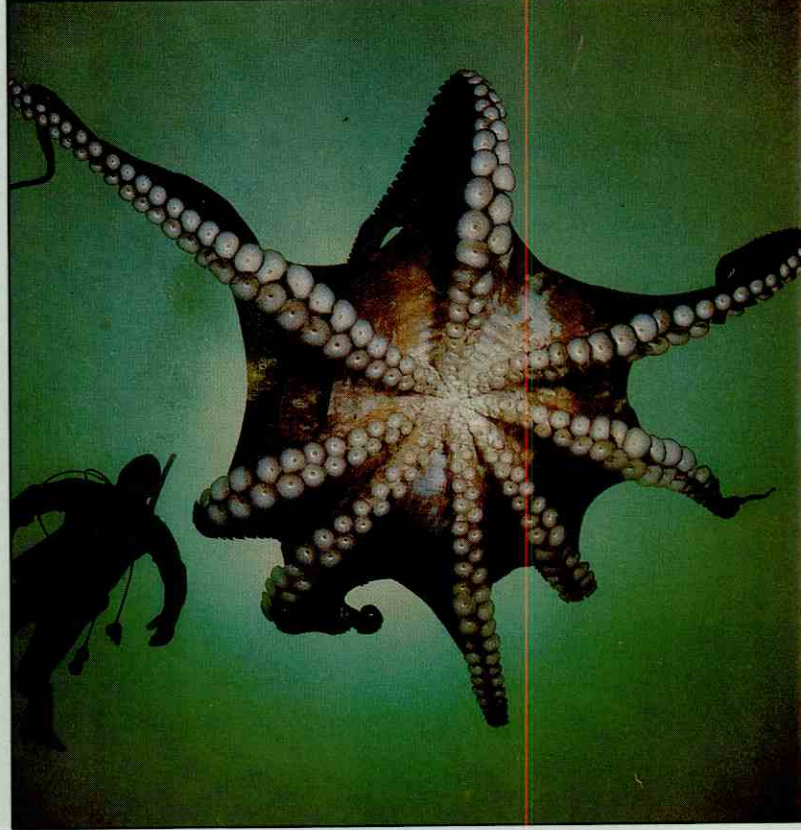
مُرأس الأرجل

يعكس حقيقة أن الأذرع تنمو مباشرة من الرأس، ولكل أخطبوط ثمانية أذرع في حين أن مجموعة الحيوانات «ذوات الأرجل الرأسية» التي تضمن السبيدج السيباء والحيوانات البحرية الصدفية لديها عشرة أذرع أو يزيد. وللاخطبوط كثير من الصفات المتباينة مثل الإزهاب وحب الاعتداء والخوف والفضول وكثير من علماء الأحياء يعتبرون أن الأخطبوط أذكى

ويتغذى الأخطبوط على نوعية واسعة من المخلوقات البحرية خاصة السرطان الأحمر والأصداف البحرية الأخرى، وفي الغالب يخرج للبحث عن طعامه أثناء الليل وعادة يحمل الأخطبوط الجائع فريسته عائداً إلى مخبئه ليأكلها على مهل وتؤدة .

وينتمي الأخطبوط إلى مجموعة من الرخويات تُسمى مُرأس الأرجل وتعني الحيوان ذا الأرجل الرأسية وهذا أخطبوط ضخم من أسفل

■ لا يدري أحد على وجه الدقة كم وزن الأخطبوط ولكن يمكن القول بأن وزن الذكر البالغ يصل إلى ٢٣ كجم وتزن الأنثى حوالى ١٥ كجم، ويبلغ طول الذراع متران ونصف المتر وفي عام ١٩٥٧م عُثر على أكبر أخطبوط من نوعه بالقرب من ساحل كندا الغربية فقد كان وزن ٢٧٢ كجم وكان طول ذراعه ٦, ٩ متر.



من مكونات الهيموجلوبين الذي يعتمد على الحديد في الدمين ولذا يعاني الأخطبوط القوي من نقص الأكسجين ويصبح لا حول له ولا قوة عندما تنفذ حيويته .

تضحية الإناث

■ تضع الأنثى نحو ٨٠,٠٠٠ بيضة في المرة الواحدة داخل وكرها، وبواسطة إفراز غطائي من جسمها تنظم البيض في صفوف مثل العقود يتكون كل واحد من عدد يتراوح بين ٥٠, ٢٠٠ بيضة كل منها في حجم ووزن حبة الأرز.

وبعد فترة قصيرة وفي طور النمو تبدو العيون من خلال النسيج الغشائي ويؤدي فقس البيض إلى انطلاق صغار الأخطبوط صوب السطح حيث يبدأون على الفور في أكل العوالق ومن يعيش منهم حتى يصل إلى سن النضج يزداد وزنه بمعدل آلاف المرات، وفي بعض المناطق التي بها سكان مستقرون من حيوانات الأخطبوط يصل اثنان فقط في المتوسط من النسل إلى مرحلة البلوغ .

بعد وضع البيض تعش الأم في حراسة دائمة له من المهاجمين وتعمل على قلب الماء وتعريضه للهواء بإطلاق المياه من خلال السكابات وتدفع الدخلاء الأجانب بواسطة أذرعها الطويلة وتظل على هذا الوضع ستة أشهر أو أكثر صائمة لا تتناول الطعام إلا نادراً لدرجة أنها تموت تقريباً من الجوع، وإذا ماتت بالفعل تذهب تضحياتها سُدى إذ سرعان ما تأتي مخلوقات بحرية كثيرة لالتهام البيض والصغار .

الأخطبوط للإقامة داخلها، غير أن الصيد له تأثير بسيط على أعداد الأخطبوط، ولأن الصيد يتركز في المياه الضحلة تظل الأنواع التي تعيش في المياه الأعمق دون أدنى خطر وبمرور الوقت يصبح الأخطبوط كبير الحجم بدرجة كافية لجذب الانتباه إليه ويكون هذا عندما يقارب الأخطبوط النهاية .

والأخطبوط نادراً ما يعيش أكثر من أربع سنوات وبرغم أنه قوي إلا أنه يشعر بالتعب سريعاً لأن المكونات التي تحمل الأكسجين في دمه وهي مركب تعتمد على النحاس أقل قوة

آخر أعم وأهم، فالعلماء يقولون إنه الخبر يخفي الأخطبوط وذلك لإرباك الصائد وفي هذا الوقت يبحث الأخطبوط عن مهرب .

والواقع أن صيد الأخطبوط يتم بمتهى السهولة بواسطة الصنارة أو حتى باليد في المياه الضحلة، وفي المياه البعيدة عن الشاطئ يدفع الصيادون أعداداً هائلة من الأخطبوط للخروج من أوكارهم بواسطة وضع الكلورين فيها، في حين أن صيادين آخرين يمسكون بهم بوضع فخاخ صناعية في الماء مثلاً صناديق الخشبية التي يسرع

الأخطبوط أثناء غشيط القاع



خلف العيون الغائرة يكمن التحفز



يستخدم الأخطبوط فم القوي لكي يحطم صدفته بغية الوصول إلى اللحم الطري، وباستخدام الجلد المرن الموجود بين الأذرع يمكنه أن يحمل ١٢ سرطاناً أو يزيد دفعة واحدة عائداً إلى مخبئه .

والغريب أن أفراد الأخطبوط لديهم تفضيلات مختلفة للأطعمة كما يبدو من فوارغ الأصداف خارج أوكارهم، فكثير منهم يفضل أكل الحلزون البحري رغم أنه يمت لهم بصلة قرابة، فالمعروف عن الأخطبوط أنه يأكل نفس نوعه، وفي ظروف التوتر الشديد قد يأكل بعض أذرعه التي تعود ثانية إلى النمو.

عمر قصير

■ كان المعتقد أن الحبر الأزرق الذي يطلقه الأخطبوط يمثل شاشة دخان تسهل عليه الانقضاء على الفريسة ولكن تبين أن للحبر هدفاً



الروائيون الروس والملاحم الواقعية في المسرح

بقلم: د. محمد أبو بكر صعيد

ظلّ

التمثيل المسرحي في روسيا حتى بداية القرن التاسع عشر وسيلة من وسائل الترفيه عن الطبقات الثرية، وكان التمثيل المسرحي تقليدًا شائعًا للمسرح الأوروبي وخاصةً فرنسا التي يقضي فيها نبلاء روسيا معظم أوقاتهم، ولم ينشأ التمثيل في فرق حرة بل كانت الفرق المسرحية تتألف من العبيد الذين يعملون في أراضي هؤلاء النبلاء، وبالتالي لم يكن المسرح في روسيا يحمل رسالة أو يخدم هدفًا، ولم تكن أساليب التمثيل إلا انعكاسًا لأساليب الرومانسية المفرطة التي كان يشاهدها هؤلاء النبلاء في فرنسا. ومن هنا كانت أصول الكثير من الممثلين والأدباء الروس من العبيد مثل شبكين وتشيكوف.

الصعبة إلى تلك المدينة، وما إن أحس بالأمر حتى استغله فقام بتمثيل الدور وكسب مقدارًا كبيرًا من الهدايا والأموال لم يكن يحلم بها، وبعد مغادرته أرسل رسالة لبعض أصدقائه يخبرهم بالحقيقة وقبل أن يفيق القوم من الذهول يصل المفتش الحقيقي من موسكو ويسدل الستار على هذه المفاجأة.

ولقد وجد الكثير من المسرحيين والممثلين الروس في هذه المسرحية التعبير عن رغبتهم في الاقتراب بالمسرح من الواقع ومن حياة الناس اليومية وهمومها، وكان في مقدمة هؤلاء الذين وجدوا أنفسهم في هذه المسرحية الممثل الشهير ميخائيل شبكين Mikhail Shchepkin (١٧٨٨ - ١٨٦٣م) الذي اعتبره إستانسلافسكي الرجل الذي وضع أسس الفن المسرحي الروسي لاهتمامه بالتدريب المتأن والملاحظة الدقيقة للحياة، إلى جانب دعوته الممثل لمعيشة دوره، فقد جعله كل ذلك أستاذًا لجيل من الممثلين يحتذونه ويسرون على خطاه. وهكذا كانت كتابات جوجول وتمثيل شبكين أول الخطوات في رسم حركة المسرح الروسي ودفعه نحو الواقعية.

تورجنيف والمسرحية الرائدة

ثم قدم إيفان تورجنيف Ivan Turgenev (١٨١٨ - ١٨٨٣) واحدة من أهم المسرحيات الرائدة في الاتجاه نحو الواقعية النفسية التي تبلورت فيها بعد في أعمال تشيكوف، وهي مسرحيته الشهيرة «شهر في الريف» A Month in the Country (كتبها سنة ١٨٥٠م ولم تمثل إلا في ١٨٧٢م). تدور أحداث المسرحية في إحدى (العزب) الريفية النائية، بطلتها زوجة أحد مُلاك الأرض الإقطاعيين، ناتاليا، التي يقودها الفراغ والملل

تعتبر مسرحية «المفتش العام» The Inspec- tor General (١٨٣٦م) أقدم مسرحية في الأدب الواقعي الروسي طارت بها شهرة مؤلفها نيكولاي جوجول Nikolai Gogol (١٨٠٩ - ١٨٥٢م) في عالم المسرح. وتعالج هذه الكوميديا فساد النظام الوظيفي بالرشوة والنفاق والمحسوبية، وتدور أحداثها في مدينة روسية صغيرة حيث يشاع في الدوائر الحكومية أن مفتشًا عامًا سيجيء من موسكو يتفقد الأوضاع هناك. وما إن يدخل المدينة أحد الغرباء حتى يظن الرؤساء هناك أنه المفتش العام جاء متفكرًا ليتعرف حقيقة الأوضاع بسرية، فأحسنوا استقباله وأمطروه بالهدايا والعطايا طمعًا في أن يحسن كتابة التقرير المرسل لموسكو، والحقيقة أن هذا المفتش المزعوم ما كان إلا موظفًا فقيرًا يدعى كولستاكوف رمت به أحواله المادية

وما إن حل منتصف القرن التاسع عشر (١٨٥٠م) حتى ازدادت الأحوال الاجتماعية سوءًا ثم ألغي نظام العبيد سنة ١٨٦١م إثر المطالبة المتزايدة بالإصلاح، وبدأ تخفيف القيود على الكتابة المسرحية، وفي أواخر القرن بدأت دعوة الأدباء الروس للتكاتف على أن يكون للأدب والفن هدف اجتماعي عادل وأن يكون انعكاسًا صادقًا لواقع الحياة.

إسهام جوجول

وهكذا لم يبرز المسرح في روسيا كقوة مؤثرة في الحياة الفنية والأدبية ويظهر له صدق في حركة المسرح العالمي إلا في أواخر القرن التاسع عشر.

فقد تألق في هذه الفترة كُتّاب عظام أثروا المسرح الروسي بملاحم متميزة، وشكلوا له اتجاهات واقعية جديدة كان لها أثرها في المسرح العالمي أمثال تولستوي وتشيكوف وتورجنيف واندرريف. وقد كان ظهور حركة المسرح المستقل باسم «مسرح الفن بموسكو» بمثابة المتفلس للأعمال الرائدة في المسرح الروسي الحديث، والتجسيد الحي لتيار الواقعية النفسية التي تم بها التكامل بين منهج «مسرح الفن» و«دراما تشيكوف» على وجه الخصوص.

أسهم عمالقة
الرواية الروسية
في تمهيد الطريق
لظهور عمالقة
المسرح الروسي

وحياة الترف إلى مغازلة صديق الأسرة راكستن ، ولكن وصول المدرس الخاص الشاب بيليف يثير عاصفة جديدة تغير مجرى الأحداث ، إذ تميل ناتاليا إليه ، بل وتبعده عن وصيتها فيرا ، الفتاة الشابة ، وتحاول تزويج الفتاة من إقطاعي سىء الخلق ، ولكن الفتاة فيرا على صغر سنها تواجه ناتاليا بنواياها الحقيقية وتحسر ناتاليا في النهاية كلاً من راكستن وبيليف معاً وتترك فريسة لوحدها وكآبتها .

وقد أبرز تورجنيف في مسرحيته العزلة النفسية التي تعاني منها الشخصيات ، والإجباط في العلاقات العاطفية ، فكل شخصية تقع في غرام شخصية أخرى لا تبادلها نفس المشاعر ، وليس بين شخصيات «شهر في الريف» شخصية شريرة ، فكل شخصية طيبة الأصل تثير تعاطفها عندما تشاهدها تقع ضحية لظروفها الاجتماعية والنفسية . وهذا كله ما جسده بعد ذلك تشيكوف في مسرحياته ، الأمر الذي جعل كثيراً من النقاد يعتقدون في أثر تقنية هذه المسرحية ومضمونها في أعمال تشيكوف السدرامية جميعاً . والحقيقة أن تورجنيف قد سبق هذه المسرحية أعمال دوماس الابن وأوجيه الواقعية في فرنسا ، فقد كتبت وأبسن بعد مازال يكتب مسرحيته الرومانسية «كاتلين» Catline!

بسمسكي و«القدر المر»

وإذا كان تورجنيف قد سبق رواد الواقعية الأوائل في أوروبا ، فإن بعض أعمال أليكسي فيوفلاكوفتش بسمسكي Alexey Feofilakto- vich Pisemsky (١٨٢٠ - ١٨٨١ م) قد جسدت تصورات المذهب الطبيعي - كما رسمه بعد ذلك زولا - أكثر مما فعلت أية مسرحية أوربية ، ويرى النقاد أن مسرحية «القدر المر» A Bitter Fate (١٨٥٩ م) واحدة من أفضل الأمثلة على المسرحية الطبيعية الجادة ، وتتلخص قصة المسرحية في أن أحد العبيد يدعى إناني Anany يعود بعد سفر طويل ليجد أن زوجته قد حملت سفاحاً من سيده ممالك الأرض وأنجبت طفلاً ، فيقتل الطفل ثم

يقبض عليه عند محاولته الهرب ويحكم عليه بالسجن في سيبيريا . فيندم على جريمته ويعتذر لكل الذين أساء إليهم ويقبل مصيره برحابة صدر . ولقد كانت المسرحية معالجة إنسانية لكرامة الزوج التي أهدرت ولمأساة امتلاك الإنسان لأخيه الإنسان ففي أول مسرحية روسية بظلمها فلاح من عامة الناس ، وقد نالت هذه المسرحية «جائزة أوفاروف» Uvarov الرسمية سنة ١٨٥٩ م .

تولستوي ونصرة المظلومين

ولقد تبلور التصوير الواقعي للفلاح المضطهد في روسيا القيصريّة على يد ليو تولستوي Lev Tolstoi (١٨٢٦ - ١٨٨٩ م) في مسرحيته الشهيرة «قوة الظلام» Power of Darkness

سبقت مسرحية «الفتش العام» لجوجول أعمال رواد الواقعية في أوروبا..

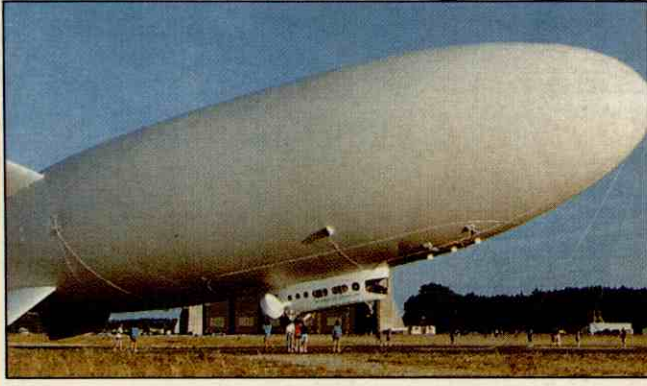
(١٨٨٨ م) ذات الملامح الطبيعية في بنائها ، وتعرضها للحياة الضنكة التي كان يعيشها الفلاح الروسي ، ولكن الرقابة لم تسمح بعرضها ، فقدمها أنطوان في مسرحه الحر بباريس سنة ١٨٨٨ م ثم عرضت في روسيا بعد ذلك سنة ١٨٩٥ م . وتدور أحداثها كالعادة في المسرح الروسي في إحدى إقطاعيات الأرض حيث نجد نيكيتا يقيم علاقة محرمة مع الزوجة الثانية لأحد موظفيه يدعى بيتر ثم يساعدها على التخلص منه بالقتل ثم يتزوجها لكنه لا يهنأ بالعيش معها في ظل إحساسه بالجريمة فيسرف في الشراب ويحاول الهروب من ونز الضمير بجريمة أخرى بإيقاع ابنة نفس الموظف بيتر من زوجته الأولى في حبائله ثم يقوم بتشجيع من زوجته وأمّه بقتل الطفل الذي جاء ثمرة للعلاقة المحرمة ويحاول تزويج الفتاة من أحد الفلاحين العاملين معه . وفي أثناء حفلة الزواج تثقل على نيكيتا جرائمه ويغطي عليه تأنيب الضمير ولم يعد يحتمل إخفاء سره الرهيب فينفجر معترفاً أمام الناس بجرائمه وسط ذهول الجميع طالباً الصفع والغفران .

وقد كتب تولستوي مسرحيات أخرى لم ترق إلى مستوى «قوة الظلام» ، أهمها «ثمرات التنوير» The Fruits of Enlightenment (١٨٩١ م) يعرض فيها تصورات الروحية والفكرية تجاه عصره في قالب كوميدى من أربعة فصول . فهو يكشف في قالب ساخر القناع عن الخواء الروحي الذي تعاني منه الطبقات العليا في روسيا وانحصار اهتماماتها بالحياة المادية ووسائل الترفيه ، وذلك من خلال وجهة نظر ثلاثة من الفلاحين البؤساء ، ثم توات بعد ذلك أعماله المسرحية ، مثل «الجثة الحية» The Living Corpse (١٩١١ م) التي لقيت رواجاً شعبياً في زمانها لاعتماد قصتها على حادثة قضائية حقيقية ، وإن كان تولستوي اعتبرها عملاً درامياً غير كامل ، وكانت آخر مسرحياته بعنوان «ضوء يشع في الظلام» A light Shines In the Darkness وهي مسرحية مطولة في خمسة فصول كتبها تولستوي بتقطع في فترة تقرب من العشرين عاماً وأتمها سنة ١٩٠٢ ، سادتها روح تشاؤمية ، وأسقط فيها بعض أحداث حياته ، ولم تلق نجاحاً يُذكر .

ومع ذلك فإن ما قدمه كل من جوجول وتورجنيف وبسمسكي وتولستوي وغيرهم من الروائيين الروس للمسرح كان هامشياً إلى جانب أعمالهم الروائية العظيمة والمتعددة ، إلا أنه كان له أكبر الأثر في الدفع بحركة المسرح الروسي خطوات نحو الواقعية ، ونحو تحقيق شخصية متميزة للمسرح الروسي كانت بمثابة معالم في الطريق أمام رجال المسرح الروسي الكبار من كُتّاب ومخرجين وممثلين الذين لم تنجس في أعمالهم الروح الروسية فقط بل حلقوا بها في آفاق العالمية من خلال الطرح الإنساني الذي تفوقت به هذه الأعمال .

المصادر

- (1) Masterpieces of the Russian Drama, The simpleton, Moscow, 1961.
- (2) Matlaw, R. ed, Tolstoy: A collection of critical Essays, New york, 1967.
- (3) Segel, B. Harold, Twentieth Century Russian Drama, New York, 1979.
- (4) Slonim, Mare. Russian Theatre from The Empire to the Soviet, Chicago, 1961.
- (5) Xershov, Peter, Comedy In the Russian Theatre, Trans. T. Zuber, New York, 1956.



أكبر منطاد في العالم

أجريت التجارب الأولى في الولايات المتحدة على أكبر منطاد صنع حتى الآن وأطلق عليه اسم **Sentinel 1000** - أي الحارس - الذي قامت بتصميمه وتصنيعه شركة وستنكهاوس Westinghouse الأمريكية وتستعمل فيه الأساليب الفنية المتبعة في المناطيد البريطانية من طراز (Air ship)، كالمراوح ذات الشكل الانسيابي غير القابلة للالتواء، ويعمل هذا المنطاد بجهاز تحكم كهربائي ويستطيع التحليق بأمان مطلق دون أن تدعو الحاجة إلى عدد كبير من الملاحين يعملون فيه كما هي العادة في المناطيد التقليدية، إذ يكفي أن يقلع من سيارة شاحنة صُممت خصيصا لكي يقلع من فوقها دون أية مساعدة خارجية وذلك بفضل تسهيلات الإقلاع التي تتيحها المراوح القابلة للتوجيه. هذا المنطاد الذي سيقوم بمهمة مراقبة شواطئ الولايات المتحدة يُعتبر التصميم المبدئي لمنطاد يبلغ ضعف حجم المنطاد المذكور أطلق عليه اسم 5000 Sentinel والذي ستكون له القدرة على القيام بمهام - دون أن يتزود بوقود - تستمر عدة أيام، في حين أن المناطيد التقليدية لا تستطيع التحليق لمدة تزيد على ٢٤ ساعة.

ظاهرة جديدة في سلوك الكائنات البحرية

أسماك الميرو (merou) التي تعتبر أشهر أسماك البحر الأبيض المتوسط حيث إن تواجدها كان محددًا في المناطق الحارة جدًا في البحر الأبيض المتوسط. وقد لاحظ علماء الأحياء المائية مؤخرًا أن هذا النوع من الأسماك بدأ بالهجرة إلى الشواطئ الفرنسية للتوالد هناك. وقد اتضح أن سبب هجرتها هو ارتفاع درجة حرارة مياه البحر الأبيض المتوسط التي لم تهبط إلى أقل من ١٣ درجة مئوية منذ خمس سنوات بالمقارنة مع درجة حرارة مياه الشواطئ الفرنسية



تناقص هذه الطبقة يرجع بنسبة ٨٠٪ إلى عوامل كيميائية كانت توجد بكميات قليلة في الطبقات الجوية، وبصورة خاصة مركبات الكلور والبروم - وهما عنصران كيميائيان - كما أن النشاط الإنساني له علاقة بتأثر هذه الطبقة وبشكل خاص فيما يتعلق باستعمال مادة كاربورات الفلور = Carbofluorocar - bone التي يحملها الهواء إلى هذه الطبقة. وقد تم تحديد حياة البدائل الجوية بفترة تتراوح بين ٥ - ١٥ سنة بالمقارنة ببعض مواد كاربورات الفلور، وكانت نتائج التجربة الأوروبية عن طبقة الأوزون في القطب الشمالي وعلى ارتفاع ٢٥ - ٤٠ كم قد أثبتت ذلك.

وتأتي هذه الحملة من قبل العلماء في وقت أصبحوا يشعرون فيه بقلق متزايد. فقد شهدت السنوات الماضية ١٩٨٨، ١٩٨٩، ١٩٩٠، ١٩٩١ انخفاضًا ملحوظًا في طبقة الأوزون حيث بلغ متوسط النقص ١٠٪ في الارتفاعات المعتدلة من القطب الشمالي، و ٢٠٪ في القطب الجنوبي حيث لوحظ انعدام كلي لطبقة غاز الأوزون على ارتفاع يتراوح بين ١٠ و ٢٥ كم.

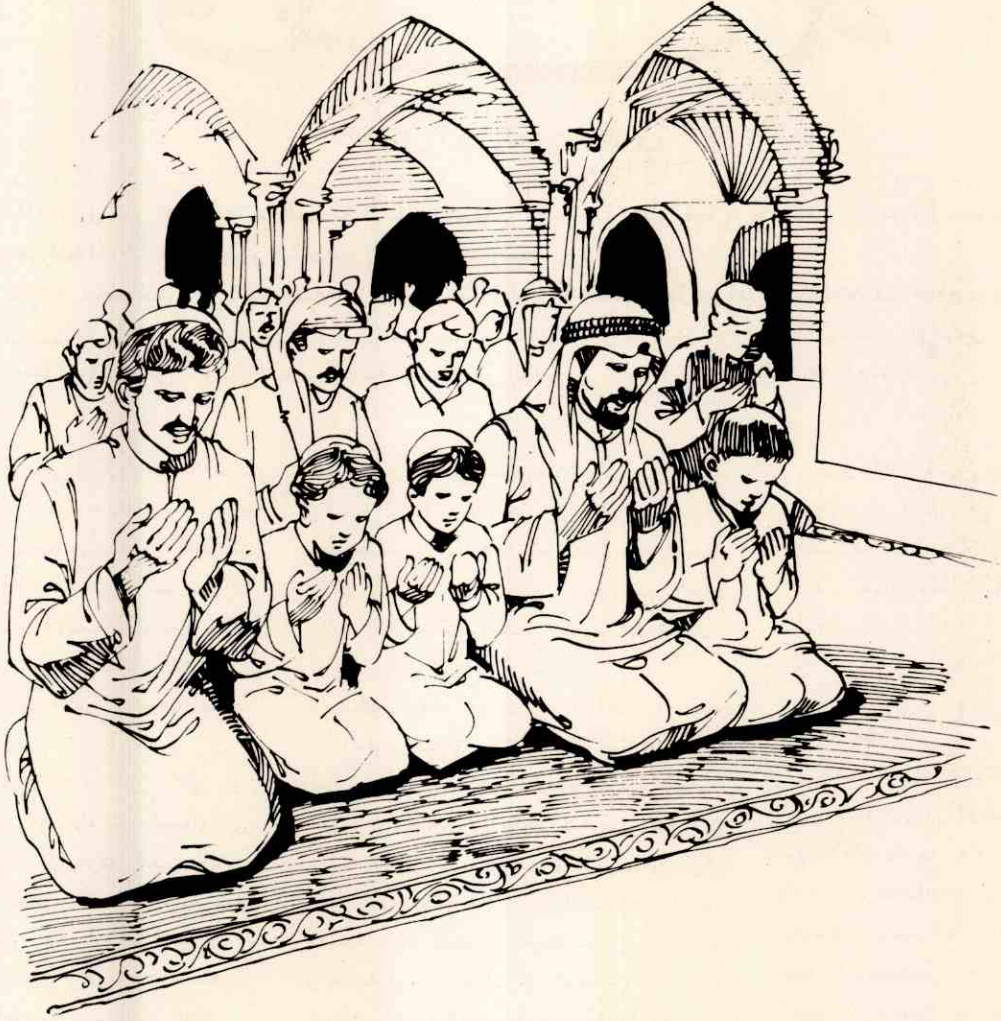


مؤتمر عالمي لبحث تناقص الأوزون ..

اجتمع مؤخرا ٢٥٠ عالما جاؤوا من سبع عشرة دولة لدراسة موضوع تناقص طبقة غاز الأوزون في القطب الشمالي، وكانت الوسائل التي استعملت لحماية هذه الطبقة الجوية الهامة لحياة الإنسان كثيرة، منها إطلاق أربعين منطادا كما أجريت عشر تجارب بالطائرات، وأطلقت صواريخ كثيرة لأغراض السبر والاستقصاء، كما تمت إجراءات كثيرة أخرى على الأرض بغية فهم الأسباب التي أدت إلى تناقص طبقة غاز الأوزون في القطب الشمالي. وقد ثبت أن السبب في



مَشْهَد رَائِع .. نَحْبُهُ .



عزيزي الأب :

هذه هي بداية طريقك لتبنى في طفلك صرحاً قوياً .



مع تحيات
سابك

الشركة السعودية للصناعات الأساسية
والشركات التابعة لها



سابك للخدمات
التسويقية

سابك
للتسويق



حديد حلب سافكو ساد ابن البطار الرازي ابن سينا صندف كيبا بنبت بتروكيميا شرق غاز ابن حيان ابن زهر

www.ablaltareekh.com

ذكريات مع الشاعر ”فقيه“

بقلم : عبد العزيز الرفاعي

ليست هذه هي المرة الأولى التي أكتب فيها عن الصديق الشاعر الأستاذ (محمد عبد القادر فقيه) ، فقد كتبت عنه من قبل نتفأ من الكلام ، لم أبلغ بها القصد .. ولكنها تكفي فقط للدلالة على تقديري الشخصي العميق لأدبه وشعره وخلقه .
وأشارك الرأي الذين قد يتهمونني في أن ثنائي عليه إنما هو وليد هذا التقدير الشخصي .. بل هو نتاج صداقة حميمة قوية . ولن أدفع عن نفسي هذه التهمة الجميلة .. تأكيداً لعلاقة صداقتنا وعمقها .. إلا أنني أقول شيئاً أحاول به ، أن أقرر حقيقة أعرفها من نفسي .. أو يخيل إلي أنني أعرفها وهي أن صداقتي للحقيقة ذاتها أعرق وأعمق .. وهذا لا يعني بطبيعة الحال نفي التأثير على نحو ما بعوامل الصداقة الحميمة .

جدير بالذكر قبل أن يشت بي الحديث يميناً وشمالاً ، أن أذكر ، أن الصديق الفقيه لا يزال يواصل هوايته في جمع الأدباء والأزهار .. إلا أن الأزهار أسهل جمعاً .. أما الأدباء فقد تشتت بهم الأحوال والديار .

أدبه انعكاس لنفسيته

رجعت إلى هذه الذكريات ومثيلاتنا ، وأنا أقرأ ، كلمة في ظلال الأستاذ (عبدالله جفري) أتم الله عليه عاقبته ، وأمتع بما يجب من الصحة والخير ، وأمتعن بأدبه وظلاله - كلمة قيمة من الأستاذ (محمد عبد القادر فقيه) ، وقد لمس فيها ، في ومضات سريعة جوانب من شخصيته ، إنساناً ، وصديقاً ، وشاعراً ، وموظفاً مسؤولاً ، وعرج على قدرته الفائقة على تغلبه على معاناته التي ارتفع بها فوق الألم ، كما عبر الأستاذ الجفري .. وهذه النقطة بالذات ، ذكرتني بما كنت أسمع من أخباره ، ونحن بعد فتية ، قبيل لقائنا الأول ، إنه

السمن . ويكرعون الشاي ، ويتحاورون في الأدب والشعر والنقد ويعلقون على ماتشره مجلة (الرسالة) التي كانت تعد مدرستهم الأدبية الأولى .. كما كانوا يتبادلون محاولاتهم الأدبية والشعرية ، كما كانوا يكتبون في مجالات خطيرة .. لم يحذروا عواقبها .

هناك عرفت الصديق الشاعر (محمد عبد القادر فقيه) ، الذي انتقل بنا من دكان الدسم .. إلى حديقته الصغيرة الحافلة بأطياب الورود والرياحين .. فكانت لنا فيها عصارى جميلة - وكان لنا فيها شعر وأدب وحوار .. وفي اليوم الذي يكتب فيه تاريخ الأدب لهذا الجيل مفصلاً ، فلا ينبغي أن يغفل عن أثر الشئمة والفقيه في جمع شتات تلك الفئة من أدباء ذلك الجيل ، الذي لا يقتصر بطبيعة الحال على الأسماء التي أوردت ، فهناك عديد من الأسماء لها بروزها وتأثيرها .. ولكنني هنا - اقتصر على مجموعة الشئمة والفقيه . بل على ما أسعفتني به الذاكرة فقط .

ومهما يكن الأمر ، فإني أحس ، حينما أكتب عن الصديق الشاعر (محمد عبد القادر فقيه) ، أنني أكتب في الوقت نفسه عن نفسي .. ذلك أننا التحمنا معاً في رحلة أدبية مشتركة عبر سنوات كثيرة مضت ، لا أريد أن أكشف الستر عنها ، لئلا يظن بعض متسقطي الأخبار ، أننا بلغنا من العمر عتياً .. بيد أننا في واقع الأمر لم نعرف السيد (عتي) بعد ..

وفي تلك النتف التي كتبت من قبل ، أشرت إلى ذكرياتنا الأدبية المشتركة ، منذ كان يضمنا دكان السمن الذي حولناه إلى مركز أدبي يرتاده مجموعة من الأدباء الشدا كانت لهم مفاهيمهم الأدبية الخاصة ، وكان يجمع شتاتهم أديب شاب يكاد يغفله التاريخ الأدبي : هو (محمد سعيد شئمة) - يرحمه الله - ابن صاحب الدكان ، الذي لم يجد والده (بحليم) مانعاً من أن يرفع من دكانه حلّة من حلل السمن بعد أخرى ، ليحتل مكانها أديب شاب من أصدقاء ابنه البكر الأثير .. ولا أحاول الآن أن أستقصي أسماء جميع أولئك

الأدباء الشباب خشية أن أسهو عن اسم من أسمائهم ، ولكن بحسبي أن أورد من هذه الأسماء ما تسعفني به الذاكرة : (عبدالعزيز الربيع) ، - يرحمه الله - الأديب الشاعر الناقد ، الذي لم يأخذ حقه من التقدير رغم أصالته الأدبية . ورسوخ قدمه في الأدب والفكر .. و(أحمد محمد جمال) الكاتب الإسلامي الشهير ، و(سراج خراز) الشاعر الذي اخترمته المنون - يرحمه الله - و(محمد عبد القادر فقيه) . وقد كانت دكان والده تواجه دكان (الشقة) ، كانوا يجتمعون في وسط حلل

سراج خراز



عبد العزيز الربيع



الجانب النثري عنده مجسّد تفكيراً ناضجاً وتأملات واعية..

وأحسبه قد اعتاد هذا الاطلاع الدائب . منذ كان مديراً للمراقبة في وزارة الإعلام ، تمر من بين يديه الكتب الواردة ، مآكان منها تراثياً أو غير تراثي ، ومن هذه الكتب ، ماهو نفيس ، فيطلع عليه بحكم عمله الوظيفي ، ويستوعبه بحكم حاسته الأدبية الأصيلة .

ولاشك أن هذا العمل الذي ظل يمارسه سنوات طويلة ، حتى بلغ سن التقاعد ، قد أمدّه بفيض من الثقافة والمعرفة ، ترضي نهمه القديم إلى الاطلاع وولعه بالكتب .. وهو ولع كنت ومازلت أشهده عن كُتب كلما لقيته ، منذ عرفته شاباً حتى الآن .

وإذا كانت ظروفه قد عاقتة عن مواصلة السير التعليمي ، منذ السابعة عشرة من عمره ، أو حواليتها ، فقد واصل جهوده الذاتية ، ليعوض نفسه عما افتقده من مسيرة التعليم المنهجي .. ليس فقط في حقل الثقافة العامة ، بل في حقول العلوم المتخصصة في اللغة والنحو ، في حدود ذلك القدر من الزمن الذي تتيحه له ظروفه الحياتية ..

والصديق الفقيه ، سريع التلقي ، لما يُتيحه التقدم التكنولوجي . ليفيد من ذلك لصالحه ، ويتغلب عن طريقه على ظروفه . فلم يكد (الفاكس) ، يأخذ طريقه إلى الاستعمال حتى بادر إلى اقتنائه ليكون وسيلة مجدية لاتصالاته الهاتفية مع مجتمعه ، وليحقق أيضاً عن طريقه اتصاله الأدبي ، مع الذين يتبادل معهم هذا الاتصال .

حقاً لقد برع في تحطيم السور الذي أحاطته به ظروفه .. واني لأرجو أن يواصل اختراقه ، وليس مع الحياة يأْس ، حتى لو بقي من العمر ثمانية .. فالموت الحقيقي هو موت الأمل فقط !

رأي ناقد

هذا الكلام الكثير الذي كتبه ، محاولاً أن أعرف بهذا الصديق الكبير بأدبه وخلقه ، إنما هو من قبيل تعريف المعرف .. تماماً كما نقول : تجرب المجرّب .. على أن الأستاذ المبدع عبدالله عبد الرحمن الجفري ، أنعم الله عليه بنعمة العافية ، أغنانني عن ذلك كله ، في كلمات موجزات موجبات بارعات ، في كلمته التي أسلفت الإشارة إليها .. بل برع في الإيحاء إلى جوانب لم تخطر لي على بال ، بالرغم من تلك الصلة الوثيقة التي ربطتني بالأستاذ الفقيه .. عبر صداقة مايزيد على أربعين عاماً .

فقد أشار إلى : «إبداعاته.. ورهافة حسه،

شعره ، أعني بها ظاهرة السجال الشعري ، أو المعارضات .. فهو في عالم الألفة الودية التي يعيشها في أجواء الصداقة ، كثيراً مايتبادل الحوار الأدبي ، نثراً وشعراً مع أصدقائه .. ليتخذ من هذا الفن ، تعبيراً عن مودته ، وتعويضاً عن طبيعة الحوار الشفهي .. بل لقد استطاع بذكائه الحاد أن يتغلب على هذه العقبة ، وأن يتبادل الحديث مع أصدقائه ، متجاوزاً حاسة السمع ، إلى المراقبة الذكية للملامح وحركة الشفاء ، ومضات الإثارة .

أدبه النثري

وإذا كان الجانب الشعري قد صادف طريقه إلى النشر في الصحف أو الكتب ، فإن الجانب النثري من أدبه ، وهو يشخص مجموعة من آرائه في الناس والحياة ، ويجسّد تفكيراً ناضجاً ، وتأملات واعية ، بل هي مبتكرة في بعض الأحيان إن هذا الجانب النثري لم يتخذ بعد طريقه إلى الظهور .. وما أجدره أيضاً أن يلقي عناية واهتماماً ..

والأستاذ (الفقيه) قارئ متطلع مستوعب ، تمتد اهتماماته الثقافية لأكثر من اتجاه .. فهو يقرأ في التراث ، ويقرأ الأدب الحديث ، ويتابع الحركة الثقافية . ولاتكاد تغلت من بين يدي اطلاعه صحيفة أو مجلة يرى أنها ذات فائدة ..

أحمد محمد جمال



يشبه الرافعي ، من حيث معاناتهما السمعية .. ولكننا بعد أن تعارفنا ، ثم اقترب تعارفنا بل تحول إلى صداقة حميمة - عرفت أن الشبه بينه وبين الرافعي كان محصوراً في حدود معينة لا يتجاوزها.. وأن صديقي في دائرة هذه الحدود ، يحتفظ بشخصية متميزة ، وهذا أمر طبيعي ، ولكنه إلى ذلك ، وعلى ما يبدو لي ، لم يفكر قط في أن يكون ظلّاً للرافعي ، ولا أن ينهج نهج الأدبي ، في النشر والشعر ، من قريب أو بعيد ، فهو يرسل نفسه وأدبه على سجيتهما ، ولا يقصر نفسه ولا تفكيره ولا فنه على تلك المعاناة الشديدة التي كان يقصدها الرافعي - يرحمه الله - قصداً ، لينتج أدبه .. ولم يكن صاحبنا لينافس أحداً ليبرز في عالم الشعر ، فإنه إنما يصدر عن سجية مطواع . وليس هذا الكلام بطبيعة الحال مقارنة بين الأدبيين ، بل ولا محاولة للمقارنة ، وإنما الهدف أن أقول . إن كلاً منهما عانى من فقد السمع ، وأنه امتلك موهبة الشعر ، وأنه احتفظ باستقامته في دينه وخلقه .

ديوانه الوحيد

ولعل أبرز ما يتميز به الصديق (الفقيه) خلق التواضع الذي جعله ، لفترة زمنية طويلة ، قليل الثقة بموهبته الشعرية ، فطالما تردد في إبرازها ، وفي نشر شعره ، فكثيراً ماكان يصوغ القصائد الحياتية ثم يحجم عن نشرها ، بل لا يكد يطلع عليها إلا الخاصة من أصدقائه وكان من بين هؤلاء من يعجب بهذا الانتاج الجيد ، ويضن به على الحجب ، ويعمل جاهداً على نشره ..

وعلى رغم غزارة شعر الصديق الشاعر ، عبر عمره الأدبي ، الطويل إن شاء الله ، لم ينشره إلا ديوان صغير .. لا يكد يمثل إلا اتجاهاً واحداً من اتجاهاته الشعرية . وأعني التفاته إلى الماضي .. وارتباطه به على نحو ما ، وهو ارتباط لايزال يعايشه .. فهو شديد الوفاء لذكرياته وأيامه الخوالي : وصحبه القدامى .. وكل ذلك يجسّد ، أجمل تجسيد ، خلق الوفاء المتأصل لديه .

بيد أنني علمت منه ، في آخر لقاء ضمنا ، أن ديوانه الشامل على وشك الصدور ، وهو يجسّد أيضاً وفاء أبنائه له ، وحفاوتهم بشعره ومكانته الأدبية ، وضناً بشعره ، أن يتناثر هنا وهناك .. وربما كان هذا الديوان قد صدر فعلاً ، خلال هذه الفترة التي أكتب فيها هذه السطور بعيداً عن وطني .

وينبثق من وفائه الصادق ، تلك الظاهرة في

شاعر بحق

لأدع الشاعر (فقيه) يتحدث عنه شعراً :

آل الجمال فقدنا في الطريق سنا
وكوكباً يتحرى نورهُ الوطننا
ماكان صالح إلا فلذة جبلت
من قلب مكة ، نبراساً وفيض سنا
جوابها البر ، مَنْ أفنى شببيته
حداً عليها ، وَمَنْ في حزنها سكنا
أقلامه مشرعات مابها خور
وصوته هادر بالحق ماوهنا
آل الجمال ، وقلبي في محبتكم
ماتعلمون ، فدمعي ثائر حزنا
مِنْ (سِرْحة الفل) أمجاد لكم سطعت
كواكب تنهادى ههنا ، وههنا
عزاؤهم بل عزائي ، بل عزاء مني
والأخشبين ، ومن في بينها قلنا

سِرْحة الفل

هذا مازودني به صديقي من هذه الأبيات
الرائعة ، وزودني أيضاً بشيء آخر ، ما كنت أعلمه ،
برغم ما أزعم لنفسي من متابعة لتاريخ مكة
المكرمة ، هو شرحه لسِرْحة الفل .. وهذا الشرح
يدل على عنايته التاريخية .. وميوله
للمراجعة العلمية .

أعرف أن (سِرْحة الفل) ذلك الزقاق الضيق
الذي كان يسكن في نهايته آل الجمال ..
في بيت مطل على المسعى ولم أكن أعلم سبب هذه
التسمية التي تنم عن معنى جميل ، تفوح منه
رائحة الفل ، حتى أخبرني صديقي (فقيه) أن
سبب التسمية أنه كان من اختصاص بعض سكان
الزقاق العناية بنظم عقود الفل ، التي يطوقون بها
أعناق العرائس في حفلات الزفاف .

ومن الظلم للصديق العزيز ولآل جمال أن لا
أورد ماختم به تفسيره لهذه السِرْحة .. فقد
أضاف : « وفي هذا الموقع نشأ الأخوان صالح
وأحمد ، وبقيّة آل جمال ، يحيط بهم عبق الفل
وبياضه من ناحية وتهاليل المسجد والمسعى من
ناحية أخرى فكان لهذا الموقع الفريد أثره في
اتجاههم والتزامهم بالقيم الإسلامية . »
أرايتم كيف يكون (الفقيه) شاعراً حتى في
نثره !

وبعد ، فقد بلغت مداي .. أو تجاوزته ،
وما بلغت ما أريد أن أقول عن أخي الصديق
الشاعر .. ولكن حسبي من قلادة الفل ..
ماحاط بالعنق .

وإذا كانت المصادفة وحدها ، قد ساقطت
نموذجاً عابراً موجزاً من نثر أخي الشاعر
الفقيه .. فقد جاءت المصادفة نفسها ، في ذات
الوقت بأبيات ، هي مشروع قصيدة من قصائده ،
أطلعني عليها قبل أن تتخذ طريقها إلى النشر ،
وذلك ماتعودته منه ، وماتعوده منا ، إذ يطلع كل
واحد منا الآخر على مايجد من هواجسه .. ومن
ذلك مشاريع قصائدنا .. ولكن لا ينبغي أن أغفل
عن حقيقة لا يجوز إغفالها .. هي أن صديقي ،
إنما هو شاعر بحق .. من أول يوم عرفته فيه حتى
كتابة هذه السطور ، وله كما قلت ديوان كبير .. أما
أنا .. فلا أولي الشعر اهتماماً .. فإن حاولته في
ساعات فراغي ، فذلك لن يبعد عن محاولة حل
الكلمات المتقاطعة .. واعتدت أن أحتفظ بهذه
التسليمات النظامية لنفسي ، ولا أطلع عليها إلا
الخاصة من أصدقائي ، بل خاصة الخاصة
منهم .. ليشاركوني التسلية .. وأخي محمد
عبد القادر فقيه ، في مقدمة أولئك الخاصة .. بل
أحسبه قد اطلع على كثير من السخافات التي لم
يطلع عليها سواه .. وهو عليها الأمين المؤتمن !



صالح جمال

صالح جمال

لقد وجدت ، فيما أطلعني عليه من مشروع
قصيدته في رثاء الصديق المشترك ، صالح محمد
جمال ، نموذجاً جيداً من شعره .. إلا أنه أحدث
مقاله ..

والصديق الشيخ صالح جمال ، عمود من
أعمدة شلتنا ، وأصدقاء عمرنا ، ورفقاء
مسيرتنا .. وأحسن - تماماً - مع صديقي الشاعر
أننا فقدنا بفقدته جزءاً من كيان مشترك هو
مجموعتنا الأدبية .. والأستاذ صالح جمال ،
صاحب تاريخ مجيد في عالم الكلمة ، كاتباً ،
وصحفيّاً ، ومؤسساً لمكتبة الثقافة ذات التأثير
المعروف في تحديث الثقافة .. أسسها مع مجموعة
من زملاء جيله ، وأسودوا بها للتاريخ الأدبي في
مكة المكرمة ، يداً لا تنسى !

وحسن اختياره للكتاب . والصحة الجميلة ..
ثم أشار إلى صوره الشعرية التي وجد فيها :
(صوت الإنسان ، الفياض بالشجو ،
وبالشجون ، وبالمعاناة التي ترتفع فوق الألم ،
لتنصهر في رحابة الشاعر .. الذي يمنح ، ويوحي ،
ويشجي ..) أرايتم كيف يكون الأستاذ الجفري
مبدعاً بحق ؟..

ففي مثل هذه الإشارات المترادفة الموحية ،
تكمّن موهبته الإبداعية ، وهي القدرة التي تمنيت
معها ، الإفصاح ، حينما قلت عنه في مناسبة ما :
« إنه عبقرية .. أيتها النصح » ، ذلك أن هذا
الأسلوب الموجز ، بكلماته الخاطفة الموحية ذات
(الظلال) إنما يصبح أكثر تفرّداً في قلب
القارئ ، حينما تتضح الصورة والهدف بحيث
لا يقع في هوة الغموض .. إلا منذ ذلك الفريق
الضئيل من القراء .. الذين يستطيعون إدراك
إحياء الإحياء .. وهذا ما وصفه الصديق الفقيه
نفسه حينما قال : « ولا أكتمك أنني في أول عهدي
بقراءة الظلال ، كنت أجدك غامضاً ، تومئ إلى
أشياء بعيدة ، كما لو كنت تتحدث عن نجمة
زرقاء ، وحديث النجوم لا يفهمه إلا أتربها ! » .
إذا كان لي ما يصح أن أعلق به ، على هذه الكلمة
الناطقة ، فاني ، قد وجدت الأستاذ الجفري ،
يميل مع الزمن ، إلى جلاء صوره ، وتوضيح
ظلاله ، بحيث استطيع أن أقول إنني أصبحت
اليو أيضاً ، أقدر مني بالأمس ، على متابعته ،
ولاشك أنني أعد ذلك من مكاسبني .
وهذا تماماً ما عبر عنه الصديق الفقيه ،
بأسلوبه الشاعر المرنج ، حينما قال :
(والآن .. يسرني أن أقول لك وللأستاذ الرفاعي :
لقد أفصحت منذ أعوام ، فقد تطامنت ونزلت من
النجمة ، لتسكن سحابة وطفاء ، ترعد ،
وتمطر ..)

★★★

في هذه الكلمات التي أوردتها للصديق الشاعر
الفقيه ، نموذج ساقته المصادفة وحدها ، دون
اختيار مسبق مني لنثره .. وهو كما يرى
القارئ ، بالرغم من وجازته ، وغفويته ، يفصح
عن الموهبة الفنية في كتاباته النثرية ، التي لا تبعد
عن الشعر .. ولا عن الموهبة التخيلية التي
يمتلكها .. فها هو يشير إلى النجمة الزرقاء .. وإلى
حديث النجوم الذي لا يلتقطه إلا النجوم ، وإلى
تطامن النجمة ، واختيارها (سحابة وطفاء)
لتكون مقرها ، حيث أخذت تسكب منها عطاءها
مطرأ غداً ..

بإشراك ١٧٨ دولة في "ريو" البرازيلية :



ريو دي جانيرو - خاص :

الحلم الذي راود إنسان العصر بالتخلص من كوارث التلوث البيئي وحماية كوكبنا الأرضي من الفناء بسبب استنزاف الموارد الطبيعية ونقب الأوزون ؛ هذا الحلم ناقشه ممثلو ١٧٨ دولة بحضور ١١٧ رئيس دولة وحكومة اجتمعوا في مدينة «ريو» - العاصمة السابقة للبرازيل - وتمهدوا بالمحافظة على البيئة والإقلال من تأثير الكوارث الطبيعية وإبطاء استنزاف الموارد الطبيعية كالغابات والمزارع والمعادن والنفط ، وزيادة إسهام الدول الصناعية الكبيرة في نفقات حماية البيئة ومشروعات تنمية الدول الجنوبية الفقيرة . .

الدول الصناعية قالت إنها قدّمت ٩٣٧ مليار دولار معونات للدول الفقيرة في الفترة من ١٩٨٢م إلى ١٩٩٠م وكان يمكن استخدامها في حماية البيئة من التلوث . . وممثلو الدول الفقيرة صرخوا أن بلادهم دفعت للدول الصناعية ١٣٤٥ مليار دولار عن الفترة نفسها في شكل فوائد قروض وخدمات ديون . . ! وإن بلادهم مهددة في طبيعتها الجميلة وخضرتها وثرواتها الطبيعية . .

وبعد شد وجذب ؛ وقعت دول العالم على (ميثاق الأرض) الذي بدأ في ريو دي جانيرو (في الفترة من ٣ - ١٤ / ٦ / ١٩٩٢م) وطالب بعقد اتفاقات دولية تحترم مصالح الدول جميعا ، وحماية النظام العالمي للبيئة والتنمية من أجل حياة صحية منتجة ومتوائمة مع الطبيعة ، والتعاون لحفظ وحماية واستعادة صحة وسلامة النظام الأيكولوجي للأرض . . .

فالهدف محاربة التلوث البيئي والقضاء على كل ما يهدد صحة البشر .

والجهود مستمرة ، فقد قرر المؤتمر اعتبار رئيسة الوزراء النرويجية رئيسة لـ (اللجنة العالمية للبيئة والتنمية) وتم إحراز تقدم نحو عقد معاهدين ؛ هما : «المناخ العالمي» و«التنوع البيولوجي» بالإضافة إلى «إعلان ريو الخاص بالبيئة والأرض»

ومساهمة من (الفصل) في إلقاء الضوء على هذه القضية الخطيرة تنشر موضوعا عن : «تلوث الهواء . . قديما وحديثا»

التلوث الهوائي قديمًا وحديثًا

بقلم المهندس: لطف الله قاري - بنج

عنبرنا

البصقة^(٣). وهذه من الوسائل المثلى لتجنب التلوث كما لا يخفى.

وحذر ﷺ أمته من تعرض الأواني المكشوفة للتلوث الهوائي. حيث ورد في الصحيحين أنه قال: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء»، وزاد مسلم: «فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل عليه من ذلك الوباء».

ثم جاء عصر الفتوح والدول الإسلامية بعد الرسول ﷺ. فاتسعت دولة الإسلام، وبرزت نهضة علمية هائلة ما عرف لها التاريخ مثيلاً. فكان اهتمام المسلمين بشتى أنواع العلوم والمعارف اهتماماً لا تزال الأبحاث الحديثة في تاريخ العلوم تكشف عن مدى عظمتها.

خلق الله الإنسان، كان قد جعل على الأرض بيئة صالحة لحياته ومعيشته، مكونة من نباتات متنوعة، وكائنات حية مختلفة، وأنهار وعيون، وهواء نقي منعش، وتربة فيها من كل الخيرات. وبذلك وجد الإنسان القديم ما سهّل له العيش والسعادة، فتناسل من بعد ذلك وتكاثر.

الحاضر. وذلك من أجل ملاحظة الفرق بين مشكلات الأسس واليوم، واستعراض ما جلبته الصناعات من أنواع التلوث الهوائي.

الهدى النبوي والنظافة:

جاء الرسول ﷺ بهدي من الله شمل أمور العقيدة وإصلاح البشر، فكان من بين ما جاء به فوائد توجيهات أمور تمس حياة البشر اليومية، ولم يكن لهم بها علم من قبل.

من ذلك إرشادات قيمة في مجال حفظ الصحة، وردت في أحاديث كثيرة، بحيث تألف من هذه التوجيهات الكريمة منهج عرف بالطب النبوي. وتشمل أحاديث أمرت بالنظافة، وأخرى أرشدت إلى تطبيق مبدأ الحجر الصحي من أجل حصر الوباء والتلوث. فمن ذلك حديث يوصي بإزالة القمامة أولاً بأول من أجل تجنب التلوث، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفئدةكم وساحاتكم، ولا تشبهوا باليهود: يجمعون الأكباء (أي القمامة في دورهم)^(١)».

وقد كان ﷺ يطبق أمور النظافة في حياته اليومية: فقد كان يقضي حاجته على مسافة بعيدة عن الناس، وينهى عن قضاء الحاجة في الأماكن التي يرتادها الناس كالطرق والأماكن الظليلة^(٢) ونهى عن البصاق في المسجد، وأمر بدفن

ولما تزايدت أعداد البشر على وجه الأرض، بدأت معهم ظواهر التلوث كلما اجتمعت مجموعة ومكثت مدة طويلة في أي مكان. فأماكن تجمعات الشعوب الأولى عرفت من ملوثاتها: وهي أكوام القشور والقواقع، وأكاداس الأشياء المكسرة. ولكن التلوث لم يكن مشكلة في ذلك الزمان، لقلّة أعداد البشر بالنسبة لمساحة الأراضي التي كانوا يعيشون عليها.

ولما بدأ الناس يتجمعون بأعداد كبيرة في المدن والقرى، أصبح التلوث مشكلة، وظل كذلك منذ ذلك الحين. فقد كانت المدن في العصور القديمة أماكن مؤذية وضارة بالصحة، تلوثت بالفضلات الآدمية والقمامة. ثم تطور الأمر إلى أن أصبحت المدن غير النظيفة بيئة خصبة لأوبئة تصعد أرواح الكثيرين من السكان.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي كان تلوث الهواء والماء وتجمع الفضلات الصلبة مشكلة لبعض المدن الكبيرة. ولكن تطور الصناعة وانتشار التقنية في عصرنا الحاضر جعلنا من التلوث مشكلة عالمية عمت جميع بقاع الأرض. وأصبحنا نسمع كل فترة بظاهرة جديدة من ظواهر التلوث.

وبحثنا المتواضع هذا يرمي إلى عقد مقارنة بين مشكلات التلوث الهوائي في الماضي والحاضر. فنبدأ بدراسة ما ورد في التراث الإسلامي حول هذا الموضوع، ثم نستعرض أنواع التلوث الهوائي التي عرفها العالم الغربي منذ العصور الوسطى إلى عصرنا

فكان من جملة ما اهتم به العلماء المسلمون - وغيرهم من الذميين الذين عاشوا في دولة الإسلام - تأثير التلوث الهوائي في صحة البشر، وكونه سببا في إحداث الأمراض والأوبئة. وقد ألحقنا بهذه المقالة قائمة بالكتب التي اهتمت بتأثير نوعية الهواء في الصحة، وبمعالجة التلوث الهوائي، وبدراسة الأوبئة. فنجد من تلك القائمة أن الأطباء المترجمين من أمثال حنين بن إسحق وثابت بن قرة قد ترجوا كتب أطباء اليونان التي ألقت عن تأثير الأهوية والأزمنة والبلدان في الصحة. ثم كتب أطباء الإسلام بعد ذلك مؤلفاتهم الخاصة حول الموضوع.

وجاء العلامة الكندي (المتوفى سنة ٢٥٦هـ - ٨٧٠م) بأعاجيب في التأليف الموسوعي. حيث ألف في الفلسفة والموسيقى والفلك والتنجيم والكيمياء والطب والصناعات والفيزياء وعلوم الجو (الأرصاد الجوية) والهندسة. وبيع في أكثر تلك العلوم. وكان من ضمن إنجازاته الرائعة أوائل البحوث التي اهتمت بمعالجة التلوث الهوائي.

حيث ألف مقالتين في الموضوع: إحداهما بعنوان «رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الأوبئة»، والأخرى بعنوان «رسالة في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية» (٤).

أما الرازي (المتوفى سنة ٣١٣هـ - ٩٢٥م) فقد رويت عنه قصة مشهورة تدل على اهتمامه بتأثير التلوث الهوائي؛ فقد استشاره عضد الدولة بن بويه في اختيار موقع للبيمارستان (المستشفى) العضدي ببغداد. فما كان منه إلا أن أمر بعض الغلمان أن يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد قطعة لحم، واختار من تلك النواحي الناحية التي لم يفسد فيها اللحم بسرعة، فأشار بأن يبني في ذلك الموضع، وتم ذلك فعلا (٥).

وقد ألف الرازي رسالة في تأثير فصل الربيع وتغير الهواء تبعاً لذلك، وتفتح الورد والأزهار في الأنف بإحداث الزكام المزمّن، حيث يظهر هذا الداء في فصل الربيع حين تفتح الأزهار، فتملاً الجو بغبار الطلع الذي يدخل بتناس مباشر مع

تنبيه أجدادنا
لهذا الخطر..
فماذا تركناه
يهرد هياتنا؟!!

مخاطية الأنف، فيسبب هذا النوع الخاص من الزكام. وقد يبدأ في فصل الصيف أحياناً. وهذا عائد إلى أنواع الأشجار والنباتات التي تنمو في المنطقة، وموعد تفتح أزهارها، وحساسية المريض لها (٦).

ومن آرائه الصائبة في مجال التلوث الهوائي قوله في مقالة بعنوان «سر صناعة الطب»: «إن كثر الضباب ببلدة مع تواتر الأمطار فأنذرتهم بحدوث الجدري والحصبة والطواعين» (٧). فهذا القول يوضح العلاقة بين الجو الساكن والتلوث.

فساد الهواء . . كيف؟

وفي حوالي عام ٣٧٠هـ - ٩٨٠م ألف محمد ابن أحمد التميمي كتاباً خاصاً بموضوع التلوث الهوائي أسماه «مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوبئة». وقد ظن كثير من مؤرخي الطب في عصرنا أنه مفقود، إلا أن سلمان قطاية الطبيب الباحث أوضح أن نسخة مخطوطة منه موجودة في الكنيسة المارونية بحلب (٨). وعند كاتب هذه الأسطر نسخة مصورة من تلك المخطوطة.

تقع مخطوطة التميمي في ٣٧٤ صفحة (١٨٧ ورقة). ويمكن تقسيم مواضيع الكتاب إلى ما يلي:

- ١ - آراء أبقراط وجالينوس وأرسطو وأهرن في الموضوع.
- ٢ - شرح أنواع الهواء الملوّث في الأقطار الإسلامية وعلاقتها بالفصول والأماكن.
- ٣ - الأمراض الناتجة عن تلوث الهواء وكونها أمراضاً معدية.
- ٤ - الطرق الصحية للوقاية من العدوى عند حدوث الوباء.
- ٥ - أنواع البخور التي تعالج تلوث الهواء، وكثير من هذه الأنواع من صنع المؤلف.
- ٦ - معالجة تلوث المياه الآسنة التي تنتج ملوثات الهواء.
- ٧ - أدوية تقوي جهاز المناعة ضد العدوى والأوبئة.



٨ - استعمال العطر والموسيقى والعلاج النفسي لتجنب العدوى والوباء .

٩ - تعريف الجدري والحصبة وعلاجهما .

١٠ - أنواع العلاجات لمن أصيبوا بالأمراض الناتجة عن التلوث الهوائي . وكثير من هذه العلاجات من إعداد المؤلف .

ويبدو أن المؤلف لم يطلع على رسالتي الكندي السابق ذكرهما . إذ يصرح بأن الحكماء الإسلاميين لم يؤلفوا شيئاً في هذا الموضوع^(٩) ولكنه اطلع على كتاب آخر للكندي بعنوان «أقرباذين» ، أو اختيارات الكندي في الأدوية المتبحنة المجربة» ، وهو كتاب طبع بأمرىكا سنة ١٩٧٠م بتحقيق مارتن ليفي .

أما أبو مروان عبد الملك بن زهر الأندلسي (المتوفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م) فقد تحدث في كتابه «التيسير في مداواة والتدبير» عن فساد الهواء الذي يهب من المستنقعات والبرك ذات الماء الراكد^(١٠) . وكذلك فعل ابن المجوسي علي بن العباس (المتوفى حول سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م) في كتابه «كامل الصناعة الطبية» أو «الملكي»^(١١) .

وكان كبار أطباء الإسلام يوصون تلاميذهم بأن يولوا موضوع التلوث الهوائي وتأثير البيئة عنابة خاصة عند تشخيص المرض . فقد وردت هذه الوصية في كتاب «بستان الأطباء وروضة الألباء»^(١٢) لابن المطران الدمشقي (المتوفى سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١) :

«ينبغي للطبيب أن يكون إذا قدم على مداواة قوم في بلد ، أن ينظر في وضع المدينة ، ومزاج الهواء المحيط بها ، والمياه الجارية فيها ، والتدبير الخاص الذي يستعمله قوم دون قوم ؛ فإن هذه هي الأصول . ثم بعدها النظر في سائر الشرائط» .

و كانت هذه الوصية أول ما استهل به المؤلف كتابه ، كما نرى في صورة المخطوطة المنشورة مع بحثنا هذا .

وكتب العلامة ابن القيم (المتوفى سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م) في كتابه «الطب النبوي» فصلاً عن الأوبئة التي تنتشر بسبب التلوث الهوائي . وقد لخص ذلك الفصل بقوله : «والمقصود : أن فساد

الهواء من أسباب انتشار الأمراض المعدية ، والوقاية من ذلك تتمثل في تجنب الأماكن الملوثة ، واستخدام العطر والموسيقى والعلاج النفسي لتجنب العدوى والوباء .

شهادة

وهو ما يدل على اهتمام المؤلف بالوقاية من الأمراض المعدية ، والوقاية من ذلك تتمثل في تجنب الأماكن الملوثة ، واستخدام العطر والموسيقى والعلاج النفسي لتجنب العدوى والوباء .

شكل (١) فقرة من كتاب «مادة البقاء» بإصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الأوبئة» لمحمد بن أحمد التميمي - ألفه حوالي عام ٣٧٠هـ - ٩٨٠م .

الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون . وأن فساد جوهر الهواء هو^(١٣) الموجب لحدوث الوباء . وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة : لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه ، كالعفونة والتنن والسُميّة ، في أي وقت كان من أوقات السنة . وإن كان أكثر حدوثه في أواخر الصيف ، وفي الخريف غالباً ، لكثرة اجتماع الفضلات المارارية الحادة وغيرها في فصل الصيف وعدم تحللها في آخره . وفي الخريف لبرد الجو ،

الحمد لله الذي جعل العلم وسيلة لنيل النجاة ، والوقاية من الأمراض المعدية ، والوقاية من ذلك تتمثل في تجنب الأماكن الملوثة ، واستخدام العطر والموسيقى والعلاج النفسي لتجنب العدوى والوباء .

شكل (٢) الصفحة الأولى من مخطوطة «بستان الأطباء وروضة الألباء» لابن مطران . يوصي فيها المؤلف بمراعاة تأثير التلوث الهوائي والبيئة والعادات في الصحة

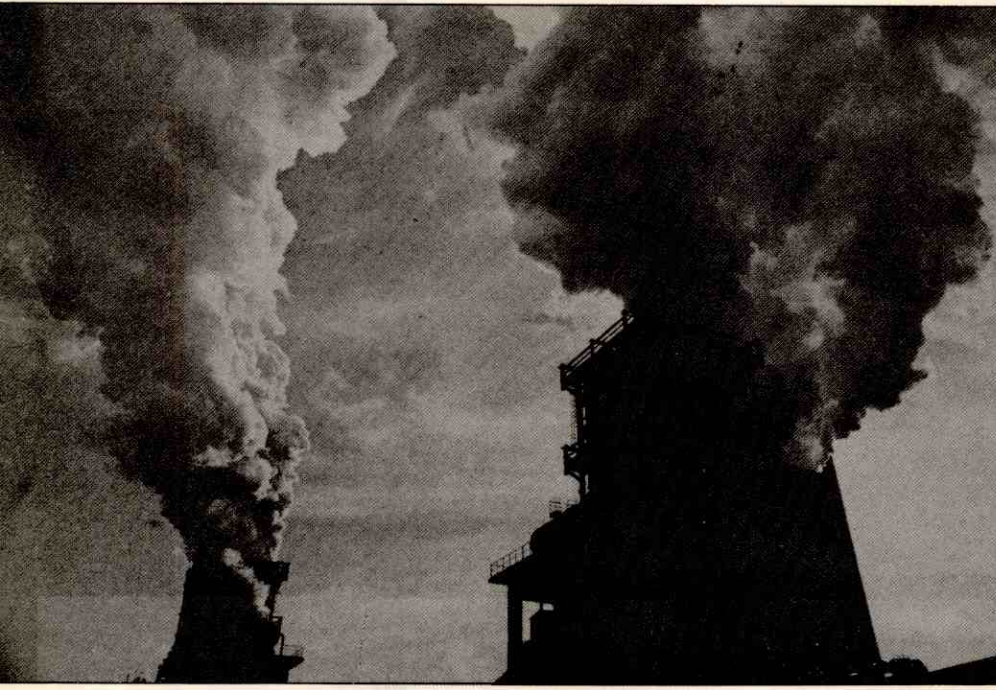
وردغة^(١٤) الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في فصل الصيف . فتتصغر فتسخن فتعفن : فتحدث العفنة . ولا سيما إذا صادفت البدن^(١٥) مستعداً قابلاً رهلاً قليل الحركة كثير المواد . فهذا لا يكاد يقلت من العطب»^(١٦) .

لماذا تركنا الخطر ؟

وفي القرون الأخيرة عم الجهل بلاد المسلمين ، وفقرت الهمم . وكان من نتائج ذلك أن تركوا الاهتمام بأمور معاشهم التي حث الإسلام على الاهتمام بها . ومن أمثلة ذلك أن بعض المتزمتين من فقهاء ذلك الزمان شجعوا على التواكل ، وعلى عدم الاهتمام بأمور الوقاية من الأوبئة التي كانت تحتاح العالم الإسلامي وتقني أفرادها . فآلف أحد العلماء الجزائريين - وهو حمدان خوجة الجزائري - سنة ١٢٥٢هـ كتاباً عن التلوث المسبب للوباء ، سماه :

«إنحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء»^(١٧) . وكان الهدف من تأليف ذلك الكتاب هو التنبيه إلى وجوب الأخذ بأسباب الوقاية من الأوبئة ، بتطهير الهواء والتزام النظافة .

يقول هذا العالم في كتابه : «والذي يتفدح لنا (أي يظهر لنا بتحكيك العقل) أن أصل تولد هذا المرض هو تعفن الهواء ، وتولد السممية فيه ، كما



صرح به الحكماء (أي أطباء اليونان والمسلمين)، ووافقهم عليه طوائف الإفرنج. فاعتنوا بإصلاح الهواء وإزالة العفونات في مصر - حين دخلوها سنة ١٢١٣ - فلم يساعدهم عوام أهل مصر في مقترحهم (١٨)...

منذ العصور الوسطى

بالإضافة إلى الأوبئة التي كانت تفتاح أوربة بين الحين والآخر بسبب عدم الاهتمام بالنظافة، فإن المدن الأوروبية عرفت نوعاً آخر من التلوث منذ القرن الثالث عشر الميلادي. وذلك بسبب كثرة استعمال الفحم، مع ازدحام المدن بالمساكن؛ فقد كانت مدينة لندن تعاني من الدخان الأسود ذي الرائحة الكريهة المزعجة والتأثير الضار. وقد نتج عن استعمال الفحم في المنازل، وعند أرباب الحرف كالحدادين والنحاسين. ومن ذلك نتج تلوث الهواء الذي أدى إلى الإضرار بصحة الإنسان والنباتات، وتلطخ المباني بالسواد، وتشوه منظر الجو. ولم يكن هناك مفر من استعمال الفحم: لأن الصناعة كانت تنمو باطراد سريع. فإما أن تؤمن لها الطاقة الضرورية من الفحم الحجري، وإما أن يؤدي استعمال الأخشاب إلى إتلاف الغابات المحيطة بكامل جزيرة بريطانية...

رويت أول حادثة عن تلوث الهواء في بريطانيا سنة ١٢٥٧م. ففي تلك السنة شكت الملكة إليانور زوجة الملك هنري الثالث (وهي التي ولدت وتربت في مقاطعة بروفنس Provence بأقصى جنوب فرنسا) من الروائح الكريهة التي كانت تملأ سماء إنجلترا. وهي الروائح التي كانت تنبعث من كثرة استعمال الفحم، وسكون الهواء فوق المدينة (١٩).

وفي سنة ١٢٧٣م أصدر ابنها الملك إدوارد الأول أمراً بمنع استعمال الفحم، وهدد بقطع رأس من يوجد متلبساً بإحراق الفحم. ولكن هذا المنع لم يستمر طويلاً، لأن زيادة استعماله لخطب أدت إلى أزمة في غابات إنجلترا، فعاد الناس يستعملون الفحم.

وفي سنة ١٢٨٠م تألفت لجتان لإيجاد حل

John Evelyn, Fumifugium or the Inconvenience of Aer and smoak of London Dissipated, together with some remedies Humbly Proposed

وقد قدم إفلين في كتابه هذه الاقتراحات الهامة التي سبق بها عصره:

١ - نقل الصناعات التي تعتمد على إحراق الفحم إلى أماكن تبعد مسافة خمسة إلى ستة أميال عن المناطق السكنية.

٢ - تركيب مداخن طويلة فوق المصانع والبيوت لطرد الملوثات إلى الطبقات العليا من الجو، بحيث يعمل الهواء على تشتيتها ونقلها بعيداً عن السكان.

٣ - الاستفادة من اتجاه الرياح السائدة عند اختيار مواقع المناطق الصناعية: وذلك بجعلها بحيث تهب الرياح من جهة المناطق السكنية إلى المصانع، وليس العكس.

٤ - الاستفادة من العوائق الطبيعية على سطح الأرض (مثل الجبال والغابات) لعزل الصناعات عن السكان.

٥ - تكوين مناطق عازلة حول المدينة تعرف بالأحزمة الخضراء (٢١).

وهذه الاقتراحات لا تزال تعتبر حلولاً لكثير من المشكلات البيئية إلى اليوم.

اهتمام كبير بتلوث الهواء في الماضي والحاضر

لمشكلة التلوث هذه، ولكنهما لم تستطيعا إيجاد أي حل...

ومنذ القرن السابع عشر الميلادي بدأ الناس يدركون أن دخان الفحم يمتد تأثيره إلى أبعد من إزعاج الأنوف... ففي سنة ١٦٢٠ تأثر الملك جيمس الأول بمنظر أقمشة الستائر الثمينة بكاتدرائية سانت بول بلندن، وقد اهترأت بفعل التلوث الجوي (٢٠). وبدأت الحكومة والباحثون في العلوم الطبيعية منذ ذلك الوقت بدراسة التلوث الهوائي

وفي سنة ١٦٦١م أصدر جون إفلين كتاباً بعنوان «ظاهرة التدخين أو سوء نوعية الهواء، وتقضي الدخان في لندن، مع بعض العلاجات المقترحة بتواضع»

ملوثات متعددة للهواء، مما جعل العالم يعقد مؤتمراً عالمياً للحد من التلوث البيئي ..

موز Meuse بيلجيكا. وسيأتي وصف الانقلاب الحراري خلال هذا البحث فيما بعد.

ومنذ ذلك الوقت صار التلوث الجوي مشكلة يهتم بها العالم الصناعي على نطاق واسع. وصارت الأبحاث تتوالى، والجمعيات المهتمة توالي تشكيل لجان ومنظمات وجمعيات للاهتمام بهذه المشكلة. ويطول بنا الحديث إذا أردنا التكلم على كل النشاطات التي تمت منذ الثلاثينيات الميلادية إلى يومنا هذا. ولكن يكفي أن نذكر أن الكلام مفصل في المراجع المذكورة بآخر هذا البحث.

أنواع الملوثات

يتكون التلوث الهوائي في عصرنا من الملوثات التالية:

١ - المركبات العضوية الكربونية المتطايرة : ومن مصادرها معامل الطلاء وتصنيع المحاليل العضوية ومضافي البترول. وتنبعث من جراء تبخر السوائل المتطايرة.

٢ - أول أكسيد الكربون : ومن مصادره معامل حرق الملوثات الغازية والمصانع الكيماوية والسيارات وصناعة الحديد والصلب، ويتولد كذلك من الاحتراق غير الكامل للوقود.

٣ - مركبات الكبريت : ومن مصادرها محطات القوى الكهربائية والغلايات في المصانع ومعامل صهر المعادن غير الحديد ومعامل تحضير الحمض الكبريتي. وتتولد كذلك من إحراق أية مادة تحتوي على الكبريت (مثل الفحم الحجري أو النفط).

٤ - أكاسيد النيتروجين : وتتولد من محطات الطاقة الكهربائية والأفران الكبيرة بكل مصنع، وذلك من جراء إحراق الوقود في الهواء في درجة حرارة عالية، مما يجعل نيتروجين الهواء يتحد مع أكسجينه في تفاعل كيميائي. وتتولد كذلك من إحراق المواد المحتوية على النيتروجين.

لسوء تصرف المجاري وعلاقة ذلك بتلوث الهواء، أو عن كيفية انتشار الملوثات في الهواء. وهذه الأبحاث مفصلة في كتاب دي ماريه De Marrais المذكور ضمن قائمة مراجع هذا البحث.

وفي سنة ١٩١٧ م أصدر باحث أمريكي اسمه جونسون بحثاً حول تاريخ مشكلة دخان المصانع، والنواحي القانونية لها. ولأول مرة ناقش ذلك البحث مسألة إتلاف النباتات بسبب دخان معامل صهر المعادن، وتأثير ذلك الدخان في صحة البشر.



وفي سنة ١٩١٨ م تأسست في بريطانيا «مؤسسة الدفاع الكيماوي Chemical Defence Establishment»، وكان سبب تأسيسها إجراء أبحاث حول انتشار الملوثات في الهواء. وكانت الملوثات المعنية هي الأسلحة الكيماوية التي استخدمت بكثافة للمرة الأولى خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م). وبرغم أن هذه المؤسسة أوجدت لأغراض عسكرية، إلا أن الأبحاث التي صدرت عنها ساهمت مساهمة مفيدة في تطور دراسة التلوث الهوائي والعلوم المرتبطة بهذا المجال.

وفي سنة ١٩٣٠ م ظهرت أول كارثة تلوث هواء بسبب الانقلاب الحراري في الجو. وذلك في وادي

وقد اتبع الإنجليز منذ تلك الأيام أسلوب تركيب المداخل الطوال فوق البيوت والمصانع. وهذه الطريقة لا تزال تستعمل في مكافحة التلوث الصناعي. حيث نشاهد المداخل العالية في بعض معامل تكرير البترول ومحطات الكهرباء ومنشآت الصناعات الثقيلة الأخرى.

وفي سنة ١٨١٨ م أصدر لوك هوارد كتاباً بعنوان «مناخ لندن مقتبسا من مشاهدات الأرصاد الجوية»

Luke Howard, Climate of London Deduced from Meteorological Observations

وفي ذلك الكتاب ظهرت للمرة الأولى ملاحظة أن نمو المدن وتكاثر البنايات يؤثران في حالة الجو وتفتي الملوثات.

وفي سنة ١٨٥٢ م انتبه كيميائي دقيق الملاحظة اسمه روبرت أنكس سمث Robert Angus Smith إلى علاقة تربط بين تزايد السناج (٢٢) الأسود الناتج عن الفحم في سماء مدينة ما نشتر الصناعية ببريطانيا، وتكوّن الأحماض التي اكتشفها في المطر والبرك. وبعد ذلك العام بعشرين سنة (١٨٧٢ م) نشر أبحاثه حول الموضوع في كتاب مكون من ستمائة صفحة، استخدم فيه لأول مرة اصطلاح «الأمطار الحمضية». وكان الكتاب يدور حول الأمطار الحمضية. وهو بعنوان «الهواء والمطر، بدايات لعلم المناخ الكيميائي».

R.A. Smith, "Air and Rain, the Beginnings of a Chemical Climatology"

ولم ينتبه الناس إلى أهمية الكتاب إلا بعد مرور قرون من صدوره، حين تفتت الأمطار الحمضية في العالم الصناعي...

وفي سنة ١٨٨٨ م أصدر رسل Russel بحثاً كشف فيه أن ضباب لندن الملوّث بدخان الفحم (٢٣) يؤثر فيب صحة الكائنات ويتلف المواد. وقد اقترح في بحثه استعمال الغاز للتدفئة بدلا من الفحم.

وقد صدرت عدة أبحاث منذ ذلك الحين في أنحاء أوروبا وأمريكا كافة، عن التلوث الجوي الناتج عن إحراق الفحم، أو عن ركود المياه الآسنة



٥ - الأوزون والمركبات المؤكسدة: وتولد من جراء تفاعل مركبات الكربون المتطايرة أو أكاسيد النتروجين في الجو مع الهواء المحتوي على الأكسجين، بفعل أشعة الشمس التي تساعد على التفاعل.

٦ - المركبات الهالوجينية: وهي المركبات الكيميائية المحتوية على عناصر الفلور والكلور والبروم واليود. وتصدر من مصانع الزجاج وفريون المبردات وعلب الرش ذات السوائل المضغوطة (البخاخ) ومعامل الفوسفات.

٧ - المركبات ذات النشاط الإشعاعي: وتصدر من محطات القوى الكهربائية ذات الوقود النووي، وذلك عند تهوية الغازات في المفاعلات.

٨ - الروائح الكريهة: مصادرها مختلفة. وهي عبارة عن مركبات كبريتية ومواد عضوية محتوية على النيتروجين ومواد عضوية أخرى.

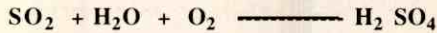
٩ - دقائق الهباء: تصدر من محطات القوى الكهربائية (بإحراق الفحم) ومصانع الأسمدة ومصانع الإسمنت والكسارات وخلطات الإسفلت ومعامل حرق النفايات الصلبة وأجهزة غسل الغازات (٢٤).

تقوم ملوثات الهواء هذه بإتلاف البيئة الطبيعية، وذلك بالإضرار بصحة الكائنات الحية كلها من نباتات وحيوانات، وكذلك بتشويه وإتلاف المباني التاريخية والتحف الفنية... وقد يكون تأثير التلوث الهوائي بطيئا وغير محسوس في كثير من الأحيان، إلا أن بعض ظواهره واضحة وسريعة المفعول. وسيخصص الجزء الباقي من هذا البحث للحديث عن أنواع ظواهر التلوث الهوائي التي لم يسمع بها الناس قبل عصرنا الحالي.

الأمطار الحمضية:

نقول عن الماء أو المحلول المائي: بأنه حمضي أو قلوي، اعتمادا على مقدار الحمض أو القلوي المذابين في الماء. حيث تقاس درجة الحموضة أو القلوية بمقياس يعرف بالرقم الهيدروجيني pH. ولا لزوم لنا بتفصيل الحديث عن ماهية الرقم الهيدروجيني (٢٥). فكل ما يهمنا معرفته هنا هو أنه

تتولد الأحماض في الجو عندما تنطلق أدخنة المصانع ومحطات الطاقة التي تحتوي على ثاني أكسيد الكبريت وأكاسيد النتروجين. وعندما تنطلق هذه الأكاسيد إلى الجو فإنها تسافر في رحلة طويلة تهبط لها الظروف المناسبة لتحويلها إلى أحماض، حسب المعادلة التالية:



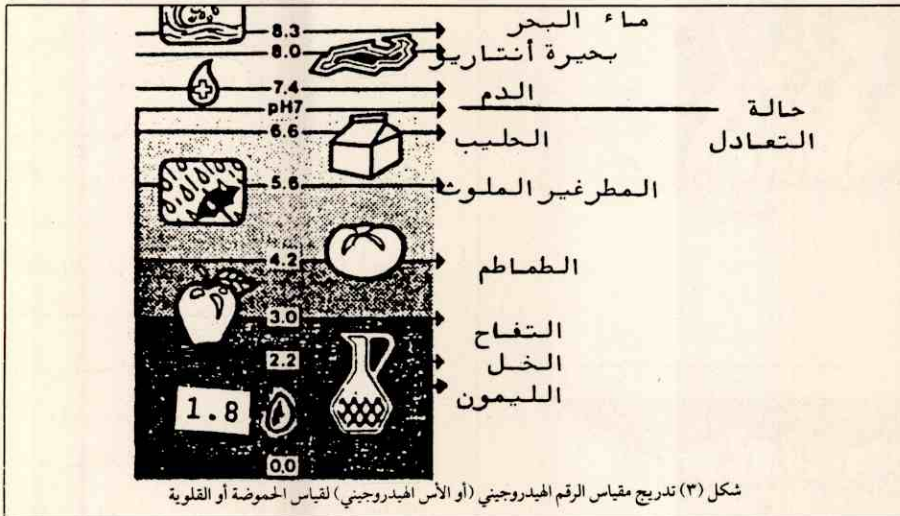
الحمض الكبريتي ————— الأكسجين + بخار الماء + ثاني أكسيد الكبريت

تتم عملية التحول هذه بطريقة معقدة وببطء شديد. و يساعد على ذلك التحول الهباء المنطلق من الدخان، ورطوبة الجو، وحرارة الهواء، وأشعة

وحدة لقياس حموضة المحلول المائي أو قلويته، مثل درجة الحرارة التي تقيس الحرارة والبرودة.

فإذا نظرنا إلى الشكل (٣) نجد أن الرقم الهيدروجيني يتراوح بين صفر و ١٤. فيكون المحلول حمضيا حين يتراوح الرقم الهيدروجيني بين صفر وأقل من سبعة، ويكون قلويا بين ١٤ وأكثر من سبعة.

وكما أن الكائن الحي يعيش في بيئة متوسطة الحرارة، فلا يتحمل أكثر الكائنات شدة الحرارة أو شدة البرودة، وكذلك الحال بالنسبة للحموضة أو القلوية. فالكائنات الحية تعيش في وسط متعادل بينهما.



الشمس التي تقوم بخبز الملوثات بعضها مع بعض .

يصف الشكل (٤) رحلة الملوثات هذه التي تبدأ من المصادر، وتنتهي بتكون الأحماض التي إما أن تهبط مع المطر، فيسمى المطر حينذاك مطرا حمضيا . أو تلتصق مع حبيبات الغبار والهباء المنطلق مع السدخان . وهذا يسمى التساقط الحمضي الجاف . حيث تساقط هذه الجزيئات أو الحبيبات بفعل ثقلها قرب المصانع التي انبعثت منها الملوثات . ولكن القسم الأغلب من هذه الأحماض لا يتم تكونه في أماكن انطلاق الملوثات، نفسها وإنما يتم ذلك عند انتقال هذه الملوثات مع الرياح السائدة عبر المدن والدول لمسافات بعيدة تبلغ مئات الكيلومترات وآلافها . فتساقط بعيدا عن مصادرها مع الأمطار التي تسمى حينئذ الأمطار الحمضية .

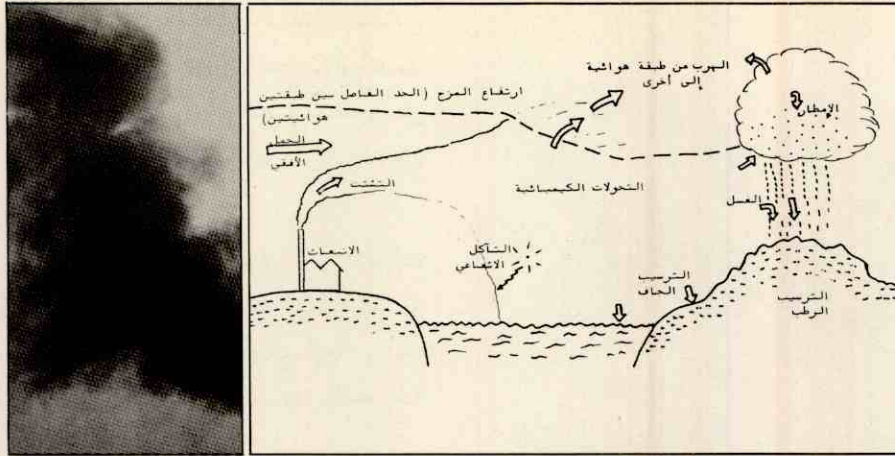
و عندما تهبط الأحماض من الجو على المنشآت فإنها تذيب أسطحها إذابة وتلفها إتلافا . وتتفاعل مع المواد التي على أسطحها مكونة مركبات كيميائية أخرى تشوه منظرها . وبذلك تلفت الأبنية التاريخية والتحف الفنية في أرجاء العالم المختلفة .

ويعمل الحمض على إتلاف الكائنات الحية الصغيرة كالأسماك والبيض والنباتات . كما يؤثر في صحة الإنسان الذي يستنشق الهواء المحتوي على الأحماض المتطايرة^(٢٦) .

الدخان والانقلاب الحراري

كانت دونورا بولاية بنسلفانيا الأمريكية بلدة صغيرة ، بلغ عدد سكانها اثني عشر ألفا وثلاثمائة نسمة (١٢٣٠٠) سنة ١٩٤٨ م . وكان بها على صغر حجمها مصانع للأسلاك والزنك والحمض الكبريتي والفولاذ . وكانت البلدة في وادٍ سحيق تحيط به جبال شديدة الانحدار من ثلاث جهات . فكان الدخان الكثيف يملأ سماءها . وفي الخريف كان الضباب يتحد مع الدخان ليكون مزيجا قائما يسمى الضخان^(٢٧) . أو الضباب الدخان .

وفي يوم من أيام خريف عام ١٩٤٨ م حدث أن مرت كتلة هوائية حارة فوق الهواء المحيط بالبلدة ، وكانت الكتلة الهوائية المحيطة بالبلدة



شكل (٤) رحلة الملوثات من مصادرها إلى مواقع ترسيبها بشكل أمطار حمضية

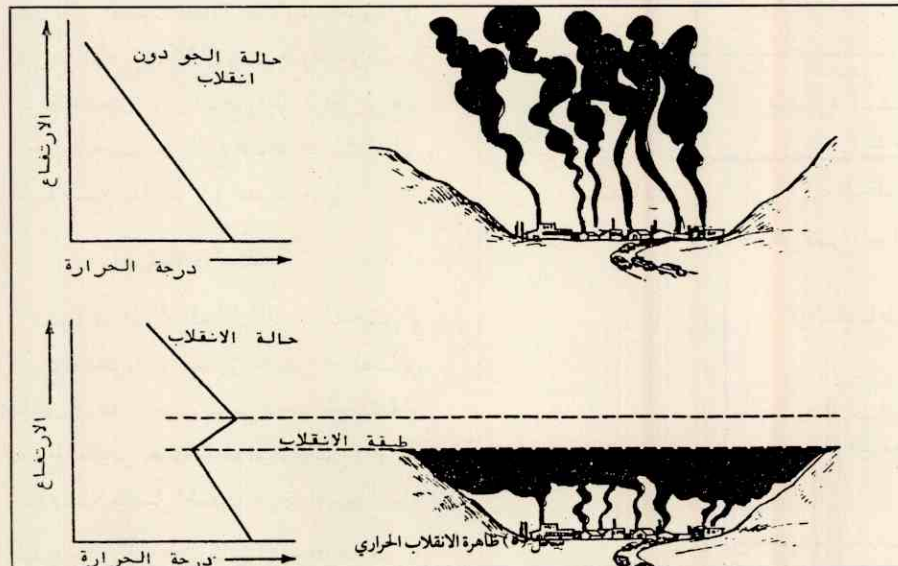
الشكل (٥) . ويقال في هذه الحالة بأنه «ارتد» من طبقة الانقلاب .

وهذا ما حدث في دونورا . فتركزت الأدخنة السوداء والحمراء والصفراء فوق البلدة لعدة أيام (٢٨) . وزاد الحال سوءا أن الطبقات العليا من الضباب فوق البلدة امتصت حرارة الشمس ، فزادت طبقة الانقلاب الحراري سمكا . . . وظلت الحال كذلك من ٢٦ إلى ٣١ أكتوبر ١٩٤٨ م ، مما أدى إلى مرض ٦٠٠٠ شخص (نصف سكان البلدة) ووفاة خمسة عشر رجلا وخمس نسوة^(٢٩) . . .

وفي لندن حصل انقلاب حراري مماثل في الفترة من ٥ إلى ٩ ديسمبر ١٩٥٢ م . ونظرا لكثرة استعمال

باردة . وعندما مرت الكتلة الهوائية الحارة فوق الكتلة الباردة ، تكونت من التحامها طبقة تسمى طبقة الانقلاب الحراري ، ويصفها الشكل (٥) . حيث نرى في ذلك الشكل أن طبقة الانقلاب ترتفع فيها الحرارة كلما صعدنا إلى أعلى ، أي بعكس الظواهر الطبيعية المعروفة : حيث المفروض في الطبيعة أن تنخفض الحرارة كلما صعدنا إلى أعلى . ومن هنا جاءت كلمة «انقلاب» inversion أي انقلاب سلوك الحرارة بالنسبة للجو .

وعندما يحدث الانقلاب الحراري فإن الدخان المتصاعد يبدأ فوق سطح الأرض حارا ، ثم يرتفع بفعل الحرارة . ولكنه يبرد خلال صعوده ، فتصبح كثافته أكبر من كثافة الهواء المحجوز في طبقة الانقلاب ، فيهبوي إلى الأرض بفعل ثقله كما في



الفحم في تلك المدينة فإن الضباب الأبيض فوقها تحول إلى ضخان أسود، فتحول الجو كله إلى ظلام دامس لأيام متتالية، توفي خلالها الآلاف من الناس . . .

لم يكن باستطاعة المراء أن يرى كفه إذا رفعها أمام وجهه، وكانت ياقة القميص البيضاء تتحول إلى سوداء في عشرين دقيقة . . .

وتسرب الدخان إلى دور السينما، فصارت الشاشة لا يراها إلا الجالسون في الصفوف الأربعة الأمامية . . . وسقط بعض المشاة في نهر التيمز،

وحصلت حادثة مماثلة في نيويورك سنة ١٩٦٦م نجم عنها وفاة ١٦٨ شخصا . . . وهذه الحوادث التي ذكرناها مجرد أمثلة. فحادثة لندن ونيويورك لم تكونا الوحيدتين في تينك المدينتين، وهناك حوادث أخرى حصلت في أماكن أخرى من العالم. ولا ندري أين سيكون موقع الانقلاب الحراري القادم. وليست معرفة موقع الانقلاب الحراري القادم هي الشيء الوحيد المهم في موضوع تلوث الهواء. وإنما الأهم هو المبادرة بتقليص حجم الملوثات المنبعثة من المصانع ومولدات الطاقة والسيارات، بدلا من انتظار الانقلاب الحراري.



لأنهم لم يرو الرصيف الذي كانوا يمشون عليه بضفة النهر. . . وأضاع طيار كان يهبط في المطار طريقه، فأرسل فريق للبحث عنه، فأضاع الفريق طريقه كذلك . . .

وكانت محصلة تلك الحادثة الشنيعة أربعة آلاف من الوفيات . . . كان هذا الرقم عاليا في لندن لأن عدد سكانها كبير مقارنة ببلدة دونورا. وقد حصلت حادثة مماثلة بوادي موز Meuse ببلجيكا سنة ١٩٣٠م. وكان عدد الوفيات حوالي ٦٠ شخصا. وقد كتب أحدهم يقول: «لو كانت هذه الحادثة في لندن لكان عدد الوفيات ثلاثة آلاف ومائتين»^(٣٠)

فالمناطق المأهولة بالسكان لا تتحمل التلوث الصناعي، سواء جاء الانقلاب الحراري أم لم يجيء . . .

بل إن هناك مناطق تعاني من الدخان بشكل دائم: فهناك نوعان من الدخان. أولهما ما يتكون بسبب الانقلاب الحراري، والثاني يتكون بسبب سكن الهواء في منطقة يغلب عليها الهواء الساخن، مثل حوض لوس أنجلس الذي ينفرد بكونه واقعا في منطقة ساكنة الهواء وذات شمس ساطعة ومستوى منخفض. فيعمل سكن الهواء على تراكم الملوثات، بدلا من تشتيتها بالرياح. وتعمل أشعة الشمس على «خبز» تلك الملوثات، وتحولها إلى

مواد تهيج الأعين وتضر بالأبدان.

لم يكن الدخان معروفا قبل عصرنا الحالي. ولكن تراكم الملوثات من المصانع والسيارات أوصلا كمية التلوث في الهواء إلى الحد الذي لا بد معه من تكون الدخان. ومثل هذا يمكن قوله عن الأمطار الحمضية.

الكوارث الصناعية :

حصلت في السنوات الأخيرة كوارث صناعية هائلة راح ضحيتها الآلاف من الناس بسبب الملوثات الهوائية التي انبعثت منها. ودلت التحقيقات التي جرت حول تلك الحوادث أنها نتجت بسبب إهمال وسائل السلامة. و نأخذ هنا مثالين: وهما حادثة بوبال في الهند، وحادثة جرنوبل في الاتحاد السوفيتي.

وقعت حادثة بوبال في ٣/١٢/١٩٨٤م عندما تسرب الماء إلى خزان غاز ايزوسيانات المثلث methyl isocyanate (MIC) الشديد السمية. واتضح فيما بعد أن إجراءات السلامة المتبعة والأجهزة المستخدمة في نظام أنابيب الماء المتسرب كانت فاسدة، وهذا ما أدى إلى التسرب.

وعندما تسرب الماء بدأ تفاعل حاسم-domi-no reaction، فارتفعت درجة الحرارة والضغط، وصدت المعادن أو اهترأت بسبب التفاعل، فانفصل معدن الحديد عن جسم الخزان، وصار ذلك الحديد المنفصل حفازا للتفاعل catalyst.

وننتج عن هذا أن انطلقت جميع محتويات الخزان (٤١ طنا متريا) على هيئة غاز من خلال مدخنة الإغاثة التي كان علوها ٣٠ مترا، فانتشر الغاز في مساحة خمسة أميال مربعة . . .

بدأ تسرب الغاز بعد منتصف الليل خلال فترة انقلاب حراري في الجو^(٣١). وكانت أجهزة السلامة والطوارئ في المصنع معطلة جميعها: فقد كانت أجراس درجة الحرارة ومبردات التفاعل وأجهزة الشعلات وغاسلات أجهزة التهوية ومعدات تعطيل المداخن في حالة خراب^(٣٢) . . .

نتج عن هذه الكارثة وفاة ٢٥٠٠ شخص . .
وبعدها أجرت وكالة حماية البيئة الأمريكية دراسة
حول الحوادث الصغيرة الماثلة التي وقعت في
أمريكا، فوجدت أنه بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٥م
حصلت سبعة آلاف حادثة، منها ٤٦٨ حادثة
نتج عنها ضحايا، حيث بلغ عدد الوفيات ١٣٨
والإصابات ٤٧١٧ .

أما حادثة جرنوبل فقد وقعت عندما تم فصل
نظام التبريد بالمفاعل في الساعة ١٤ (الثانية بعد
الظهر) من يوم ٢٥ أبريل ١٩٨٦م دون فصل نظام
التغذية الكهربائية كما تقتضي أصول السلامة .
وبعد ١١ ساعة و ٢٣ دقيقة من تشغيل المفاعل دون
نظام تبريد وقع الانفجار الذي أدى إلى وفاة

شخصين بسبب الانفجار، كما توفي ٢٩ آخرون
بسبب الإشعاعات، وذلك حتى تاريخ
١٩٨٦/٨/٢١م حين نشر تقرير وزع على وكالات
الأنباء وأرسل إلى وكالة الطاقة الذرية الدولية (٣٣).

الغازات السامة في الجو :

أدت حوادث المصانع الكيماوية والمفاعلات
النووية والتلوث الصادر عن دخان الصناعات
المذكورة في الفقرة ٤ (أنواع الملوثات الهوائية) من
هذا البحث، واستعمال المبيدات داخل المنازل
وخارجها، إلى تلوث الهواء بغازات وحبوبات
ودقائق عالقة من المواد السامة . ومن هذه المواد
المعادن: مثل الكروم والرصاص والارستنيك

والأسبستس . ومنها كذلك المواد العضوية الناتجة
عن اشتعال غير تام: مثل الفورمالدهايد والبنزين
وأكسيد الإثيلين وأبخرة الجازولين (وقود السيارات)
والمركبات العضوية التي يدخل الكلور في
تركيبها . .

وبالإضافة إلى المصادر المذكورة فإن هذه المواد
السامة تنطلق من نشاطات البشر الأخرى، مثل
محطات وقود السيارات ومغاسل التنظيف الجاف
والأبخرة المتصاعدة من منشآت تنقية المياه وسيارات
الديزل والسيارات العادية التي تنطلق الرصاص مع
دخانها .

وحتى الآن لم يتم وضع قوانين للتحكم بأكثر

قائمة أولية بالكتب المؤلفة في التراث الإسلامي حول تلوث الهواء والأوبئة وتأثير نوع الهواء على الصحة

أ - الكتب المؤلفة حول مكافحة تلوث الهواء :

- ١ - رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الأوبئة، للكندي (١)
- ٢ - رسالة في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية، للكندي كذلك (١).
- ٣ - كتاب في مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوبئة، لمحمد بن أحمد التميمي (مخطوط في المكتبة المارونية بـ حلب).

ب - الكتب والمقالات المؤلفة حول تأثير نوع الهواء على الصحة :

- ١ - كتاب الأهوية والأزمنة والبلدان لأبقراط، ترجمة حنين بن إسحق طبع في إنجلترا سنة ١٩٦٩ .
- ٢ - ثار تفسيره جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والمسكن والبلدان، لحنين بن إسحق (١).
- ٣ - شروح كتاب الهواء والماء والمسكن لحنين ابن إسحق (١) .
- ٤ - فصول استخرجها حنين بن إسحق من كتاب الأهوية والبلدان (١).
- ٥ - جوامع تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والمياه والبلدان، لثابت بن قرة (١).
- ٦ - مقالة في السبب في قتل ريح السموم لأكثر الحيوان، للرازي (١).
- ٧ - مقالة في العلة التي لها صار الحريف ممرضا والربيع بالضد، للرازي (١).

- ٨ - مقالة في العلة التي من أجلها يعرض الزكام لأبي زيد البلخي في فصل الربيع عند شمه الورد، للرازي .

(طبع في مجلة تاريخ العلوم العربية، انظر المراجع).

- ٩ - الأجزاء ١٤ إلى ١٧ من «الحاوي» للرازي تبحث في الحميات والأوبئة وشرح أنواع الأهوية (طبع الحاوي في حيدر آباد بالهند ١٩٥٥ - ١٩٧٢م).

- ١٠ - مقالة في تدبير المسافرين من جهة الغذاء والدواء وتغير الفصول والأنسنة والأهوية، ومقالة عن الحميات والأوبئة. ضمن كتاب «المصور» للرازي (طبع الكتاب في ليدن هولندا سنة ١٩٠٣م).

- ١١ - مقالة في تغير الأهوية والأمراض الحادثة عنها وعن علاج وتدبير دفع مضرة الانتقال، ضمن كتاب «الذخيرة في الطب» لثابت بن قرة (طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٩٢٨م).

- ١٢ - مقالة عن المناخ والمياه والفصول من حيث تأثيرها في الصحة، ضمن كتاب «فردوس الحكمة» في الطب، لعلي بن سهل ابن ربن الطبري. (طبع الكتاب في برلين سنة ١٩٢٨م).

- ١٣ - الفصول ١٠ إلى ٢٥ من كتاب «المائة» للجرجاني عن حالات الهواء والتأثيرات الساوية وهبوب الرياح واختلاط الأبخرة بالمسكن .
- (مخطوطة في المكتبة البريطانية والمكتبة الروسية في مشهد بإيران).

- ١٤ - مقالة في التقرير القياسي على أن البلغم يكثر تولده في الصيف والدم، والمرار الأصفر في الشتاء، لأقرايم بن الزفان (١).

- ١٥ - رسالة في أزمنة الأمراض، لعلي بن رضوان (١).

- (١) ذكر في كتاب ابن أبي أصيبعة، ولا نعلم له نسخا بقية

الكتب المؤلفة في الأوبئة :

- ١ - تحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من السوء، لحمدان خوجاجة الجزائري. طبع في الجزائر سنة ١٩٦٨م.

- ٢ - رسالة الإيابة عن مواقع الوباء. تأليف إدريس بن علي البديس !!

- ٣ - رسالة في بيان الطاعون، لطا شكري زادة (١).

- ٤ - رسالة الشفاء لأدواء الوباء، لطا شكري زادة كذلك (١).

- ٥ - مقالة في الوباء، لقسطا بن لوقا البعلبكي (١).

- ٦ - رسالة في تحقيق أمر الوباء والاحتراز عنه وإصلاحه إذا وقع، لعيسى بن سهل المسيحي (١).

- ٧ - رسالة في الطاعون، لابن كمال باشا (١).

- ٨ - الرسالة الربانية، للرازي (١).

- ٩ - رسالة في الوباء ودواؤه وعلاجه، لأحمد بن محمد البكري الصديقي (١).

- ١٠ - الطب المستوفى في دفع الطاعون، ابن أبي حجلة (١).

- ١١ - فنون المنون في الوباء والطاعون، لابن المبرد (١).

- ١٢ - كتاب الطب في تدبير المسافرين وممرض الطاعون، لعبد القاهر التونسي (١).

- ١٣ - الماعون في مسألة الطاعون، لعثمان بن مرسى الإسكندراني (١).

- ١٤ - مجنة الطاعون والوباء، لإلياس بن إبراهيم اليهودي (١).

- ١٥ - وصف الدواء في كشف آفات الوباء، للبساطمي (١).

- ١٦ - خلاصة ما تحصل عليه الساعون في أدوية الوباء والطاعون، للبيلاوني (١).

- ١٧ - تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين، لزكريا الأنصاري (١).

- ١٨ - ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، للسيوطي. منه نسخ في تركية (١)، ونسخة في دار الكتب المصرية.

- ١٩ - مختصر بذل الماعون في أخبار الطاعون، للعسقلاني. منه نسخة في معهد التراث العلمي بجامعة حلب.

- ٢٠ - مقالات عن التدبير عند فساد الهواء وحدوث الأوبئة، ضمن الرسائل الطبية السجزية، للسجزي (١).

- (١) ذكره ابن أبي أصيبعة في كتابه، ولا نعلم له نسخا بقية.

- (٢) منه نسخ في تركية. انظر فهرس ششن المذكور في المراجع.

هذه المواد السامة . ربما لأن ضررها غير كبير حتى الآن ، ولأن المصانع تقوم بتصفيتهما في العادة . إلا أن بعضها قد سنت قوانين للتحكم فيه ، كركصاص وقود السيارات مثلاً (٣٤) .

خلاصة

رأينا في هذا البحث أن البيئة النظيفة النقية الصحية التي خلقها الله لنا قد جاء الإنسان فلوثها ، وصار يعاني من آثار التلوث الذي أنتجه بنفسه . ومع تطور العلوم والتقنية وتكاثر السكان ظهرت أنواع جديدة من التلوث . ففي الماضي كانت ظواهر التلوث تنحصر في الأوبئة والروائح المؤذية ، ثم كثر استعمال الفحم في بعض البلاد فنتج عنه نوع جديد من التلوث . ثم صرنا نسمع اليوم ونعاني من ظواهر جديدة من التلوث الهوائي لم يسمع بها الناس من قبلنا . وبعد أن كانت حوادث التلوث تحدث بصورة فردية صارت الآن ظاهرة عالمية .

وكل هذا من أجل أنانية الإنسان الذي يريد أقصى حد من الرفاهية . فكثر استخدام منتجات التقنية من مصانع وسيارات ومولدات طاقة ، وذلك لتسخير هذه الأشياء من أجل رفاهية الإنسان ، بل وتسخيرها أيضاً لخدمة الأغراض العسكرية .

فالعائلة الصغيرة المكونة من زوج وزوجة وطفلين في المجتمعات الصناعية قد تكون عندها سيارتان . وهي تستهلك من الطاقة الكهربائية ضعف ما كان يستهلكه الجيل السابق : وذلك للاستمتاع بالستيريو والتلفاز والفيديو والتكييف المركزي وغسالة الأطباق ونشافة الملابس . وتقوم العائلة بإلقاء مخلفات صلبة (قمامة) تبلغ أضعاف ما كان يلقيها الجيل السابق ، وذلك من أطباق وكؤوس ورقية وأوراق تشيف بأنواعها وعلب وصناديق فاكهة وقوارير شراب لا يعاد استعمالها وملابس مستعملة لا تجد من يلبسها أو ينقلها إلى الشعوب الفقيرة ، وصحف ومجلات إلخ . . .

وكل هذه الرفاهية تأتي على حساب نقاء الجو : فالسيارات تنفث سموماً قاتلة إلى الجو . ومولدات الكهرباء والمصانع تقذف بالملوثات التلثة . والنفايات تنطلق من إحراقها غازات ملوثة . . .



فالمطلوب إذن هو أن يتعاون أهل الصناعة والمجتمع والمسؤولون عن السلامة وحماية البيئة من أجل جو أنظف في العالم كله . والمطلوب كذلك أن تعمل المصانع وفق أصول السلامة ، ووفق مقاييس حماية البيئة لئلا تتكرر الكوارث الصناعية .

وليدرك العاملون بالمصانع أن البيئة بيتهم ، وأن المواطنين والأطفال هم أبنائهم وإخوانهم . وأن كل باب تأتي منه الرياح يجب أن يسد لنستريح . . .

الهوامش

- (١) الطب النبوي لابن القيم ، نقلًا عن مسند البزار . ورواه الترمذي وضعفه .
- (٢) جامع الأصول لابن الأثير : كتاب الطهارة في حرف الطاء .
- (٣) متفق عليه .

- (٤) و (٥) ابن أبي أصيبعة (انظر المراجع) .
- (٦) هاو و قطاية (مجلة تاريخ العلوم العربية) .
- (٧) حازنة ص ٢١٠
- (٨) قطاية (فهرس مخطوطات . . .)
- (٩) التميمي ص ٥
- (١٠) ابن زهر ص ٤١٧ - ٤٢٤
- (١١) ج ١ ص ١٦٨ ، نقلًا عن حازنة ص ٢٥٣ .
- (١٢) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً . ولكن كاتب هذا البحث يعمل على تحقيقه ونشره .
- (١٣) كلمة (هو) زائدة على الأصل .
- (١٤) الرعدة هي الماء والطين والوحل ، أي ما نسميه اليوم بالعامية : «الرجفة» .
- (١٥) أي جسم الإنسان الذي يستنشق تلك العفونة .
- (١٦) ابن القيم ص ١٥١ .
- (١٧) منه نسختان مخطوطتان بخط المؤلف ، إحداها في مكتبة جامعة استنبول ، والأخرى في المكتبة الأهلية بباريس . وقد طبعت نسخة باريس في الجزائر سنة ١٩٦٨ م .
- (١٨) حمدان خواجه ص ١٣٤ .



■ البيانات والمعلومات الدقيقة تساعد على إنجاز التعداد.

■ نتائج التعداد الدقيقة أساس للتخطيط السليم.

■ المعلومات والبيانات الإحصائية الدقيقة عنوان الأمة المتحضرة.

■ التخطيط السليم والمدروس يبني على المعلومات الإحصائية الدقيقة والصادقة.

■ الاستغلال الأمثل لثروات الوطن يبني على التعداد الدقيق.

■ تعداد السكان صورة للثروة البشرية في كل المجالات.

■ التعداد مقياس للقوة البشرية.

■ هدف التعداد خدمتك وخدمة أولادك ووطنك.

■ التعداد خطوة في الطريق نحو التنمية الشاملة.

٨ - عبد الجبار عبد الرحمن : ذخائر التراث العربي الإسلامي (ما طبع من التراث حتى عام ١٩٨٠م)، نشر بالعراق سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٩ - فروخ (عمر): تاريخ العلوم عند العرب. نشر دار العلم للملايين ببيروت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٠ - قاري (لطف الله): الأمطار الحمضية - نشر مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ١٤١٠هـ.

١١ - قطاية (سلمان): مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة بحلب نشر معهد التراث العلمي العربي بحلب. ١٣٩٧هـ - ١٩٧٦م.

١٢ - قطاية (سلمان): تعليق على رسالة الرازي في الزكام. مجلة تاريخ العلوم العربية (حلب). المجلد ١ العدد ١، سنة ١٩٧٧م.

١٣ - ابن القيم: الطب النبوي. له عدة طبعات، لعل أجودها الطبعة السادسة بتحقيق عبد المعطي قلعي. نشر دار السوي بحلب.

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٤ - ابن المطران: بستان الأطباء وروضة الألباء. منه ثنائي نسخ مخطوطة في العالم. ويقوم كاتب هذا البحث بتحقيقه. حالياً مع باحثين آخرين.

١٥ - ميرهوف: مقالة (الطب والعلوم)، ضمن كتاب «تراث الإسلام». النشرة الأولى (القديمة) ترجمة جرجيس فتح الله.

١٦ - هارو (فريدون): تقرير الرازي حول الزكام المزمن عند تفتح الورد، مجلة تاريخ العلوم العربية (حلب). المجلد ١ العدد ١.

١٩٧٧م.

17 - Brimblecombe, P. 1976
Attitudes and Responses towards Air Pollution in Medieval England, JAPCA, vol. 26, no.16, pp. 941-945.

18 - Cannon, J.A. 1986.
The Regulation of Toxic Air Pollutants, JAPCA, vol. 36, no. 5, pp. 562 - 573.

19 - De Marrais, G.A. 1979.
A History of Air Pollution Meteorology through 1969, NOAA Technical Memorandum, USA.

20 - Ehrlich et al. 1977
Ecoscience, Freeman and Co, San Francisco, USA.

21 - Encyclopaedia Britannica. 1981. Several Topics.

22 - Gari, L. 1987
Notes on Air Pollution in Islamic Heritage, Hamdard, vol. 30, no. 3, pp. 40-48.

23 - McGraw - Hill Encyclopaedia of Environmental Sciences and Technology, 1977.

24 - Ostmann, R. 1982.
Acid Rain, Dillon Press, Minneapolis, USA.

25 - Perkins, H.C. 1974.
Air Pollution, McGraw-Hill, New York.

26 - Shrivastava, P. 1985
A report about the Bhopal accident, presented at the seminar entitled "Avoiding and Managing Environmental Damage from Major Industrial Accidents", Vancouver, Canada, Nov. 1985. Summarized in JAPCA, vol. 34, p. 131, Feb. 1986.

(١٩) سيأتي الحديث عن تأثير سكون الهواء في التلوث في فقرة «الضخان والانقلاب الحراري» بهذا البحث.

Brimblecombe (٢٠)

Ostmann, De Marrais (٢١)

(٢٢) السناج أو السخام هو الهباء الأسود الذي يتطاير مع دخان الفحم.

(٢٣) اختلاط الضباب بالدخان ظاهرة أصبحت معروفة في العالم الصناعي. وسيأتي وصفها في فقرة «الضخان والانقلاب الحراري» بهذا البحث.

(٢٤) قاري - الأمطار الحمضية.

(٢٥) تعريفه مفصل في كتب الكيمياء. ويسمى أحياناً «الأس الهيدروجيني».

(٢٦) قاري، الأمطار الحمضية.

(٢٧) الكلمة المستعملة في الإنجليزية هي smog. وهي مؤلفة من كلمتي smoke أي دخان، و fog أي ضباب. وقد اختلفت المعاجم والكتب العلمية في تعريب هذه الكلمة. واعتمدت هنا الاصطلاح المعتمد في «المعجم الطبي الموحد» الذي أعده اتحاد الأطباء العرب بالتنسيق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمجمع العلمي العراقي.

(٢٨) تطول المدة في حالة الانقلاب الحراري الناتج عن تركز كتلة هوائية حارة فوق كتلة باردة. وهناك نوع آخر من الانقلاب الحراري يحدث عند الفجر في الأودية: حيث يبرد الهواء الملاصق لسطح الأرض في آخر الليل، فتصبح الكتلة التي تعلوه أسخن منه، فتكون بينهما طبقة انقلاب سرعان ما تتلاشى عند شروق الشمس التي تسخن الكتل الهوائية وتنسب في انتشار حركة الهواء.

Ehrlich (٢٩)

Perkins (٣٠)

(٣١) أي الانقلاب الحراري الناتج عن برودة سطح الأرض بعد منتصف الليل، كما مر بنا في الحاشية السابقة.

Shrivastava (٣٢)

(٣٣) الصفحة الصادرة في ١٧/١٢/١٤٠٦هـ - ٨/٢٢/١٩٨٦م.

Cannon (٣٤)

المراجع

١ - ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ. طبع أكثر من مرة، وأجودها طبعة عبد القادر أرناؤوط المحققة المشروحة. وقد صدرت لها فهارس حديثاً.

٢ - ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء طبع في القاهرة وبيروت عدة مرات.

٣ - التميمي (محمد بن أحمد): مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء. مخطوط بالمكتبة المارونية في حلب.

٤ - حارثة (سامي خلف): تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، نشر جامعة اليرموك بالأردن، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥ - حمدان خواجة الجزائري: إنحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء. طبع في الجزائر سنة ١٩٦٨م.

٦ - ابن زهر (عبد الملك): التيسير في مداواة والتدبير. تحقيق ميشيل الخوري نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧ - ششن (رمضان) وزميله: فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في مكتبات تركيا. نشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

المخطوط القرمزي

آخر ملوك غرناطة يروي:

وراء ذلك العصر الجميل

تأليف: أنطونيو جالا ○ عرض وتقديم: د. محمد أبو العطا



المخطوط القرمزي :

هي مذكرات أبي عبد الله الصغير، آخر ملوك غرناطة، سجلها - في ضمير المتكلم - في مراحل مختلفة من حياته قبل وبعد طرده من غرناطة، أي منذ طفولته وحتى أواخر أيام حياته في منفاه في فاس. وتنتهي هذه المذكرات والملك المخلوع قد تجاوز سن الستين (٦٤ سنة)، يعيش وحيداً بعد أن هجره الجميع.

وللرواية مقدمة يحكى فيها الراوي كيف وصل إليه المخطوط الذي يحتوي على مذكرات أبي عبد الله الصغير. فيقول: إنه في عام ١٩٣١م كلفت الحكومة الفرنسية عدداً من الخبراء والعلماء بدراسة تاريخ ومعمار مدينة فاس، وإن اثنين منهم عكفا على دراسة وتحقيق كل ما يتعلق بجامع القرويين. وبعد الدراسة والتنقيب، اكتشفا - في حجرة سرية - مخطوطات وكتباً لا تقدر قيمتها بهال، من بينها هذا المخطوط القرمزي (وهو نفس لون الورق المستخدم في الكتابة في ديوان الحكم في قصر الحمراء، قبل سقوط غرناطة). تمر السنون ويصل هذا المخطوط الموجود في مكتبة الرباط إلى يد الراوي الذي يستعين بالخبراء المغاربة والأسبان في ترجمته. ويقول: إنه يتحمل مسؤولية ترجمة المخطوط في شكله الحالي، لأنه أراد أن ينقله إلى «القارئ الغربي» بلغة مفهومة، لذا فقد تكون بالترجمة «بعض التجاوزات» غير المقصودة.

وأخيراً، يأمل الراوي - مترجم المجلد أن يكون كل من تناول قصة حياة هذا الملك، الخزينة المؤلمة، قد أحبها وتأثر بها كما حدث له بغض النظر عن اعتبارات أخرى كثيرة «لأن التاريخ من آخر الأمر -

في أكتوبر من عام ١٩٩٠م - أي قبل مرور أكثر من عام على الذكرى المثوية الخامسة لسقوط غرناطة (يناير ١٤٩٢م) - انتهى أنطونيو جالا (ANTONIO GALA) الشاعر والكاتب المسرحي الأسباني الشهير من كتابة أولى رواياته الطويلة (٦١١ صفحة) تحت عنوان «المخطوط القرمزي»، وهي الرواية التي نال عنها جائزة «بلانيتا» (PLANETA) لنفس العام «بلانيتا» التي تُعد من أعرق الجوائز الأسبانية في مجال الرواية.

ثانياً: أن جالا إلى جانب الحقوق والفلسفة والآداب درس أيضاً التاريخ في الجامعة، وأنه عاش طفولته شبه المترفة وشرح شبابه في إقليم الأندلس (نشأ في بيت عربي الطراز في قلب مدينة قرطبة) ثم إنه، على الرغم من مولده مع بداية الحرب الأهلية الأسبانية، لم يجرب شظف العيش كالسواد الأعظم من الأسبان إبان فترة ما بعد الحرب الأهلية، فقد كان أبوه طبيباً موسراً اهتم بتربية أبنائه وتثقيفهم اهتماماً كبيراً. وسنرى كيف انعكس ذلك في مجمله على الرواية التي نحن بصدددها.

أنطونيو جالا



وأنطونيو جالا الأسباني القرطبي المولود في عام ١٩٣٦م - عام بداية الحرب الأهلية الأسبانية - ليس غريباً على القارئ العربي، فقد ترجمت إلى العربية مسرحيته «خاتمان من أجل سيدة» (د. عبد اللطيف عبد الحليم) كما أنه معروف لكل المهتمين بالمسرح والأدب الأسباني المعاصر عامة.

وما قد لا يعرفه القارئ العربي هو أن جالا كاتب مقال مُجيد (تكفي الإشارة إلى عموده الأسبوعي الذي يكتبه منذ أكثر من عشر سنوات في صحيفة «البائيس» - EL PAIS - القومية الأسبانية، ملحق الأحد) ومحاضر مفوه ذائع الصيت يتتبع محبو الأدب محاضراته بشغف (أتذكر في هذا الصدد محاضرة ألقاها في منتصف الثمانينيات في قاعة «طه حسين» بالمعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، والحشد الهائل من الحضور الذي فاق كل التوقعات). فأنطونيو جالا إذن كاتب متعدد الاهتمامات ومبدع متميز في كافة الأنواع الأدبية التي طرقها. وليس أدل على هذا من ذلك الكم الكبير من الجوائز الأدبية التي نالتها أعماله حتى الآن.

وقبل العرض لرواية «المخطوط القرمزي»، يجدر بنا أولاً: أن نشير إلى عدة نقاط هامة منها: أن هذه هي أول رواية طويلة للكاتب - كما أوضحنا من قبل



آخر ملوك غرناطة يروي: وراء ذلك العصر المبدع

وحسبما يقرر صاحب المذكرات نفسه - ليس سوى سباق تتابع طويل: فتحن نعرف من أين يأتي وأين يحدث لكننا، في النهاية، لا نعلم إلى أين يتجه أو متى ينتهي؟

ويقسم الكاتب روايته إلى أربعة أجزاء ويحرص في هذا التقسيم على تحقيق توازن بين هذه الأجزاء موزعاً صفحات المجلد بينها بالتساوي تقريباً وكذلك - وهي الأهم بالطبع - المادة الروائية الخصب التي تختص بمراحل حياة البطل المقترنة بأحداث تاريخية ونفسية هامة وفاصلة.

١ - ويبدأ الجزء الأول - وعنوانه «في مأمن في الحديقة» - بزواج أبي عبد الله وهو في السابعة عشرة من عمره ويتناول علاقته بأبيه وأمه. فأبو - أبو الحسن ملك غرناطة - هو الأب المشغل عن زوجه وأبنائه بتصرف شؤون البلاط والمنغمس في الملذات وفي حبه لثريا - محظيته الكاثوليكية الأصل (إيشابل دي سوليس). . والدته عائشة، الملكة سليلة الملوك، هي الأم القاسية المثبطة المنصرفة إلى دس الدسائس والصراع على الحكم والانتقام من أبيه. هنا تعود المذكرات إلى أيام الطفولة ليحدثنا أبو عبد الله عن هذه الفترة وعن الشخصيات والأحداث التي ألمت به وأثرت فيه في مرحلة الصبا.

ويستمرعي الانتباه أن معظم تلك الشخصيات أحيطت بغلالة من الغموض والاستمرار والأسطورية، فلا أحد يعلم من أين أتت أغلبها أو كيف اختفت من القصر؟ ونذكر منها: «فايز» البستاني - المحارب القديم، قبيح الهيئة - و«مولاي» الزنجي - الأمير الحبشي الأصل - ونسيم «الحضي» وجالب، ثم أخاه «يوسف» الذي كان أبو عبد الله يحبه حباً شديداً ويؤثره على نفسه. وهناك قصة مرضعته «صباح» التي أحبها واستعاض بحبها عن حنان أمه المفقود، وهي قصة مفاجئة انتهت بموت «صباح» مقتولة في دارها. والحق أن أنطونيو جالا ربما وجد في رسم هذا العدد الكبير من الشخصيات الثانوية رياضة أثرية إلى نفسه، ففي

جعبته الكثير منها ونحن لم نورد هنا سوى النزر اليسير.

وأروع ما في هذا الجزء هو أن الكاتب يتنقل بنا إلى كل مكان في غرناطة تقريباً: حدائق قصر الحمراء وجنة العريف الغناء، بلاط أبيه، الحمامات العربية، مخادع الحريم، أروقة وباحات وجدردان وشرفات وأبراج قصر الحمراء، أحياء غرناطة المختلفة، بواباتها، حجرة الكنوز، المروج، أماكن المسامرات واللهو والطرب، مؤكداً على أن حياة الترف والبذخ لم تكن آنذاك من الحضارة العربية في شيء وإنما كانت نصرانية بحتة. كما ينقل لنا صورة حية للنسيج الاجتماعي في المملكة في تلك الحقبة وجو القلاقل والفتن المهيمة عليها. ويصف لنا جمال الطبيعة في فصول السنة المختلفة وفي أية ساعة من ساعات النهار أو الليل.

مناهة ذاتية تحكم ضياع العصر الذهبي في الأندلس

ولقد أجاد أنطونيو جالا هذا الوصف (وقد لا يكون ذلك غريباً فهو بحكم مولده ونشأته وثقافته محب عاشق للأندلس ولطبيعتها ومجدها) ولعله وجد فيه مجالاً رحباً ومرتباً لقلمه، وأجيب بذلك لكاتب وجد حقلاً خصباً لاجترار ذكرياته - ذكريات طفولته السعيدة في قرطبة وغرناطة الأندلسيتين - وينتهي هذا الجزء بتنصيبه ملكاً ضد أبيه، بإيعاز من أمه وبولاء شقيقه يوسف له.

٢ - ويتناول الجزء الثاني، وعنوانه «طيور الرحمة»، فترة أسره لعدة سنوات على أيدي القوات النصرانية الموالية للملكين الكاثوليكين (فرناندو ملك أرجون وإيزابل ملكة قشتالة) ومعاناته من الأسر وتحلي الجميع عنه. وهنا يصور الكاتب غطرسة وعنجهية المسيحيين مع بداية سطوع نجم دولة فرناندو وإيزابل كدولة عظمى مقابل انحطاط دولة العرب في أوروبا. و يرسم أيضاً صورة الملك

الصغير وقد فترت همته وامتألت حياته وفكره بالإحباط والتشاؤم حيال مستقبله ومستقبل دولته. لكنه - في الأسر - يلتقي بشخصية نصرانية هامة، وهي شخصية القائد الإسباني الشهير جوثالو فرناندث القرطبي وتدور بينهم حوارات طويلة (فكلاهما يكن احتراماً وتقديراً عميقاً للآخر) فيشعر القائد المسيحي «بالأسى» لما آل إليه مصير أبي عبد الله المغلوب على أمره. ينتهي هذا الجزء وقد أصبح أبو عبد الله في الرابعة والعشرين من عمره، وهي نقطة تحول في حياته، فقد قرر أن يخرج من قوقعته ويتجاوز عدميته - بعد فك أسره - وأن يهائي الجميع أو يجند الجميع (مسلمين ومسيحيين) في سبيل الحفاظ على غرناطة، مهما كلفه ذلك من ثمن.

٣ - عنوان الجزء الثالث «عالية ومتألقة» ويحكى قصة عودته إلى غرناطة وتوليده مقاليد الحكم في أعقاب وفاة أبيه. ويبدأ أبو عبد الله في الثلاثين من عمره ويتناول مفادياته مع أعدائه وتوقيعه معاهدة استسلام غرناطة (بعد أن أقنعه وزراؤه أن لا مفر من ذلك) وبعد أن تفشت الفوضى في ربوع مملكته وعم الفساد والرشوة بلاطه، أمام تعجل الكاثوليك سقوط غرناطة، وكيف كان سير المفاوضات المزرية المخجلة بين فرناندو الملك الخبيث المخاتل ورسول أبي عبد الله ووزرائه الخونة إبان حصار غرناطة. ويعيب هذا الجزء الإسهاب والتفريع في سرد تفاصيل المفاوضات، وربما طغت على الكاتب هنا (كما أشرنا من قبل) حرفته كمؤرخ على ما كان ينبغي أن يكون سرداً روائياً درامياً.

٤ - أما الجزء الرابع، وعنوانه «كل موسيقى تتوقف»، فينتهي بنا إلى قبل أيام من تسليم غرناطة ثم عبور المضيق وإقامة الملك المجهور في فاس. وهي بكائية مطولة تتخللها لحظات تأمل عن التاريخ والحياة والموت ودولة العرب والحب والأصدقاء. الخ.

رواية تاريخية:

والمخطط القرمزي يتخذ شكل الرواية التاريخية من حيث إنها محددة الزمان والمكان وتتناول بالسرد حقبة معينة بشخصيات وأحداثها التاريخية، بل إن لبعض هذه الشخصيات والأحداث

تأثير "جالا" بالتراتب الإسلامي وماثر الحضارة التي أضاءت أوروبا

أخرى كثيرة لا يتسع هذا المجال لتفصيلها .

فيما عدا هذا ، رسمت أحداث الجو التاريخي للرواية في إحكام ، وبدل الجانب التوثيقي فيها على ما بذله أنطونيو جالا من جهد كبير في جمع مادته وصياغتها بهذه الدقة وهذا التميز : بين تصوير وإع للشخصيات التاريخية العربية أو المسيحية (وهو تصوير متعمق وذكي ومتأن ويجنبه في أغلب الأحيان مواطن الزلل) ، وتضمنين لأشعار ابن الخطيب وابن زمرق وابن الجياب والصيرفي والمنيني وابن عربي . . . ، والزجل والأحاديث النبوية والمنظومات الشعبية الرومانسية الشائعة في القرن الخامس عشر ، وعرض متأمل للوثائق التاريخية والرسائل المتبادلة بين المسلمين والنصارى في تلك الفترة وانتقاء للمواقف التاريخية الفاصلة والتي صاغها بلغة روائية سليمة وأصيلة .

ولنا هنا أن نتوقف وقفة لا مفر منها . فهذا العرض التاريخي الشيق وهذا السرد الروائي المحكم يعينه التطويل في أكثر من موضع ، ولعل هذا مؤداه أن هذه هي أول رواية طويلة جالا - كما أوردنا من قبل - وهو عيب ربما يتخلص منه هذا الكاتب العملاق في أعماله الروائية القادمة ، فينتصر الإيجاز لصالح الحكمة الروائية . على أن لأنطونيو جالا نثر جيلاً مصقولاً بأسر القارئ في الحال فهو - برغم ما قد يعاب عليه - رشيق ، ذكي ، سريع البديهة ، لا يدع مجالاً للملل (ربما اكتسب ذلك من خبرته الطويلة في المقال الصحفي) وهو ينتقل بين الفكر في نقاء ومنطقية هما مدعاة للإعجاب والاحترام ، ثم إنه - حين تداعى الأفكار والتأملات حول نقطة أو "موتيفة" بعينها - يُسهب بعضها ويوجز بعضاً ويهمل الآخر بوعي واقتدار . كما أن هذا المجلد - إذا ما توحينا شيئاً من التبسيط - هو «كجرب الحاي» المليء بالحكايات والتفصيلات والشخصيات والفكر «والفانتازيا» والمسحات الرقيقة والحيل الدرامية المسرحية وشعر العشق والصور الغزيرة المتلاحقة محكمة الصنعة ، دون ذكر ما قلناه من قبل

فالعالم التي تتحرك فيها شخص هذه الرواية ذات صلة وثيقة بتلك التي يرتادها أبطال أعماله المسرحية والتي غالباً ما تتباعد أو تتباعد عن قاع المجتمع . وهو كشاعر ، وبحكم نشأته أيضاً ، يفضل أجواء تلفها الآهة وتغلفها شاعرية مركبة . وأسلوبه يمكن أن نطلق عليه «DECADENT» يصور المجتمع الراقي في فترات الاضمحلال ، وهو يشبه إلى حد كبير أسلوب المخرج الإيطالي فيسكونتي في السينما . أضف إلى ذلك الكثير من تفاصيل حياة الكاتب الشخصية التي يمكن رصد انعكاسها بسهولة في هذه الرواية :

(١) وصفه الرائع لغرناطة وقربطه كما يعرفها جالا ويعشقها بوصفه أندلسي المولد .

(٢) تعلق الكاتب بشقيقه وحزنه لوفاته في شبابه المبكر (نرى ذلك في لارواية عندما يصور أسى أبي عبد الله لوفاة شقيقه يوسف في شبابه المبكر أيضاً .

(٣) في الرواية وصف مرهف لحب البطل لكليبه «دِن» و«إرسان» وكيف أثر موت الأول في حياة الأمير الصغير (من المعروف عن جالا أنه في طفولته كان له كلب صغير مقرب إليه اسمه «ترويلو» (TROYLO) وأن هذا الكلب مات حين كان المؤلف طفلاً فتألم لذلك شديد الألم إلى حد أنه زهد الطعام أياماً ، كما أن جالا ظل لسنوات يكتب عموداً أسبوعياً على شكل محاورات مع «ترويلو» .

(٤) إن تصوير شخصية عائشة والدة أبي عبد الله كامرأة وأم قاسية مجبلة متناية عن أبنائها هو إسقاط واضح أيضاً على حياة المؤلف نفسه ، فعندما توفي شقيق أنطونيو جالا الأكبر ، الذي كانت تربطه بشقيقه الأصغر علاقة حميمة شديدة ، لم تستطع والدة الكاتب التغلب على حزنها وفقدانها لابنها الأكبر فهجرت رعاية بقية أبنائها واضطلعت بهذه المسؤولية أخته الكبرى فكانت بمثابة الأم للطفلين الصغرين . وثمة أمثلة

صبغة التوثيق المحض . وهي رواية تاريخية تقليدية من حيث البنية والحبكة ، فكل الذرائع والحيل تقليدية بدءاً بفكرة العثور على مخطوط ثم اكتشاف أهميته ووصولاً إلى الترتيب الزمني للأجزاء وتناول السيرة الذاتية للبطل . لكن نعت هذا المجلد بأنه رواية تاريخية على النسق التقليدي قد يغيبه حقه .

فبعيداً عن أية لهجة استقرائية تقريرية مباشرة للأحداث ، نجد أنها سيرة ذاتية في صيغة المتكلم (Autobiography) ، ومن ثم تصطبغ بلون استبطاني شديد لهيمنة المونولوج الداخلي عليها وكذا الشروقات النفسية التلقائية المترددة بين عالم المحسوسات واللاوعي والتأملات الفلسفية والتشبث بالماضي . . . وحري بنا عند هذا الحد أن نعرض لذلك على نحو أوضح : إن أول ما يتبادر للذهن عند الاقتراب من هذه الرواية هو أن اختيار جالا لموضوع روايته لم يكن من قبيل المصادفة - قبيل اقتراب ذكرى مرور خمسمائة عام على نهاية حكم العرب في الأندلس - فالتأملات والطروح حول هذا الحادث أو هذا الفصل الهام من فصول تاريخ دولة الإسلام وتاريخ أوروبا وحول مراجعة تاريخ العلاقة بين أسبانيا والعرب معروضة بصراحة ووضوح على صفحات هذه الرواية . الأمر الآخر الذي قد يكون سبباً في اختيار أنطونيو جالا لشكل الرواية التاريخية هو ذبوع هذا النوع في أوروبا والغرب عامة وخاصة بعد صدور روايتين هامتين منه أخيراً ، وهما «اسم الورد» لأومبرتو إكو (UMBERTO ECO) «ومذكرات أدريانو» لمرجريت يورسنار (M. YOURCENAR) ، وللتين يغلب عليهما طابع رواية «تيار الوعي» (STREAM OF CONSCIOUSNESS) بيد أن ما ينأى بصفة «التقليدية» عن رواية «المخطوط القرمزي» ربما غزارة وتلاحق ووضوح الإسقاطات لبعض تفاصيل وملابسات سيرة أبي عبد الله الصغير على حياة أنطونيو جالا نفسه ومزاجه الشخصي وبعض فصول حياته ، وهو ما يضيف على هذا العمل مذاقاً خاصاً يباعد بينه وبين اعتباره رواية تقليدية (أم أن كتابة الرواية التاريخية تختلف في ١٩٩٠م عن ذي قبل ، من حيث الرؤية والصياغة؟) .



آخر ملوك غرناطة يروي وراء ذلك العصر الجميل

حول مفردات الجو التاريخي المختارة بعناية وذكاء .

زمن بطي

يعتمد الإطار الزمني في هذه الرواية على تقنية العودة إلى السوراء (FLASH BACK) ثم يتتابع مرور الزمن طردياً منذ الطفولة وحتى نهاية المخطوط ، تتخلله لحظات معينة يكسر فيها السياق الزمني لسرد أحداث سابقة على لحظة القصة . ويرى الراوي مشروعية ذلك من مبدأ أن أية أحداث ليس لها وجود ما لم يعيها البطل (الإنسان) داخلياً ، وبما أن الزمن الداخلي النفسي ليس له معيار معروف فإن جميع الأحداث والظواهر - حين تتمثل في الوعي والوجدان - تتوازي .

وعلى الرغم من أن المجلد يتعرض لحياة البطل على مدى ستين عاماً تقريباً ، ثمة لحظات محدودة يكتف فيها الزمن ليس عن طريق تتابع متلاحق للأحداث في وقت قصير نسبياً وإنما عن طريق التأمل النفس والشروقات الداخلية المشتتة المبهمة ووصف المناخ الدرامي المحيط بالبطل . . . ومن ثم فزمن هذه الرواية زمن بطي تنسب فيه نفس البطل بالطفولة وبالذكريات الحميمة الشجية والأليمة . والإشارة إلى هذا الزمن البطي تأتي في أكثر من موضع . فالبطل يرى أن الزمن لا يتحرك . ونورد هنا صورتين جاءتا على لسان البطل لتؤكد هذه الفكرة :

« . . . الزمن لا يمر إذا وإنما نحن الذين نتحرك فيه على نحو آخرق . » (ص ١٥٨)

« . . . الحياة لا تتحرك : تظل ساكنة ، تحدها حدود غامضة متاخمة للموت . ونحن لنجها أو نخرج منها - أي أننا موجودون - ما دامت ثمة حياة . » (ص ٤٤٨)

البطل : البعد التاريخي - البعد الإنساني .

نعتقد أن أنطونيو جالا عثر في شخصية أبي

عبد الله الصغير بمادة جيدة تصلح للتشكيل الروائي ، فهي شخصية على الأقل ذات بعدين جليين :

١ - البعد التاريخي : وهو بُعد شائع بين المؤرخين والعوام : الأمير الضعيف المضطرب للاضطلاع بأعباء تاريخية جسام ، ثم هو الحاكم المتخاذل الخائن الذي سلم غرناطة للأعداء («ابك كأمراً ما لم تحافظ عليه كرجل») .

٢ - البعد الإنساني (الداخلي ، النفسي) : وهو البعد الذي انصب فيه كل مجهود الكاتب كروائي . فأبو عبد الله ، قبل كل شيء ، إنسان ، ألت به ظروف معينة لم يخرها هو . وهو في صغره طفل غير عادي ، فقد ولد ليكون ملكاً لذا فقد عاش تجارب لم تتح لطفل في مثل سنه ووصل إلى النضج مبكراً بحكم نشأته وبحكم تجارب العشق في الطفولة ومساحة التأمل الكبيرة في حياته . ، هذا التأمل جعله يعزف عن حياة القصر والصراع على التاج . لقد تمكن من تشكيل عالمه الداخلي القوي المضاد لعالم الواقع وأصبح حبيب هذا العالم في أغلب أوقات حياته . ولقد استطاع الكاتب أن يصور بدقة وطأة كل

تدهورا لعلاقة بين والديه - سيطرة أمه عليه - الهزائم المتلاحقة على أيدي النصارى - شيوع الفوضى والفساد في البلاط وفي أنحاء البلاد - الخطر المسيحي المحدث . ويرى الكاتب أن المخرج الوحيد لمواجهة هذا الرصيد الهائل من الخطوب هو أن يتصنع أبو عبد الله كل شيء . فهو يتصنع الطاعة لوالديه ، ويتصنع البطولة أمام شعب غرناطة ويتصنع الخضوع للملكين الكاثوليكين ، يحده أمل بعيد في الاحتفاظ بملك غرناطة . والنتيجة المنطقية تكون هزيمته وطرده من أرض أجداده والخروج إلى الأبد من الأندلس . فنجد أخيراً يعيش وحيداً في فاس يلعب جراح الماضي وقد نسيه الجميع .

وبرغم إحكام التصوير ، تلاحظ أن شخصية أبي عبد الله ينقصها العمق الدرامي ، فمع تشكيلة وروعة المشاهد والصور التي «يركب» الكاتب من خلالها شخصية البطل يعترينا إحساس مطرد بثقل الصنعة واللهاث وراء الصورة أو الفكرة على حساب عمق الشخصية أو درامية الحدث . ونعود فنشير مرة أخرى إلى هذا الاستعراض الهائل من الشخصيات الثانوية وهي في مجملها

الشخصيات التي رُسمت للمسلمين بعضها سلبي جداً .. لماذا ؟!!

بديعة الرسم مؤثرة : بعضها سلبي ، نفعي ، خبيث ، وبعضها محب إلى نفس الكاتب ؛ بعضها تحوطه الأسرار والعتامة والبعض «الآخر أفردت له ساحات البطولة . وهي في مجموعها تحقق توازناً مع الخط الدرامي الذي تنتهجه شخصية البطل .

ونلاحظ في هذه الرواية أن الشخصيات المسلمة أغلبها سلبي ، تمثل أخلاقيات ومعايير مجد زائل . وأن الشخصيات المسيحية تمثل إرهابات مُلك في طريقة إلى الوقوف على قدميه ، وإن كان ذلك الملك يستند إلى دعائم واهية .

المؤثرات والمصادر :

يمثل الحديث عن المؤثرات والمصادر عند

من هذين العالمين أو المناخين على نفس البطل ، فالصراع بينهما قائم وشديد ، ولكل منهما الغلبة أحياناً . فمن ناحية ينتصر عالمه الخاص الداخلي على حياته العملية فنجد أبا عبد الله وقد تمثل أمامنا كشخصية سلبية عدمية محبطة ، ومن ناحية أخرى ينتصر عالم الواقع فنجد البطل وقد نبذ إغراقه في ذاتيته وانتصر على عدميته ونهض ليشترك في مجريات الأمور في المملكة . وتأتي نقطة التحول وهو في الرابعة والعشرين من عمره حين يهجر حياة اللهو وما ترسب بها من نعيم الطفولة ليواجه الحياة بكل صعوباتها وقسوتها ، ولكنه يواجهها في تحاذل وفتر وروح انهزامية سلبية . لقد أصبح شيخاً في هذه السن المبكرة . وكما أشرنا ، فالإحباطات كثيرة :

تناول أي عمل أدبي معضلة بالنسبة للدراس متوخي الدقة، فإذا ما رحبت ثقافة كاتب العمل اشتد لهاث دارسيه وراءه بسبب كثرة وتشعب المؤثرات والمصادر التي نهل منها في تكوين مزاجه الخاص. وسنحاول هنا في إيجاز شديد استعراض بعض مصادر العمل الذي بين أيدينا.

١ - قبل أن ندع الحديث عن شخصيات هذه الرواية، تلح علينا الإشارة إلى تأثير أنطونيو جالا بالأدب الشعبي خاصة المكتوب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في شبه جزيرة إيبيريا ثم بنوع من أنواع القصص الكثيرة التي ذاعت هناك مع مقدم القرن السادس عشر ويسمى بـ «الرواية الموريسكية» وغرضها الأساسي هو الوقفات والمناوشات الحربية بين المسلمين والنصارى على طول الحدود الفاصلة بينهما. وبطلا الرواية الموريسكية أحدهما مسلم والآخر مسيحي غالبًا.

أما البطل المسلم فهو مليح الهيئة، مغوار، مقدم، يصرخ الفرسان النصارى ويثبت شجاعة ونبلًا وطيب خلق لا يبزه في ذلك إلا البطل النصراني الذي تجتمع له كافة الفضائل، فهو بطل أسطوري لا يضارعه أحد، وهو أحيانًا - عندما تدن له الغلبة - لا يجد سوى إرادته ذاتها ليتنصر عليها، فهو يتنازل عن مطلبه أو عن هدفه تنازل القوي. مثال ذلك في الرواية هي شخصية القائد النصراني جونثالو فرنانديث القرطبي، الفارس الأسطوري.

٢ - من أهم من تأثر بهم أنطونيو جالا واستعان بأعمالهم في كتابة هذه الرواية ثلاثة مستعربين كبار هم: ميغل أسين بلاثيوس (MIGUEL ASIN PALACIOS) وخاصة في أشعار وفكر المتصوفة الأندلسيين، وإميليو جارثيا جومث (EMILIO GARCIA GOMEZ)، وعلى نحو أدق كتابيه الأخيرين: «أشعار عربية على جدران ونافورات الحمراء» (منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمطرد - ١٩٨٥ م) و«أضواء قديمة على قصر الحمراء» (نفس الناشر - ١٩٨٨ م)، ثم الفرنسي ليفي يروفسال (LEVI PROVENÇAL): فكرة العثور على المخطوط.

٣ - الشعر العربي من مختلف العصور والتراث

الديني الإسلامي «الترجم» (بعض الأحاديث النبوية، على سبيل المثال).

٤ - عيون الأدب العربي: قصة أمين وأمنية، الطفلين اليتيمين اللذين التقى بهما أبو عبد الله في سوق فاس ورباهما في كنفه، هي لوحة تقليدية مستوحاة من «ألف ليلة وليلة».

٥ - التراث المسرحي: ألمحنا من قبل إلى تفشي «المناجاة الذاتية» بين دفتي الكتاب، ولكننا يجب أن نحدد هنا نوعًا آخر من «المناجاة» وهو مسرحي بحث لجأ إليه أنطونيو جالا في روايته أكثر من مرة، نقصد بذلك «المناجاة الفردية» (SOLILOQUY) القديمة قدم الدراما نفسها ولكن في شكلها الهاملي، وهي خطبة طويلة تلقيها شخصية واحدة وتعكس فيها عالمها الداخلي المتأجج بين الأسى والتعاسة والتأمل. وذكر منها فقط على سبيل المثال تلك المناجاة الفردية الرائعة التي قام بها البطل أبو عبد الله أمام أجدات آبائه وأجداده، بعد أن نقل رفاتهم ليلاً يعاونه اثنان من أخلص حاشيته من قصر الحمراء إلى حدائق «سوند نجر» خشية أن يقوم الأعداء بنهبها. وفيها يتحدث عن الحياة

رحلات جالا إلى الدول الإسلامية أفادته كثيرًا في معرفة التراث الحضاري لهذه الدول ..

والموت والمجد والتاريخ والخلود والغرور والضعف البشري. إلخ.

٦ - العمود الصحفي (تأملات - حواريات): في مواضع عدة من الرواية، يتناول الكاتب فكرة أو جزئية مستقلة، قد لا تكون لها صلة وثيقة بالسياق، ويفرد لها العديد من الصفحات. وهي

تأملات أو خواطر أقرب ما تكون إلى المقال الصحفي منها إلى السرد الروائي؛ وتأثر الكاتب بعطائه الصحفي المتواصل حتى الآن جلي بين في هذا الصدد. وأول ما يلفت النظر في هذه التأملات أو الخواطر حدائتها الواضحة وكذا حدائتها دلالات اللغة التي صيغت بها والبعيدة قليلًا عن دلالات وفكر قرون خلت. وعند محاولة تفسير هذه الظاهرة ليس لدينا سوى اعتبارها محاولة إسقاط مقصودة على ظواهر فكرية أو حضارية حديثة، أو ربما لم يجد الكاتب حرجًا في الخروج عن السياق الروائي ما دامت تلك التأملات على شيء من العمق والدسامة بحيث تجذب القارئ وتمتعه ولا تبعث في نفسه الملل.

٧ - قام أنطونيو جالا بسفريات عدة إلى دول العالم الإسلامي، وخاصة دول المغرب العربي، وأفاد منها - في هذه الرواية - في وصف الكثير من المظاهر التقليدية والأماكن والمعالم الأثرية (نذكر منها وصفه لسوق فاس وتحولات البطل أبي عبد الله بها والتقاءه بأمين وأمنية) وقد يعاب على هذا الوصف غياب ما يشير إلى مناخ العصر الذي تجري فيه أحداث الرواية، كأنها هو وصف لأحد الأسواق التقليدية العربية في أيامنا هذه، إلى جانب افتقاره إلى شيء من الأصالة والعمق، فالقارئ العربي - برغم دقة وروعة الوصف - يتأبه في الحال انطباع بأن الكاتب سجل هذه الكلمات بعد جولة سياحية لم ير فيها الكثير. ونفس هذا الانطباع يتأب القارئ أيضًا عندما يتحدث البطل مثلًا في الليل عن غموض وروية وشيء من العدائية عند سماعه أذان الفجر، وكلها أماسيس غريبة وغير منطقية في حالة أبي عبد الله، العربي، المسلم، المعتاد سماع الأذان خمس مرات كل يوم، وهذا ما يقودنا إلى نقطتين أخيرتين: أولاهما أن جالا الكاثوليكي الثقافة لم يستطع بحكم الموروث التخلص من الشعور بالغربة إزاء بعض المظاهر الإسلامية، والأخرى أن ثراء جالا ثقافة وإطلاعًا لا يوازيه ثراء في تجربته الشخصية، فكل انطباعاته عن العالم الإسلامي خلال سفراته هي - كما أوضحنا - هامشية تنفرت إلى التعمق والخوض المباشر في التجربة، الخوض الذي يثرها بالطبع.



آخر ملوك غرناطة يروي :
وداعاً ذلك العصر الجميل

وداعاً غرناطة !

لقد حاول أنطونيو جالا الاقتراب من نفس وفكر بطله فنظم هذه المنظومة الروائية التي تحولت - في الجزء الأخير منها - إلى بكائية في وداع غرناطة على لسان أبي عبد الله الصغير. وحاول التزام جيدة علمية منطقية برغم تعاطفه مع بطله. ولكن يخطئ من قد يتوهم أن جالا متعاطف مع استمرار حكم العرب، فالكتاب مقتنع تماماً بأن غرناطة كان محتوياً عليها أن تسقط، فقد كانت - قبيل سقوطها - تحيا في غير عصرها؛ وكان لا بد لنجمها أن يخبو فلم يكن قد تبقى من الحضارة الإسلامية الأصلة سوى القليل. إن ما يبكيه جالا في الواقع هو ضياع مجد رفيع، لحظة حضارية فريدة لن تتكرر.

وأنتونيو جالا - من ناحية أخرى - من أبناء الأندلس المحبين لها والمؤمنين بأن لوطنهم كياناً وأصالة تمتص كل وافد عليه وتصبغه بصبغتها، فهو مع مرور الوقت يصبح أندلسياً خالصاً. فكم تناوب ملوك وسلاطين من خارج شبه جزيرة إيبيريا على حكم الأندلس (القوط، العرب أو غيرهم) لكنهم في النهاية انصهروا جميعاً فيها وعلى أرضها - الأم. ورأيه أن أبا عبد الله أندلسي أولاً - بغض النظر عن أصله أو دينه - وهو كسائر أبناء الأندلس ذو أصالة وتفرد بحكم المولد!!

وأخيراً، إن أهم ما شدنا إلى هذا العمل الضخم - برغم ما أخذنا عليه - هو نبرته الهادئة المتألمة وبعده عن الحدة واللهجة الخطابية الجوفاء التي غالباً ما تنتاب كل من يتناول هذا الموضوع. وربما خالطنا في ذات الوقت شيء من «الغبرة» مبعثها قلة الكتابات الأدبية العربية (الروائية) العميقة والمتألمة لهذه الحقبة من تاريخنا، عن الفردوس الموعود بإذن الله.

غرناطة

شعر: د. نور الدين صمود

غرناطة لم تزل من سالف الحقب
منارة العز والأجداد للعرب
هَلُّوا عَلَى الْغَرْبِ مِثْلَ الشَّمْسِ إِذْ سَطَعَتْ
وَأَمْطَرُوهُ بِعَذْلٍ وَإِكْفِ الشُّحْبِ
مَا حَرَّيُوا، إِذْ أَتَوْا بِالْأَمْسِ أَنْدَلُسًا،
بَلْ رَصَعُوا الْأَرْضَ مِثْلَ الْأَفْقِ بِالشُّهْبِ
وَرَسَّخُوا الْعِلْمَ وَالْأَدَابَ، فَارْتَفَعَتْ
بِأَرْضِهَا رَايَةُ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
الْعِلْمُ يَشْمَخُ فِي آفَاقِهَا، فَلَهُ
جَهَائِدُ الْأَمْسِ مِنْ أَعْلَامِنَا النُّجُبِ
وَالشَّعْرُ يَهْرُجُ فِي أَكْنَافِهَا، فَلَكُمْ
عَنَى فَأَرْقَصْ كُلَّ النَّاسِ مِنْ طَرَبِ !
غرناطة جُرُحُ أَمْسٍ، مُنْذُ فَارَقَهَا
أَجْدَادُنَا بَيْنَ مَحْزُونٍ وَمُتَّحِبِ
لَكِنَّهَا الْآنَ أَضَحَتْ جَنَّةً حَفَلَتْ
بِكُلِّ مَا خَلَفُوا فِيهَا مِنَ الْعَجَبِ
وَأَصْبَحَتْ مُلْتَقَى الْأَحْبَابِ تَجْمَعُنَا
عَلَى الْحَضَارَةِ وَالتَّقْيِيفِ وَالْأَدَبِ
إِنَّ الْقُرُونِ الَّتِي مَرَّتْ، جَلَتْ صَدًّا
وَطَهَّرَتْ كُلَّ مَا قَدْ كَانَ مِنْ رِبِ
وَسَيَّرْتَنَا بِدَرْبِ كَانَتْ مُتَغَلِّقًا
نَحْوَ الْحَضَارَاتِ فِي رُكُضٍ وَفِي خَبِ
يَسِيرُ فِيهِ إِلَى الْآفَاقِ بَعْضُهُمْ
وَالْبَعْضُ يَرْحَفُ كَالْمُنْهَوَكِ مِنْ تَعَبِ
غُرْنَاطَةَ الْأَمْسِ أَنْتِ الْيَوْمَ مَائِلَةٌ
بِرَّغْمِ مَا بَيْنُنَا مِنْ دَاكِنِ الْحُجُبِ
مُدِّي يَدَيْكَ عَلَى دَرْبِ الْإِحْيَاءِ، فَكَمْ
قَدْ جَمَعْنَا دَوَاعِي الْأَصْلِ وَالنَّسَبِ
مَا بَيْنُنَا، مِنْ قَدِيمٍ، لَمْ تَزَلْ صِلَةً
هَلْ تُنْكِرُونَ الَّذِي قَدْ خُطَّ فِي الْكُتُبِ !؟

أُلقيت في اختتام المؤتمر الذي أقيم بمناسبة مرور خمسين سنة على سقوط غرناطة بتونس والذي نظّمته بتونس من ٢٤ إلى ٢٩ من جمادى الأولى ١٤١٢ هـ. رابطة الجامعات الإسلامية ومركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات

عطلة آخر الأسبوع

للكاتب الأمريكي الساخر: جيمس ثيربر ○ ترجمة: صبري أحمد نصر

كنت مدعوًا لقضاء عطلة آخر الأسبوع في مسكن أحد الأصدقاء، وما عهدي يمثل هذه العطلة إلا استقبال الصباح الذي يليها بسحنة كئيبة عابسة، وذهن شارد عزوف عن العمل.

وحين أقبل الصباح التالي لهذه العطلة، نهض صديقي وزوجته، ومضى كل منهما إلى عمله. أما أنا فلم أأخذ حذوهما، إذ بقيت مستغرقًا في النوم، ولم أنهض إلا ما بين الثانية والثالثة بعد الظهر. كان أول ما فعلته أن يمت شطر الحمام، ومضيت لحلق الحيتي، فجعلت الصابون يكسو وجهي، ثم أخذت في تحريك الموسيقى. وفيما كنت أملاً الحوض بالماء الدافئ، حادت الموسيقى عن موضعها وجرح أذني، ولم يلبث الدم أن تدفق حارًا سيالًا، وقد بدا من الصعوبة أن يتوقف، إذ بلغ حدًا فاق الألم نفسه.

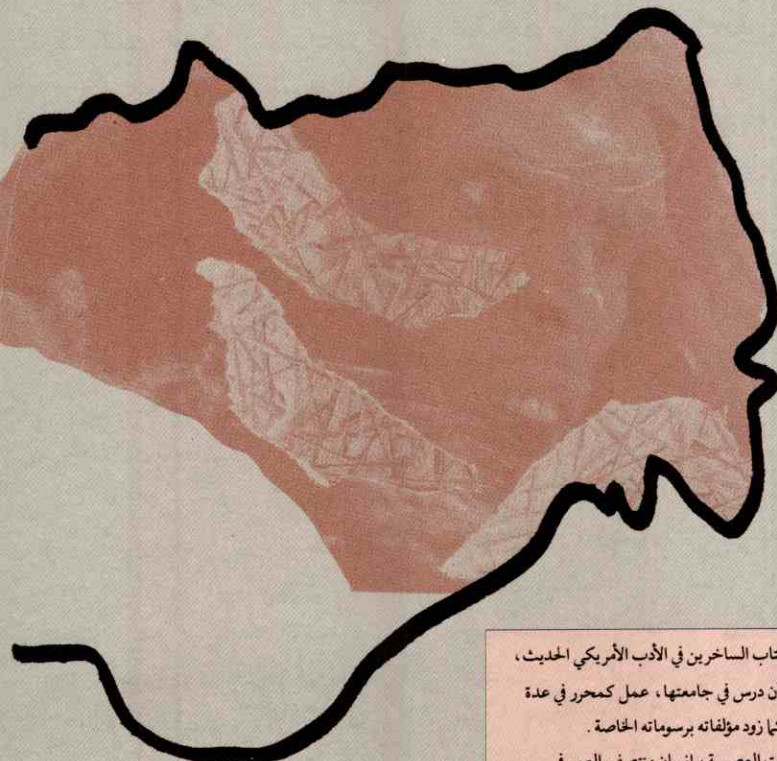
دفعت باب خزانة الدواء القابعة أعلى الحوض، بغية البحث عن شيء أوقف به النزف. وفوق الرف العلوي تجلت نسع من الإبر معقودة في لفافة من الورق الأسود، وقد بدلي أن زوجة صديقي احتفظت بها. وعلى حين غرة، انزلت اللفافة فوق الصابون الذي يعلو سطح الماء، حتى تشبعت الورقة بالماء، ثم تهدلت

تاركة الإبر التسع طليقة. لم يكن من المستطاع أن ألقط الإبر التسع من الحوض، فليس بوسع امرئ عاقلاً كان أم مجنوناً - يكسو الصابون وجهه وينزف الدم من أذنه بغزارة - أن يكون في حالة تسمح بأداء أي شيء. . . حتى ولو مجرد التقاط تسع إبر من ماء الحوض.

بدا من غير الصواب أن أنتزع السدادة من فوهة الحوض، لثلا أدع الإبر تهبط مع الماء، وتولد لدي خوف باعته إمكان حدوث دورات صغيرة في الماء. وفي النهاية تحسست برفق حدود الحوض، وتمكنت - بعد عناء - من التقاط أربع إبر في راحة إحدى اليدين، وثلاث إبر في راحة اليد الأخرى. . . أما الاثنان الآخران، فلم أتمكن من العثور عليهما، ولو أوتيت حضور البديهة، ما كان ليجري هذا. . . (فالمرء الذي يكسو الصابون وجهه، وينزف الدم من أذنه بغزارة، ويحوي في إحدى يديه أربع إبر، وفي اليد الأخرى ثلاث إبر - لا بد أن يبلغ أدنى درجة من الذكاء الإنساني، ولا بد أن يعجز عن أداء

شيء. . . سوى أن يتسمر في مكانه. حاولت أن أنقل الإبر من راحة اليد اليسرى إلى راحة اليمنى، بيد أنها كانت ملصقة. وفي النهاية، جففت الإبر بمنشفة كانت تتدلى من فوق المشجب المثبت فوق صنوبر المياه، وهي المنشفة الوحيدة التي استطعت العثور عليها. حاولت أن أعثر على الإبر في المنشفة، فتبدى لي أن التقاط سبع إبر من ثنايا المنشفة يحتاج إلى بذل وقت أطول من التقاطها من حوض الاغتسال. . .

وبعد لأي، تمكنت من العثور على خمس فقط. وبالإضافة إلى الإبرتين الضالّتين في الحوض، فهذا يعني أن هناك أربع إبر مفقودة: اثنتان مختلفتان في ثنايا المنشفة، واثنتان قابعتان في حوض الاغتسال أو تسربتا إلى مصرف المياه الممتد أسفل المنشفة. . . غشيني خوف طاع، إذ رحلت أسائل نفسي: في حالة عدم تمكني من العثور على الإبر. . . ماذا يحدث لو أن شخصاً استخدم المنشفة، أو غمر وجهه في



★ جيمس ثيربر James Thurber ★ من أبرز الكتاب الساخرين في الأدب الأمريكي الحديث، ولد في مدينة كوليس بولاية أوهايو عام ١٨٩٤م، وبعد أن درس في جامعتها، عمل كمحرر في عدة صحف أمريكية، واتسعت شهرته كرسام كاريكاتير، كما زود مؤلفاته برسوماته الخاصة. ومن أشهر مؤلفاته: هل الجنس ضرورة؟، حياتي والأوقات العصيبة، إنسان منتصف العمر في أرجوحة طائرة، الزهرة الأخيرة.

قصة قصيرة

عطاة آخر الأسبوع

ماء الحوض، أو حتى إذا تسربت الإبر إلى مصرف المياه؟

حسنًا، بدا عسيرًا العثور على الإبر. وقفت أفكر، واعتزمت في النهاية أن أطوي المنشقة في جريدة وأصحبها معي، وترأى لي أن أخط رسالة لصديقي وزوجته أوضح لهما - بقدر ما أستطيع من وضوح - الأمر، وأعبر لهما عن مخاوفي في إمكان وجود إبرتين في الحوض، أو في مصرف المياه، وأحذرهما من ذلك.

رحت أذرع أرجاء المسكن، ومن ثم شرعت أتفقد كل شيء فيه، وعبثًا حاولت الاهتداء إلى قلم حبر أو رصاص، كما أنني عبثًا حاولت العثور على آلة كتابة... غير أنني استطعت أن أجِد بضعة قصاصات من السورق فقط ليس فيها موضع يمكن أن أكتب فيه. ولست أدري كيف تدافعت إلى رأسي فكرة - ربما عن طريق فيلم سبق أن شاهدته أو قصة قرأتها - أن أكتب الرسالة مستخدمًا طلاء الشفاه، فلا بد أن الزوجة تحتفظ بأصابع إضافية منه في مكان ما بالمسكن، وقد حدثت أن المكان هو خزانة الدواء، فرحت أجيل البصر في أرجائها، ووقعت نظراتي على شيء خيل لي أنه رأس معدني لأصبع منه، فحاصرته بأصبعين، ثم بدأت في اجتذابه محاولاً تخلصه من الأشياء المكتظة فوقه. وفيها كنت أفعل ذلك، بدأت محتويات الخزانة في الاهتزاز، ثم

أخذت في السقوط على الحوض وفوق الأرض، وتفجرت سواثل من شتى الألوان: سوداء، بيضاء، بنية. أعقب ذلك ارتطام أشياء من كل الصنوف: مقصات، مبرد أطافر، شفرات حلاقة، قوارير،...

انقضت نصف ساعة قبل أن انتهي من التقاط الأشياء المتناثرة وجعلها في وسط الأرضية، ولم أجِد بداً من عدم محاولة إعادة الأشياء إلى موضعها في خزانة الدواء... فشيء كهذا يحتاج إلى شخص أوفى جرأة وإلى نفس أكثر توازنًا.

قبل أن أبرح المسكن... (جانب واحد فقط من لحيتي هو الذي تم حلقه، وقد لطخه الدم الأحمر القاني) تركت رسالة أعبر فيها عن مخاوفي من تواجد إبر في الحوض أو تسربها إلى مصرف المياه، كما أوضحت فيها أنني اصططبت معي المنشقة، وأوضحت أيضًا أنني سأبادر إلى الاتصال بهما لتوضيح وقائع ما حدث... وقد كتبت ذلك مستخدمًا محلول اليود بعد أن غمست فيه طرف فرشاة الأسنان.

ومن المؤلف أن أقول إن الأيام توالى وتتابع دون أن أتصل بهما... فلا أنا واجد في نفسي الشجاعة، ولا أنا أستطيع استخدام الكلمات التي يمكن أن تفسر ما حدث. وأحسب أن فعلتي هذه قد جعلت صديقي وزوجته يظنان أنني حطمت حوائجهم وسطوت على منشقتهم عمدا... لست أدري على وجه اليقين، ولم يقدر لي أن أدري... فلا أنا اتصلت بهما، ولا أي منهما اتصل بي حتى الآن!

مجلدات الفصيل

يسر مجلة "الفصيل" أن تعلن لقراءها الكرام والمكتبات والمؤسسات الثقافية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها عن توافر أعداد المجلة التي صدرت على مدى خمسة عشر عامًا، بعد أن أعدتها في مجلدات فاخرة وبأسعار خاصة، خدمة للقارئ الكريم والثقافة العربية. لمزيد من التفاصيل:

دار الفصيل الثقافية

شارع المروبة - السليمانية - الرياض

هاتف: ٤٦٥٢٠٢٦/٢٧

أو الكتابة إلى:

ص.ب. ٣ - الرياض ١١٤١١ - فاكس (٥١٧٨٥) ٤٦٤٧٨٥

الطفل العربي والأدب الشعبي



بقلم: عبد التواب يوسف

أتمنّى

المشاركون في مهرجان الجندارية هذا العام (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) توصية نشرتها المجلات والصحف، بأن يكون محوره في السنة القادمة إن شاء الله موضوع أدب الأطفال وعلاقته بالثورات الشعبية. . . والذين يقيمون المهرجانات والمؤتمرات الناجحة يحتاجون إلى وقت طويل للتخطيط لعملهم من أجل أن يكون ذا بصمة واضحة ومنعطف طريق في تاريخ موضوعهم، وقد يمتد هذا الوقت إلى عامين أو أكثر. .

والموضوع الذي اختير غاية في الأهمية، لأنه يواجه مشكلة لا بد من التصدي لها منذ البداية، نعني بها أن صلة أساتذة الأدب الشعبي وعلمائه وجامعيه ودارسيه متواضعة بأدب الأطفال، الذي ما يزال على مستوى الوطن العربي طفلاً. . . وكُتّابه، ومؤلفوه، بل ودارسوه صلتهم بالأدب الشعبي لا تقل تواضعاً. . . والسؤال: ما السبيل لتحديد أهداف المهرجان المقبل، وإعداد خطط وبرامج تكفل تحقيق أهدافه، فيخرج مزهراً مثمراً، بعيد الأثر، عميق الصدى، في موضوع جد خطير.

إساءة بالغة. . خاصة عندما لا يعي الكاتب حقيقة ما بين يديه، وعندما لا يحسن الاختيار، وإذا ما لوى عنق المادة التراثية لتخدم أهدافاً محددة، وإذا ما ابتسرها أو اختصرها أو وقف بها عند «لاتقربوا الصلاة» (١). وهذا هو الذي يدعوه المهتمين بالتراث الشعبي إلى الصراخ في وجه المتعاملين معه أن يتقوا الله فيه، وتركه على ما هو عليه، وهو ما يدعوه أستاذتنا الدكتور سهر القلهاوي للمطالبة بأن يتعامل الأطفال مباشرة مع

لقد كتب جيل الرواد عن التراث ما أعاده إليها، وما أعادنا إليه. . وأظن أنه يجدر بنا أن نتجاوز مرحلة الإشادة به، وكذلك مرحلة التهوين من شأنه. . إن اعتبار بعضهم أنه ما من شيء بعده، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، أمر نفصنا أيدينا منه، فنحن نقف على أكتاف من سبقونا، والعالم يتقدم. . كما أن التقليل من قيمته ونعته بأنه «أوراق صفراء» لن يصرفنا عنه بعد أن أدركنا أنها صفرة الذهب وروعة. . وأجدر بنا أن نقبل عليه ونصنع به، ومن أجله، شيئاً. .

وليس غريباً ولا جديداً أن يغوص البعض في كتب التراث، بحثاً عن اللائح، فإن عثروا عليها أزالوا من حولها القشور، ونقّوها من الشوائب، وجَلّسوها لكي تلمع وتتألق. . وهؤلاء لهم فضل أن حبسوا أنفسهم وأنفاسهم قراءة هذه الأعمال القديمة التي تراكم من فوقها غبار الزمن، ونحمد لهم أن نفصوه عنها، وقدموه لنا. . والاختيار هنا فنّ وعليه يتوقف رضا القارئ الصغير عن هذه الاختيارات، وعن إعادة الصياغة إذا قام بها الكاتب.

إن بعض الكتاب لا يكتفي بهذا، بل هو «يضيف» شيئاً من عنده. . وكل ما نرجوه في هذه الحالة أن تكون الإضافة حقيقية، فلا تكون مجرد شرح وتفسير، أو محاولة لاستخراج مغزى أو نصيحة، فيها من التعسف الكثير. . وإذا لم يكن الكاتب - أو الفنان - قادراً على استيعاب هذا التراث، ولم يكن لديه فعلاً ما يضيفه، فإننا نرجوه أن يتعد عنه. . وأمثلة الإضافة التي تخل بالعمل الأصلي أكثر من أن تحصى، وهي تسيء إليه



وعربية؛ منها:

- حصل على جائزة الملك فيصل العالمية.
- جائزة الدولة التشجيعية في أدب الأطفال، مع وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٧٥م (مصر).

- جائزة الدولة التشجيعية في ثقافة الأطفال عام ١٩٨١م، مع وسام الجمهورية من الطبقة الثانية (مصر).
- جائزة اليونسكو العالمية في محو الأمية عام ١٩٧٥م.

- الميدالية الذهبية من اتحاد الإذاعات العربية عام ١٩٧٩م.

- شهادات تقدير وميداليات من [وزارة التربية (مصر) / إذاعة الكويت / إدارة الثقافة بالشارقة. . الخ].

من كُتّاب العدد:

- الأستاذ عبد التواب يوسف:

- من مواليد مصر عام ١٩٢٨م
- تخرج في جامعة القاهرة (قسم العلوم السياسية - كلية التجارة) عام ١٩٤٩م
- عمل محرراً ومترجماً بالمجلات والصحف وعُيّن مشرفاً على برامج الإذاعة المدرسية بالتعليم ثم رئيساً لشعبة الثقافة حتى عام ١٩٧٥م ثم تفرغ بعدها للكتابة حتى اليوم. .

- قدّم أول عمل إذاعي للأطفال في ١٩/١٢/١٩٥٠م ومنذ ذلك الحين قدم مئات البرامج الإذاعية والتلفزيونية للأطفال على مستوى الوطن العربي
- له نحو ٢٠٠ كتاب للأطفال طبع منها حوالي ٢٠ مليون نسخة

- عمل خبيراً ومستشاراً لعدة جهات علمية في الوطن العربي
- حصل على عدة جوائز مصرية

التراث دون تدخل من الكبار الذين يختارون فلا يحسنون الاختيار، وبصوغون فيحرفون، ويسيتون أكثر مما يحسنون.

توظيف التراث

إن وعي التراث، والدور التاريخي له هما القدمان اللتان يمشي بهما هذا التراث واللذان تقودان خطواته وتوجهاتها قدما. . . ولن يمضي التراث على ساق واحدة، ولن ترتضي أن تبتر ساقان، لذلك لا بد من أن نحسه ونعيه ونذكر دوره. . . والمثقف حلقة في سلسلة تصل ما قبلها بما بعدها، ولكنه ليس مجرد جسر يعبر من فوقه التراث، بل أشبه بالمصفاء تحجب ما تحجب وتسمح بالمرور لما تسمح به. . . وقد تكون المصفاء واسعة الخروق فينفذ منها ما لا نرضاه، أو ضيقة فتحبس عنا الكثير، مثلا: إنَّ (شوقيًا) حين يختار (مجنون ليلى) يظل مشدودا إلى الوجه التراثي لهذه القصة الجميلة، ويظل حجم ما يفجّره من دلالات باطنية ضئيلا، فقد حاول أن يعرض بعضا من هموم عصره وهمومه الخاصة. . . ومحاولة منه للتوحد مع التراث يضع نفسه دائما في وضع المعارضة. . . كما يقول د. عز الدين إسماعيل في دراسة موفقة عن توظيف التراث، وهو يرى أن الاستغراق في النموذج الجمالي القديم يحّد من فاعلية الوعي بالتراث حين يراد تقديم صياغة جديدة له.

وهناك محاولة أن يقيم المثقف نوعا من التوازن ما بين بعض الإيجابيات من معطيات هذا التراث ومقتضيات العصر، وأن يشجب بعض السلبيات. . . إنه الإحساس بتغير الزمن. . . ومن الصعوبة أن يصلح التراث لكل زمان ومكان. . . إذ الحياة تتطور وتغير. . . والتراث وإن كان من الثوابت داخل إطار الكتب القديمة، إلا أن التغير لا بد وأن يلحق به إذا خرج عنه. . . وهناك من يأخذ من النموذج الغربي «القالب» فقط، ثم تكون مادته التي يصوغها وثيقة الصلة بترائه ورصيده الثقافي. . . شوقي في (مجنون ليلى) رأى أن يعيد للناس الحكاية الطريفة. . . الحكيم في (أهل الكهف) لا يركز على حكاية النوم الطويل - هي معروفة من قصّها مع صلاة الجمعة كل أسبوع - لكنه كان يريد أن يجعل منها منطلقا لمناقشة قضية الإنسان والزمن. . . لقد فجّر الحكيم هذه المادة من باطنها تفجيرا، وصنع بها ما جعلها معاصرة بكل المقاييس.

وهناك مثل يخلو لي أن أضربه في هذا الشأن، وأعني به ما كتبه ليوليوني الكاتب العالمي للأطفال - والذي أقامت له مكتبة الكونجرس في ١٢ مايو ١٩٨٨م بإشراف سابيلا ياكوش - احتفالا كبيرا تقديرا لفنه وأدبه - إذ إن قصته (فردريك) تعتبر عملا فريدا في هذا الباب. . . لقد قرأ إيسوب في النملة والصرصار كما قرأناها جميعا. . . النملة تجمع طعامها خلال شهور الدفء، والصرصار يلهو ويعبث، وعندما جاءت فترة البيات الشتوي ودخلا الجحر عاشت النملة، ومات الصرصار. . . وإيسوب - تراثيا - ليس أسهل من اللجوء إليه للأطفال، إذ قصصه المركزة ذات المغزى الأخلاقي تُغري بتناولها وكتابتها من جديد. . . بل إن واحداً من كتابنا وظفها مجرد أن يضع كلمات نستخدمها ونظنها عامية بيتها هي

فصحى!، أي إن التوظيف هنا لغوي لا أكثر ولا أقل. . . كما أن مخرجا تليفزيونيا قدم هذه الحكاية، بعد أن استبدل الصرصار - الحشرة غير النظيفة! - بطائر هو «نقار الخشب» الذي يشاهده في المسلسلات الأمريكية، وبذلك دمر القصة، إذ لا حاجة لنقار الخشب بجمع الطعام، إذ ليس عنده بيات شتوي! . . . أما الذي صنعه ليوليوني في قصة فردريك فقد اختار مجموعة من الفئران تجمع الطعام، بينما فردريك لا يفعل ذلك، إنما هو يمضي بين الحقول، وعلى الشط، متجولا مفكرا، ملتقطا للصور الفنية الجميلة. . . وعندما يجي الشتاء وتدخل الفئران جحرها يتهدد الموت فردريك، وإذا به يحدث أصحابه عما جمعه من صور خلابة، وأفكار جذابة، وتقرر الفئران أن تمده بالطعام إذ نجح في تحويل الحجر الرمادي إلى جنة خضراء، كما حول الشتاء إلى ربيع بما حدثهم عنه من صور وأفكار جمعتها خلال تجواله. . . إن ليوليوني يريد أن يقول للأطفال: إن هناك «مفكرا» و«فنانا» له مهمة كبرى، وعلى المجتمع أن يطعمه لقاء ذلك. . . إنه لم يقلل من قيمة العمل البدوي، لكنه أضاف إليه العمل العقلي والوجداني، وبذلك قدم لنا قصة لها أبعاد جديدة، ونظرة عميقة.

وفي تقديري أن الكاتب المبدع - وحده - هو القادر على أن يخرج من التراث بمثل هذا العمل الفريد الذي يعتمد على التراث من جانب، وفيه إبداع من جانب آخر، ويؤكد هذا أن التعامل مع التراث فن في حد ذاته.



توفيق الحكيم



أحمد شوقي

ولست أريد أن أعيد ما قرره د. عز الدين إسماعيل من توظيف التراث وتفجيره بل ومواجهته، فلکم أن ترجعوا إليه، وأن ترجعوا أيضا إلى كتاب «ألف ليلة وحكايات الطفولة» الصادر عن دار ثقافة الأطفال في بغداد، والذي يتحدث عن الفهم العميق لألف ليلة، والاكتشافات الغربية في هذا الكنز التراثي العربي الفريد. . . إن برنوبلتهيم يرى في حكاية الصياد والعفريت شيئا يتجاوز ما جمعه الأخوان جريم، ويحلل تحليلا رائعا مراحل بقاء الطفل وحيدا في البيت، مع مراحل بقاء العفريت حبيسا في القمقم، ويخرج بنتائج غاية في الأهمية، تكشف لنا سر خلود هذا العمل. . . كما أنه يحلل السندباد البري والبحري بنفس العمق، ويستدل من حكاية السندباد أننا، نحن العرب، قد عرفنا الأنا والأنا الآخر قبل فرويد ويونج. . . وفي هذا الكتاب نجد مصباح علاء الدين حلما لكل طفل، في أحلام يقطهه وأثناء نموه، لذلك أحبها الأطفال من كل عقولهم وقلوبهم.

يربط بين الغارات الجوية المعاصرة وما بين الطير الأبايل التي رمتهم بحجارة من سجيل . . وهكذا، كان التراث - والديني منه - موحيا بالكثير من الأمور المعاصرة التي تقرب هذه الأعمال إلى الأطفال .

القصص الشعبي تجمع نصوصه وتُدرّج كما هي، بلا زيادة أو نقصان، ويحتفظ بها للدراسات العملية، لكنني لا أتصوّر تركها مخزونة مقدسة، لا تمتد إليها يد بالتغيير والصياغة، من أجل الأطفال . . ومنذ وقت بعيد أدركت أن هذا حق لنا جميعا، ويتوقف الأمر على الوعي بأهمية التراث وحسن التعامل معه واحترامه . . وقد تجاسرت على صياغات جديدة للتراث الشعبي القديم، وللتراث التاريخي، لا غير ولا أبذل في الأحداث، وإن أضفيت على العمل بعض جوانب جديدة، لا تخرجه قط من إطاره . .



فاروق خورشيد



صلاح عبد الصبور

وأضرب لذلك مثلا . .

إن قصة الملك عجيب بن خصيب واحدة من قصص ألف ليلة وليلة وقد صاغها كامل كيلاني في كتاب روى فيه الحكاية مبسطة . . وتناولها صلاح عبد الصبور في قصيدة عنوانها «من مذكرات الملك عجيب بن خصيب» فيها الكثير من التداعيات التي تتوالى مستمرة كلمات بذاتها، وكتبها شخصيا في سياق كتاب يتحدث عن «بيت الإبرة» أي البوصلة التي صنعها العرب - وليس الصين - ودلت بالحكاية على أن العرب عرفوا قصص الخيال العلمي . . إذ تحدثت الحكاية عن جبل المغنطيس الذي يجتذب المسامير من السفن فيغرقها . . ولم يقف العرب عند حد الحكاية الخيالية العلمية، بل استفادوا من معرفتهم بالمغنطيسية في اكتشاف البوصلة، ومن بعدها الاسطرلاب، - البوصلة البحرية - وما أظنني بذلك إلا محترما للتراث، مشيدا بدوره، عارفا لقدرة .

وكننت مع التراث الشعبي أكثر جسارة، فقد اقتربت كثيرا من أساذتي د. سهر القلماوي، وأيضا من د. عبد الحميد يونس، ود. عز الدين إسماعيل، ود. نبيلة إبراهيم، ومن صفوت كمال وفاروق خورشيد وإبراهيم شعراوي، وكانت الثمرة عدة أعمال من بينها خيال المآته - ٣ ملايين نسخة - تلك الدمية الشعبية الرائعة التي تقف حارسا لحقولنا . ثم «الفلوس والنفوس» و«العقل زينة»، وتضم عددا من القصص الشعبية أعدت صياغتها من جديد، واستقيتها من الحكايات الشعبية العربية التراثية، وقصة (الرزور) رويت لي في الإمارات العربية المتحدة ووجدتها في كتاب بالإنجليزية جمع الأدب الشعبي العربي في المغرب قبل أكثر من مائة

إن التعامل مع التراث يحتاج إلى حس فني، ودراسة علمية، ولا يمكن أن يترك نهبا لمن لم يقتربوا منه قريبا حقيقيا، ومن لم يتعاملوا معه في إجلال واحترام، تعامللا يصل به وبهم إلى بر الأمان . . وقد وجدنا في أساتذة الفنون الشعبية حراسا أشداء لهذا التراث - عمليا - ويتبقى أن نجد منهم ومن كتاب الأطفال الحقيقيين من يتوفرون على هذا التراث دراسة وتحصيصا، ومن يبذلون جهدا حقيقيا في تناوله بحيث لا يفقده قيمته .

والحق أن تجربة «فاروق خورشيد» مع التراث عامة، ومع سيف بن ذي يزن خاصة تستحق منا وقفة طويلة، ولا بد من دراستها . . إذ صاغ السيرة، ثم كتب عملا روائيا رائعا، أبدعه من عنده، عقد بطولته لتلك الشخصية النادرة . . وقد حصل على جائزة الدولة عن هذا العمل، وفي تقديره أن الفكرة ذاتها تستحق ما فوق الجائزة . . أن يستلهم التراث «ويعصره» بهذه الصورة الرائدة .

تجربتي الذاتية في التعامل مع التراث للكتابة للطفل العربي

من الواضح أنني قد استفدت من كل ألوان التراث في كتاباتي للأطفال . . ولعل أوضح مثال كتاب (حياة محمد ﷺ في عشرين قصة)، وقد تناولت فيه السيرة النبوية من التراث الديني، وسقتها على أسنة (فيل أبرهة، وحمار حليلة السعدية، والثراق، والناقة التي نقلت الرسول ﷺ إلى المدينة و . . الخ) مستثمرا تراثنا: كليلية ودمنة من جانب، والأسد والغواص من جانب آخر - لكي أيسر قراءة السيرة لأطفالنا، وكان من ثمرة ذلك نحو ستة ملايين نسخة من هذا الكتاب الذي قرأه أطفال في الصف السادس الابتدائي .

وكان ذلك في فترة مبكرة من كتاباتي للأطفال، إذ أدركت بحسني أنني وريث لهذه الكنوز، وأنتي أصبح سفيها إذا أنا لم أستفد من هذا التراث الذي خلفه الأجداد . . وعندما أردت أن أقدم أبطال المسلمين وفرسانهم إلى الأطفال تنبهت إلى أننا قد أعدنا إلى بيوتنا تلك الأسماء العظيمة (خالد، أسامة، طارق، عمر، سعد بن أبي وقاص، و . . .)، وتساءلت في بداية كل موضوع: هل اسمك (فلان)؟ هل تعرف من أين أتوا لك بهذا الاسم الجميل الكريم؟! . . إنه عن جدنا (فلان) . . وأقدم العرض مستخدما قيا عصرية في تاريخ البطل . . وأنبئ موضوعي بمجموعة أسئلة من بينها: (هل أنت جدير بحمل هذا الاسم؟! . .)

بل إنني في طفولة النبي ﷺ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - قد كتبت هذا التاريخ التراثي بأسلوب قصصي رويت في البداية قصة (البحث عن الكنز) . . وهو موضوع عشرات من القصص العالمية المعاصرة . . وإذا نحن أمام كنز ثمين من الذهب .

كان الجدود قد طمروه في بثر زمزم، وأخذت قريش غصبا هذا الكنز، لكن البحث استمر عن كنز أغلى وأثمن، هو «بثر زمزم» . . وكان الفصل الثاني عن «أول غارة جوية في التاريخ» . . وما أظن أن أحدا سبق له أن

للأطفال، قدمت لكل قصيدة بسطور قصيرة من النشر تتيح للقارئ الصغير أن يفهمها . . وأتبع ذلك بجمع كل شعر شوقي للأطفال بمقدمة ودراسة، تحت عنوان (ديوان شوقي للأطفال) . . وأسعدني أن ينقل عنه الكثيرون للمجلات بل وامتد الاهتمام به للمسرح . . وبعدها جمعت شعر المراهوي في ديوان، كما نشرت للأطفال من أعماله (أنباء الرسل) الذي صاغ فيه قصص الأنبياء شعراً، وقدمت للقاصد بشرح بسيط . . واكتشفت أن له خمس مسرحيات للأطفال كتبها ما بين ١٩٢٢ - ١٩٢٩م، من بينها مسرحيتان شعريتان، واستحق بذلك لقب (رائد مسرح الطفل العربي)، وأصدرت كتاباً بمقدمة عن مسرح الطفل، وجعلت من هذه العبارة عنواناً للكتاب . . ومن بعد ذلك قدمت ديوان (معروف الرصافي) للأطفال، مشروحة قصائده بإيجاز، ونشرته دار ثقافة الأطفال في بغداد . . وأخيراً قدمت (ديوان كامل كيلاني) من هيئة الكتاب، واستخرجت منظوماته من كتبه العديدة. وأعدت إصدار ديوان (آداب العرب) الذي نشره إبراهيم العربي عام ١٩١١م . . وديوان (العيون اليواظ) لصاحبه محمد عثمان جلال، موضع اهتمامي الآن، وسيصدر قريباً بإذن الله .



كامل كيلاني



معروف الرصافي

كيف تعاملوا

مع تراثنا التاريخي والشعبي؟

تعودت أن أعرض بعض الكتب والمراجع في محاضراتي . . واكتشفت أن الذي أغفله تلقائياً واحد من الزم الأمور العلمية في جامعات أمريكا . . ولاحظت أن جميع الأساتذة في تلك الحلقة الدراسية التدريسية التي أقامتها جامعة رايت ستيت في ديقون بولاية أوهايو حول الأدب الشعبي للطفل، أن الأساتذة يدخلون وكل منهم يدفع عربة محملة بالمراجع . . والناذج . . وعندما حل دوري لأتحدث عن تراثنا الشعبي العربي سألني المشرفون عن الحلقة عن المراجع والناذج التي سوف أصطحبها، وكتبي بالقاهرة، وطلبوا أن أشاهد مكتبتهم، فقد أجدها ما يفيدني . . وإذا بي يوم محاضرتي أدفع أكثر العربات حولة . . مئات - بلا أية مبالغة - من الكتب من تاريخنا الفرعوني والبابلي والآشوري والفينيقي، بل واليميني صيغت للأطفال . . وأكثر من ماتني كتاب عن ألف ليلة وليلة . . وبقدرة ما كنت فخوراً بكل هذا الذي أخذه عنا كنت أشعر بحسرة حقيقية في داخلي، فما أظن أطفالنا قد استمتعوا بألف ليلة كما حدث للطفل في بلادهم، إذ إن

عام، ووجدتها في كتاب «قصص الموصل الشعبية» بالعربية، وجمعها صفوة كمال من الكويت . . وتناولتها مع بعض التغيير الذي أزعج أنه كان لصالح العمل . . إن شوكة دخلت في رجل الزرزور وذهب للمرأة التي تحبز، فأخرجت الشوكة من قدمه، وأعطتها له ولكنه ردها إليها، فألقته في الفرن لتحترق، وإذا بالزرزور يعود ليطلب الشوكة . . وترك الخبز في حراسته لتأتي له بواحدة بدلها، فيحمل الخبز ويطير به . . ويجد راعياً يأكل التمر واللبن ويعرض عليه الخبز ومشاركته الطعام، ويقبل الراعي على الخبز فيلتهمه ويطالبه الزرزور به فيترك الغنم في حراسته ويذهب ليأتي له بخبز بديل، وإذا بالعصفور يربط القطيع ويطير به . . ويجد حفل زواج، فينزل ليشهده ولا يجد لديهم لحماً، ويتبرع بالماشية فيذبحونها ويطالبهم بها الزرزور ويمضي العريس ليأتي ببديل لها، وتبكي العروس . . لذهاب الرجل الذي كان سيعطيها اسمه، وهنا يعرض عليها الزرزور الزواج وأن يعطيها اسمه وهذا التغيير من عندي، إذ جعلت المرأة التي كانت تحبز هي الفتاة العروس، التي تعيد الشوكة إلى قدم الزرزور وهي تقول له:

- أتريد أن تعطيني اسمك ثم تطلب استرداده؟! هذه هي الشوكة التي طلبت أن تستعيدها!

وتَحْزُهُ بالشوكة . . ومن يومها نلمح الزرزور يعرج في مشيته!

لقد تجاسرت على تغيير وتبديل لأجعل من القصة حكاية سببية أضمتها إلى فيض الحكايات السببية التي نشرت منها كتابين منذ قرابة عشر سنوات بعنوان (عنق الزرافة وقصص أخرى) و(أذان الدين وقصص أخرى) وهي حكايات شعبية تراثية أغلبها أفريقي . . نشرتها دار الشعب ١٩٧٩م . . ثم صدرت لي عن دار الفتى العربي «حكاية شعبية أفريقية» مترجمة، وفي مقدمتها أشرت إلى ما قاله المستشرق بروتون من أن الاستعمار سرق من قارتنا ربع مليون حكاية شعبية - بجانب البترول والقطن والسكر و . . . وأن طفل النيجر لا يعرف قصص نيجيريا، وطفل غانا لا يعرف حكايات غينيا، والعكس صحيح، بينما أطفال الغرب يتمتعون بحكايات أفريقيا كلها!

وقد تجاسرت على قصة الصياد والعفريت، أكثر من مرة . . آخرها (عفريت الزجاجة القزم) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - وقد جعلت فيه المارد مجرد عقلة إصبع، فأصبحت القصة كوميدياً ضاحكة . . وكنت قد تجاسرت عام ١٩٥٧م على القصة، وصغتها في إطار سياسي، وأرى من الضروري أن أثبت هنا وثيقة تؤكد كيف كان تعاملنا مع التراث، وقبل أكثر من ثلاثين عاماً . .

محاولة جمع التراث

الشعري المدون للأطفال

لفت نظري بذلك الاهتمام الكبير بشعر الأطفال، عالمياً . . بينما نحن - أصحاب عكاظ والمربد - لم نعد نؤليه ما هو جدير به من رعاية . . ولا بد من تدريب الصغار على تذوق الشعر منذ نعومة أظفارهم ليشبوا على حبه . . وكانت ذكرى مرور نصف قرن على رحيل أمير الشعراء أحمد شوقي - رائد أدب الطفل العربي - فرصة لتقديم (قصص في قصائد) في ستة كتب

علاء الدين والسندباد وعلي بابا معروفة له بقدر ما يعرف ميكى ودونالد
دك واستريكس وساحر أوز وأليس في بلاد العجائب . .
وهم يرون أن التراث الشعبي وراء أكثر من ثلاثة أرباع قصص
الأطفال ، وأن قرابة عشرين بالمائة مكتوبة بنفس طريقة الأدب الشعبي . .
ويرون أن الإبداع الكامل لا يتجاوز خمسة بالمائة من كتب الأطفال !
هل نحاول أن نستفيد من تجربتهم وتراثهم ؟!

التراث معين لا ينضب، وعلينا التعامل معه بضمير حي ..

محاولة تدمير التراث

والعبث به في الكتابة للأطفال

يتصور بعضهم أن التراث نهب مباح ، وبلا صاحب . . وينسون أنه
ملك للإنسانية ، والشعوب ، وأنها حريصة عليه كل الحرص ، وهي
بالمرصاد للصوص والعابثين والقاطعين عليه الطريق . . وهؤلاء البعض
عن لا أخلاق لهم ، ولا ضمير يقومون حيناً بالسطو على التراث ، ووضع
أسماؤهم عليه في صفاقة ليس لها نظير ، وهم يعتمدون على اتساع الرقعة
الثقافية ، وتنوع جهات النشر ، وصمت النقد الواعي البناء إزاء أفعالهم
المشينة . . هم يسرقون الماضي ، والأكفان ، ويظنون أن الحاضر غافل
عنهم ، كما أنهم يتغافلون عن المستقبل واكتشاف جرائمهم ، لأن المستقبل
ليس في حسابهم ، وليس لهم شخصياً أي مستقبل ، إذ سوف تدفن
أعمالهم معهم ، ولن يبقى منهم شيء للتاريخ . . وهو لا يعينهم ، وهم
على يقين أنهم لن يذكرهم إلا بكل سوء . . وكثيراً ما تتساءل عن موقف
هؤلاء إذا ما قال لهم طفل : لقد قرأنا هذا العمل لكاتب أجنبي ! ، وفي
تقديرنا أنهم ، وقد قرروا أن يغطوا بالصوت العالي على مثل هذه الجرائم ،
ارتضوا لأنفسهم هذا الحجم الضئيل وذلك الإحساس الفقير في مقابل
ما تدره الصفاقة من مال . . لقد تجاوزوا حد البلادة والصفاقة . . وواحد
منهم سرق من كتاب المطالعة القديم قصة ، نسبها إلى فريقه ، مع أن تمثالا
شاحنا لبطلنا يقوم في أمستردام عاصمة الدولة التي وقعت فيها الحادثة . .
وذهب هذا الواحد إلى مدى أبعد حين قدم عمله هذا طالبا منحه عليه
جائزة الدولة التشجيعية ! . . ولقد وضع اسمه يوما على قصة لتولستوى
على أنها من تأليفه ، ونقل حرفيا من التراث الصيني المترجم قصصا نسبها
لنفسه . . هم يظنون أن التراث بلا حراس . .

وهذا نموذج للإساءة البالغة التي يوجهها أمثال هذا الناقل إلى
التاريخ والتراث معاً ، في أعمال منشورة ، لا يصرى ذمة ولا ضميرا ، وإنما

يشكل مع أمثاله عصابة هي في تقديري أفظع من عصابات سرقة أكفان
الموتى . .

قصة زمار هاملين أشهر من أن تقدم . . قصة الرجل الذي قرر أن
يخلص مدينة من فتراتها ، ووعده أهلها بالمكافأة ، واستخدم مزماره في
جذب الفئران والنزول بها إلى البحر لتغرق . . وعندما أخلف أهل المدينة
وعدهم عاتبتهم باجتذاب الأطفال بأنغامه ! . . لقد وضع هذه القصة
الشعبية التراثية في إطار التاريخ الفرعوني وبذلك أساء إلى الأسطورة
المعروفة إساءة دمرتها ، كما أساء إلى تاريخنا إساءة لا تغتفر !
قصة الحاكم أو السلطان الذي وضع حجرا على الطريق ، ومن تحته
بعض المال ، لكن أحدا من الشعب لم يحاول أن يزيع ذلك الحجر من
الطريق . . الشعب سقط في تقدير هذا الناسخ الذي لا يمكن أن يوضع
في صف الكتاب ! . . الحاكم دائما هو على صواب والشعب هو
المخطئ . . إنها القصص التي كانت تدعم حكم الفرد ، وتراه أصلح ما
يكون ، إذ السلطان عبقرى والشعوب غبية . .

وحين يتناول قصة علاء الدين يرى أن «الشعب» قد أخطأ حين ابتدع
هذه القصة ، إذ جعلت من علاء الدين ولدا كسولا ، وكان أجدر بها أن
تجعله نشيطا وذكيا لكي يحصل على المصباح السحري . . ونضحك من
أعماقنا للغباء ، فالقصة تعالج كسلا أصيلا في بعض النفوس ، وتعالج
أحلام البقطة ، وتريد أن تقول : إن كثيرين منا علاء الدين تقبع في
داخلهم الرغبة في أن يحقق لهم العفريت أحلامهم !! وعندما يعرض
للأطفال السندباد يغفل السندباد البري ، لأنه لا يعرف أنه والسندباد
البحري شخص واحد ، وأنها الآننا والأنا الآخر عند فرويد ويونج ،
وتوصلت ألف ليلة قبلهما بمئات السنين إلى ذلك !

وقد يدesh البعض حين نقول إن الذي فعل بالتراث كل هذا :
شخص واحد ! ، فما بالكم إذا جعل هذا الشخص من أسلوبه وطريقته
مدرسة ؟! ، وإذا ما كان له أتباع يقلدونه ، ما الذي ينتظر للتراث مسخا
وتدميرا على أيديهم ؟! . . إن تصور هؤلاء أن هناك من يغفل عن
صنيعهم فهم وهمون ، وسوف تأتي اللحظة المناسبة للقضاء على هذه
الظاهرة التي تستهدف اغتيال كل القيم الجميلة في تراثنا وتاريخنا بواسطة
تجار أدب الأطفال ، ومتعهدي توريده كالمس الزعاف إليهم !

والسؤال : من يحمينا من هذا الذي أبینا أن نطلق عليه لقب كاتب ،
وبعضهم يراه كاتبا كبيرا وشهيرا وجهيرا ؟! ما الجهة المنوط بها وقف هذا
العبث بتراثنا وأدبنا وتاريخنا ؟! . .
وبعد . .

إن قضية التراث ، والتعامل معه كتابة للأطفال لا يمكن أن تستوعب
هذه الورقة التي أراها نظرة أولية لموضوع يحتاج إلى الدراسة الدائمة الدائية ،
ولا بد من محاولات التجريب المستمرة صياغة للتراث ، وإعادة النظر فيما
بين أيدينا منه حين نصوغه للأطفال . . ولا بد لنا من تفجيره واستلهاه ، بل
ومواجهته فذلك هو السبيل الحقيقي للوصول إلى ثمره .

(١) من قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (سورة النساء / ٤٣)

مراثي الطير والحيوان في الشعر العربي

بقلم: د. ناول عبد الهادي

في ديوان الشعر العربي صفحات طويلة لم تقرأ بعد، ولم تجد لها في كتب الدارسين وأبحاثهم مجالاً وامتساعاً، على ما لها من أهمية في الكشف عن بعض الجوانب الإنسانية الخفية في هذا الشعر، بعد أن طغت عليه الصبغة الرسمية، وما يتصل بها من مذاهب وأغراض في نظر كثير من الباحثين، فبدأ الشاعر معها ظلاً لغيره، وصار صوته صدى لأصوات الآخرين، وأصبح الشعر سلعة نافقة في أسواق الممدوحين، وكان لارتباط دراسته بالتاريخ أثر كبير في ذلك.

جعل وكده في مدح البهائم ومراثيها، فاستغرق أكثر شعره في ذلك (٢) وقد روى له الصولي عدة قصائد طويلة في رثائها وقال: «وهو أشعر في فنه الذي أعجبه من مراثي البهائم من جميع المحدثين، حتى إنه لرأس فيه، متقدم جميع من نحاه، وما ينبغي أن يسقط شيء من شعره، لأن كله مختار، وللناس فيه فائدة، ولا يوجد مجموعاً، وأنا أذكره على القوافي» (٣). وبدأ هذه المراثي بقصيدته التي يرثي فيها عنراً أسود، ومنها قوله:

يا عين بكّي لعنزنا السوداء كالعروس الأدماء يوم الجلاء
ذات لون كالعنبر الورد قد عدل بها فاق لون الطلاء
أذن سبطية وخد أسيل وابتناسم عن واضحات نقاء
أصبحت في الثرى رهينة رسم وثناها حي لدى الأحياء
كيف لي بالعزاء لا كيف عنها سلبتني السوداء حسن العزاء
كيف يرجو البقاء سكان دار خلق الله أهلها للفناء

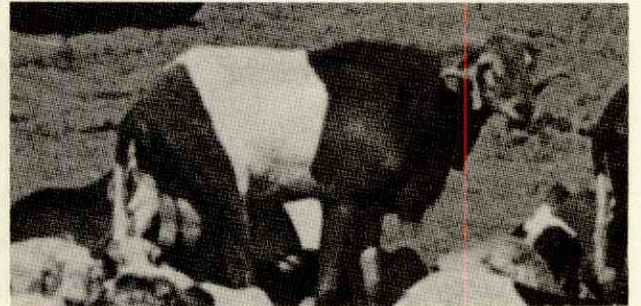
وهي قصيدة طويلة، بلغت عدة أبياتها سبعة وأربعين بيتاً، فكانت بذلك أطول من قصيدته في رثاء العمري إذ بلغت أبياتها تسعة وثلاثين بيتاً وإن كانت هذه القصيدة تفوقها في حرارة العاطفة وقوة التأثير ومنها قوله (٤):

هل لامرئ من أمان من ريب هذا الزمان
أم هل ترى من نجاة من طارق الحدثان
ما اثنان يجتمعان إلا سيفترقان
كان المطوق خدناً من أكرم الأخدان
وصاحباً خليلاً من خالص الخلائ
وكان طلقاً ضحوكاً يجيب كل أوان
فغاله حادث من حوادث الأزمان
فالقلب فيه كلوم من لاعج الأحزان
وفي الحشا لاذعات كمشعل النيران
والفلتان سجوم دمعاهما تسكفان
وذي سفاه لحاني لم يعنه ما عتاني
يلومني وهو خلوي لم يحشه ما جشاني
رددته بصغار وذلة وهوان

ومن هذه الصفحات المشرقة في الشعر العربي ما قاله الشعراء في مراثي الطير والحيوان من قصائد وأشعار كثيرة ذات صبغة إنسانية نادرة قلما نجد لها نظيراً في أشعار الشعراء، لما اتسمت به من صدق في الشعور، ورقة في العواطف وبراعة في التعبير، وطرافة في الموضوع. وقد كان للطير والحيوان نصيب وافر جداً من أشعار العرب. وقد عبر الشعراء من خلال هذه المراثي عن مشاعرهم الصافية تجاه هذه المخلوقات الوديدة بعد موتها، وما يخلفه فقدها من حزن عميق، وأسى بالغ في النفس عامة وفي نفس الشاعر خاصة ولدى أهل بيته وجيرانه، وكانت قصائدهم في ذلك ذات سمات خاصة، قد تتفوق فيها على مراثي بني الإنسان.

ومن أوائل الأشعار التي نجدها في هذا الباب أرجوزة لأبي نواس في رثاء كلبه خلاب، بعد أن مات بلسعة حية فقال في رثائه (١):

يا بؤس كلبى سيد الكلاب قد كان أغناني عن العقاب
يا عين جودي لي على خلاب من للضياء العفر والذئاب
خرجت والدينيا إلى تباب به وكان عدتي ونابي
فبينما نحن به في الغاب إذ برزت كالحلة الأنياب
رشقاء جرداء من الثياب لم ترع لي حقاً ولم تحاب
فضراً وانصاعت بلا ارتياب كأنها تنفخ من جراب
لا أبُت إن أبُت بلا عقاب حتى تذوقي أوجع العذاب



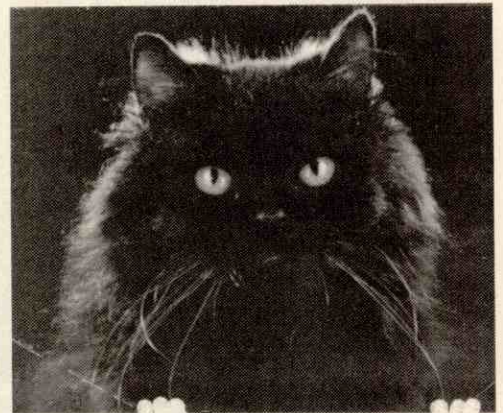
وهي إحدى طردياته الكثيرة، ولم تبلغ ما بلغته مراثي بعض معاصريه ممن برع في هذا الفن، وكانت له بدائع كثيرة فيه، تدل على أنها أبيات صدق وأسى عميق، وقدرة فنية فائقة، كما هو الشأن في مراثي القاسم بن يوسف «وكان قد

هيهات مالک ثنان مقارب أو مـداني
فـاذهب حـميداً فقيراً فما خلا الله فـلاني

وقد كان هذا الشاعر مرزاً حقاً، إذ غاله الدهر بأحب الخلائق إليه فقضى أخوه الوزير أحمد بن يوسف وزير المأمون، ومات عدد من أبنائه، ولم يبق له على ما كان يؤنس وحدته من الطير والحيوان، حتى فرخ دجاج صغير لم يكد يشب عن الطوق فأرداه الردي صريعاً قبل أن يبيض فرثاه رثاء مؤثراً أو حكياً بقصيدة طويلة يقول فيها (٥):

أوحشت منك أبـا سـعـد عـرـاصـ وديـار
فـجـعـتـنـا بـك أـقـدـا رـلـها فـيـنـا الخـيـار
عـثـر الـدـهـر بـنـا فـيـد كـلـلـدـهـر عـثـار
وـتـوـلـت بـك أبـا مـن العـيـشـن قـصـار
وبـكـي يـومـك أهـلـو نـوجـارـات وجـار
يـا أبـا سـعـد فـلا تـبـد عـد و إن شـطّ المـزار
وسـقـت حـفـرتـك الغـيـث و جـادـتـها القـطـار
إنـما الـدـنـيـا مـتـاع و إلی الله الـهـجـار
كـم رأینـا عـیـراً فـيـهـا لـذي اللـب اعـتـبار
وله في رثاء هرة قصيدة طريفة يقول فيها (٦):

ألا قل لمـضـة أو مـا رده تعـزـوا عن الـهـرة الصـائـدة
وإن رحلت عنكم نـعمـة فـفي غـدكم نـعمـة و افـدة
يقولون كانت لنا هـرة مـريـبة عـندنا تـالـدة
وكنـا بصـحـبـتها حـامـديـن و كانت بصـحـبـتنا تـالـدة
فـقـنّ لـها عـارـض للـرـدي فأجـست بـرـبـتها هـامـدة
وأصبحت الفـأر في دورنا أوامـن صـادـرة واردة



ولعل مما لا يخفى ما في هذه المراثي من كناية وتعريض، وحكمة وعبرة، وقد استغنى هذا الشاعر بمدح هذه المخلوقات وراثتها عن غيرها من السادة من بني الإنسان ولعله وجد فيها ما لم يجد فيهم من رقة وطيب معشر ووفاء، وإن كانت له قصائد رائعة في الزهد والرثاء أيضاً (٧) كما قيل في رثاء الحيوان قصيدة لأبي الحسن علي بن محمد التهامي (ت ٤١٦ هـ) يرثي فيها قطاً له سقط في بثر فها ت فقال (٨):

ولما طواك البين واجتاحك الردي
ولو كنت أدري أن بشرًا تغولني
ولكن أيدي الحادثات بمرصد
فهل نأفمي أي رثيتك بعدما
فما أنت إلا مثل حظي الذي نأى
وتصحيفه باق يصور في الخط



على أن أجود ما قيل في رثاء الطير والحيوان من أشعار، قصيدة أبي الفرج الأصبهاني التي رثي فيها ديكاً له يدعوه «أبا نذير» وهي «من جيد ما قيل في مراثي الحيوان، ومن مختار الشعر، عذبة الألفاظ بديعة المعاني، مطردة الأجزاء، منسقة القوافي» (٩) كما قال ابن شاعر الكتبي في تصديره لها، وقد نقلها إلينا كاملة على طولها، ومنها قوله:

خطب طـرقتُ به أمر طروق
فكأنها نوب الزمان محيططة
ذهبت بكل مصاحب ومناسب
حتى يدريك كنت ألف قـربـة
لهفي عليك «أبا النذير» لوأنـه
أبكى إذا أبصرت ربك موحشا
ويزيدني جزعا لفقدك صاح
صبراً لفقدك لا قلى لك بل كما
لا تبعدن وإن نأت بك نية
في منزلة نائتي المحل سحيق

وهي طويلة ومؤثرة، وفيها أوصاف بديعة، ومعانٍ لطيفة، ومشاعر رقيقة، وألوان زاهية، وحكم بليغة قلما نجد لها نظيراً في غيرها من مراثي الإنسان أو الحيوان. ومهما يكن فإن هذا الشعر الفريد يعد بحق من أروع فنون الشعر العربي على اختلاف أغراضه ومذاهبه وأساليبه، لما فيه من روح إنسانية، وحرارة عاطفية، وصدق في الشعور، وبراعة في التعبير، وقدرة فنية فائقة، تجعله جديراً بالدراسة والتقدير بعد أن طغت على هذا الشعر بعض الصفات التي قد لا تمثله أصدق تمثيل، أو تعبر عنه خير تعبير.

المصادر والمراجع

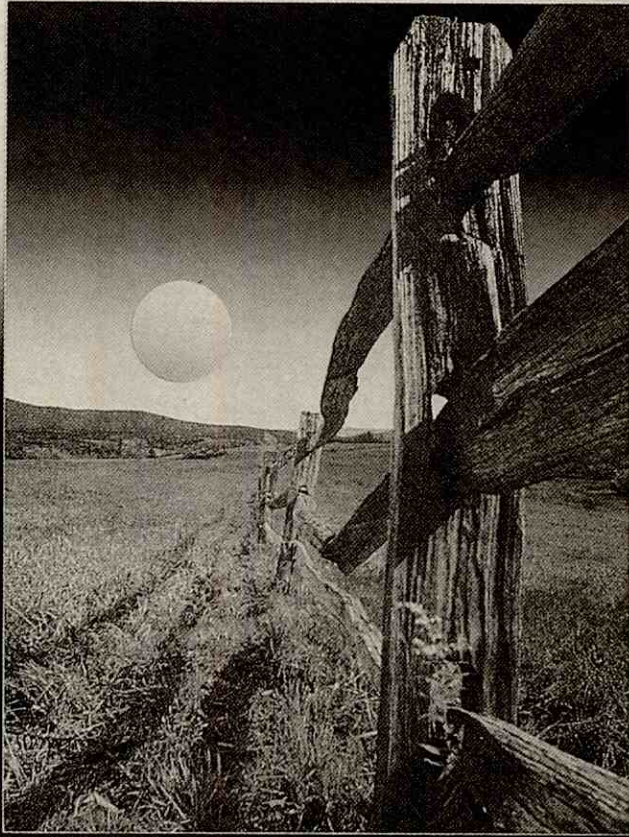
- (١) ديوان أبي نواس ص (٢٦٠)
- (٢) الأغاني (١١٨/٢٣).
- (٣) المصدر نفسه.
- (٤) المصدر نفسه.
- (٥) المصدر نفسه.
- (٦) المصدر نفسه.
- (٧) الأغاني (١١٨/٢٣).
- (٨) رحلات محمد الجاسر - ص (٢٣٥)
- (٩) نسخة من ديوانه الخطية.
- (١٠) المصدر نفسه (الأغاني).

الذي يُوَضِّعُ الحدود
يمثل العقبة الاولى والعظمى فى مسيرة الصحافة الحرة..!
ونحن في ..

دارت الهند للصحافة والنشر

السلام

وضعنا منذ سبع
وخمسون عاما نصب
أعيننا اختراق تلك
الحواجز والسدود فى
سبيل صحافة حرة
بلا حدود!



سبع وخمسون عاما فى خدمة القراء

المركز الرئيسى: جده - الشرقية: ص.ب: ٢٩٢٥ رمز بريدى: 21461 - برقيا: المنفل . فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ -
ت: ٦٤٣٢١٢٤ ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٢٥٦٨٧ - مكتب الرياض: ص.ب: ٢٩٠ ت: ٥٥٤٢٤٣٢

البصمة

معجزة الله في خلقه

بقلم: الأرمي صميد

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النحل ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة﴾ (النحل - ٨٩). فليس المقصود من التبيان صفة خاصة، ولكن على ما يبدو أن المقصود هو شمول القرآن للجوانب الإلهية، والبشرية والمعاشية والأخروية، فالقرآن هو كتاب لكل شيء بما في ذلك قضايا الإنسان وحقائق الكون ونظام الحياة ومصائر البشرية ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام - ٣٨).

كيمياء الخلايا.. فالناس جميعاً من دم ولحم وعظم وروح.. أصلهم جميعاً من تراب ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ (الروم - ٢٠). ويقول جل وعلا ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ (الصافات - ١١).

ومع هذا التشابه في الخلق العام لا يتطابق إنسان مع غيره تطابقاً تاماً في كل التفاصيل الجزئية كالمزاج والطباع ولحن الصوت والقسيمات وشكل العظم والرائحة، كما انفرد كل منا في تفاعله الكيماوي مع نفسه، ليفرد ببصماته التي يحملها وحده دون سائر البشر، والصفات الخاصة منها ما هو ظاهر على سطح جسمه، ومنها ما قد يفرضه الجسم.

البصمات في القرآن

الإنسان كله بصمات فلراحة اليد بصمة وللقدم بصمة وللشفتين بصمة وللأذنين بصمة، وللدم بصمة وللعاب بصمة، وللصوت بصمة، وللشعر بصمة، ورائحة العرق بصمة، وللكر وموسمات بصمة، وللعيون بصمة، ولأصابع الطيور بصمة، ولأصابع اليد بصمة، وقد وردت الإشارة في القرآن

وقد كان التبيان وما يزال السمة البارزة في القرآن الكريم، إذ ليس ذلك تفصيلاً للأحكام والآيات فحسب، بل هو تفصيل عام شامل في كل منحى من مناحي الحياة الدنيا والآخرة، فالشريعة الإسلامية تسمو، وتستوعب كل حقل من حقول الحياة، ومن ذلك اكتشاف الجريمة. خصوصاً وهي حريصة على تأكيد الحق وإزهاق الباطل، ومعنية بحفظ النفس، متجنبة إهدار دم الإنسان إلا بحق، وكثيرة هي الأشياء التي أشار إليها القرآن ولم يتنبه إليها العلماء إلا مؤخراً لتوافر الأدوات المساعدة على إبرازها وتطورها وإدراك حقيقتها. ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾. (الاسراء - ٨٥).

ماهية البصمات واكتشافها

قبل التحدث عن البصمات ومن اكتشفها. لابد من الإشارة إلى حقيقة ومعجزة أخرى من معجزات الخالق البارئ المصور في خلقه وهي: التشابه في الخلق والاختلاف في البصمات.

خلق الله الناس جميعاً مشتركين في وحدة الخلق، ووحدة البنيات والتركيب، ووحدة وظائف

الكريم إلى هذه الأخيرة كما وردت لغيرها من البصمات.

جاء في سورة القيامة (الآيات ١ : ٤) ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ ولا أقسم بالنفس اللوامة* أبحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه* بلى قادرين على أن نسوي بنانه*.

والبنان هو أطراف الأصابع، لقد أنكر الكفار والمشركون والملاحدون الجاهلون إبان البعثة المحمدية وحتى اليوم البعث بعد الموت والغيب جملة، وكيف يجمع الله العظام النخرة البالية الذاهبة في التراب

لإعادة بعث الإنسان حيًا، فأجابهم الخالق إجابات شافية ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ أي بلى نجتمعها ونحن قادرون على أن نعيد أطراف أصابعه التي هي أصغر أعضائه وأدقها أجزاء وألطفها التثامًا، فكيف بكبار العظام؟

ويقول المفسرون: لقد اختار الله أطراف الأصابع لما فيها من غرابة الصنع ودقته، وذلك لأن الخطوط والتجاويف الدقيقة الموجودة في أطراف الأصابع لا يباثلها خطوط أخرى في أصابع شخص آخر على وجه الأرض. ولقد بقيت هذه الآية المعجزة في غيب الله إلى أن أظهرها الله للناس في القرن الماضي.

تعريف البصمات

البصمة هي خطوط بارزة (RIDGES) تحيط بها خطوط أخرى متخفية (FURRAUS) تأخذ أشكالاً مختلفة على جلد أطراف الأصابع والكفين من الداخل، وهذه الخطوط تترك أثرها على كل جسم تلمسه، وخاصة الأسطح الملساء. ويقول العلماء إن البصمة تتكون من بداية الجنين فيما بين الأسبوع الثالث والأسبوع السادس والأسبوع الثالث عشر، وتبقى إلى أن يموت الإنسان، وإذا حفظت الجثة بالتحنيط أو في الأماكن الثلجية تبقى البصمة كما هي لآلاف السنين ولا يتغير شكلها. وحتى إذا ما أزيلت جلدة الأصابع لسبب ما فإن الصفات نفسها تظهر في الجلد الجديد، كما أن بصمة الرجل تختلف عن بصمة المرأة، ففي الرجل يكون قطر الخطوط أكبر منه عند المرأة بينما تتميز بصمة المرأة بالبرقة وعدم وجود تشوهات تقاطعية.

أنواع البصمات

توصل العلماء إلى تقسيم البصمات رغم اختلافها في التفاصيل فجعلوها أربعة أشكال رئيسة وفق ما بها من خطوط متازجة على باقة ووفق ما بها من أنشودة مفتوحة وأخرى متعلقة وهي: *إحداها على شكل قوس أو دوامات أو دواش متعددة المركز، أو عراو أو مركبات.

* ومن الخبراء من جعل الأشكال الأصلية ثمانية وقسموها إلى عدة أصناف، والأشكال الثمانية هي:

(١) البصمة ذات الأنشودة الزندية.

(٢) البصمة ذات الأنشودة (الكعبرة).

(٣) البصمة ذات الأنشودة الدوامة البسيطة.

(٤) البصمة ذات الأنشودة القوس.

(٥) البصمة ذات الأنشودة العريضة.

(٦) البصمة ذات الأنشودة الجيبية المركزية.

(٧) البصمة ذات الأنشودة المزدوجة.

(٨) البصمة ذات الأنشودة القوس التي لها رأس الخيمة.

يشير بعض العلماء إلى أن البصمات كانت تستخدم قديماً في التمييز بين الأفراد، وأن قدماء اليونان قد استخدموا البصمة كعلامة مميزة للإنسان في القرن الثامن قبل الميلاد وورد وصفها لدى بعض علماء التاريخ مثل العالم الإيطالي (مارسيليس ملبيجي) (١٦٢٨ - ١٦٩٤ م) حيث وصف أشكال الأصابع وما تحمله من بصمات، ثم وصف العالم كريستيان هنتال (Christian Hintal) خطوط البصمات دون تعمق ودقة.

ومن الذين اهتموا بدراسة البصمات الباحث الألماني (ج. س. أماسير) الذي أعلن أن ترتيب الخطوط البارزة في الكفين والقدمين لا يمكن أن تتطابق عند شخصين مختلفين قطعاً، وأعلن بعد ذلك في سنة ١٨٥٦ م أن الخطوط الحليمية أي البارزة في بنان الإنسان تبقى ثابتة لا تتغير ولا تتبدل منذ ولادة الشخص حتى وفاته، ودلل على قوله هذا

بتجربة علمية إذ أخذ طبعة بنانه الأيمن، ثم عاد بعد مضي إحدى وأربعين سنة في عام ١٨٩٧ م وأخذ طبعة نفس البنان ثانية فوجد أنه لا يزال كما هو ولم يطرأ عليه شيء من التعديل أو التغيير.

مبتدع طريقة وضع البصمة

وأول من ابتدع طريقة وضع البصمة على الورق باستخدام حبر المطابع هو الطبيب الإنجليزي هنري فولدنز (Henry Faulds) عام ١٨٧٧ م، وفي عام ١٨٨٠ م. شرح طريقة أخذ البصمات، وأوصى بأخذ البصمات العشر، وفي عام ١٨٨٦ م قام العالم السير فرانسيس جالتون بتقسيم البصمات إلى أربعة أنواع، وقال إن هناك أربع مميزات رئيسة للبصمة هي: تفرع خط إلى خطين جزئيين أو أكثر أو انتهاء خط باتجاه الأعلى أو الأسفل. وجود جزيرة أو نقطة - أو وجود حلقة وتسمى هذه تفصيلات (جالتون).

وقد كان الاستخدام العلمي للبصمات عام ١٨٥٢ م بمقاطعة البنجاب في الهند بواسطة الحاكم الإنجليزي (وليم هرتشل) عندما أمر بأن يطبع السكان أكفهم في نهاية العقود والعهود، حتى يضمن عدم إنكار أطراف التصديق حين المقاضاة.

البصمات لإثبات الجريمة

قبل أن يستعمل الشرطة البصمات لإثبات مقترف الجريمة وقعت حوادث مفعجة من القتل والاعتصاب... وكانت الوسيلة لإثبات الجريمة على الجاني هي الشهود، أو الاعتراف من الجاني نفسه وقد يؤخذ هذا الأخير قهراً لاستجوابه تحت وسائل مختلفة، ومن هذه الطرق التي كانت مستعملة تلك التي كانت متبعة من طرف محاكم التفتيش في أسبانيا وتتلخص في إجراء جراحة صغيرة في دماغ المتهم تفعل فيه فعل المخدر فيدلي

تحديد سم الجاني من بصماته
دو وضع احتمالات الإصابع ببعض الأمراض!

اختلاف في البصمات شاهد في الخلق

لبصمتي شخصين مختلفين أي نسبة (١) على (٦٤) ملياراً .

بكل تفاصيل الجريمة ، أو ما كان متبعاً في أثيوبيا -
زمن أسد يهوذا - هيلاسيلاسي : العرش
الكهربائي : أو في سجون النازية . وكلها طرق
تمس كرامة الإنسان كإنسان أولاً لا كمجرم مما
جعل بعض الكتاب والمحامين ومن لهم ضمائر
حية يستنكر هذه الوسائل ويندد بها ومن هؤلاء
(موريس غارسون) الذي يقول في هذا الصدد :
« إن قيود هذه الطريقة تسيء إلى شرف العدالة في
البلاد المتقدمة » .

وعلى أساس هذه الاختبارات منع وزير
الداخلية البريطاني استعمال العقاقير المخدرة في
الاستنطاق عام ١٩٤٨م ، ومنعها وزير العدل
الألماني عام ١٩٤٩م .

وقبل استعمال البصمات بصفة رسمية كانت
شرطة باريس وإيطاليا وبريطانيا تأخذ بمقاييس
دقيقة للجسم حتى إذا ما عاد المجرم أمكن التعرف
عليه ، ولكن هذا النظام وجهت إليه عدة
انتقادات ، مما جعل البعض ينبذ كبريطانيا .
وتم الانتقال إلى نظام البصمات ، وقد اعتمدته بريطانيا
عام ١٩١٠م . أما أول دولة في العالم أخذت بنظام
علم البصمات كشاهد يقيني لكشف شخص
الإنسان والدلالة على هويته المميزة هي دولة
الأرجنتين وكان ذلك عام ١٨٩١م . وقد اختلف في
عدد العلامات اللازمة التي يجب توافرها للمقارنة
بين البصمة المطبوعة والحقيقية من بلد لآخر إلى أن
جاء مؤتمر عام ١٩٦٧م الدولي الذي عقد في
باريس في شهر نوفمبر ، حيث تم الاتفاق على
توحيد عدد العلامات في مختلف دول العالم باثنتي
عشرة علامة مميزة حتى لا يتاح للهاربين الإفلات
لسبب الاختلاف العددي لأخذ البصمات من دولة
لأخرى .

وقد اهتم العلماء الباحثون بمسألة البصمة
فطبقوا نظرية حساب الاحتمالات ليعرفوا النسبة
الاحتمالية التي يمكن أن تكون إذا ما بحثنا عن
وجود نسختين من بصمتين متشابهتين أو متطابقتين
بين بني البشر جميعهم ، وبعد الحساب المضني
وجدوا ما يلي :

إذا بلغ عدد سكان العمورة ٦٤ ملياراً من
البشر فيحتمل أن توجد نسختان متطابقتان

وعليها قامت فكرة الاستفادة من «الكلاب
البوليسية» المدربة ، فالكلب المدرب يستطيع أن
يميز بين رائحة توأمين متطابقين تماماً .

ويقول البروفيسور (ولتر نويهاوس) من جامعة
«ايرلانجن» بألمانيا : إن كل خطوة قدم عارية
لإنسان بالغ تترك على الأرض كمية من العرق تقدر
بحوالي أربعة أجزاء من بليون جزء من الجرام
(٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٤ جرام) فرغم ضآلتها
وعجز أية وسيلة متاحة لاكتشافها ، إلا أنها كافية
لأنف الكلب المدرب ليتبع مسارها !!

وإذا كان الإنسان يمشي وهو يتنعل حذاءً فإن
كل خطوة تترك على الأرض حوالي ٢٨٠ مليوناً من
جزيئات حامض البوتريك الذي هو أحد
العناصر الرئيسية المكونة لرائحة العرق ، وتستخدم
الكلاب في بعض الدول في مجالات غير بوليسية
لكشف تسرب الغازات من الأنابيب المدفونة تحت
الأرض وعلى أعماق قد تصل إلى عدة أمتار كما هو
الحال في هولندا والدنمارك . كما تستعمل الكلاب في
ألمانيا للكشف عن خامات بعض المعادن المدفونة
في باطن الأرض .

● أما بصمة الشفاه : فهي أيضاً إحدى
المعجزات الربانية . فقد توصل العلماء إلى نتائج
تؤكد اختلاف بصمة الشفتين وعدم وجود اثنين في
العالم يتفقا ويتطابقان في ذلك . ويمكن أخذ
بصمات الشفاه والأصابع من على المخدرات وغيرها
بوسائل خاصة .

● بصمة الأذن : «فككون لهم قلوب يعقلون
بها أو أذان يسمعون بها» (الحج آية ٤٦) الأذن هي
إحدى الحواس عند الإنسان لم يخلقها الله عبثاً ،

وقد قام بهذا البحث أستاذ العلوم الجنائية في
جامعة كاليفورنيا (بول كيرك) . . كما قام باحث
آخر هو الأستاذ (ونيورث) ببحث توصل في آخره
إلى أنه يحتمل وجود بصمتين متشابهتين لشخصين
مختلفين إذا بلغ عدد سكان الأرض (ستمليون)
نسمة وهو رقم خيالي !!

علم البصمات

نظراً لزيادة الإجرام والمجرمين وتطور طرق
القتل والسرقة والاعتصاب ، في عصرنا الحاضر نجد
عددًا من العلماء يتابعون البحث عن وسائل أخرى
تساعد القضاء الجنائي في إثبات الجريمة على
مقترفها دون أن يمكنه التهرب من قبضة العدالة
مهما حاول تضليلها ، خاصة أن الإجرام أصبح
علمًا إن صح هذا القول له رواده ومفكره ووسائله
المتطورة جدًا ، كما أن القتل يعد مشكلة علمية وقد
أدّى البحث ببعض العلماء إلى اكتشاف عدة
بصمات سواء للإنسان أو الحيوان .

فكانت بصمة العرق التي أشار لها القرآن في
قوله تعالى : ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه
أبي يأت بصيرًا ﴾ (يوسف - ٩٣) «إني لأجد ريح
يوسف لولا أن تغفدون» (يوسف الآية ٩٤) فقد
عرف الأب ابنه من رائحة عرقه على القميص ،
طبعًا بإلهام من الله ، لأن حاسة الشم عند الإنسان
ضعيفة إذا ما قورنت ببعض الحيوانات .

واليوم يستخدم جهاز قياس الرائحة وتسجيل
مميزاتها بأشكال بيانية ومخططات علمية لكل
شخص ، وهي تعتمد على أن لكل شخص رائحته
الخاصة به التي لا يتفق معه فيها غيره ، والتي تبقى
في المكان الذي وُجد فيه حتى بعد مغادرته له ،

البصمة . . والعمر . . والمرض

أصبح من الممكن توقع احتمالات الإصابة ببعض الأمراض، ومن ذلك الإصابة بمرض البول السكري، من خلال بصمات الأصابع، هذا ما توصلت إليه دراسة أجريت على مائة مريض بأمريكا نصفهم مصابون بداء البول السكري، وقد أظهرت الدراسة أن هناك حلقات دائرية على أصابع السبابة وأخرى مثلثة على التوءم المستدير عند إبهام الرجل . . ولأن هذا المرض وراثي فإن التوقع من خلال البصمات أمر ممكن، كما أنه يمكن تحديد عمر الجاني من بصماته - وهذا يذكرني بالقيافة والقيافة عندا لعرب، فعلم القيافة كان على نوعين قيافة البشر وقيافة الأثر، أما قيافة البشر فهي الاستدلال من ملامح الوجه ومظاهر الأعضاء في الإنسان على الخفايا. وأما قيافة الأثر فهي الاستدلال بالأقدام والحوافر والخفاف على حقيقة تارك الأثر.

وقد اتقن العرب ذلك حتى أصبح بعضهم يفرق بين أثر قدم الشاب والشيوخ، وقدم الرجل والمرأة، والبكر والثيب، ولا تزال القيافة موجودة إلى اليوم عند بعض الدول العربية حيث يستعينون بها في الصحراء على ملاحقة المهربين والفارين من وجه العدالة . . وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات - ٢١) وقوله أيضًا ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

فكلما ازداد الإنسان فهما لآياته ازداد إيمانًا به وبقدرته تعالى في تنظيم هذا الكون وتركيب هذا الإنسان الجاحد لنعمائه.

وكل يوم يؤكد لنا العلم أن القرآن معجزة خالدة، وما يمكن أن نختم به هذا الموضوع بشأن الإنسان الذي كرمه الله وجعله خليفة في الأرض قوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْإِنْسَانُ أَتَقْنُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل - ٨٨). صدق الله العظيم.

إذ لكل طير مقاسات معينة بين الأصابع التي يتميز بها من غيره من الطيور.

● أشعة الليزر والبصمات: من أحدث المبتكرات العلمية في العلم الجنائي استعمال أشعة الليزر لمعرفة البصمات وعينات الدم وإبرازها مهما كانت صغيرة، ويتحدث العلماء عن تخطيط علمي جديد يساعد ضباط الشرطة القضائية على التعرف على المجرم في دقائق محدودة، وفي مكان الجريمة، ويطلق على هذا المخطط «دنا» وكذلك الدم والمنى والنسيج يعطي التحديد الخاص والدقيق عن المجرم كبصمات الأصابع وأكثر.

ويعود الفضل في تطور هذا العلم الجديد إلى العالم البريطاني «أليكس جيفريس» الذي أطلق عليه مصطلح: «كشف خصائص (د. ن. أ.)» والغاية من هذه البحوث هو تأمين الإثبات الذي يعجز معه المحامي والمجرم عن أي إنكار، إن بصمات الأصابع تفعل ذلك بعد أن ثبت أن بصمات الأصابع تختلف كل الاختلاف.

وفي هذا الصدد تقول الكاتبة والقاضية «بي. دي. جايمس» في محكمة لندن: «أعتقد أن الاختراعات في علم الطب الشرعي ستحدث تغيرًا كبيرًا في جرائم القتل المنزلية العادية، وهي محزنة ومؤسفة وشنيعة حين يفقد الناس الصبر في مواقف لا تطاق فينتفضون سكينًا . . مثل هؤلاء لن يأبهوا لما يمكن أن يكون في حوزة رجال الشرطة ومثل هذا الأمر يصح بالنسبة للمجرم الجنسي أو لأي مجرم آخر يجد نفسه في حالة قسرية فهو لن يقول: ينبغي أن لا أترك أية سواكل من الجسم وراثي . . وأهمية هذا العمل تكمن في رأيي بما تقدمه من إثبات في المحكمة . إنه إنجاز قيم أن يستطيع التحقيق أن يقول لمن يدعي البراءة: هذا الدم مطابق لدمك أو هذه القطعة مطابقة لسجادة في أرض منزلك». إنها تقنية هائلة بالفعل تجعل من الجاني يعترف دون وسائل القهر والتعذيب.

هي أيضًا لها بصمتها غير أنها لا تتغير، فبصمة الأصبع قد تزداد خطوطها تبعًا للسن، أما بصمة الأذن فلا تتغير، وقد قسمها العلماء إلى (٨) أجزاء رئيسة، وتطبقها بعض الدول عند التحقيق عن شخصية الإنسان . . ومنها أمريكا وبلجيكا وألمانيا.

من البصمات يتعرف رجال الأمن على المجرمين بسرعة فائقة . .

● بصمة الصوت: إن لكل إنسان نبراته الصوتية المميزة له، وقد استخدمها العلماء للتحقيق الجنائي والتأكد من شخصية المجرم، حتى لو نطق بكلمة واحدة يقوم جهاز خاص بتحويل صوته إلى ذبذبات مرئية. ويدعى هذا الجهاز (الاسبيكتروكراف).

● بصمة العين: وهي من أحدث البصمات للإنسان فقد تم في (بوتلاند) بولاية أوريغون الأمريكية اختراع جهاز قادر على تصوير وتحليل الأنماط المعقدة للأوعية الدموية الخلفية للعين والتي يقال إن كل نمط منها خاص بكل إنسان فيأخذ الجهاز صورًا للعين بواسطة الأشعة تحت الحمراء التي يصدرها، ويقوم أيضًا بمقارنة الصور التي أخذها مع الصور المخترنة فيه من قبل حتى يعثر على الصورة المطابقة فيتم التعرف على المجرم.

● بصمة الطيور: هي أيضًا من البصمات الحديثة اكتشفها الطبيب البيطري (أريك ستاوبر Erik Stauber)، وقال إن أصابع الطيور متفاوتة في الحجم والشكل والموضع والتركيب في كل طير،

المراجع

- (٩) كتاب: الإسلام والنظر في آيات الله الكونية تأليف محمد عبد الله الشرقاوي.
(١٠) مجلة العلم - المصرية - العددان ١٠٨ و ١٠٩ لسنة ١٩٨٥ م.

(٥) الموسوعة العربية الميسرة .

(٦) مجلة الإخاء رقم ٩ السنة السادسة عام ١٩٧٦ م.

(٧) كتاب العربي رقم (١٠).

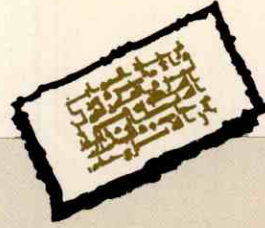
(٨) مجلة الصقر رقم (٢١).

(١١) القرآن الكريم .

(٢) تفسير القرآن الكريم لمحمد علي الصابوني

(٣) مجلة العربي رقم (١١٠)

(٤) مجلة الفيصل العددان ٧٣، ٩٨ .



قاموس الألوان عند العرب (١)

أ

- آدم :

أديم الليل : ظلمته ، وأديم النهار : بياضه .

أدمة : سمرة ، آدم : أسمر .

وقيل هو البياض الواضح . وهو في الإبل : البياض مع سواد المقلتين ، وهي في الناس : السمرة الشديدة . قال الأصمعي : الآدم من الإبل : الأبيض ، فإن خالطته حمرة فهو أصهب . فإن خالطت الحمرة صفاء فهو مدّمي .

- أرث :

الأرثة : سواد وبياض ، كبش أرث ونعجة أرثاء :

وهي الرقطاء ، فيها سواد وبياض . والأرثة : الأكمة الحمراء ، أي الموضع الذي أشد ارتفاعاً من غيره

- أزرق :

فرس أزرق : أبيض العَجْز ، فرس أزرق : هو الأبيض الفخذين ، ولون مقاديمه أسود أو أي لون كان .

ب

- بضع :

شفة كائنة بائعة : ممتلئة حمرة في الدم ، البُئع : ظهور الدم في الشفتين وغيرهما من الجسد . وفي اللثة البُئع : وهو حمرة اللثة وورمها ، يقال : رجل أبضع وامرأة بضعاء ، ورجل بُئع ، ويقال : بُئع يبئع بُئعاً شديداً .

- بحر :

أبحر الرجل إذا اشتدت حمرة أنفه ، الباحر : الأحمر شديد الحمرة ، يقال :

أحمر باحر وبحراني ويقال أحمر قاني وأحمر باحري وذربحي بمعنى واحد .

- برج :

البرج : سعة العين في شدة بياض صاحبها ، وقيل هو نقاء بياضها في صفاء سوادها ، وقيل هو أن يكون بياض العين محدقا بالسواد كله لا يغيب من سوادها شيء .

- برش :

البرشة : لون مختلف ، نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك ، الأبرش : الذي فيه ألوان وخلط ، والبرشة : هو لون مختلط حمرة وبياضاً أو غيرهما من الألوان ، والمدنر : هو الذي يكون فيه نكت فوق البرش .

- برص :

البرص : بياض يقع في الجسد ، والأنثى برصاء ، وحية برصاء ، في جلدها نُحُ بياض ، البرصة : البلوقة ، وهي أمكنة من الرمل بيض ولا تنبت شيئاً .

- برق :

تيس أبرق : فيه سواد وبياض ، وهو من الدواب أبلق ، ومن الكلاب أبرق ، البرقاء شاة في خلال صوفها الأبيض طاقات سود ، جبل أبرق : فيه لونان من سواد وبياض .

ويقال للعين برقاء لسواد الحدقة مع بياض الشحمة ، البروق : هو ما يكسو الأرض من أول خضرة النبات .

- برقع :

والبرقعة : الشاة البيضاء الرأس ، والبرقعة بكسر القاف : غرة الفرس إذا أخذت جميع وجهه غير أنه ينظر في سواد ، وقد جاوز بياض الغرة سُفْلاً إلى الخدين ، من غير أن يصيب العينين .

- بسر :

البُسْر: الغض من كل شيء، والبُسْر: التمر قبل أن يربط لغضاضته، واحدته بُسْرَة، والبسر، ما لون ولم ينضج، وإذا نضج فقد أربط، إذا اخضر حبه واستدار فهو خلال، فإذا عظم فهو البُسْر، فإذا احمرت فهي شقحة، والبسر أوله طُلُع، ثم خلال، ثم بلع، ثم بُسر، ثم رُطب، ثم تمر.

- بصر :

البَصْر: الحجارة إلى البياض، فإذا جاءها بالهمزة قالوا البَصْرَة. والبَصْرَة: حجارة رخوة إلى البياض.

- بغث :

البَغْث والبُغْثَة: بياض يضرب إلى الخضرة، وقيل: بياض يضرب إلى الحمرة، الذكر أَبْغَث والأُنثى بَغْثَاء، والبُغَاث والأَبْغَث من طير المساء بلون الرماد، والبغثاء من الضأن مثل الرقطاء والتي فيها سواد وبياض، وبياضها أكثر من سوادها.

- بقع :

البَقْع تخالف اللون، والأَبْقَع ما خلط بياضه لون آخر، الأَبْقَع من في صدره بياض، البقعاء اختلط بياضها وسوادها، وقيل بل اختلط بياضها بأصفرها، غراب أَبْقَع: فيه بياض وسواد.

- بلج :

قيل الأبلج الأبيض الحسن الواسع الوجه، وفي حديث أم معبد في صفة النبي ﷺ: أبلج الوجه أي مسفره مشرقه، وشيء بليج: مشرق مضي. والبُلْجَة آخر الليل عند انصداع الفجر، يقال: رأيت بُلْجَة الصبح إذا رأيت ضوءه. وفي الحديث: ليلة القدر بلجة أي مشرقة.

- بلىق :

البَلَق: سواد وبياض. وكذلك بالضم البُلْقَة، والبلىق والبُلْقَة مصدر الأبلق ارتفاع التحجيل إلى الفخذين، والعرب تقول للدابة أبلق وللجلج أبرق، فإذا جاوز البياض الركبة في اليد، والعُرْقوب في الرجل فهو بلىق، وفي كل الألوان يكون البلىق، فكل لون خالطه بياض فهو أبلق، والبلىق هُجَنَة في الخيل، فإن تجاوز البياض إلى العضدين والفخذين فهو أبلق مسرول.

- بهق :

البَهَق: بياض دون البرص، بياض يعتري الجسد بخلاف لونه، ليس من البرص.

- بهم :

ليل بهم: لا ضوء فيه إلى الصباح، البهمة السوداء، والبهم: ما كان لوناً واحداً لا يخالطه غيره، سواداً كان أو بياضاً. البهم من ألوان الخيل الذي لا شية فيه تخالف معظم لونه، ولون بهم: لا يخالطه غيره، وفي الحديث: في خيل دهم بهم، وقيل البهيم الأسود، قال أبو عمرو: البهم واحدها بهم، وهو الذي لا يخالط لونه لون سواه من سواد كان أو غيره والبهم من النعاج: السوداء التي لا بياض فيها.

- بيض :

البياض ضد السواد، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبل غيره، البياض: لون الأبيض، والبيضان من الناس: خلاف السودان، وبيض الشيء: جعله أبيض، والأبيضان: الماء والخنطة.

ج

- جأي :

قال الجوهري: الجَوُوء لون من ألوان الخيل والإبل، وهي حمرة تضرب إلى السواد. يقال: فرس أجأي والأُنثى جأواء، وكتيبة جأواء: بينة الجأي، وهي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع.

- جيب :

الجُبَّة: بياض يطأ فيه الدابة بحافره حتى يبلغ الأشاعر، والمجبب: الفرس الذي يبلغ تحجيله إلى ركبتيه، قال أبو عبيدة جبة الفرس ملتقى الوظيف من أعلى الحَوْشِب، وقال مرة: هو ملتقى ساقيه ووظيفي رجله، وملتقى كل عَظْمَيْنِ إلّا عظم الظهر، وفرس مجبب: ارتفع البياض منه إلى الجُبِّب فما فوق ذلك، ما لم يبلغ الركبتين.

- جرش :

الجرش: ضرب من العنب، أبيض إلى الخضرة، وناقعة جرشية حمراء.

- جرك :

الجرياك والجريالة: الحمرة الشديدة الحمرة، وقيل هي الحمرة، وقيل جريال الخمر لونها، وسئل الأعشى عن قوله: سلبتها جريالها. فقال أي شربتها حمراء قلبتها بياضاً، وقال أبو حنيفة: يعني أن حمرتها ظهرت في وجهه وخرجت عنه بياضاً.

- جسد :

قال بعضهم في قوله عز وجل ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٍ﴾ (طه/ ٨٨)، قال أحمر من ذهب. والجَسَد والجَسِد والجاسد والجَسِيد: الدم اليابس

- حبس :

يكون الجبل خَوْعا، أي أبيض ويكون فيه بقعة سوداء، ويكون الجبل حبسا، أي أسود ويكون فيه بقعة سوداء .

(اللسان).

- حبش :

ناقة حبشية : شديدة السواد، والحبشية : ضرب من النمل سود عظام، لما جعلوا ذلك أسما لها غيروا اللفظ، ليكون فرقا بين النسبة والاسم، فالاسم حبشية والنسب حبشية، وروضة حبشية : خضراء تضرب إلى السواد، والحبشان : الجراد الذي صار كأنه النمل سوادا .

- حتم :

الحاتم : الغراب الأسود، والحاتم : الأسود من كل شيء، وفي حديث الملاعة : إن جاءت به أسحم أحتم أي أسود، والحتمة بفتح الحاء والتاء : السواد، وقيل سمى الغراب الأسود حاتما؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق إذا نعب أي يحكم، والأحتم : الأسود .

- حجل :

الأصمعي : إذا كان البياض بموضع الخلاخل من اليدين والرجلين، فهو التحجيل، وإنها لذات أحجال، إذا كان بها تحجيل، الواحد حجل، فإذا حجلت ثلاث وتركت واحدة، قيل محجل ثلاث ومطلق واحدة .

- الحرر :

الحر : سواد في ظاهر أذن الفرس، والحران : السودان في أعلى الأذنين، والحر : حية رقيقة مثل الجان أبيض، زعموا أنه الأبيض من الحيات .

- حرق :

في حديث الفتح : أنه دخل مكة وعليه عمامة سوداء حرقانية، جاء في التفسير أنها السوداء، ولا يدري ما أصله . قال الزخشي : هي التي على لون ما أحرقته النار .

- حسب :

الحسبة : سواد يضرب إلى الحمرة : والكهبة : صفرة تضرب إلى حمرة، والقهبة : سواد يضرب إلى خضرة، والشهبة : سواد وبياض، والحلبة : سواد صرف، والشربة : بياض مشرب بحمرة، واللهبية : بياض ناصع نقي، والتوبة : لون الخلاص، وهو الذي أخذ من سواد شيئا، ومن بياض شيئا،

وقد جَسِدَ، ومنه قيل للثوب تَجَسَّد : إذا صبغ بالزعفران، ويقال للزعفران الرِيْثَان والجادي والجَسَاد، الليث : الجساد والزعفران ونحوه من الصبغ الأحمر والأصفر الشديد الصفرة، والثوب المتجسد : وهو المشيع عصفرا أو زعفرانا . والمتجسد الأحمر، ويقال على فلان ثوب مشيع من الصبغ، وعليه ثوب مُقَدَّم، فإذا قام قياما من الصبغ، قيل قد أجسد ثوب فلان إجسادا فهو مُجَسَّد، وفي حديث أبي ذر : أن امرأته ليس عليها أثر المتجاسد، وهو جمع مجسد بضم الميم، وهو المصبوغ المشيع بالجسد، وهو الزعفران والعصفر والجسد من الدماء ما قد ييس فهو جامد جاسد، والجسد الدم، السبائب : طرائق الدم، والتنجيع : الدم نفسه، الجاسد : اليابس، والمتجسد : الثوب الذي يلي جسد المرأة فتعرق فيه .

- جعر :

وفي الحديث أنه نهى عن لونين في الصدقة من التمر : الجُعرور ولون الحُبِيق، قال الأصمعي : الجُعرور ضرب من الدَّقْل يحمل رطباً صغاراً لا خير فيه، ولون الحُبِيق من أردأ الثمران أيضا .

- جهر :

الجمر : النار المتقدة، واحدته جمرة، فإذا برد فهو فحم، والجمرة : الظلمة الشديدة، وابن جهمر : الظلمة، وأجمرت الليلة : استتر فيها الهلال، قال الجوهري : وابننا جهمر : الليل والنهار، سميا بذلك للاجتماع، كما سميا ابني سمر؛ لأنه يسمر فيهما .

- جوز :

شاة جوزاء ومجوزة : سوداء الجسد، وقد ضرب وسطها بياض أعلاها إلى أسفلها، والجوزاء : الشاة بيبض وسطها .

- جوف :

فرس أخرج : أبيض البطن والجبين إلى منتهى الظهر ولم يصعد إليه ولون سائره ما كان، والأجوف والمجوف : الأبيض البطن إلى منتهى الجبين وسائر لونه ما كان، فإن كان أبيض البطن فهو أنبط : وقيل : الأنبط : الذي يكون البياض في أعلى شَقِي بطنه مما يليه في مجرى الحزام، ولا يصعد إلى الخبب .

- جون :

هو الأسود اليمحومي، والأسود المشرب حمرة، والنبات الضارب إلى السواد من شدة خضرته، من حمر الوحش ما يوصف بالبياض، وقد يعني الأسود، وقد يعني الأحمر .

كأنه ولد من عربي وجبشية .

- حضر :

الحضار من الإبل : البيضاء، الواحدة والجمع في ذلك سواء، وفي الصحاح : الحضار من الإبل : الهجان .

- جلس :

بعير أحلس : كتفاه سوداوان، وأرضه وذروته أقل سوادا من كتفيه .
والخلساء من المعز : التي بين السواد والخضرة ، لون بطنها كلون ظهرها ،
والأحلس الذي لونه بين السواد والحمرة .

- حلف :

فرس محلف ومحلفة : وهو الأحم الأحمى ؛ لأنها متدانيان ، حتى يشك
فيها البصريان : فيحلف هذا أنه كميت أحوى ، ويحلف هذا أنه كميت
أحم ، وأنشد :

كميت غير محلفة ولكن كلون الصَّرف عُلَّ به الأديم
يعني أنه خالصة اللون لا يشك فيه .

- حمر :

القنوة : شدة الحمرة . والعرب تقول : أحمر قاني ، وقد قنأ يقنأ قنوا . وأحمر
ذريحي ، وأحمر باحري وبحراني ، وقاتم أي شديد الحمرة ، وناصع ،
والناصع : الخالص من كل لون ، ويانع ، وناكع بين النُّكعة ، ويقال أحمر
كالنُّكعة ، وهو ثمر النُّقاوى ، وهو كالنبقة ، وأنشد :

إليكم لا تكون لكم خَلَاة ولا نكع النُّقاوى إذ أحالا

وقال أبو عبيدة : قال أعرابي يقال له أبو مرهب لآخر : قبح الله نُكعة أنفك
كأنها نُكعة الطُّرُوث يريد حمرة أنفه . ونكعة الطُّرُوث : رأسه وهو نبت يشبه
القثاء . وقال أبو عمرو الشيباني : وأحمر نكع ، وهو الذي يخالط حرته سواد .
وقال غيره : وأحمر سلَّغْد أي أشقر ، وأحمر أسلغ ، وأحمر أقشر : وهو الشديد
الحمرة الذي يتقشر وجهه وأنفه في الحر ، وأحمر عاتك ، وأحمر غَضْب أي
شديد الحمرة . . . وأحمر أكلف وهو الكدر الحمرة ، وأحمر فُقَاعِي وهو الذي
يخلط حرته بياض ، وأحد قرف وكالْقَرْف وهو الأديم الأحمر . . . ويقال لأحمر
كالصَّربة ، والصَّربة الصَّمْغَةُ الحمراء ، وجمعها صَرَب ، وأحمر كالمُصْعَة ، وهو
ثمر العوسج .

- حم :

الكُمْت : الحم . قال ابن سيده : والحمرة لون بين الكُمْتة والدُّهْمَة ، يقال :
فرس أحم بين الحمرة ، والأحم الأسود من كل شيء ، وفي حديث قس : الوافد

في الليل الأحم أي الأسود . وقيل الأحم الأبيض . . . واليحموم : دخان أسود
شديد السواد ، والحمّة دون الحوة ، ونبت يحموم : أحضر ريان أسود .

- حنأ :

حنأت الأرض : اخضرت واشتد نبتها ، وأخضر ناضر وباقل وحائئ :
شديد الخضرة ، والحناء بالمد والتشديد معروف ، والحناءة أخص منه ، والجمع
حنآن ، عن أبي حنيفة وأنشد :

ولقد أروح بلمة فينانة سوداء لم تخضب من الحنآن
(اللسان) .

- حنتم :

الحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، والحنتم : سحاب ، وقيل
سحاب سود ، والحناتم : سحائب سود ؛ لأن السواد عندهم خضرة ، وأصل
الحنتم الخضرة ، والخضرة قريبة من السواد .

- حند :

الحندس : الظلمة ، وقيل الليل الشديد الظلمة .

- حور :

الحور : هو أن يشتد بياض بياض العين ، وسواد سوادها وتستدير
حدقتها ، ويرق جفونها ، ويبيض ما حولها .

- حول :

الحائل : المتغير اللون ، يقال : رماد حائل ونبات حائل ورجل حائل
اللون ، إذا كان أسود صغيرا ، وفي حديث قَبَات بن أَشِيم : رأيت حَنَقَ الفيل
أحضر مُحِيلا أي متغيرا ، ومنه الحديث : نهى أن يستنجي بعظم حائل . أي
متغير قد غيره البلى ، وكل متغير حائل ، والحال : الطين الأسود والحمأة ،
ورأيت أرضا مثل الحَوْلَاء ، إذا اخضرت وأظلمت خُضرة ، وذلك حين يتفقا
بعضها ، وبعضها لم يتفقا ، واحوالت الأرض إذا اخضرت واشتد نباتها .

- حواء :

الحوّة : سواد إلى الخضرة ، وقيل : حمرة تضرب إلى السواد . والأحوى : كل
أسود .



الصُّورة الغالية

شعر: الأمير كمال فرج

بقلب الاطار هنا بادية من الحسن صورتك الغالية
مؤطرة بمقيق ثمين يضيء على الظلمة الداجية
أطلت عليّ بوجهه صبح وسحر تملّك وجدانية
ولحظ رني كابتسام النجوم باهدابه فتنة طاغية
وثغر أنيق كزهرة دُفلى تغني بصحبته ناديه
وراحت من الرّسم ترنو إليّ بيسمتها الغضة الصافية
وطافت على ناظري رؤاها كنسمة صيف على رابه
كان الاطار يحيط شمساً تسامت بأضوائها الزاهية
أهلت على القلب طيفاً جميلاً وترنيمه حلوة حانية
فذاب على العمر نهر الجليد وهامت على الافق أحلاميه
تكلم إلى الصبّ يارسمها لتزهّر في الدرب أفراحيه
تكلم وحاكي الفؤاد المعنى وروي المنى الصبة الظاميه
حنانك يا ذات أحلى عيون فبحرك أمواجه عاليه
فقدت بإعصاره زورقي وضاعت من الأفق شطانيه
غرامك في القلب لحن شجي ومعزوفة للهوى شاديه
وطيفك حين يزور الليالي تغني العصافير في الباديه
(أحبك) وشم على الرايات ويحفظها النهر والساقية
وتنسجها الريح عقداً فريداً ويعرفها الحرف والقافيه
حبيبة كل الروابي رحلت لتورق في القلب أحزانيه
ولكن حسي منك إطار أراه فتنجس باب آلاميه
وحسي من العشق ذكرى غرام تهدى وغنى بأوتاريه
وقضي الليالي بطيئاً بنا ويقي إطارك تذكاريه

استراحة العدد

حسناً فَعَلْ :

ترك رجل النبيذ فقال له ماجنٌ :
— لم تركته وهو جالب السرور إلى القلب فرد عليه قائلاً :
— ولكنه بشس الجالب ، ينزل إلى الجوف فيذهب إلى الرأس ويذهبه .

نصيحة

قال لقمان لابنه :
— يا بني ؛ إن الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله ، واجعل زادك فيها تقوى الله ، فإن نجوت فبرحمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك .

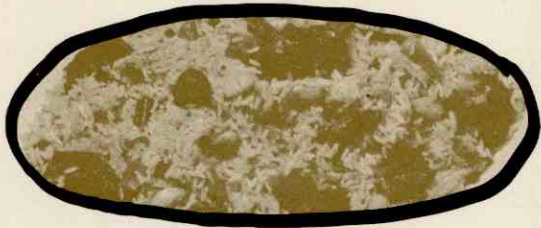
أيام الإنسان الخمسة !

الأيام خمسة : يوم مفقود ، ويوم مشهود ، ويوم مورود ، ويوم موعود ، ويوم ممدود .
فالمفقود : أمسك الذي فاتك مع ما فرطت فيه . .
والمشهود : يومك الذي أنت فيه ، فتزود فيه من الطاعات . .
والمورود : غدك لا تدري هل هو من أيامك أم لا . .
والموعود : آخر أيامك من الدنيا فاجعله نصب عينيك
والممدود : آخرتك ، وهو يوم لا انقضاء له ، فاهتم له فإنه إما نعيم دائم أو عذاب مخلد . .

ويأتيك بالأمثال :

إِيَّاكَ وَتِيْلَ الْعَصَا

المثل يحذر من الفتنة التي تشق طاعة الجماعة ، والمقصود بالعصا هنا : الجماعة .



أطعمة

شرع الإسلام أنواعاً من الأطعمة
والولائم في أوقات مخصوصة : وتسمى
أيام المناسبات ؛ وهي :
— القري : طعام الضيفان
— التحفة : طعام الزائر
— الخرس : طعام الولادة
— المأدبة : طعام الدعوة
— الوليمة : طعام العرس
— العقيقة : طعام المولود في يومه السابع
— الغديرة : طعام الختان
— الوضيعة : طعام المأتم
— النقيعة : طعام القادم من سفر
— الوكير : الفراغ من البناء

حوار العصا ومسافات الوعي



السواعي المثقف وأيضاً المتخصص يتجاوز — في رأيي — الضرورة إلى الحاجة . . فمن الحوار وتبادل الآراء تنبثق الأفكار . . فهو لا يحقق التواصل بين أصحاب الاهتمامات أو التخصصات المتشابهة أو المتقاربة فقط ولكنه وسيلة فاعلة في تجديد الفكر كما أنه وسيلة لتحفيز الإبداع وتنشيط الساحة الفكرية والعلمية . . ومن الحوار انبثق

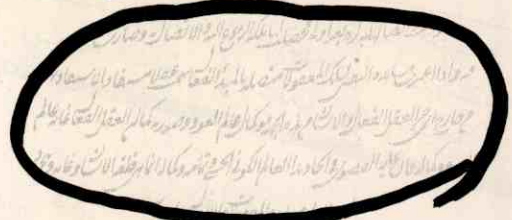
الكثير من العطاءات والإسهامات الحضارية الجيدة . . بيد أن هناك شروطاً لا بد من توافرها للمحاورة الفكرية لكي تمثل — فعلاً — مصدرًا من مصادر المعرفة . . ولعل من أهم هذه الشروط تحديد الغاية من الحوار بحيث يكون الهدف هو الوصول إلى حقيقة مشتركة تضيف جديدًا أو تصحح خطأ . . فالحديث في حد ذاته ليس مهمًا ولكن الأهم هو ما ينتهي إليه الحديث من فائدة تأخذ سمة العمومية . . وأن تكون لدى المحاور القدرة على الاستيعاب والاستيعاب ثَمَامًا كالقدرة على مقارعة الحجة بالحجة .

وإذا أدركنا بشكل كامل أن ميادين العلوم والمعرفة لا حدود لها . . وإذا أدركنا أن الإنسان مهما عرف من أشياء لا بد أن تغيب عنه أشياء كثيرة . . يكون — في المقابل — إدراكنا لمعنى الحوار متكاملًا .

هذه بعض الشروط التي أعتقد بوجودها فيما إذا أريد للمحاور أن يخدم المعارف وقد تكون هناك شروط أخرى . . غير أن الملاحظ فيما نحضر من ندوات . . وفيما نلمس في لقاءات . . ونرى في مؤتمرات أن حواراتنا تخرج إلى النور ملتزمة بحرارته مثل هيب قيط الصحاري . . وأن المحاور لا يتسلم زمام الحديث دون أن يشعر بأن في يده عصا يركض بها إلى ساحة وغى (يا ضارب يا مضروب) . . ليس مهماً ماذا يقول . . وليس مهماً أن يكون فيما يقول معنى . . ولكن الأهم بالنسبة هؤلاء المحاورين هو أن يرتفع الصوت بكلمات كالحجارة لرجم رأي المقابل لأنه لا يتفق مع رأيه . . وآخرون فقط كي يوصلوا أصواتهم إلى أذان المستمعين — من الحاضرين والغائبين — يعلنون عن حضورهم بشيء من «الضجة» واستقطاب «الوهج» حتى وإن كانوا لا يملكون من المعرفة إلا قبضة هواء . . وفي مثل هذه المواقف كثيرًا ما يلجأ على السؤال : هل هذا الواقع للحوار العربي في الساحات الفكرية والثقافية وحتى العلمية ناتج عن الضعف المعرفي والفكري وأيضاً ضيق في مسافات الوعي ؟! خاصة وأن هناك من يقول إن (المظهرية) هي إحدى الأسس التي تقوم عليها الحضارة العربية بعد أن تخلت عن مجدها . . وإن هذه المظهرية في القول والفعل تأصلت منذ بدء ما يسمونه بعصر الانحطاط الأدبي وطغيان الاستعارات الجمالية والمحسنات اللفظية . . على أية حال . . مهما يقل فإن حواراتنا بواقعها الحالي لن تكون أكثر من إضافة (قيمة) في ساحة الضياع . . وإنها بهذا الواقع تفرغ الحوار من كل سبب لوجوده . . وبذلك تفقدنا مصدرًا مهمًا من مصادر المعرفة . . والسلام .

د. ساعد العربي الحارثي

من اللغات الأجنبية التي تكتب بالحروف العربية



- الأذربيجانية (شمال إيران الغربي)
- الكردية : ولها عدة لهجات
- كردستان الواقعة أراضيها في العراق وتركيا وإيران.
- البالوتسية : (بالوتستان الواقعة في جنوب أفغانستان) ..
- البراهوية (بالوتستان الشرقية) ..
- الهندستانية (الهند الشمالية)
- ويتكلم بها خمسة وعشرون مليوناً من المسلمين وعدة ملايين غيرهم بجانب لغاتهم الخاصة ..
- الداخينية : لغة المسلمين في الهند الغربية والجنوبية وهي شديدة الشبه بالهندستانية ..



صورة من القارئ سوع محمد / المغرب

حرب الأفيون

انتشرت عادة تدخين الأفيون بين الشعب الصيني قديماً على نطاق واسع حتى بلغ عدد مدمنيه عام ١٨٣٥ م نحو مليوني شخص. ففتك ذلك الداء (الأفيون) بصحة عدد كبير من الشعب كما فتك بالاقتصاد الصيني الذي عجزت صادراته كلها - وقتذاك - عن سدّاد ثمن الأفيون المجلوب على السفن الإنجليزية والأجنبية الأخرى، ممّا حدى بالصين إلى دفع ثمن الأفيون بالفضّة!!

وتحت ضغط من الشعب الصيني أصدر الإمبراطور «تاوكونغ» عام ١٨٣٩ م مرسوماً مشدداً بتحريم تجارة الأفيون.

وفي عام ١٨٤٠ م أعلنت بريطانيا الحرب على الصين وادّعت أن سبب الحرب هو وقوف الصين في وجه التجارة الحرّة!!.. ووقعت «كانتون» في أيدي الانجليز. وسمّيت هذه الحرب باسم حرب الأفيون!!

وحتى الآن لا تزال الحرب ضارية في دول كثيرة من العالم ضد هذا السم الفتاك ..

□ □

قالب قوسين



نحاج إلى سلسلة من التوابل ، وليس «توابل هندية» فحسب . فهذا الكتاب الذي ألفه فاروق لقمان الصحفي المعروف قد قدم الهند إلى القراء في صيغة كائن حي تفوح منه العطور الشرقية ، ويتحدث بالهندي والأوردو .

ويتميز كتاب «توابل هندية» بالأسلوب اللقمان في تقديم وجبات خفيفة دون أن يتدخل بالرأي والتحليل إلا في حدود ضيقة . فالكتاب معلومات مضغوطة في التاريخ والفن والسياسة والرياضة والاجتماع .

نجد في الكتاب فصلاً عن أندرا وأبيها نهرو وابنها راجيف وكتبها سونيا ومانيكافسولاً عن العلامة إقبال والعلامة أبو الكلام آزاد ومحمد علي جناح مؤسس باكستان وأخته فاطمة جناح .

ومع أن فاروق يتفادى التفلسف كما قال إلا أن الاختيار يكشف، عن شخصية وذوق المؤلف ونظريته إلى الأمور . فهو مثلاً يذكر أن العسكر قتلوا «ذو الفقار علي بوتو» ولا يذكر أن الإعدام كان نتيجة حكم قضائي ؛ لأن بوتو بدوره قد شارك في قضية قتل معروفة ، ولم يشر إليها الأخ فاروق . فالاختيار هو نوع من الانتقاء وهو بحد ذاته رأي من الآراء . وهذا الرأي الذي يعتمد على تفسير معين للأحداث المذكورة والأحداث المحذوفة يترك حكماً في ذهن القارئ ألقاه المؤلف وهو يزعم أنه لا رأي له ولا «فلسفة» يود أن يستعرضها . لكن المؤكد أن الكتاب تمتع بمعنى الكلمة . فبعد مؤتمّر مدريد ، تتضح الحاجة الأكيدة والملحة لكاتب يكتب عن إسبانيا مثلاً كما كتب فاروق لقمان عن الهند . فبرغم «القوات» الصحفية التي اكتظت بها مدريد في ٣٠ / ١٠ / ١٩٩١ م لم نجد من يقدم لنا هذه المدينة كمجتمع إنساني يتنفس هموماً معينة وتاريخاً وثقافة ومناخاً وأشواقاً .. وشوارع وسيارات وشخصيات ورياضة وفنوناً

لذلك أرى أن يستمر الزميل العزيز فاروق لقمان في كتابة مثل هذا الكتاب عن القاهرة وإسلام آباد وبيروت ومسقط وعدن وغيرها من المدن المهمة في الشرق الأوسط .

إن ما يحدث في الصومال مثلاً يؤكد حاجتنا إلى كتاب مماثل عن مقديشو وجيبوتي ، كما أننا نحتاج إلى كتاب عن واشنطن ونيويورك .

وبطبيعة الحال فإن كاتباً كفاروق هو أفضل ألف مرة من الآلات الإعلامية التي «تنثقي» فقط ما يترك صورة معينة من وجهة نظر واحدة .. ومفروضة .. ومنفرة .

لقد نفذ كتاب «توابل هندية» ؛ لأنه بريء من «الآلية» .. ولأنه يعطي القارئ فرصة الاستمتاع .. والنقاط الأنفاس بين الكتب الموجهة والزائفة .

ومع أي لا أستطيع قراءة الكتاب مرة ثانية ، إلا أنني كلما تأملت المعلومات الواردة فيه أتساءل هل الرسائل التي تركها هذه المعلومات بريئة فعلاً .

إن فاروق مثلاً يتحدث عن «الطبقية» البغيضة في الهند . لكن الطبقة موجودة في كل جغرافية بشرية . لذلك نجد نفسك تتلفت حتى إذا غابت بعض الأمور «تلقت القلب» .

لقد أضاف فاروق لقمان توابل جيدة إلى المكتبة العربية من المطبخ الهندي ، وبأجذا لو أكمل سلسلة من هذه الكتب على نفس النهج المقروء ، الذي أهمله الصحفيون .

محمد عايي الجفري

طبية خاصة تقدمها لك مجلتك (الفصل)، استضافت فيها أطباء واختصاصتي «مستشفى دلة» للإجابة عن أسئلتكم واستفساراتكم... ويسعد هذا الباب أن يتلقى رسائلكم وإفادتكم بالنتيجة...

الفخذ بالانزلاق من مكانها الطبيعي وهذا احتمال أن يعود إلى عامل هرموني خاص بالأربطة.

وعادة أكثر من ٩٩٪ من الحالات المكتشفة في الأسابيع الأولى يكون الشفاء فيها كاملاً. وقليلة هي الحالات التي قد تحتاج إلى عمليات جراحية لرد الخلع.

ارتفاع الكوليسترول... والحمية.

بعد أن نشرنا في عددنا رقم (١٨٣) قائمة بالأطعمة المسموحة والممنوعة لمرضى السكر، وردت إلينا أكثر من مكالمة هاتفية من الإخوة القراء من داخل المملكة وخارجها يطلب أصحابها نشر قائمة مشابهة للمرضى الذين يعانون من ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم.

واستجابة لرغبة قرائنا الكرام نقدم إليهم هذه القائمة التي وضعها إخصائيو مستشفى دلة.

حمية غذائية متوازنة الدهون قليلة الكوليسترول وبدون ملح

عينة لقائمة الطعام

وجبة الفطور :

فول بدون ملح / موز / كورنفليكس / حليب مقشود / كاس

يكتشف الخلع عند الولادة أو في الأسابيع الأولى من حياة الطفل، وأصبح من الطبيعي أن يفحص وركا الطفل إلى جانب الفحوصات الهامة، والتشخيص سهل والعلاج أيضاً سهل في بدايته، والنتائج ممتازة والتشخيص يكون بالفحص الطبيعي والأجهزة اللازمة، وإذا حصل مجرد شك بسيط في خلع الوركين يعالج كخلع حتى يثبت العكس لإثباته بالمتابعة الطبيعية والأشعة اللازمة بعد ٣-٦ شهور.

وعلاجه يعتمد على الحالة إذا كانت خللاً جزئياً أو كلياً أو ارتخاء في الأربطة والغشاء الموضعي. وإذا كان الخلع جزئياً أو ارتخاء في الأربطة يكون العلاج سهلاً بسيطاً: وضع الطفل في حفاظتين وترك الطفل على راحته وعدم تربيط الأطراف السفلية، وهذه الوظيفة تجعل الوركين متباعدين والرؤوس في مكانها الطبيعي ومع الوقت يحصل شد الأربطة والغشاء المفصلي وكذلك نمو رأس العظمة في مفصلها نمواً طبيعياً وثباتها في مكانها ويحصل الشفاء.

وإذا كان الخلع كلياً عندها يجب رد الخلع إلى مكانه الأصلي وهنا يستعمل الجبس أو الجبيرة الخاصة بالسورك، أو جهاز خاص يضع الوركين ويثبتهما في مكانها الطبيعي، والشفاء من ٣-٦ شهور بإذن الله.

ارتخاء في أربطة وغشاء المفصل الوركى حيث يسمح لرأس عظمة

أكثر منه لدى أصحاب البشرة السوداء. وبالمقارنة بجهة الخلع. لوحظ أن الخلع في الجهتين أي اليمين والشمال أكثر من جهة واحدة نسبة ١:٢ والشمال أكثر من اليمين ١:٤.

وقد تختلف النسبة من بلد إلى آخر حسب العادات في وضع الطفل بعد الولادة مثلاً في أوروبا تتراوح نسبة خلع الورك في الأطفال من ١,٥٪ إلى ٥,٧٪.

(٢) ارتخاء في أربطة وغشاء المفصل الوركى حيث يسمح لرأس عظمة الفخذ بالانزلاق من مكانها الطبيعي، وهذا احتمال يمكن أن يعود إلى عامل هرموني خاص بالأربطة.

وضع الجنين في بطن أمه وخصوصاً في الأشهر الثلاثة الأخيرة على سبيل المثال - الوضع المستعرض للجنين في رحم أمه أو أن يكون جالساً في حوض أمه وهذه الوضعية تسمح لأحد أو كلا الوركين بالانزلاق من موضعه الأصلي.

(٣) قلة السائل الأمنيوسي أي السائل الذي يسبح فيه الجنين داخل رحم أمه. حيث تعرقل قلة السائل حركة الجنين داخل الرحم ويحدث الخلع ويولد الطفل والوركان أو أحدهما خارج المفصل.

ويحدد الدكتور الحارثي طرائق العلاج؛ قائلاً:

- الطب في تقدم مستمر وكذلك الوعي الصحي عند الشعوب تقدم كثيراً، وأصبح من النادر جداً أن لا

الخلع الوركى الولادي... أسبابه والوقاية منه

القارئ بوهادي العلّوي من فاس بالمغرب أرسل إلينا يقول:

● سعدت جداً بالاطلاع على بعض الأعداد الأخيرة من مجلة «الفصل»، وكانت سعادتي أكبر عندما قرأت زاوية جديدة بعنوان «طبيبك»، ولديّ سؤال أود توجيهه إليكم:

طفلي المولود حديثاً يشكو من خروج لرأس عظمة الفخذ من مكانها الطبيعي المفصلي في عظمة الحوض فما أسباب هذه الحالة وما علاجها؟

وقد أجاب على هذا السؤال الدكتور محمّد الحارثي استشاري العظام؛ قائلاً:

- تسمّى هذه الحالة بـ «الخلع الوركى الولادي».

أسبابه قد تكون على النحو التالي:

١ - أسباب وراثية حيث أثبتت الدراسات أنه إذا كان أحد الوالدين عنده خلع وركى ولادي فقد تصل نسبة الخلع عند أولادهما إلى ١٢٪ وإذا كان الخلع موجوداً في الوالدين حقاً فقد تصل نسبة الخلع عند أطفالهما إلى ٣٦٪.

وقد ثبت أيضاً أن الخلع يصيب، الأنثى أكثر من الذكور بنسبة تصل إلى ١:٦ وقد أثبتت الدراسات أن الخلع الوركى الولادي يكثر في الشعوب ذات البشرة البيضاء

المجموعة الغذائية	الأطعمة المسموح بتناولها	الأطعمة المطلوبة تجنبها
الحليب:	حليب مقشود، مشروبات الحليب المقشود، مخيض اللبن المصنوع من اللبن المقشود.	حليب (كامل الدسم) ٢٪ حليب، لبن، زبدة بوظة منتجات الحليب الكامل الدسم، مسحوق القهوة مع منتجات زيت جوز الهند، قشدة.
البروتينات: اللحوم، الأسماك، الدواجن، الألبان، البيض، البقول.	ست أونصات (١٨٠ غراما) يوميا مع خمس حصص فقط (٩٠ غراما للحصة الواحدة) في الأسبوع من لحم البقر، الضأن، الوجبات الأخرى تشمل لحوم: الدجاج، الديك الرومي، العجل، الأسماك، وحسب الرغبة يمكن تناول وجبتين من الروبيان في الأسبوع بدلا عن لحم البقر أو الضأن، يجب أن تكون جميع اللحوم خالية من الدهون. جبن غير مملح بدلا عن اللحم ثلاث أونصات (٩٠ غراما) ثلاث مرات في الأسبوع، بيضتان كاملتان بحد أقصى في الأسبوع، ولأمانع من تناول بياض البيض حسب الرغبة وكذلك البقول.	اللحوم الدهنية، خبيص اللحوم سجن، لحوم عضوية (كبد، كلية، مخ، قلب، الخ) لحم بط، لحم مملح بملح، سمك مملح بملح، لحم أو سمك مدخن.
الأرز أو بدائله:	أرز، بطاطس بيضاء أو حلوة، أسباغتي، مكرونة، معجنات.	أي أرز مطهي بالزبدة، الجبن أو الزيوت المطلوب تجنبها، بطاطس مقلية.
الخضروات:	جميع الخضروات الطازجة أو المطهية، المجهزة مع الأغذية المسموح بتناولها.	خضروات معلبة مع ملح، أي خضار مصنعة مع زبدة، أو صلصة إلا إذا تم تجهيزها بالمكونات المسموح بتناولها.
الفواكه:	جميع الفواكه والعصيرات.	لا يوجد
الخبز/ الحبوب:	خبز أبيض، خبز قمح صاف. خبز الجاودار، خبز فرنسي، خبز عربي، خبز عادي، بسكوت غير مملح، جميع الحبوب المطهية أو الجافة، برغل.	زلاية، فطيرة مشوية مع العسل، كعكة القهوة، كعكة بزبدة، كعكة حلوة تغطي بالزيت، خبز محلي، بسكوت والمعجنات الأخرى التجارية، خبز وبسكوت مملح.
الدهنيات:	الزيوت النباتية ذات الأحماض الدهنية العديدة الروابط الثنائية: زيت العصفور، زيت الذرة الصفراء، مازولا، زيت الزيتون، زيت بذرة القطن، زيت فول الصويا وفقا لما هو مسموح به. سمن نباتي خاص بكميات محدودة. تتبيلة فرنسية أو إيطالية، جوز، جوز أمريكي، لوز.	زبدة، سمن نباتي عادي، سمن المعجنات، زيت جوز الهند، زيت النخيل، قشدة، قشدة حامضة، زيتون. شوكولاتة، جوز الهند، مكسرات مملحة، المرق، إلا إذا تم استخدامه مع المكونات المسموح بها، زبدة فول سوداني.
الشوربة (الحساء):	شوربة خالية من الدهون ومن الملح مرق اللحم، شوربة الخضار وشوربات يتم تجهيزها بالحليب المقشود.	لحم أو شوربات دهنية أو شوربات تحتوي على قشدة أو حليب كامل الدسم، معلبة مع ملح، خلطات شوربة جافة.
الحلوى:	فاكهة، حلوى هلامية، كعكة خفية أسفنجية، مهلبية مصنوعة من الحليب المقشود، دون صفار البيض، حلوى الفاكهة مخفوقة ببياض البيض، شراب مرطب، منتجات منزلية مصنوعة من المكونات المسموح بها، سكر، عسل، شراب سكر، ملبس، لبان، حلوى مغلفة بالسكر، حلوى الخطمي.	لبن كامل تحتوي على زبدة، قشدة، بيض، الدسم مثل البوظة كستر، حلوى مجمدة، كعك محلي، المعجنات التجارية أو المجهزة من خلطات جاهزة مختلفة.
المشروبات:	القهوة، قهوة خالية من مادة الكافيين، شاي، مشروبات غازية، عصيرات الفاكهة مشروبات الفاكهة.	عصير الطماطم المملح
التوابل:	جميع التوابل ما عدا الملح، ١/٤ ملعقة صغيرة ملح فقط للطبخ.	التوابل ذات الملح، صلصة فول الصويا، صلصة شريحة اللحم (ستيك)، صلصة طماطم (كاتشب).

واحدة/ شريحتا خبز محمصتان/
سمن نباتي خاص مثل "FLORA"/
شاي أو قهوة/ سكر/.

وجبة الغداء:

لحم ضأن محمر/ ٣ أونصات (٩٠غم)/ أرز مع زيت مسموح بتناوله/ فاصوليا خضراء مع زيت مسموح بتناول/ شرائح طماطم/ خبز عربي، سمن نباتي خاص/ تفاح/ شاي أو قهوة/ سكر.

وجبة العشاء:

دجاج (بدون جلد) ٣ أونصات (٩٠غم)/ بطاطس/ سبانخ مع زيت مسموح بتناوله/ سلطة خضروات - ليمون/ خبز مع سمينة نباتية خاصة/ برتقال/ حليب مقشود - كاس واحدة/ شاي أو قهوة.

الغرض: يتم استخدام الحمية الغذائية القليلة الكوليسترول والمتوازنة الدهون لتقليل مستويات الكوليسترول في الدم.

الوصف: تحتوي الحمية الغذائية على ٣٠٠ مغم كوليسترول وعلى دهنيات تقدر فيها نسبة الأحماض الدهنية العديدة الروابط إلى الأحماض الدهنية أحادية الروابط ٢: ١ علما بأن ٣٣٪ تقريبا من إجمالي السعرات الحرارية يتم الحصول عليه من المواد الدهنية.

الكفاية: تعتبر هذه الحمية الغذائية كافية في جميع المواد المغذية إذ تم اختيارها وفقا «للبرنامج الغذائي اليومي والأساسي».

حول ابن سينا

الإسلاميين، كابن سينا والفارابي وغيرهما. على أنه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من المتفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين. وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تحبب وتحليل يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم، وما لا يفهم كيف يُرد أو يُقبل؟..

ثم قال: «وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم، فما قدرنا على الوفاء بالبرهان على ما شرطوه في المنطق، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها، ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين، على ما نقله الفارابي وابن سينا. ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر. ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب «التهافت». أما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة الإسلاميين وذلك في قولهم:

١- إن الأجساد لا تحشر، وإنما المشاب والمعاقب هي الأرواح المجردة والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمية: ولقد صدقوا في إثبات الروحانية،

نشرت مجلة الفيصل في عددها رقم ١٨١ موضوعاً بعنوان «الأسلوب القصصي في رسائل ابن سينا» بقلم: هشام عدرة، وقد أفادنا الكاتب بموضوعه هذا، غير أنه أضفى على ابن سينا صفة أنكرها علماء الإسلام وفيما يلي نوضح هذه الصفة ورأي علماء الإسلام فيها.

ترجمة ابن سينا

هو: الحسين بن عبد الله بن علي (٣٧٠: ٤٢٨ هـ) عُرف بكونه أحد مشاهير الفلاسفة المتسبين إلى الإسلام، له مؤلفات شهيرة ككتاب «القانون في الطب» الذي يُعد عمدة ما ألفه العرب في الطب وغيره من مؤلفاته الشهيرة التي تناول الكاتب بعضها.

موقف ابن سينا من الأديان:

قال العلامة ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» كان ابن سينا كما أخبر

بشرية فذة، فلسفة عميقة عمق البحار، به أخذت، خدمت البشرية قرونًا عديدة، غزارة لإنتاج الفكري، كنفيت يهطل على النبت فيعطيه، ويبعث فيه الأمل.

أهو الشيخ الرئيس، ابن سينا، الحسين بن علي، ولد عام ٣٧٠ هـ، وتوفي عام حياته، فإنه منذ كان ٢٠



الأسلوب القصصي في رسائل ابن سينا

بقلم: هشام عدرة

فإنها ثابتة أيضًا ولكن كذبوا في إنكار الجسمية، وكفروا بالشرعية فيما نطقوا به.

٢- ومن ذلك قولهم: إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات، وهذا أيضًا كفر صريح، بل الحق أنه: «لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض» (سورة سبأ / ٤).

٣- ومن ذلك قولهم يقدم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من هذه المسائل^(٢) انتهى ما نقلناه عنه.

عقيدة أهل السنة في المسائل الثلاث:

- المسألة الأولى: هي قول طائفة الفلاسفة ومنهم ابن سينا بنفي وإنكار الخشر للأجسام وهذا كفر جحود، وأهل السنة براء من هذا القول بل هم يثبتون الخشر للأجساد قال الإمام الطحاوي في «العقيدة الطحاوية»: ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان^(٣) قال الشارح ابن أبي العز الحنفى: «ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يوضح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ وجعلوا

عن نفسه قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم. فكان من القرامطة الباطنية، الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، ولا رب ولا خالق، ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى^(١)» أهـ. وقال أبو حامد الغزالي في «المقصد من الضلال» تحت عنوان «أصناف الفلاسفة وشمول وصمة الكفر كافتهم» قال: «أعلم أنهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: - الدهريون والطبيعيون والإلهيون». فذكرهم وآخرهم: «الصف الثالث الإلهيون: وهم المتأخرون منهم مثل سقراط، وهو أستاذ أفلاطون، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس، وأرسطاطاليس هو الذي رتب لهم المنطق، وهذب لهم العلوم، وحرر لهم ما لم يكن مُحَرَّرًا من قبل، وأوضح لهم ما كان فِجًا من علومهم وهم بجملتهم ردوا على المصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية وأوردوا في الكشف عن فضائحتهم ما أغوا به غيرهم» وكفى الله المؤمنين القتال» (سورة الأحزاب / ٢٥) ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط، ومن كان قبله من الإلهيين، ردًا لم يقتصر فيه حتى تبدأ عن جميعهم، إلا أنه استبقى أيضًا من ردائلهم وكفرهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير شيعتهم من المتفلسفة

هذه حجة لهم في أنه من باب التخيل والخطاب الجمهوري .

والقرآن يبين معاد النفس عند الموت، ومعاد الأبدان عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى وينكرون معاد الأبدان، ويقولون من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخيل! وهذا كذب فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء وغيرهم عليهم السلام^(٤).

- المسألة الثاني: وهي إنكار هذه الطائفة من المتفلسفة لعلم الله تعالى بالجزئيات وزعموا أنه يعلم الكليات دون الجزئيات. وهو قول معلوم الفساد بالضرورة لأنه يتضمن وصف الله تعالى بالجهل - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - والجهل صفة نقص وصفات النقص متمتعة على ربنا جل وعلا.

قال أبو الحسن الأشعري في «مقالات أهل السنة»: «وأن الله عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمور بيد الله»^(٥) اهـ.

وقال الإمام الطحاوي في عقيدته: «وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدّر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقص ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سمواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وبربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ وقال تعالى: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾»^(٦) . . . اهـ.

وسوف يأتي - بإذن الله - كلام جيد لابن تيمية في هذه المسألة، في المسألة الثالثة.

- المسألة الثالثة: وهي قول هؤلاء الفلاسفة بقدم العالم وأزليته، وهو مردود^(٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفرقان»: «وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا إن الأفلاك قديمة أزلية لها علة تشبه بها - كما يقول أرسطو وأتباعه - أولها موجب بذاته كما يقول متأخروهم كابن سينا وأمثاله، ولا يقولون إنها لرب خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته، ولا يعلم الجزئيات، بل إما أن ينكروا علمه مطلقاً كقول أرسطو، أو يقولوا إنها يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها كما يقوله ابن سينا. وحقيقة هذا القول إنكار علمه بها، فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي: الأفلاك كل معين منها جزئي، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها، فمن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئاً من الموجودات، والكليات إنما توجد كليات في الأذهان لا في الأعيان والكلام على هذا مبسوط في موضوع آخر في «درء تعارض العقل والنقل».

فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى، بل ومشركي العرب، فإن هؤلاء (يعني مشركي العرب) يقولون إن الله خلق السماوات والأرض، وأنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته، وأرسطو ونحوه من المتفلسفة اليونان كانوا يعبدون الكواكب والأصنام، وهم لا يعرفون الملائكة والأنبياء، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك، وإنما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية، وأما الأمور الإلهية فكل منهم فيها قليل الصواب، كثير الخطأ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالإلهيات منهم بكثير - ولكن متأخريهم كابن سينا

أرادوا أن يلقفوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل، فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة، وركبوا مذهباً قد يعتزى إليه متفلسفة أهل الملل وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبهنا عليه في غير هذا الموضع^(٨) اهـ.

عقيدة أهل السنة في القدر:

بقي لنا أن نوضح اعتقاد أهل السنة في القدر. قال الإمام أحمد بن حنبل في «أصول السنة»: «ومن السنة اللازمة التي من ترك خصلتها منها - لم يقبلها ويؤمن بها - لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها، لا يقال «لِمَ» ولا «كيف» إنما هو التصديق والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث، ويبلغه عقله، فقد كُفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم، مثل حديث «الصادق المصدق»، ومثل ما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها وإن نبت عن الأسعاع، واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد منها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات، وأن لا يخاصم أحداً ولا يناظره، ولا يتعلم الجدل. فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه - وإن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة حتى يدع الجدل ويؤمن بالآثار^(٩) اهـ.

وأخيراً . . . فإننا نظن أننا بهذا قد أمطنا اللثام عن الوجه الحقيقي لابن سينا حتى لا ينساق أحد خلف كلامه فتنتزق قدمه عن الصراط، فيغدو موسوساً تائهاً شاكاً لا مؤمناً مصداقاً ولا جاحداً مكذّباً، نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

مع العلم بأن بعض أهل العلم - ومنهم الحكمي في كتابه «معارج الوصول» ذكروا أن ابن سينا قد تاب قبل وفاته وتندم على ما بدر منه، فأمره إلى الله سبحانه، وإنما الأعمال بخواتيمها.

- خيري عبد الغني محمود -

هوامش

(١) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / ج ٢ ص ٢٦٢ - النور الإسلامية.

(٢) أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال / ص ٢٣، ٢٤.

(٣) (٤)، ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية / ٤٠٤ ط ٨ - المكتب الإسلامي.

(٥) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / ج ١ - ص ٣٤٩.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية / ص ٢٧٢.

(٧) انظر في إثبات عدم أزلية الكون من الناحية العلمية المحظية: «بداية الكون ونهايته» لنا، في مجلة «العلم» العدد ١٨٢ - نوفمبر ١٩٩١م.

(٨) شيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان / ٦٩ - دار المدني.

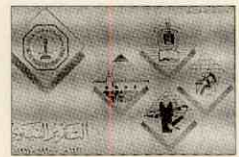
(٩) الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: أصول السنة لإمام أهل السنة - مجلة «المجاهد» (باكستان) العدد ٢٨، ٢٩، شعبان - رمضان ١٤١١هـ.

التربية وكرثة غزو الكويت : معالجة إسلامية

يناقش هذا الكتاب علاقة التربية بالمجتمع من خلال رؤية إسلامية ركز فيها

مؤلفه الدكتور محمد عبد العليم مرسي على ما حدث مؤخرا في دولنا العربية والإسلامية عندما استباح دولة (العراق) دولة أخرى (الكويت) . . ويناقش أزمة العقل العربي الذي انخدع بعضه بدعاوى كاذبة، ويؤكد أن ما حدث سببه التربية الفاسدة التي فعلت فعلها في النفوس والأشخاص، وأن سنة الله تؤكد أن الإنسان يتغير حينها يتغير ما بداخله، ويطالب المؤلف ببناء سليم للتكوين النفسي حتى لا يحدث مثل ما حدث . .

التقرير السنوي



معلومات وإحصاءات عن نشاطات جامعة الملك فهد للبترول والمعادن المختلفة التي تحققت في المجالات جميعا يقدمها هذا الكتاب الذي صدر في طبعة أنيقة وقدم له الدكتور خالد بن محمد العنقري، وزير التعليم العالي، كما كتب مقدمة

أخرى الدكتور بكر بن عبد الله بكر مدير الجامعة . .

يوضح الكتاب معلومات عن الطلاب والخريجين وأعضاء هيئة التدريس والمبتعثين؛ بالإضافة إلى البحوث الأكاديمية والتطبيقية وبرامج خدمة المجتمع والمختبرات والمعامل والمكتبة المركزية والمراكز المساعدة التي تعين الطالب في حياته الجامعية . .

يُعد الملف وثيقة سنوية تصدرها هذه الجامعة المتميزة بتخصصاتها النابعة من البيئة والتي تساهم بشكل فاعل في خدمة مجتمعة . .

التربية في مجتمع متغير

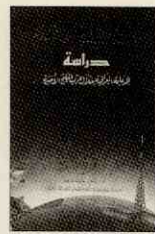
صدر هذا الكتاب عن مكتب التربية العربي لدول الخليج، وقدم له

الدكتور علي بن محمد التويجري المدير العام للمكتب، ويتناول التنمية الشاملة بمراحلها ومستوياتها المختلفة .

يطرح الكتاب قضية التكامل بين قطاع التربية والقطاعات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى بما يخدم المخطط التربوي في توسيع عدد المجالات التي يراقبها ويتابعها سواء داخل النظام التربوي أم خارجه قبل أن

يقدم على أي تشخيص .

الاستقلال السياسي للإسلام



دراسة علمية كتبها الدكتور محمود يوسف عضو هيئة التدريس في

جامعة أم القرى بمكة المكرمة يبدأ بعرض تاريخي للحياة السياسية وعلاقتها بالدين، ثم دراسة واقعية عن استخدام النظام العراقي الدين ستارا لتحقيق أطماع ومكاسب لا يقرها الإسلام، واستنكار المسلمين لهذه المحاولات التي أطلقت على أفعال حكام العراق في الكويت جهادا وما هي من الجهاد في شيء، بل اعتداء سافر على أعراض وحرمت وأرض وأموال . .

المعلم ومواجهة المخدرات



هذا الكتاب من تأليف جون إدي وترجمة الدكتور محمد عبد العليم

مرسي، وصدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج . .

يؤكد المؤلف أن تعاطي المخدرات هو مفتاح هذه التجارة البغيضة؛ وهدف عصابتها العالمية التي تصبو إليه ابتداء من متجها إلى موهها ومهرها وموزعها .

الكتاب يمثل تجربة جادة في مواجهة هذا المرض الخطير من خلال المؤسسات التربوية ويؤكد على دور المعلم في ذلك . .

ملف نادي الطائف الأدبي



في هذا العدد - السادس عشر لعام ١٤١٢ هـ - من ١٩٩١ م -

ملف نادي الطائف الأدبي خمس قصائد لعدد من الأسماء الشابة في الساحة الأدبية، وخمس قصص قصيرة، وثلاث محاضرات حول الشعر والرواية في الأدب السعودي لكل من الدكتور: علي القرشي، وسعد البازعي، والسيد محمد الديب، يقع هذا الملف في ١٨١ صفحة من القطع المتوسط .

ناندا



في سبع عشرة مقالة ننحو منحى قصصيا أصدرت مؤسسة العهد للصحافة

والنشر هذا الكتاب في طبعته الأولى لعام ١٣٩٨ هـ للمؤلف محمد حمد الصّويغ . يقع الكتاب في ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط . يتناول

مواهب أم مناقب؟..



التوراة
والتلمود بحرصان على إضفاء
كثير من المواهب والمناقب على
الأسلاف الأوائل، لكن بمقاييس أولئك الذين
كتبوا هذه السير بعد ألف سنة وأكثر من موت
هذا السلف. ومن بين ما أدهشني منها هذه
الوقائع مثلاً:

١ - أنجب إسحاق بن سيدنا إبراهيم ولدين

من زوجته (رفقة) هما عيسو ويعقوب. وكان الأول قويا غزير الشعر، وأما
يعقوب فكان ضعيفا أجرد. فأشفقت أمه عليه، وأرادت أن يغتصب
رئاسة العشيرة من عيسو. وكان إسحق قد فقد بصره من الكبر، فألبست
رفقة ابنها يعقوب ملابس عيسو ووضعت على رأسه وكتفيه وذراعيه جلد
عنز، فتحسسه إسحق ومنحه بركته بعد أن كذب عليه يعقوب قائلاً: أنا
عيسو ابنك البكر (التكوين ٢٧ : ١٩) وهكذا اغتصب ميراثه.

٢ - ذهب يعقوب إلى العراق ونزل ضيفاً على خاله (لابان). ورأى
(راحيل) ابنة خاله - وكانت رائعة الجمال - فأحبها وأحبته، وخطبها من
أبيها فوافق على الزواج، على أن يعمل يعقوب راعياً عنده سبع سنين مهراً
لراحيل، وفي ليلة الزفاف أسكره خاله، وأدخله إلى عروس أخرى هي (ليا)
الأخت الكبرى لراحيل، وكانت دميعة عمشاء، ولكنه لم يدرك ذلك إلا
في صبيحة العرس - أي بعد فوات الأوان - وذهب يتشاجر مع خاله بسبب
هذا الغش، فأخبره أن تقاليد العشيرة تمنع من تقديم الصغرى على الكبرى
في الزواج، وأنه مستعد أن يزوجه براحيل أيضاً لقاء سبع سنين أخرى في
رعي الغنم، فأزغن للشرط. وأعطاه لابان جارينتين من عنده (زلفا) لخدمة
(ليا) و(لبها) لخدمة (راحيل). ويقول رواية التلمود: إنهما كانتا بنتين
لللابان أيضاً لم يعترف بهما لأنهما جاءتا من «علاقات غير شرعية»!!

٣ - لاحظ يعقوب أن لابان قد أوغل في الشيخوخة، وأن ورثته من
أبنائه كثيرون. فطلب منه أن يتفقا على أجر لعمله يعينه على مطالب نسائه
الأربع وأولاده منهن وكان عددهم إذ ذاك أحد عشر وبناتاً اسمها (دينا).
فاتفقا على أن تكون المواليد من الغنم التي من لون واحد للابان، والتي من
لونين - وهي قليلة - من نصيب يعقوب. فكان في وقت عشار الغنم يجمع
بين الكباش الأسود والنعجة البيضاء، ويرعى في مروج متعددة الألوان،
حتى جاء معظم المواليد من النوع الأبقع وأقلها بلون واحد.

٤ - غضب لابان ورفض العمل بالعقد الذي بينها، فحمل يعقوب
نساءه وأولاده وأمتعته وساق الغنم جميعاً معه، وفر من العراق إلى سوريا،
فأدركه لابان وأبناؤه وعشيرته وكادوا يفتكون به لولا أن قص عليهم أن الله
أمره بتلك الرحلة!

وحدث أن لابان أصابه كابوس في نومه من التعب والتخمة، فظن أنه
الله جاء يدافع عن يعقوب!

ومالاً يخصى من تلك المواهب - أو المناقب - أن تحير أطرفها في ما بعد،
إن شاء الله.

أ.د. مني ظاظا

السعودية عبر ٣٣٥ صفحة يتناول
فيها مناحي التطور الذي تشهده
البلاد باطراد، وكيف أن التنمية
الشاملة أصبحت ملموسة للجميع
في المناحي المختلفة: اقتصادية /
ثقافية / علمية / صحية وغيرها ..

فيه المؤلف العديد من القضايا
الفكرية والحياتية ويسردها على شكل
خواطر في لغة قريبة من لغة القصة
المغلقة بشيء من النكهة الشعرية.

رياحين الجنة

حكاية .. في الزمن
الضائع ..



رواية
للكاتب خالد
الشريقي
صدرت عن
الدار التونسية

للنشر بتونس، وفازت بجائزة أبي
القاسم الشابي.

من أسفار الذات



ديوان
شعري للدكتورة
زكية مال الله،
يعتمد على شعر
التفعيلة،
تحتوي المجموعة

على أكثر من ستين قصيدة معظمها
مقطوعات قصيرة تحمل المعاني
بتكثيف الشعر الحديث. يقع
الكتاب في ثمان وعشرين ومئة صفحة
من القطع الصغير وهو من منشورات
دار الهجرة / سوريا. وهذه الطبعة
هي الأولى. وقد نشرت عام
١٩٩١ م.

ضمن
إصدارات رابطة
الأدب الإسلامي
العالمية صدر هذا
الديوان للشاعر
الإسلامي عمر بهاء الدين
الأميري .. يحتوي على قصائد في
الطفولة والأطفال. حيث تبدأ قصائد
الديوان منذ رُزق الشاعر بابنه الأول،
ثم تتابع مسيرة حياته مع طفولة أولاده
وأحفاده وأسباطه.

يُعدُّ هذا الكتاب الأثر الثقافي
الواحد والثلاثين الذي ينشر
للمؤلف وقد نشر قبيل وفاته
بأسابيع، رحمه الله.
يقع الديوان في ٩٢ صفحة من
القطع المتوسط.

هذه بلادنا



صدر كتاب
مصور من إعداد
الإعلام الخارجي
بوزارة الإعلام
بالمملكة العربية

السعودية يحكي مسيرة النهضة

● أجوبة مسابقة العدد (١٨٠) ●

١ - الإخوة القراء

الأعضاء:

جوائز قيمتها ٤٥٠٠

ريال تقدمها المجلة

لأصحاب الحلول الفائزة، على

النحو التالي:

أ- جائزتان قيمة كل جائزة ٣٥٠ ريالاً

ب- جائزتان قيمة كل جائزة ٣٠٠ ريال

ج- جائزتان قيمة كل جائزة ٢٥٠ ريالاً

د- جائزتان قيمة كل جائزة ٢٠٠ ريال

هـ- جائزتان قيمة كل جائزة ١٥٠ ريالاً

و- ٢٠ جائزة قدر كل منها ١٠٠ ريال

٢ - شروط المسابقة:

أ- المطلوب:

الإجابة عن جميع الأسئلة،

ورفاق الإجابات مع قسيمة العدد

الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم

ثلاثيًّا أو رباعيًّا - إن أمكن - مع وضع

العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة

إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب- ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة مجلة «الفصل»

ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

(مع ذكر رقم المسابقة على الظروف)

ج- أية إجابة تصل بعد ٤٥ يومًا

(حسب التقويم الهجري) من صدور

العدد لا يلتفت إليها.

د- من حق القارئ أن يشترك باسمه في

المسابقة الواحدة أكثر من مرة على

شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل

رسالة.

هـ- الأسئلة لم تعد مأخوذة من

الموضوعات المنشورة بالمجلة وذلك

لإفساح مجال البحث لدى القارئ في

مصادر معلومات أخرى.

ج ١ : الصورة، لباب أكنوا أحد الأبواب التاريخية في مدينة مراكش المغربية، وقد بناه يعقوب المنصور تحليلًا لانتصاره على النصارى في معركة الأرك بأسبانيا سنة ٥٩١ هـ.

□ □ □

ج ٢ : يحدث الهذيان لدى مريض السرطان من تأثير المرض نفسه على المخ والجهاز العصبي، أو من تأثير أنواع العلاجات الكيماوية التي تعطى للمريض، أو يكون نتيجة تأثير المهدئات والمسكنات على المخ؛ وكذلك التغيرات الاستقلابية في مستوى السكر أو الأملاح وغيرها في الدم.

□ □ □

ج ٣ : أهم الأنظمة الحديثة في خدمة الاتصالات السلكية واللاسلكية: التيليكس Teletex، والفيديو فون Videophone، والحاسوب المنزلي Home Computer، والتيليفاكس Telefax، والشبكة الرقمية المتكاملة Integrated Digital Network، والفيديو تيكس Videotex، والتليكست Tele-text، وغيرها، ولكل نظام من هذه الأنظمة وظيفة معينة يقوم بأدائها.

□ □ □

ج ٤ : الكحول له دور كبير في ٢٠ إلى ٤٠ في المائة من حالات التهاب الحاد للبنكرياس. حيث يعمل على تحفيز البنكرياس ويجعله يفرز عصاراته بنسبة أكبر من المعتاد، والتي تقوم بدورها بهضم خلايا البنكرياس نفسه، بالإضافة إلى الفعل المعتاد للعصارة. ويعمل الكحول على تحطيم مجموعات الخلايا العنقودية التي تفرز العصارة البنكرياسية، إضافة إلى عمله في تليق قناة البنكرياس وسدّها فيها بعد، وفي حالات التهاب المزمن للبنكرياس؛ يكون للكحول أثر سيء فعّال ومباشر قد ينتج عنه مرض السكر، أو مرض سوء الامتصاص.

□ □ □

ج ٥ : مبايض: يوم من أيام شيبان على تميم. ومبايض اسم ماء لبني تميم، وكانت الغلبة فيه لشيبان.

النّسار: يوم لضبة وتقيم على بني عامر. والنسار: جبال صغار، وقال بعضهم: هو ماء لبني عامر.

التحلق: ويقال له أيضًا يوم تحلاق اللّثم وهو لبكر على تغلب، ويعد من أشهر أيام حرب البسوس. وإنما سمي بيوم تحلاق اللّثم لأن بكرًا حلق رؤوسها استبسًا للموت، وقيل ليكون علامة أو تاريخًا لهم.

□ □ □

أُسئلة مسابقة العدد (١٨٧)



● نتائج مسابقة العدد (١٨٠) ●

- فاز بالجائزة الأولى، وقيمتها (٧٥٠) سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخ عمر بن محمد السباعي، الدار البيضاء، المغرب.
- وفازت بالجائزة الثانية، وقيمتها (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، الأخت دولت حسين عاشور، جدة، المملكة العربية السعودية.
- وفاز بالجائزة الثالثة، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخ عبد الله عمر محمد، بورسودان، السودان.

□ □ □

□ □ □

● السؤال الثاني :

قال الله تعالى: «وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين». من أصحاب الأيكة؟ وفيهم كان ظلمهم؟!
زوجها، وللرجل على زوجته. اذكر - باختصار - بعض حقوق الرجل على زوجته.

□ □ □

● السؤال الثالث :

اذكر من يرث من النساء.

□ □ □

● السؤال الرابع :

عدّد بعض الفوائد الصحية للشوم.

□ □ □

● السؤال الخامس :

من الأجهزة المستعملة في دوائر التحقيق القانونية؟ جهاز كاشف الكذب. من أول من استخدمه؟

□ □ □

- وهناك سبع جوائز مالية قدر كل جائزة منها (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:
- من المملكة العربية السعودية، الأحساء، الأخ عبد الله أحمد محمد العلي.
- من الأردن، عمان، الأخت سميرة محمد حسن خليل.
- من الهند، دلهي، الأخت طلعت ريجان.
- من مصر، الغربية، الأخت قمر السيد الغلبان.
- من الباكستان، السند، الأخ أصغر علي آرائين.
- من الجمهورية التونسية، تونس، الأخت زهرة بنت عمر الكريمي.
- من سورية، دمشق، الأخت كريمة محمد نور ناصر.

□ □ □

- إلى جانب عشر جوائز أخرى كل منها اشتراك مجاني لمدة عام (١٢ عدداً) في مجلة «الفيصل» فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:
- من المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، الأخ هاشم محمد باروم.
- من تونس، باردو، الأخ فتحي الزباني.
- من السودان، ود مدني، الأخت الرسالة محمد محمد سعيد.
- من مصر، إسكندرية، الأخ علي محمد سلامة.
- من المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، الأخت فاتن عمر عبد الحميد معاجيني.
- من المغرب، مراكش، الأخ مولاي عبد الحفيظ رزين.
- من الأردن، عمان، الأخت زانة بركات جبر.
- من سورية، دمشق، الأخ محمد رضوان محمد ديب الأنظامي.
- من الجزائر، المسيلة، الأخ السعيد سيد علي بن صلاح الدين.
- من الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، الأخت هديل مروان موسى.
- مع تمنياتنا بحظ أوفر للإخوة والأخوات المشاركين في المسابقات القادمة.

تسليم جوائز
علمية ودينية

الأمير محمد بن سعود

شهدت المملكة العربية السعودية خلال شهر ذي القعدة الماضي تسليم عدة جوائز علمية ودينية في مناطق مختلفة في إطار النهضة الثقافية الفكرية التي تتبناها الدولة.



الأمير محمد بن فهد

ففي الباحة جرى تسليم الفائزين بجائزة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود لتحفيظ القرآن جوائزهم في احتفال كبير رعاه سموه باعتباره أمير المنطقة.

وفي المنطقة الشرقية أقيم برعاية صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز حفل توزيع «جائزة الأمير محمد بن فهد للتفوق العلمي» بحضور نخبة من المسؤولين والمفكرين والعلماء. أما في نجران فجرى الاحتفال تحت رعاية أمير المنطقة بتسليم جائزة «الأمير السديري للتفوق العلمي للفائزين بها».

معرض لآثار مكة المكرمة

نظم نادي مكة الثقافي الأدبي معرضاً لآثار مكة المكرمة يوضح إنجازات حكومة خادم الحرمين الشريفين في مكة المكرمة ومناطق المشاعر المقدسة، وصناعة الكسوة للكعبة المشرفة، وطباعة المصحف الشريف، وغير ذلك من الإنجازات.

شارك في المعرض عدد كبير من الجهات ذات العلاقة، وأقيمت على هامشه سوق شعبية وعروض لمهنة الزمازمة.

اكتشاف ميناء إقرأ بمدائن صالح



د. علي غبان

اكتشف الدكتور علي إبراهيم حامد غبان الأستاذ المشارك في قسم المتاحف والآثار بكلية الآداب في جامعة الملك سعود ميناءً قديماً من العصر النبطي هو ميناء مدائن صالح الذي يعود تاريخه إلى نحو ألفي عام.

متابعة شاملة للحركة الثقافية
ومجرباتها في العالم؛ نقدمها
لك من خلال هذا الرصد
للأحداث والمناسبات
والندوات الفكرية والعلمية
والأدبية والفنية والإصدارات
الجديدة في مجالات المعرفة



□ معرض «قضايا بيئية» في أبها.

□ مهرجان ثقافي تونسي

في الإمارات العربية.

□ مؤتمر في مصر شعاره: «القراءة

للجميع»..

□ الايسيسكو تطالب بحماية

تراث البوسنة والهرسك.

□ صالون «العقاد» هل

يتحول برجا سكينيا؟!!

وقالت صحيفة «رسالة الجامعة» التي تصدرها جامعة الملك سعود بالرياض: إن الميناء المكتشف يمثل أقرب نقطة تقابل للمدائن صالح على ساحل البحر الأحمر، ويرتبط بها بطريق مباشر يبلغ طوله ١٧٠ كيلومتراً يسمى «الجزار» يسلكه حالياً المسافرون من مدينتي الوجه والعلا وبالعكس.

وأضافت الصحيفة أن الأدلة الأثرية التي جمعها الباحث أثبتت أن هذا الموقع هو ميناء منطقة الحجر ومدائن صالح الذي ذكر باسم «إقرأ» في بعض المصادر اليونانية القديمة في القرن الأول الميلادي.

وتضمن الكشف العثور على بناء ضخمة وأنيق مبني من الحجر الرخام المشذب، ومبلط ببلاط رخامي، وبه بقايا أعمدة رخامية وتيجان نبطية الطراز، تماثل تلك الأعمدة المنحوتة على واجهات مدائن صالح، وقد نقش على بعض أحجار المبنى رسوم ونقوش ومخربشات، كما اكتشفت أيضاً بعض القطع البرونزية، وكوم كبير من عظام الجمال بحجم تلة صغيرة. فضلاً عن تلوث أثرية كثيرة وآبار مطوية وطريق ترابية مردومة عرضها ما بين ١٠ - ٢٨ مترًا تربط الموقع بساحل البحر، وتنتشر على سطح الموقع أنواع متعددة من كسرا لفخار النبطي.

ويذكر أن الميناء المكتشف قد قام بدور كبير في الحياة الاقتصادية والحضارية لدول المنطقة، ومنه عادت إلى مصر الفلول المهزومة لجيش القائد الروماني اليوس غاليس الذي غزا الجزيرة العربية عام ٢٤/٢٥ قبل الميلاد.

معرض تجليد الكتب عند المسلمين

أقيم في نادي جدة الأدبي الثقافي - مؤخرًا - معرض «تجليد الكتب عند المسلمين».

احتوى المعرض على نماذج لفنون التجليد تعود إلى عصور مختلفة بدءاً من القرن الثالث الهجري، ومروراً بالعصر العباسي ثم العثماني في تركيا وفارس والهند وغيرها من البلدان الإسلامية.

وشملت العروض أنواعاً مختلفة من التجليد منها الميطن، ومنها العادي بالمنمات، فضلاً عن نحو مائة لوحة منها ٢٤ لوحة تعود إلى العصر العربي، و٢٣ للفرس، و١٥ للأتراك، و١٠ للهند، إضافة إلى بطاقات مختلفة توضح ما توصل إليه المسلمون الأوائل في مجال التجليد.

ويذكر أن المعرض إحدى ثمرات مؤسسة مهرجان العالم الإسلامي الخيرية التي تأسست في لندن عام ١٩٨٣م.

معرض للفن التشكيلي الإسلامي



عبد الحليم رضوي

أقيم في جدة في منتصف شهر ذي القعدة الماضي ١٤١٢ هـ معرض الفن العربي الإسلامي المعاصر تحت شعار «الفن يؤلف بين القلوب».



صلاح طاهر

شارك في المعرض ١٦ فناناً تشكيليًا من البلدان العربية والإسلامية، قدموا ٦٥ عملاً فنياً تجمع بين الأصالة والمعاصرة. من بين الفنانين المشاركين أسماء لامعة في مجال الفن التشكيلي منهم:

عبد الحليم رضوي، وعبد الله الشيخ (السعودية)، صلاح طاهر، أحمد فؤاد نوار، حسين جبالي، صالح رضا، وعبد النعم عوض (مصر)، محمد زكريا (الولايات المتحدة الأمريكية)، وليد ثرمي، وجيه نخلة، وعثمان وقيع الله (لبنان).

نادي الهلال في الرياض بعنوان «فهد... العطاء للمسلمين والإسلام».

ضم المعرض مجموعة من البورتريهات لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بمناسبة مرور عشر سنوات على توليه الحكم.

معرض للأسلحة الإسلامية



الأمير سعود بن عبد المحسن

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد المحسن نائب أمير منطقة مكة المكرمة في صالة عرض دار التراث والفنون بجدة المعرض السنوي السابع للأسلحة الإسلامية.

ضم المعرض نحو مائة قطعة أصلية من مختلف الأسلحة الإسلامية غير النارية مثل السيوف، الخناجر، الرماح، الدروع، إلى جانب مصاحف أثرية ومخطوطات تراثية تغطي زمنياً حقبة كبيرة تصل إلى نحو ٨٠٠ عام أو أكثر، وتغطي مكانياً مساحة واسعة من العالم الإسلامي.

معرض «قضايا بيئية» في أبها



الأمير خالد الفيصل

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير في قرية المفتاحة التشكيلية بمركز الملك فهد الثقافي في أبها معرض الكتاب الأمريكي «قضايا بيئية».

نظمت المعرض الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنائها بالتعاون مع إمارة منطقة عسير ومكتب إعلام الولايات المتحدة الأمريكية في جدة.

وضم المعرض أكثر من أربع مائة عنوان قدمتها نحو ثمانين دار نشر أمريكية، وتشمل أحدث ما نشر في مجال القضايا البيئية، فضلاً عن جناح خاص بمطبوعات الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنائها.

معرض: فهد... العطاء للمسلمين والإسلام

أقام الفنان المصري مصطفى فتحي إمام معرضاً في

صيانة معالم الحضارة الإسلامية في الهند

مسجد وممتلكاته ومحتوياته والجهة التي تشرف على إدارته إلى غيرها من المعلومات التي ستخزن في العقول الآلية. وستسلم نسخة منها إلى كل من إدارة الآثار الوطنية ومجلس الأوقاف الإسلامية بالهند. كما سيجري إعداد «دليل المساجد» لكل ولاية هندية ودليل آخر يشمل كافة المساجد بالهند، إلى جانب «ألبوم» يضم صور هذه المساجد. والمتوقع أن إنجاز «مشروع إحصاء مساجد الهند» سيستغرق مدة تتراوح ما بين ثلاث إلى خمس سنوات حسبما جاء في البيان الإعلامي الصادر عن مكتب «مجلس التاريخ والبحث الإسلامي» بحيدر آباد.

مكانها. وعلى رأس هذه المساجد المهتدة مسجد «عيدكاه» بمدينة ماتهورا ومسجد «غيان وايبى» في مدينة واراناسي وكلاهما من إنشاء الإمبراطور المغولي «أورنغزيب». وسيتم تنفيذ «مشروع إحصاء المساجد» على مراحل. ففي المرحلة الأولى سيجري إحصاء ومسح كافة المساجد الواقعة بمدينة «حيدر آباد» و«سكندر آباد» ثم في بقية المديريات بولاية أندهر براديش. وهكذا سيجري إحصاء جميع المساجد بالهند ولاية بعد أخرى. وقد أعد «أنموذج» لهذا الغرض يقوم بتعبئة المشرفون على إدارة هذه المساجد لتسجيل البيانات اللازمة حول موقع كل

المختصة، عمله بإجراء مسح شامل لجميع المساجد القديمة والحديثة في الهند. وقد أطلق على هذا المشروع، وهو الأول من نوعه في الهند، «مشروع إحصاء المساجد بالهند». والدافع وراء هذا العمل هو المحافظة على هذه المساجد وقطع الطريق أمام أية محاولة لإثارة النزاع حول ملكيتها من قبل الجهات المعادية للمسلمين في الهند، على غرار ما حدث للمسجد «البابري» المتنازع عليه الآن. وهناك نحو ثلاثة آلاف مسجد يزعم غلاة الهندوس أنها قائمة على أنقاض معابد هندوسية وبالتالي يحق لهم هدم هذه المساجد وإقامة معابد وثنية

تشكل الآثار الإسلامية جزءاً هاماً وجانباً مضيئاً من تراث المسلمين في الهند، وأي إهمال في صيانتها أو التفريط في المحافظة عليها - وخاصة في ظل الظروف الراهنة - يعتبر خطأ لا يمكن تلافيه في المستقبل المنظور. ولذلك أنشئ «مجلس التاريخ والبحث الإسلامي» بمدينة «حيدر آباد» بالهند بهدف القيام ببحوث ودراسات وصيانة الآثار والمعالم التاريخية والحضارية ومباني المؤسسات الدينية والثقافية الخاصة بالمسلمين في طول الهند وعرضها.

وسيدأ هذا المجلس الذي تم تسجيله لدى الجهات الحكومية

اقترح بإنشاء مركز للخرائط والأطالس

قدمت كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض اقتراحاً بإنشاء مركز للخرائط والأطالس على مستوى الجامعة.

لاقت الفكرة قبولاً مبدئياً، تبدي خلال الاتصالات التي أجرتها الكلية مع الكليات المعنية، بعد أن أعطتها فكرة عن نتائج الدراسة التي قامت بها وانتهت إلى إمكانية الاستفادة من الكوادر المؤهلة في هذا المجال من كل كلية لتطوير الإنتاج العلمي كماً وكيفاً.

الزيدان: زوربا القرن العشرين



عبد الله جفري

انتهى الأديب عبد الله جفري من وضع اللمسات الأخيرة لكتابه «الزيدان زوربا القرن العشرين» الذي يحكي رحلته الأدبية والفكرية مع أستاذه الراحل الأديب المؤرخ محمد حسين زيدان.



محمد حسين زيدان

يأتي الكتاب عرفاناً وتقديراً للدور الذي قام به الزيدان في مسيرة الجفري المعرفية والأدبية.

يصدر الكتاب ضمن سلسلة «الأعلام» عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر بجدة.

جائزة جديدة

ينوي مكتب التربية العربي لدول الخليج استحداث جائزة باسم المكتب لأفضل دراسة بحثية مبتكرة في مجالات التربية، اللغة العربية، الدراسات الإسلامية، العلوم الاجتماعية والإنسانية، والعلوم التقنية. ولم يعلن المكتب حتى لحظة كتابة هذه السطور عن موعد تقديم المشاركات أو الموضوعات المقررة.

كتب جديدة

● نصوص مختارة من نار ونور وهمسات قلب، ط ٢ قصائد للداعية الشيخ محمد المجذوب، صدرت عن نادي المدينة المنورة الأدبي.

● ديوان الانتفاضة، قصائد وطنية فلسطينية، جمع وتقديم الدكتور أحمد موسى الخطيب، صدر عن منشورات لجنة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين التابعة لسفارة دولة فلسطين في الرياض.



د. محمد عبده ياني

● صاحب الجنتين، وعمر واليتامى، تأليف يحيى الحاج يحيى، صدرت ضمن سلسلة «مسرحيات شعرية للناشئين».



د. بدوي طبانة

● على أبواب كابول، شعر يحيى الحاج يحيى، صدرت ضمن سلسلة «من ملاحم الجهاد».



د. عبد الله أبو داهش

صدر الكتابان السابقان عن دار المطبوعات الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع بجدة.

● التقرير السنوي السادس لعام ١٤١١/١٤١٢هـ، صدر عن الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجيزان

بإشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

● علموا أولادكم محبة آل البيت، تأليف الدكتور محمد عبده ياني. صدر عن دار القبلية للثقافة الإسلامية في جدة.

● من أعلام الشعر السعودي، تأليف الدكتور بدوي طبانة، صدر ضمن سلسلة الدراسات الأدبية عن دار الرفاعي بالرياض.

● بواكير الشعر السياسي الحديث في جزيرة العرب، تأليف الدكتور عبد الله أبو داهش.

● قصص مؤلمة عن التستر التجاري، تأليف محمد ابن عبد الله الطويل، طبع بمطابع مرام للطباعة الالكترونية.

البحرين

معرض للسفن التاريخية

نظم المتحف الوطني البحريني - مؤخرًا - معرضاً للسفن التاريخية ضم بعضاً من السفن التي استخدمت في مطلع القرن الميلادي الحالي، وحتى حقبة الثلاثينيات، للشبه بينها وبين السفن التي عرفها الخليج قبل أربعة آلاف عام. من بين السفن التي عُرضت «البقارة» وهي من

أصل أفريقي في الغالب، وكانت تستخدم في استخراج اللؤلؤ ونقل البضائع والأسفار البعيدة، وكذلك «العبرة» وكانت تستخدم في نقل المسافرين بين جزر الأرخبيل قبل إقامة الجسور، و«اليلم» وهو قارب صغير جداً كان يستخدم كقارب نجاة.

ويذكر أن تاريخ البحرين - كما يقول المؤرخ علي أكبر بوشهري - ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالسفن، خصوصاً عند قيام حضارة دلمون التي اشتهرت بالتجارة.

من الكتب الجديدة

● عشب لدم الورقة، ديوان للشاعر أحمد مدن، صدر عن منشورات المطبعة الشرقية.

الإمارات

مهرجان ثقافي فني تونسي

أقيم - مؤخرًا - في أبوظبي مهرجان الأسبوع التونسي للثقافة والفنون.

تضمن المهرجان العديد من العروض الفلكلورية واستمر خمسة أيام.

من الكتب الجديدة

● المنهج الجديد في شرح جوهرة التوحيد، تأليف الدكتور نشأت عبد الجواد ضيف.

عمان

معجم لشعراء عمان

تقوم لجنة خاصة تتبع المنتدى الأدبي العماني - حالياً - بإعداد معجم لشعراء عمان، يتوقع أن يبلغ عدد صفحاته ستائة صفحة من القطع الكبير.

انتهت اللجنة مبدئياً من فرز أسماء الشعراء طبقاً للترتيب الهجائي، تمهيداً لتقديم نماذج من نتاجهم ضمن تراجمهم الشخصية.

قطر

ندوة «دليل المواقع الالكترونية»

نظم مركز نظم المعلومات الجغرافية في الدوحة ندوته الثالثة التي تضمنت محاضرتين عن «دليل المواقع الالكترونية» ومعرضاً مفتوحاً بنفس العنوان.

ويذكر أن المركز قد حصل مؤخراً على جائزة «يوريسا» الدولية للنظم المعلوماتية النموذجية لعام ١٩٩٢م.

من أحدث الكتب

● الكويت .. حرب في الخليج، كتاب مصور صدر عن شركة المكتبات الكويتية المحدودة بالتعاون مع وكالة «سيابرس».

ترجمة مصرية لمعاني القرآن بالإنجليزية

ينتظر أن تظهر قريباً أول ترجمة مصرية لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية.

تولى إنجاز هذه الترجمة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة بالتعاون مع وزارة الأوقاف المصرية وكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر والهيئة العامة للاستعلامات. ويذكر أن هذه الترجمة بدأت العمل فيها قبل ثماني سنوات، وتأخر إنجازها لاختلاف وجهات نظر المختصين على طريقة إعداد الترجمات.

افتتاح مقبرة نفرتاري بعد ترميمها

افتتحت السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس المصري محمد حسني مبارك مقبرة نفرتاري بعد ترميمها الذي تكلف مليوني دولار.

وتعد مقبرة نفرتاري التي تعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام من أجمل مقابر وادي الملوك بمدينة الأقصر.

وكانت عملية الترميم التي استغرقت خمسة أعوام قد شملت إزالة الترسبات الملحية عن جدار المقبرة وتركيب أحدث الأجهزة العلمية الخاصة بتقدير نسبة الرطوبة وقياس درجة تلوث الهواء، وإعطاء مؤشرات مبكرة للحالة الجوية المحيطة بالمقبرة.

ويذكر أن معهد بول جيتي الأمريكي الذي تكفل بعملية الترميم قد وافق على ترميم مقبرة توت عنخ آمون بنفس الطريقة.

من ناحية ثانية تم في جلسة مباحثات عقدها وزير الثقافة المصري فاروق حسني مع نظيره البولندي الاتفاق على قيام الجانب البولندي بترميم معبد حتشبسوت (الدير البحري) بالبر الغربي من مدينة الأقصر، والاشتراك في ترميم عدد من المواقع الأثرية الأخرى في مصر.

مؤتمر «القراءة للجميع»

تحت رعاية السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس المصري محمد حسني مبارك تنظم الشعبة المصرية

بالمجلس العالمي لكتب الأطفال بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب خلال هذا الشهر أول مؤتمر دولي يناقش شعار «القراءة للجميع».

يشترك في المؤتمر مجموعة من أبرز الخبراء والمتخصصين في هذا المجال من مصر وأمريكا وأوروبا وأفريقيا، كما سوف تقام على هامشه عدة ندوات ومحاضرات.

مجلة للشعر الشعبي وعودة «القاهرة»



تُعدُّ الهيئة المصرية العامة للكتاب لإصدار مجلة جديدة للشعر العامية.

«بيرم» هو الاسم الذي اختير ليكون مسمى المجلة الجديدة تقديرًا لأبرز شعراء العامية في العصر الحديث، الشاعر الراحل بيرم التونسي، وقد تم ترشيح الناقد رجاء النقاش لرئاسة تحرير المجلة.

من ناحية ثانية تعاود مجلة «القاهرة» صدورها اعتباراً من شهر تموز (يول).



د. غالي شكري

الجاري، بعد توقف دام ثمانية أشهر نتج عن إقالة رئيس تحريرها السابق الدكتور إبراهيم حمادة، وتعيين الدكتور غالي شكري رئيساً للتحرير، الذي وضع عدة شروط لقبوله المنصب وقد استجابت لها وزارة الثقافة التي تتبعها المجلة.

هل يتحول بيت العقاد لبرج سكني؟!



يواجه المنزل الذي عاش فيه الأستاذ عباس محمود العقاد معظم سني عمره وشهد إبداعاته ومعاركة الأدبية الشهيرة خطر الهدم، حيث يرغب مالكه في هدمه لتحويله إلى برج سكني، إزاء التصاعد الجنوني في أسعار العقارات، خاصة أنه - أي البيت - في موقع متميز.

وكان هذا المنزل قد شهد أيضاً صالون العقاد الأسبوعي بما كان يدور فيه من مناقشات بين الأستاذ ونظرائه وتلاميذه وضيوفه في مجالات الأدب والفلسفة والفكر.

وقد أثار هذا الخبر ضجيجاً في أوساط المثقفين

المصريين الذين يأملون أن تقوم وزارة الثقافة بحماية بيت العقاد وشرائه من المالك ليصير متحفاً أسوة بما هو متبع في معظم بلدان العالم حيث ترمم بيوت المشاهير وتتحول إلى متاحف تحمل أسماءهم.

ويذكر أن ورثة العقاد قد باعوا مكتبته الضخمة إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب مقابل خمسة آلاف جنيه!! وتعاني المكتبة من الإهمال وعدم الاهتمام مثلما يعاني البيت خطر الهدم.

صالون ثقافي بدار الأوبرا



حافظ محمود

في خطوة طيبة نحو إحياء الصالونات الأدبية في قاهرة المعز، أنشأت دار الأوبرا المصرية صالوناً ثقافياً لفتح نوافذ جديدة للحوار والمناقشة.

واستضافت الدار في مطلع شهر ذي القعدة الماضي شيخ الصحفيين في مصر الأستاذ حافظ محمود، حيث روى تجربته في بلاط صاحبة الجلالة الصحافة وما عاصرها من أحداث.

جائزة الرأي العام لمصطفى أمين



مصطفى أمين

تسلم الصحفي المصري الأستاذ مصطفى أمين في حفل كبير حضره العديد من الشخصيات العامة ورجال الإعلام «جائزة الرأي العام الدولية» تقديراً لمواقفه الوطنية والإنسانية واعتراكاً بمكانته الصحافية المرموقة، وتاريخه

الحافل بالنضال دفاعاً عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فضلاً عن كونه من رواد الصحافة العربية.

قام بتسليم الجائزة عبد الحميد حجازي رئيس دار الرأي العام ورئيس اللجنة العليا لجوائز الرأي العام الدولية.

ويذكر أن الجائزة أنشئت عام ١٩٧٩م لتوثيق العلاقات والتعاون الدولي، وتعد من أبرز الجوائز التقديرية وتمنح للقادة والزعماء والشخصيات العالمية البارزة، الذين يقدمون خدمات جليلة للبشرية والحرية والسلام والبارزين من رجال الإعلام والأدب والفكر والفن والاقتصاد والأعمال في مصر والعالم. وقد سبق منح الجائزة للعديد من الشخصيات منهم الرئيس المصري السابق أنور السادات والسلطان قابوس بن

سميد، سلطان عيان، والروائي نجيب محفوظ والمفكر الدكتور مصطفى محمود وغيرهم.

اكتشافات أثرية

تم - مؤخرًا - اكتشاف العديد من الآثار تنتمي إلى عصور متباينة في مناطق مختلفة من جمهورية مصر العربية.

ففي منطقة تل بسطة بجوار مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية عشر على مجموعة من الآثار يرجع تاريخها إلى أكثر من أربعة آلاف عام من بينها تمثال للملك رمسيس السادس، وكثر أثري ذهبي يضم ١٢٠ تمثالاً صغيراً من الذهب، ومجموعة من الحلي، ومجموعة من المقابر الحجرية الصغيرة تعود إلى عصر الدولة الفرعونية القديمة.

كما اكتشفت في شمال سيناء قناطر مبنية بالطوب الأحمر بطول ١٦٠٠ متر وعرض ١٠ أمتار، يتوسطها جسران وفتحات ضخمة، ويرجع تاريخها إلى العصر الروماني.

ومن المقرر أن يجري ترميم معماري شامل لهذه القناطر التي تشير الحفائر إلى أنها كانت مقامة على الفرع البيولوزي القديم للنيل ومشيدة بشكل هندسي دقيق. وعثر في منطقة تل الفاو في شمال سيناء على أكبر

على جثثهم أي بعد ٧٠ عامًا من تاريخ طباعة الكتاب.

معارض فنية بحرينية لاتينية - فرنسية



فاروق حسني

استضافت القاهرة - مؤخرًا - مجموعة من المعارض الفنية لعدة بلدان من بينها معرض لفناني البحرين وآخر لرسامي أمريكا اللاتينية وثالث لفنانيين فرنسيين.



طارق المؤيد

ففي مجمع الفنون بالزمالك، افتتح وزير الثقافة المصري فاروق حسني ووزير الإعلام البحريني طارق المؤيد معرض جمعية البحرين للفنون التشكيلية، الذي ضم ٦٠ لوحة لـ ٢٨ فنانًا يمثلون مختلف الاتجاهات الفنية.

وأقيم في دار الأوبرا معرض للرسم المعاصر لدول أمريكا اللاتينية شارك فيه فنانون تشكيليون يمثلون ١٣ دولة حيث عرضوا ٥٠ لوحة من مقتنيات سفارات بلدانهم.

وتحت عنوان «هذه هي فرنسا» أقيم في فندق الميريديان بالقاهرة معرض فني يتحدث بالرسومات عن فرنسا في الماضي والحاضر.

ضم المعرض الذي استمر ستة أيام أفيشات

مسرح روماني على شكل نصف دائرة قطرها ٣٤ مترًا. وله ثلاثة مداخل ومبنى من الحجر والطوب الأحمر.

وقد تقرر تدعيم البعثة التي اكتشفت بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه لاستكمال الكشف وترميم المسرح.

واكتشف في منطقة هضبة أبو مندور في رشيد مجموعة من الأواني الفخارية ومبان عديدة مطمورة أسفل التلال ترجع إلى عصر الدولة البيزنطية، وما تزال أعمال التنقيب جارية وصولاً لاكتشاف مدينة «بوليتين» التي يعتقد بوجودها تحت المباني المكتشفة، وتعود إلى عصر الدولة الفرعونية الأولى في عهد الملك مينا نارمر.

وفي الدبر الأبيض بسوهاج، تم العثور على ١١٨٥ قطعة عملة ذهبية تعود إلى العصر البيزنطي، في قدر مصنوع من الطين، على بعد خمسة أمتار من سطح الأرض.

كتاب يكشف مقتل قيصر روسيا

عثر أحد المتخصصين المصريين في علوم المكتبات على كتاب نادر باللغة العربية مؤرخ في ٢٤ حزيران (يونيه) ١٩٢٢م يحكي تفاصيل إعدام قيصر روسيا نيكولاي رومانوف وعائلته على أيدي البلاشفة وموقع دفنهم.

الكتاب صدر نقلاً عن كتاب وضع أصلاً بالروسية وأغفل كاتبه عمداً تسجيل اسمه خوفاً من الشيوعيين، وقام فيه بتدوين وقائع سجلها بطرس جبار مدرس أنجال القيصر.

وتضمن الكتاب وصفاً دقيقاً لموضع دفن جثث القيصر وعائلته، وهو نفس الموقع الذي عثر فيه مؤخراً

محاضرات وندوات

● «البيت المثالي» عنوان محاضرة نظمها مركز الدعوة والإرشاد بالدمام، وألقاها الشيخ محمد بن أحمد الشيخ.

● «تأثير أول أكسيد الكربون في الهيدروجين على أداء أقطاب الوقود القاعدية» موضوع محاضرة ألقاها في قسم الهندسة الكيميائية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران الدكتور صلاح الدين جلتكن.

● «التكامل الاقتصادي لدول الخليج» عنوان محاضرة ألقاها في كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود في الرياض الدكتور مساعد المسبحي.

● «كتابة التاريخ المعاصر ومحدودية الموارد الإشرافية» عنوان ندوة عقدت في معهد همدرد للبحث التاريخي في دبي، شارك فيها مؤرخون وصحافيون وخبراء إرشيف.

● عقدت في دبي الجديدة ندوة عالمية عن الشاعر «جوش مليح أبادي» الملقب بشاعر الثورة، شارك فيها نقاد وباحثون من الهند وباكستان وبنجلاديش وبريطانيا وكندا وأفغانستان وأوزبكستان.

● أقيمت بدار الأوبرا المصرية أمسية شعرية للشاعر أحمد تيمور، قام

● «معارضو الأدب الإسلامي وشبهاتهم الواهية» عنوان محاضرة ألقاها في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها الدكتور عبد القدوس أبو صالح.

● «الاستخلاف وأبعاده الفكرية والوطنية»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي المدينة المنورة الأدبي الشيخ محمود محمد حسين العربي.

● «إشكالية المعنى في الترجمة» عنوان محاضرة ألقاها في معهد اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود في الرياض الدكتور عبد الرحمن السيد عيطه.

● نظمت الجمعية المصرية للنقد الأدبي ندوة حول ديوان «سليمان الملك» للشاعر محمد سليمان، شارك فيها الدكتور يحيى الرخاوي، الدكتور محمد عبد المطلب، ومجدي توفيق، قدمت الندوة نجوى وهيبي.

● أنصفوا الجهاد «عنوان محاضرة ألقاها في جامع ابن حجر بالثقة الشيخ رياض بن عبد الرحمن الحقييل.

الرسامين ورسومات كارتون، ثم انتقل بعدها إلى المركز الثقافي الفرنسي بمصر الجديدة.

الخياط رئيساً شرفياً لرابطة الأدب الحديث



عبد الله عمر خياط

اختار مجلس إدارة رابطة الأدب الحديث بالقاهرة الأديب السعودي عبد الله عمر خياط، رئيساً شرفياً للرابطة، تقديراً لإسهاماته في مجال الكتابة والأدب الإسلامي.

ويذكر أن الخياط أختير من قبل معهد الدراسات التاريخية الأمريكي رجل عام ١٩٩١ م.

رحيل العالمين الجليلين د. علام، د. منتصر



فقد مجمع اللغة العربية بالقاهرة علمين من أبرز أعلامه هما نائب رئيسه الدكتور مهدي علام، والعضو الدكتور عبد الحليم منتصر.

تخرج د. مهدي علام في كلية دار العلوم عام ١٩٢٢ م، واستكمل دراساته العليا في جامعات بريطانيا أكستر، لندن، مانشستر، حيث درس هناك خمسة علوم: اللغة العربية، الأدب

الإنجليزي، علم النفس، اللغة الفارسية، واللغة الألمانية. وحصل على دبلومات عالية ثم دكتوراه.

وقد كان إبان ثورة الشعب المصري على الاحتلال عام ١٩١٩ م مثلاً لكلية دار العلوم في لجنة المدارس العليا التي كانت تعمل بسرية تامة في تغذية الروح الوطنية للشعب، بتوجيهات من الزعيم المصري سعد زغلول باشا.

والدكتور علام عضو مؤسس في أكثر من مؤسسة علمية ومجمع أدبي وعلمي، فهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام ١٩٦١ م، حتى عام ١٩٨٣ م حيث اختير نائباً لرئيس المجمع، كما أسهم عام ١٩٥٤ م في إنشاء كلية الآداب بجامعة عين شمس وعمل عميداً لها لمدة سبع سنوات (من عام ١٩٥٤ - ١٩٦١ م) كما شغل كرسي الأستاذية للغتين العربية والإنجليزية.

واختير عام ١٩٥٤ م ليمثل الحكومة السعودية منتدباً من حكومة مصر في أول اجتماع للأمم المتحدة في لندن لتأسيس هيئة اليونسكو، كما ترأس المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (١٩٥١ - ١٩٦٣ م)، وانتدب رئيساً لقسم اللغة الإنجليزية بكلية الألسن لدى افتتاحها (١٩٤٨ - ١٩٥٠ م) وكان مستشاراً لوزارة الثقافة (الإرشاد القومي آنذاك ١٩٦٤ - ١٩٦٩ م) ومستشاراً للمؤتمر الإسلامي (١٩٥٦ - ١٩٩٢ م)، إضافة إلى ذلك كان أول رئيس تحرير لمجلة حوليات كلية الآداب (١٩٥٠ - ١٩٦١ م). وقد نال العديد من الأوسمة والنياشين والجوائز، منها جائزة الدولة التقديرية في الآداب (١٩٧٦ م)،

وسام الجمهورية (١٩٥٦ م) وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٨٣ م) وكان آخر تكريم ناله من الرئيس حسني مبارك خلال الاحتفال بالعيد المئوي لإنشاء كلية دار العلوم قبل فترة.

كذلك أسهم الفقيه في مراجعة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية والتعليق على آراء المستشرقين في العديد من أجزائها، وقدم للمكتبة العربية زخماً من المؤلفات بأكثر من لغة، نذكر منها: فلسفة العقوبة، فلسفة الكذب، فلسفة المتنبي، العفو في القرآن، نظرية الوسط بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين، قواعد اللغة العربية، رفاعة الطهطاوي، بين البراء والقرطاس، مقصورة حازم القرطاجني، أحمد حسن الزيات، عائشة أم المؤمنين، والروح الثورية لبرنارد شو، وغيرها.

أما الدكتور عبد الحليم منتصر، فيعد رائداً لعلم البيئة النباتية في العالم العربي، وبرز بدعوته إلى تعريب هذا العلم في الجامعات المصرية والعربية، وقد جمع بين الدراسة العلمية الحديثة ودراسة التراث العلمي العربي والتعريف به وبعلمائه، ولعطائه التميز منح جائزة الدولة التقديرية في العلوم.

وكان د. منتصر - رحمه الله - نقيباً سابقاً للعلميين وعميداً سابقاً لكلية العلوم بجامعة عين شمس، كما أسس جامعة الكويت واختير عضواً في مجمع اللغة العربية والأكاديمية المصرية للعلوم، والمجمع العلمي المصري، وجمعية البيئة النباتية البريطانية، وجمعية البيئة النباتية الأمريكية، والجمعية الدولية لعلم البيئة الصحراوية بالهند، إلى جانب رئاسته لتحرير مجلة «رسالة العلم» المصرية.



أسامة السباعي



د. عبد الله مناع



د. هاشم عبده هاشم

الثقافي، وشارك فيه كل من: الدكتور هاشم عبده هاشم، الدكتور عبد الله مناع، والأستاذ أسامة السباعي.

- «رحلة الإنسان إلى الآخرة» عنوان محاضرة ألقاها في مبنى إدارة الدفاع المدني بالعشاء في جيزان الشيخ مهدي أحمد حكيم.
- «الرمز والحقيقة في الأدب العربي القديم والحديث» عنوان محاضرة ألقاها في طنجة بالمغرب المستشرقة الألمانية فيكي فالتر.
- نظمت جامعة اليرموك في مدينة إربد الأردنية ندوة نقدية حول شعر عبد الوهاب البياتي، شارك فيها عدد من النقاد والباحثين.

بالمشاركة في إلقاء القصائد عدد من الفنانين من بينهم: حمدي أحمد، ماهر، سامح المصري، عبد العزيز مخيون، د. منى جبر، وجدي العربي، وسوسن بدر.

- «البارودي وحركة التطور في الشعر الحديث» عنوان محاضرة ألقاها في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بأبها الدكتور طه عبد البر عبد الرحيم.
- «الدرس الأخير» عنوان محاضرة ألقاها في جامع فقيه بحج العزيرية في مكة المكرمة الدكتور ناصر بن سليمان العمر.
- «أضرار التدخين ومضاره على الجهاز الهضمي» عنوان ندوة نظمتها جمعية القطة النسائية الخيرية بالطائف بالتعاون مع عيادة مكافحة التدخين، شارك فيها عدد من الاختصاصيين.
- «المذاهب الأدبية في الغرب» عنوان محاضرة ألقاها في «أحدية الشيخ أحمد علي المبارك» بالاحساء الدكتور محمد الشهال.
- «التقوى» عنوان محاضرة ألقاها في جامع عثمان بن عفان بمدينة الجليل الصناعية الدكتور عبد الله بن عمرو الشنقيطي.
- «الصحافة بين الخدمة والوعي» عنوان حوار نظمه نادي جدة الأدبي

موسوعة عن الموسيقى

أصدر الموسيقي المعروف عزيز الشوان أول موسوعة عربية عن الموسيقى.

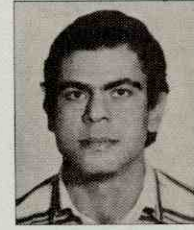
شملت الموسوعة كل المصطلحات والمدارس الفنية الموسيقية والتذوق الموسيقي.

كتب جديدة

● الأسطورة والتراث، تأليف سيد القمني، صدر عن دار سينما للنشر.

● رائحة البرتقال، الرواية الثانية للروائي محمود الورداني، صدرت عن دار شرقيات بالقاهرة.

● الوزير والعارفون، كتاب نقدي للشاعر حلمي سالم، صدر عن دار الثقافة الجديدة.



● فن القص في النظرية والتطبيق، تأليف الدكتورة نبيلة إبراهيم، صدر ضمن سلسلة «دراسات نقدية» عن مكتبة غريب بالقاهرة.

● علم اللغة الاجتماعي، تأليف الدكتور كمال بشر، صدر عن دار الثقافة العربية بالقاهرة.

● الملف السري لرأفت الهجان، تأليف حسني أبو اليزيد، صدر عن الدار المصرية للنشر والتوزيع.

● ثلاث وردات وشمعة، رواية للأديب الدكتور يوسف عز الدين عيسى، صدرت ضمن سلسلة «الرواية العربية».

● إذعان صغير، مجموعة قصصية للقصص السعودي فهد العتيق، صدرت ضمن «مختارات فصول».

● رأيت النخيل، مجموعة قصصية للأديبة رضوى عاشور.



صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● نقوش على الحجر، الديوان التاسع للشاعر محمود مفلح، صدر ضمن سلسلة «نحو أدب إسلامي» عن دار الوفاء.



صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● نقوش على الحجر، الديوان التاسع للشاعر محمود مفلح، صدر ضمن سلسلة «نحو أدب إسلامي» عن دار الوفاء.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● الإنسان بين الغربية والمطاردة، تأليف محمد محمود عبد الرازق، صدر ضمن سلسلة «كتابات نقدية» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

● الأقباط في السياسة المصرية ط ٢، تأليف الدكتور مصطفى الفقي.

● الخيار شمشون، تأليف سيمون هيرش، ترجمه إلى اللغة العربية حسن صبري.

صدر الكتابان السابقان عن دار الهلال بالقاهرة.

الأردن

اكتشاف ٨٠ موقعاً أثرياً

اكتشف فريق آثاري أمريكي في منطقة الطفيلة بجنوب الأردن ٨٠ موقعاً أثرياً ذات فترات تاريخية مختلفة يرجع أقدمها إلى ما قبل ١٥٠ ألف سنة.

وقال رئيس الفريق الأثاري جيفري كلارك، إن تاريخ تلك المنطقة يمتد من العصر الحجري إلى العصر العثاني في القرن الحالي، وأوضح أن نحو ٦٠ موقعاً من المواقع المكتشفة تعود إلى العصر الحجري.

المسرح

هذا هو اسم أحدث مجلة فصلية ثقافية فنية، صدرت عن فرقة المسرح الشعبي الأردنية.

يرأس تحرير المجلة الناقد والمخرج فتحى عبد الرحمن، وتضمن عددها الأول بعض النصوص المسرحية، ومقالات متخصصة في المسرح الأردني والعربي.

يوم ثقافي

نظم اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين في الشهر الماضي يوماً ثقافياً في بلدة أم قيس بمحافظة إربد.

تضمن اليوم عدة قصائد شعرية، وكلمات، ورمي إلى نقل النشاطات الثقافية للقرى والمدن الصغيرة، توسيعاً لدائرة الثقافة.

لبنان

أسواق الكتب السعودية

الأكثر رواجاً عربياً

في محاضر ألقاها في بيروت عن استهلاك الكتب في الوطن العربي، كشف الناشر اللبناني الدكتور روجي البعلبكي أن المملكة العربية السعودية تشتري ما يعادل ربع الكتب التي تطبع في العالم العربي.

جاء لبنان في المركز الثاني بنسبة ٢٠٪، أما مصر فحسب ما أورده المحاضر لا تتجاوز نسبة ما تشتريه ٩٪ فقط وجاءت في المركز الثالث، تلتها الكويت ٤٪، وسورية ٢٪، والإمارات ١٪، والأردن ٤٪،

والبحرين ١٪، ثم العراق ٢٪، وليبيا ٤٪، واليمن ١٪، ومثلها قطر، فيما لا يتجاوز حجم اقتناء الكتب في السودان وسلطنة عمان عن واحد في المائة.

أما على صعيد النشر فإن لبنان - كما يقول البعلبكي - ينتج ما بين ٧٠ - ٧٥٪ من الكتب الصادرة في العالم العربي.

وأوضح المحاضر - وهو أستاذ جامعي - أن هذه الإحصاءات ثمرة عمل فريق مكون من ١٢ شخصاً استغرق ثلاث سنوات وشمل بحثه حركة النشر والمبيعات في جميع البلدان العربية.

كتب جديدة

● بنت الصمت؛ دراسة في الشعر السعودي المعاصر، تأليف الدكتور شاكر النابلسي، صدر عن دار العصر الحديث في بيروت.

● المرشد إلى الشعر، تأليف نك تياب.

● المرشد إلى الموسيقى، تأليف بيتر أموند.

● المرشد إلى الخدمات الاستثمارية، تأليف نايجل ثاني.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة ضمن سلسلة المرشد عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

● جمال محمد أحمد: رسائل وأوراق خاصة، عرض وتحليل عثمان محمد الحسن.

● شعر، ديوان للشاعر يوسف أبي رزق صدر الكتابان السابقان عن دار الجليل في بيروت.

● القوى الخفية في السياسة العالمية: مَنْ يحكم العالم؟، تأليف ل. فراي، ترجمه إلى اللغة العربية جهاد قدرى قلعجي، صدر عن دار الكتاب العربي في بيروت.

● أسلحة وتكتيك عاصفة الصحراء، تأليف فادي نصار، صدر عن المركز الثقافي العربي.

● النفط والمجال الاقتصادي العربي، تأليف نجيب عيسى، صدر عن معهد الإنماء العربي في بيروت.

● نوعية الحياة في الوطن العربي، تأليف نادر فرجاني، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

● جبران في الميزان، تأليف يوحنا قمير، صدر عن دار المشرق في بيروت.

● أميرال الطيور، ديوان جديد للشاعر محمد علي شمس الدين، صدر عن دار الآداب في بيروت.

● النظرية الشعرية عند ت. س. ألبوت وأدونيس؛ دراسة مقارنة، تأليف د. عاطف فضول، صدر باللغة الإنجليزية عن دار الحمراء للنشر.

● بناء الجمهورية الثانية ومشكلات السلام في لبنان، تأليف مجموعة مفكرين، صدر عن النادي الثقافي العربي في بيروت.

سورية

عمليات لإنقاذ آثار الفرات

تجري حاليًا في إطار حملة دولية عمليات مكثفة للتنقيب عن الآثار بمنطقة حلب الواقعة على نهر الفرات خلف سد تشرين، تحسبًا لغرقها لدى امتلاء السد. تشارك في عمليات التنقيب بعثات سورية وبلجيكية وأسترالية، حيث تختص كل بعثة بمنطقة.

كتب جديدة

● معاور الدراسة الأدبية، تأليف حسين علي هندأوي، صدر في دمشق.

● قصة الذهب، تأليف يوسف البجيرمي، صدر في دمشق.

فلسطين

انتفاضة أدبية في الأرض المحتلة

تشير إحصاءات من الأراضي العربية المحتلة أن حركة الكتابة والإبداع والنشر تشهد منذ عامين نهضة كبيرة، أثمرت عن صدور أكثر من ١٢٠ كتابًا، برغم ما يلاقه الكتاب من اضطهاد سلطات الاحتلال. وأوضح نقاد متخصصون أن القصة القصيرة والشعر حازا أكبر نصيب من الإبداعات، إلا أن الرواية التي كانت من قبل نادرة فرضت نفسها على الساحة بتميزها ورفق مستواها. وعلا بعضهم رواية أحمد حرب «الجانب الآخر لأرض الميعاد» أفضل عمل أدبي صدر مؤخرًا في الأرض المحتلة.

إغلاق مجلة عربية

أغلقت سلطات الاحتلال الصهيوني مجلة «الفتح العربي» الشهرية التي تصدر في القدس الشرقية بحجة مخالفتها ترخيص الإصدار عبر ارتباطها بحركة «فتح». وتعد هذه ثاني مطبوعة للناشر الصحفي عطا الله النجار تغلقها سلطات الاحتلال، حيث سبق لها في العام الماضي إغلاق إحدى مطبوعاته.

تونس

تظاهرة ثقافية في ذكرى سقوط غرناطة

نظمت «دار الثقافة خير الدين» في العاصمة

التونسية - مؤخرًا - تظاهرة ثقافية حول مدينة غرناطة بمناسبة مرور خمسة قرون على سقوطها.

تضمنت التظاهرة يومًا للشعر احتوى على قراءات لقصائد تونسية وأسبانية وأندلسية، ويومًا للسينما الوطنية احتوى على برجة ثلاثة أسرطة سينمائية تنطلق من التراث العربي الإسلامي، ويومًا للطفل تضمن معرضًا لرسم الأطفال تحت عنوان «تاريخنا في عيون أطفالنا»، وعرضًا للموشحات الموسيقية الأندلسية من تقديم كورال أطفال الدار.

دورة عن النهوض بالكتاب الأفريقي

أقيمت مؤخرًا - في تونس دورة «تبادل التجارب حول دور وسائل الإعلام في النهوض بالكتاب في أفريقيا» بعد أن استمرت خمسة أيام بحضور ٣١ مشاركًا من ١٥ دولة، يمثلون شتى المهن الإعلامية.

وأكد المشاركون في ختام اجتماعاتهم على أهمية الكتاب في إذابة الفوارق الاجتماعية والثقافية وتطوير وسائل الاتصال، وصادقوا على عدة توصيات في مجال النشر والإعلام بمختلف أنواعه.

سرقة أدبية

تحدث الأوساط الثقافية التونسية هذه الأيام عن سرقة أدبية قام بها كاتب يدعى الهادي الزريبي. حيث انتحل الكاتب المذكور لنفسه كتابًا عن البربر، نسخه كله من خلال كتابين صدرا في الرباط والجزائر هما «قبائل المغرب» و«عروب الجزائر» للكاتبين السيد عبد الوهاب بن منصور، وعثمان سعدي.

مهرجان الربيع الأدبي

تحت شعار «المرأة في الأدب العربي» أقيم في تونس خلال شهر آيار (مايو) الماضي مهرجان الربيع الأدبي السنوي.

دارت مناقشات المهرجان حول محورين هما: أثر المرأة في الأدب المغربي.

كذلك نُوقشت مسألة مكانة المرأة في كتابات عدد من الأدباء المعاصرين مثل نجيب محفوظ، وحنّا مينا، ومحمود المسعدي، وغيرهم.

الجزائر

ملتقى حول التعريب الجامعي وآخر لتحليل الخطاب الأدبي

احتضنت جامعة البليدة (على بعد ٤٠ كيلو مترًا من الجزائر العاصمة) ملتقى جامعيًا حول تعريب الفروع العلمية في الجامعات الجزائرية.

ضم الملتقى رهنًا من الأساتذة الجامعيين والإداريين حيث ناقشوا ستة محاور أساسية تتعلق بتجربة الجزائر في تعريب العلوم الإنسانية والتجريبية والتقنية، إضافة إلى التعريب المدرسي الثانوي ونتائجه وتعريب الكتب العلمية، وتقويم الإنجازات المحققة - حتى الآن - في مجال نقل عملية التعريب إلى مرحلة التطبيق العملي، بعد أن كانت مجرد قرار سياسي.

كما أقيم في مدينة تيزي وزو (على بعد ١٠٠ كيلومتر من مدينة الجزائر) ملتقى ثقافي وفكري تحت عنوان «تحليل الخطاب الأدبي».

احتضن الملتقى معهد اللغة والأدب العربي بجامعة تيزي وزو وشارك فيه عدد من المتخصصين والنقاد والجامعيين العرب، حيث تناولوا بالتحليل والمناقشة جملة قضايا تهدف إلى تأصيل مصطلح الخطاب الأدبي وتحليل مفاهيمه ومدلولاته.

تكريم سبعة من رجال الأدب والفن



أحمد رضا حوحو



كاتبيس

منح الرئيس محمد بوضياف أوسمة الاستحقاق الوطني من درجة (عشير) وهو الوسام الأعلى للدولة لسبعة من رجال الأدب والفن ستة منهم رحلوا عن الدنيا تنويهاً واعترافاً بمجهوداتهم وإبداعاتهم.

والمكرمون هم: الأديب والكاتب المسرحي أحمد رضا حوحو (١٩١١ - ١٩٥٩م) والكاتب المسرحي مصطفى كاتب (١٩٢٠ - ١٩٨٩م) والأديب الشاعر كاتب يس

(١٩٢٩ - ١٩٨٩م) ورجال المسرح: محي الدين باش تارزي (١٨٩٧ - ١٩٨٦م) ورشيد القسنطيني (ت ١٩٤٤م) ومحمد القوري (١٩١٢ - ١٩٥٩م).

الوحيد من بين المكرمين الذي لا يزال حيًا هو الكاتب والشاعر محمد بوزيدي المولود عام ١٩٣٤م، وهو حاليًا يعاني من مرض عضال.

عودة «البصائر» وصدور «الكلمة»

بعد توقف دام نحو خمسة وثلاثين عامًا، عادت جريدة «البصائر» الناطقة بلسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الصدور تحت شعارها التاريخي «الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا» وهو الشعار الذي اختاره لها مؤسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس

لدى صدورهما للمرة الأولى عام ١٩٢٥ م.

وكانت السلطات الاستعمارية الفرنسية قد أوقفت المجلة مرات عديدة، إلى أن تم إيقافها نهائياً عام ١٩٥٦م للدور الكبير الذي قامت به في نشر الوعي الديني والتحريري لدى المواطنين إبان الحركة التحريرية الكبرى لنيل الاستقلال.

من ناحية ثانية صدر - مؤخراً - عن الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية مجلة شهرية جديدة حملت اسم «الكلمة».

يرأس تحرير المجلة الجديدة الدكتور عثمان سعدي، ويتم بالدفاع العملي والمنهجي عن مثل الشعب الجزائري الأساسية المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي.

المغرب

دعوة لحماية التراث الإسلامي في البوسنة



دعا الدكتور عبد العزيز عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيكو) منظمة اليونسكو للتدخل على مختلف المستويات لوقف أعمال الحرب العدوانية التي

د. عبد العزيز التويجري

يتعرض لها المسلمون في جمهورية البوسنة والهرسك.

وحذر د. التويجري في رسالته التي بعث بها إلى فيديركو مايور المدير العام لليونسكو من أن تصاعد الأعمال الحربية في جمهورية البوسنة والهرسك يهدد بالخطر الممتلكات الثقافية والحضارية لهذا الشعب المسلم.

كتب توثيقية عن قرى فلسطين

تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيكو) حالياً بإنجاز مجموعة كتب توثيقية حول القرى الفلسطينية التي دمرت خلال الاعتداءات الصهيونية المتواصلة منذ عام ١٩٤٨م.

يتم العمل في إطار برنامج سبق للمنظمة تبنيه ويهدف لحماية التراث الحضاري والعمراني لفلسطين بالتعاون مع جامعة بيرزيت الفلسطينية.

ويذكر أن القرى المقرر توثيقها يبلغ عددها نحو ألف قرية وقد تم إصدار ١٧ كتاباً حتى لحظة كتابه هذه السطور.

ببليوجرافيا للدراسات العلمية المغاربية

أنجزت مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء بالتعاون مع معهد العالم العربي في باريس أول محاولة من نوعها لوضع ببليوجرافيا شاملة عن الدراسات العلمية حول المجموعة المغاربية.

تضمنت المحاولة التي صدرت على هيئة كتاب مرجعي ٦٠٠ صفحة من الحجم الكبير تحت عنوان «المغرب في ٢٠٠٠ عنوان - قراءات وكتابات في المجموعة المغاربية».

قاموس «معلمة المغرب»

صدر - مؤخراً - الجزء الثالث والرابع من القاموس الشامل عن المغرب تحت عنوان «معلمة المغرب».

يقع كل جزء في ٣٥٠ صفحة، ويتضمن معلومات شاملة مبنية هجائياً حول طبيعة المغرب من حيث أنهاره وتضاريسه وتربيته ومدنه وقبائله، وأسواق الأسر والمراكز الحضارية والتاريخية، فضلاً عن تراجم لشخصيات علمية وتربوية وفنية وسياسية وأدبية واجتماعية.

جزر القمر

مؤتمر دولي للثقافة الإسلامية

تستضيف جزر القمر في شهر محرم الجاري ١٤١٣هـ مؤتمرًا دوليًا للثقافة الإسلامية يشارك فيه العديد من البلدان العربية والإسلامية والمنظمات المتخصصة.

ويهتم المؤتمر بتعريف العالمين العربي والإسلامي بما هو موجود في جزر القمر من مقومات عربية وإسلامية، ومدى ارتباطها القوي بالمنطقة العربية.

وينتظر أن تقام على هامش المؤتمر عدة معارض ثقافية.

تركيا

ندوة عن

حكم السلطان عبد الحميد

تحت عنوان «السلطان عبد الحميد الثاني وحكمه» نظم مركز الأبحاث التاريخية التابع لكلية الآداب بجامعة اسطنبول ندوة علمية بمناسبة الذكرى ١٥٠ ميلاد السلطان الراحل.

في عمان، تقدت بها وحي فاروق لقمان.

● «فكر مالك بن نبي» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة

لندن، تقدم بها عدنان باشا.

● «مجمع البحرين ومطلع النورين، لبدر الدين الكرخي: دراسة وتحقيق» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات في جدة، تقدمت بها مليم بنت عبد الله حمد الحارثي.

● «ولاية الشرطة في الإسلام» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للقضاء بالرياض التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها العقيد نمر بن محمد الحميداني.

● «السرايا والبيوت النبوية حول المدينة المنورة ومكة المكرمة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تقدم بها بريك محمد العمري.

رسائل جامعية

● «تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٤ - ١٣٧٣هـ،

عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها إبراهيم بن عويض العتيبي.

● «دراسة أيكولوجية وبيولوجية على الحشرات التي تصيب التمر الطازج والجاف في المملكة العربية السعودية» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات بالرياض، تقدمت بها البندري فهد اليوسف.

● «الظروف الاستثنائية التي تطرأ على العقد بعد إبرامه: دراسة مقارنة» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الحقوق بالجامعة الأردنية

وتم خلال الندوة إلقاء عدة بحوث علمية تاريخية تدور حول تقويم وعرض فترة حكم السلطان عبد الحميد.

تنزانيا

حظر تداول

«آيات شيطانية»

وجهت وزارة الداخلية التنزانية نداء إلى الذين بحوزتهم كتاب «آيات شيطانية» للمرتد سلمان رشدي أو أية كتب أو نشرات أو كاسيت أو أشرطة فيديو تشبه الديانات إلى المبادرة بتسليم ما في حوزتهم خلال أسبوع.

وقررت الوزارة إحالة من يتم ضبطه وبحوزته هذا الكتاب إلى المحاكمة، كما أعلنت عن جائزة لكل من يرشد إلى نسخ من الكتاب قدرها مائة ألف شلن تنزاني (نحو ٣٦٠ دولارًا أمريكيًا).

الهند

قلق على اللغتين

العربية والفارسية في الهند

أعرب مفكرون ومثقفون هنود عن مخاوفهم لإسقاط الحكومة الهندية اللغتين العربية والفارسية من امتحانات الخدمة المدنية، مما يؤثر على أهمية اللغتين داخل البلاد.

وقد أقيمت في دلهي - مؤخرًا - ندوتان حول اللغة الفارسية شارك فيها أساتذة تلك اللغة بالجامعات الهندية حيث ناقش المؤتمر بتوسع تلك النقطة وأعربوا عن قلقهم من القرار.

إيقاف مدير معهد لنشاطاته الإسلامية

أوقفت حكومة ولاية راجستهان الهندية شوكت على

مدير معهد الأبحاث العربية والفارسية بمدينة تونك عن منصبه بتهمة ارتكاب مخالفات مالية وإدارية وممارسة الطائفية (أي محاربة المسلمين) واستقبال ضيوف عرب وإيرانيين بغير علم السلطات.

ويذكر أن هذه الولاية يحكمها حزب بهارتيا جانانا الهندوسي الفاشي المتعصب الذي يحارب النشاطات الإسلامية بكل أشكالها، لذا كان طبعيًا أن يوقف مدير المعهد عن ممارسة عمله لجهوده الكبيرة في تطوير المعهد ونشر الكثير من الأبحاث والكتب الإسلامية.

وفاة ثلاثة رموز فكرية إسلامية

فقدت الدعوة الإسلامية والحركة الثقافية والفكرية في الهند مؤخرًا - ثلاثة من أبرز أعلامها هم: البحاثة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والخير التعليمي إسلام بريمي، والشاعر قصير حيدر الدهلوي.

يعد البحاثة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المولود عام ١٣١٩هـ، أحد أبرز علماء الحديث في شبه القارة الهندية، وهو مؤسس المعهد العالي للعلوم الدينية في ماو، ورئيس هيئة التدريس بجامعة مفتاح العلوم في نفس المدينة التابعة لولاية أوتار براديس.

وقد درس الفقيه العلوم العربية والإسلامية على أيدي أساتذة أجلاء، وقضى شطر عمره في التدريس والتأليف، كما كان من الناشطين في حركة الاستقلال، ومثل بلده ما بين عامي ١٩٥٢ - ١٩٥٧م في المجلس النيابي المحلي للولاية، ولجهوده البارزة في التعليم والتأليف في مجال اللغة العربية منحتة الحكومة الهندية جائزة رئيس الجمهورية التقديرية.

ونشر الفقيه - رحمه الله - مخطوطات عديدة بعد تحقيقها، منها باللغة العربية: مسند الحميدي، مصنف

ابن أبي شيبة، مصنف عبد الرزاق، كتاب السنن للحافظ سعيد بن منصور، كتاب الزهد والرفائق لعبد الله بن مبارك، مجمع بحار الأنوار للملا محمد طاهر الفتني، والحاوي على رجال الطحاوي.

ومن مؤلفاته باللغة الأوردية: أعيان الحجاج (في جزئين)، نصرة الحديث، الأعلام المرفوعة، وركعات التراويح.

أما إسلام بريمي، فهو أحد رواد التعليم الإسلامي في الهند، حيث تخرج علي يديه أجيال عبر ٣٢ عامًا من العطاء في المدرسة النموذجية التي أنشأها الجماعة الإسلامية في مدينة رام بور بشال الهند، كذلك تولى رئاسة تحرير مجلة «إنصاف» التابعة للجماعة.

ويعد الشاعر قصير حيدر الدهلوي (٦٨ عامًا) أحد أبرز شعراء الأوردية، ومن دواوينه المطبوعة: تلافى (التلافي)، موجين (الأمواج)، وخط غبار (خط الغبار).

دائرة معارف هندوسية

تقوم مؤسسة بحث التراث الهندوسي حاليًا بالإعداد لإصدار دائرة معارف هندوسية في ٢٠ مجلدًا.

يجر الدائرة ك. ل. سيشاغيري، وهو أستاذ بجامعة فرجينيا الأمريكية، وينتظر أن تستوعب تاريخ العقيدة والممارسات الهندوسية عبر خمسة آلاف سنة.

كتب جديدة

● عزيزي السيد الثَّوَاب، سيرة ذاتية كتبها هاريت رونكين ليتون.

● حياتي وأزمتي، سيرة ذاتية لرئيس وزراء كشمير السابق مير قاسم.

● محمد ﷺ والقرآن، تأليف رفيق زكريا.

السودان» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي.

● «حماد بن سلمة ومروياته في مسند أحمد عن غير ثابت البناني من الأزرق بن قيس إلى علي بن زيد» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها محمد بن سليمان الفوزان.

● «الثروة الحيوانية في الإقليم الغربي من المملكة العربية السعودية دراسة في الجغرافيا الاقتصادية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات في الرياض، تقدمت بها صباح علي عامر إسماعيل.

● «بعض ظواهر علم الدلالة العربي من خلال ديوان حسان بن ثابت» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في معهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، تقدم بها عمر صبور.

● «منطق الطير عند الشاعر الإنجليزي تشوسر والشاعر الإسلامي مزيد الدين العطار النيسابوري: دراسة مقارنة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها عائشة عفت زكريا.

● «تحليل مواقع مدارس البنات في منطقة غرب الرياض التعليمية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الجغرافيا بكلية الآداب في جامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها ناصر مرشد سعد الزير.

● «ضمانات المتهم في إجراءات التوقيف الاحتياطي وتطبيقها في المملكة العربية السعودية» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الأمنية التابع للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، تقدم بها عبد الله بن غازي المريحان.

● «عوامل انتشار الإسلام ومعوقاته مع دراسة تطبيقية على جنوب

● مفكرو الهند وباكستان البارزون، تأليف ب. ب. باروا.

● بيلوجرافيا الاقتصاد الإسلامي، إصدار معهد التوحيد بأرياكود بولاية كيرالا.

أسبانيا

الأمير سلمان يفتتح المركز الثقافي الإسلامي



يفتح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض بحضور ٥٠٠ شخصية إسلامية وعالمية في منتصف شهر أيلول (سبتمبر) المقبل المركز الثقافي الإسلامي في مدريد، الذي تكفل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز بنفقات بنائه.

يتكون المركز من ستة طوابق، وملحق به مسجد ضخم يتسع لنحو ألف مصل، كما يحتوي على مكتبة بها أكثر من ٣٠ ألف كتاب، وقاعة للمحاضرات، وأخرى للألعاب، ومجهزتين بأحدث الأجهزة، ومدرسة لأبناء المسلمين، ومعمل لغة لتعليم اللغة العربية، إلى جانب حديقة كبيرة ومشتل زراعي، ومسكن للمدير والإمام والمؤذن.

معرض للتراث العلمي الأندلسي

افتتح - مؤخرًا - في المتحف الوطني للأثار في مدريد معرض «التراث العلمي الأندلسي».

ضم المعرض مواد صلبة ومنسوخة جلبت من متاحف إسبانية و متاحف رسمية وخاصة في حلب وأكسفورد ولندن وفلورنسا وأثينا وميونخ، تشمل أدوات السري والزراعة، والطب، والتشريح والفلك التي استعملها العرب في الأندلس، إضافة إلى الكتب والمخطوطات في تلك المجالات.

مركز إسلامي

بتمويل سعودي

يقام حاليًا في مدينة إيفري بجنوب فرنسا، بتمويل

(يوليو) الجاري الدورة الثالثة عشرة للمهرجان الدوري للرسوم الساخرة.

يشترط أن يتقدم المشارك للمهرجان بثلاثة رسوم أصلية قياس ٢١ × ٢٩ سم، وسوف تقدم جوائز لأحسن سبعة مشاركين.

أكاديمية الملك فهد في موسكو



وافق خادام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على افتتاح أكاديمية في العاصمة الروسية على غرار أكاديمية الملك فهد في لندن.

د. عبد العزيز خوجة

وقال السفير السعودي

في موسكو الدكتور عبد العزيز خوجة إن العمل يجري على قدم وساق من أجل أن يبدأ نشاط الأكاديمية الجديدة مع بداية العام الدراسي المقبل بحيث تشمل إلى جانب المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية أجنحة للدراسات الخاصة وتعليم اللغة العربية لأبناء الجاليات الأجنبية.

قبرص

من أحدث الكتب

● تاريخ الصحافة الفلسطينية، تأليف محمد سليمان، صدر عن دار النهضة برس في نيقوسيا.

سويسرا

رحيل «شرطي التاريخ»

أعلن في جنيف - مؤخرًا - عن وفاة الكاتب والمؤرخ الأدبي الفرنسي هنري غييمين عن عمر يناهز ٨٩ عامًا.

وُلد غييمين عام ١٩٠٣م في مدينة ماكون سورساون شال ليون، وتخرج في المعهد العالي للمعلمين حاملًا شهادة في الأدب، وعمل في القاهرة وبوردو وبن جنييف.

وله أكثر من خمسين مؤلفًا نقديًا معظمها حول تاريخ الأدب تعرض فيها لأسماء بارزة من القرن الميلادي الماضي مثل: فلووير، جان جاك روسو، لامارتين، هيجو، زولا، فيني، وغيرهم من الأسماء الكبيرة، بغية «إزالة وهم» الأجداد الأدبية، غير أنه بما يعرضه نقده لهذه الرموز الفكرية من هجوم، حتى لُقّب بـ «شرطي التاريخ».

من المملكة العربية السعودية، أحدث مركز إسلامي.

يضم المركز صفوفًا دراسية مختلفة، ومكتبة، وقاعة للمحاضرات، ومسجدًا يتسع لنحو عشرة آلاف مصل، إلى جانب سوق تجارية لخدمة رواد المركز بخصيص ريعها لخدمة المركز وصيانتها.

ترجمة يهودية مخرفة للقرآن

ناشد المركز الإسلامي في باريس وزارة الثقافة الفرنسية التدخل لإجبار دار لافون للطبع والنشر على سحب جميع نسخ ترجمة مخرفة للقرآن الكريم نفذها يهودي يدعى أندريه شورافي.

وكان الكاتب اليهودي قد تعمد في ترجمته الإساءة للنصوص القرآنية وتزييف الحقائق الثابتة، بل والإدعاء أن ألفاظ القرآن الكريم قد اشتقت من اللغة العبرية.

جائزة أهل الأدب لتوماس

تحصل الكاتب والشاعر هنري توماس (٧٩ عامًا) على الجائزة الكبرى لرابطة أهل الأدب عن مجمل أعماله.

وتوماس كاتب متعدد المواهب، فهو شاعر وروائي وقاص وناقد ومترجم، وقد سبق له عام ١٩٦٠م الفوز بجائزة ميديسيس عن كتابه «جون بريكنز» كم حصل عام ١٩٦١م على جائزة فيمينيا عن كتابه «الرأس الجبلي».

جائزة فرنسية لمحمد ديب

على هامش المعرض الأوروبي - العربي للكتاب الذي نظم في معهد العالم العربي بباريس خلال شهر أيار (مايو) الماضي، سلم مسؤولون فرنسيون جائزة الصداقة الفرنسية العربية للكاتب الجزائري محمد ديب.

ويذكر أن هذه الجائزة منحت في العامين الماضيين لكل من الأدب المصري العالمي نجيب محفوظ، والأديب المغربي الطاهر بن جلون.

غادة السمان بالفرنسية

انتهت المستشرق الفرنسية المعروفة فرانس ماير من ترجمة رواية الأدبية السورية غادة السمان «كوايس بيروت» إلى اللغة الفرنسية.

وكانت فرانس ماير قد نقلت إلى الفرنسية أعمالاً أدبية عديدة لكبار الأدباء العرب، وفي مقدمتهم نجيب محفوظ.

مهرجان دولي للرسوم الساخرة

تستضيف باريس في الرابع والعشرين من تموز

وتميز بروحه الساخرة حتى إنه كتب نعيه قبل فترة وقال ناعيا نفسه «هنري غيمين وُلد عام ١٩٠٣ م وتوفي: لا ألقاب جامعية، لا أوسمة؛ فأنا لم أطلبها».

الولايات المتحدة

أحدث الكتب



إبراهيم نصر الله

● براري الحمى، رواية
إبراهيم نصر الله، صدرت
ترجمتها الإنجليزية عن دار
نشر أندريج في نيويورك.
● قوافي لك، ديوان
للشاعر فتحي عبد الله،
صدر بالإنجليزية عن دار
فانتاج برس في نيويورك.

بريطانيا

رحيل فرانسيس بيكون



فرانسيس بيكون

أعلن في العاصمة
البريطانية لندن - مؤخرًا -
عن وفاة الفنان التشكيلي
البريطاني المعروف فرانسيس
بيكون عن عمر يناهز ٨٣
عامًا.
وُلد بيكون في وبلن في
٢٨/١٠/١٩٠٩ م، وحين بلغ سن السادسة عشرة ترك
أهله ليسوح في أوروبا، حتى استقر عام ١٩٢٩ م في
مدينة لندن و بدأ عمله في الرسم بالزيت إلى جانب
تصميم الديكورات والأثاث.

ويتنمي بيكون إلى ما يسمى بالمدرسة التوحشية،
وهو متأثر إلى حد ما بسيرالية بيكاسو.

أقدم قصيدة في العالم:

فرعونية

اكتشف عالم المصريات البريطاني ستيفن كيبورك
بطريق المصادفة في مخزن المتحف البريطاني مخطوطًا
فرعونيًا قديمًا على شكل قصيدة شعرية يعتقد أنها أقدم
عمل أدبي في التاريخ تم اكتشافه حتى الآن.

ويعتقد خبراء المتحف البريطاني أن القصيدة قد تم
تأليفها عام ١٩٠٠ قبل الميلاد، وأن الملك المقصود
بالمديح فيها هو الملك سنوسرت الذي أعاد لمصر دورها
كقوة عظمى بعد قرون من الضعف، وجعلها
خضراء.

السويد

ترجمة سويدية

لمقدمة ابن خلدون

صدرت - مؤخرًا - أول ترجمة سويدية لمقدمة ابن
خلدون بترجمة الباحث السويدي انجفارود بيرغ.
لاقت الترجمة التي استغرق العمل فيها عدة سنوات
إقبالاً من المثقفين والمفكرين السويديين، وقد نشرتها
دار نشر يملكها أحد المهاجرين العرب.

معرض لشناج السفن الحربية

أقيم مؤخرًا في السويد معرض لشناج السفن الحربية
السويدية في القرن السابع عشر.
ضم المعرض نماذج متعددة لهذا النوع من السفن،

من أبرزها السفينة «فاسا» التي بنيت عام ١٦٢٨،
واشترك في بنائها عمال وخبراء سويديون وهولنديون،
حيث استخدموا ما يقرب من ألف قطعة من خشب
البلو ط هذا الغرض.

معرضان فنيان لأعمال

دافنشي ورافائيل

شهدت مدينتا فينسيا وروما - مؤخرًا - معرضين
للفنانين الإيطاليين العالميين ليوناردو دافنشي ورافائيل.

أقيم معرض دافنشي ورافائيل في بالازو جراسي،
تحت عنوان «دافنشي وفينسيا» وضم أعمال الفنان
الراحل، إلى جانب فنانين إيطاليين آخرين لم يظفروا
بمثل شهرته.

فما احتضنت قاعات الأكاديمية الفرنسية في روما
معرضًا لأعمال الفنان رافائيل (١٤٨٣ - ١٥٢٠ م) ضمن
المعرض أعمالاً له لم يسبق أن عرضت خارج فرنسا منذ
ثلاثة قرون، وهي من موجودات متحف اللوفر في
باريس التي سبق أن اقتناها الملك لويس الرابع عشر.

مهرجان عالمي للشعر

نظمت مدينة سيلارنو الإيطالية - مؤخرًا - المهرجان
العالمي السنوي للشعر.
شارك في المهرجان شعراء من مختلف أنحاء العالم،
وعقدت على هامشه موائد مستديرة حول الشعر العالمي
والغربي، كما قامت اللجنة المنظمة بتوزيع العديد من
الجوائز على أصحاب أفضل المقطوعات الشعرية،
ومنهم الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، والجزائرية
زينب الأعوج، والشاعر اليوناني تيتوباتريكو، والشاعر
الإسباني سيزار سيمون، وآخرين.

مشروع اليونيسكو عن تاريخ آسيا الوسطى

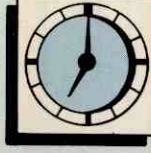
دهلي الجديدة: من ظفر الإسلام خان:

وقال البورفيسور نور الحسن وهو يتحدث في الندوة: إن الفترة التي
يتناولها المجلد الخامس شهدت صعود نجم الإمبراطورية الأوزبكية،
وتنامي الصراع بين المغول والأوزبك حول بلخ، وصعود الصفويين في
إيران، والصراع بينهم وبين المغول حول قندهار، وتصارع الصفويين
والعثمانيين على شرق القفقاز. وكان لكل هذه الأحداث تأثير مباشر على
الهند وآسيا الوسطى.

عقدت منظمة اليونيسكو ندوة في دهلي الجديدة حول «تاريخ
الحضارات بآسيا الوسطى» لتمكين المؤرخين الهنود المهتمين بتاريخ آسيا
الوسطى الإسلامية من تبادل الآراء وتقديم الاقتراحات لمكتب اللجنة
العلمية الدولية باليونيسكو المكلف منذ سنة ١٩٨٠ م بوضع تاريخ هذه
المنطقة.

وقد عقدت الندوة بإشراف المجلس الهندي للبحث التاريخي،
وهدف إلى وضع المجلد الخامس من هذه السلسلة والاستعداد للمجلد
السادس والأخير منها. وسوف يرأس تحرير المجلد الخامس (الذي
يتناول الفترة الممتدة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر) المؤرخ
البورفيسور نور الحسن الذي يشغل الآن منصب حاكم ولاية البنغال
الغربية.

يتناول مشروع اليونيسكو هذا مناطق أفغانستان وشمال إيران وشمال
الهند وباكستان وغرب الصين ومنغوليا وجمهوريات آسيا الوسطى التي
تحررت مؤخرًا من النير السوفيتي. وسيركز على التاريخ السياسي
والاجتماعي والثقافي والفلسفة والحياة البدوية وأسلوب المعيشة والتطور
العمري في هذه البلاد. وسيظهر الجزء الأول من هذا الكتاب عما
قريب، بينما يكاد الجزء الثاني منه يكون جاهزًا للطبع.



ظاهرة غير صحيّة!

الخاصة فإن ذلك يعود إلى أن بعضنا يضيق صدره من سماع الرأي الآخر فيعمل على وأده في حلق محدثه بمقاطعته ورفع صوته إزاءه، وبعضنا يتقمص دور المنظر والأعلم ويرى كل صوت غير صوته نشاطاً لا داعي له ويحاول فرض ما يعتقد لنفسه، ولن أسترسل في سرد كل ما توصلت إليه لأترك للقارئ الكريم استنتاج المزيد من الأسباب التي تخفي وراءها الكثير من العقد والرواسب، لكنني أورد هنا شيئاً مما قاله بعض السلف رحمهم الله في آداب المحادثة والمناظرة . . قالوا: إن على كل واحد أن ينتظر صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه، وأن يقصد كل طرف ظهور الحق ولو على يد خصمه، وأن لا يتعرض أحد لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه، وأن لا يستهزئ أحد بالآخر ويسخر منه، وأن يكون الكلام ملائماً للموضوع ليس فيه خروج عما هما بصده، وأن يتحرزا عن إطالة الكلام في غير فائدة وعن اختصاره اختصاراً يخل بفهم المقصود من الكلام، وأن لا يحتسب خصمه حقيراً قليل الشأن .

قلت: إن هذه الآداب جديرة بأن تغرس في نفوس الناشئة وأن يهتم الأبوان بتربية أولادهما عليها، وأن يعتني التربويون والقائمون على التعليم ببث هذه المثل وما شابهها في ثنايا المناهج الدراسية خاصة في مراحل التعليم الأولي، كما أن وسائل الإعلام مدعوة أيضاً إلى الإسهام في هذا الأمر، والله المستعان .

عبدالله بن سعد المزروع

ظاهرة استوقفتني . . ربما لاحظها الكثيرون ولم ينتبه إليها بعضنا لأنها أصبحت كأنها شيء اعتاده الناس بينما هي في الواقع تمثل دلالة على سلوك خاطئ يستحق أن يخضع للدراسة والتصحيح . . تلك الظاهرة هي ما يتم من المحادثة والتفاهم والمجادلة وحتى تبادل السلام وعبارات الود بأصوات مرتفعة ومتشنجة أحياناً . . تحضر مجلساً يضم زملاء أو أصدقاء أو أقارب أو خليطاً من أولئك وغيرهم فتجد أن الأصوات تتعالى ويطغى بعضها على بعض، وترتفع درجات الضغط لدى المشاركين في الحديث بينما يكون الموضوع المطروح بسيطاً وعادياً لا يستوجب تلك الحدة، وقس على هذا كل حديث سواء أكان بين شخصين يلتقيان في الطريق أو بين مجموعة عمل في اجتماع غير منضبط أو بين بائع ومشتري، وحتى بين الزوج وزوجته، إن الجميع في الغالب يستخدمون طبقات صوتية عالية لا يستدعيها موضوع الحديث، والأعجب أن تبرز الحدة حتى عند تبادل عبارات التحية والسؤال عن الأولاد والأهل وعلى جانب آخر نجد أن هذه الظاهرة تمتد بصورة أخرى لتتمثل في أسلوب المجادلة بين بعض المحسوبين على الثقافة حين تحتفي الروح العلمية المتجردة للوصول إلى الحقيقة، وحين لا يُحصَرُ الجدل في لب الموضوع، وحين يستبدل بدحض الحجة بالحجة المهارات والشتائم، فترى بعضهم . . يتناقرون تناقراً الديكة على صفحات الصحف والمجلات .

لا أكتف القارئ الكريم أن هذه الظاهرة لم تلفت انتباهي فحسب وإنما شغلت بها وبتتبع سلوك وتصرفات محترفها محاولاً معرفة دوافعها وأسبابها، ومن وجهة نظري